

الأحاطة

فلنخبر عن غزواته

لنبي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

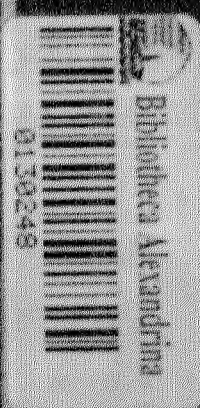
حقق نصه ووضع مقدمته وحاشيته

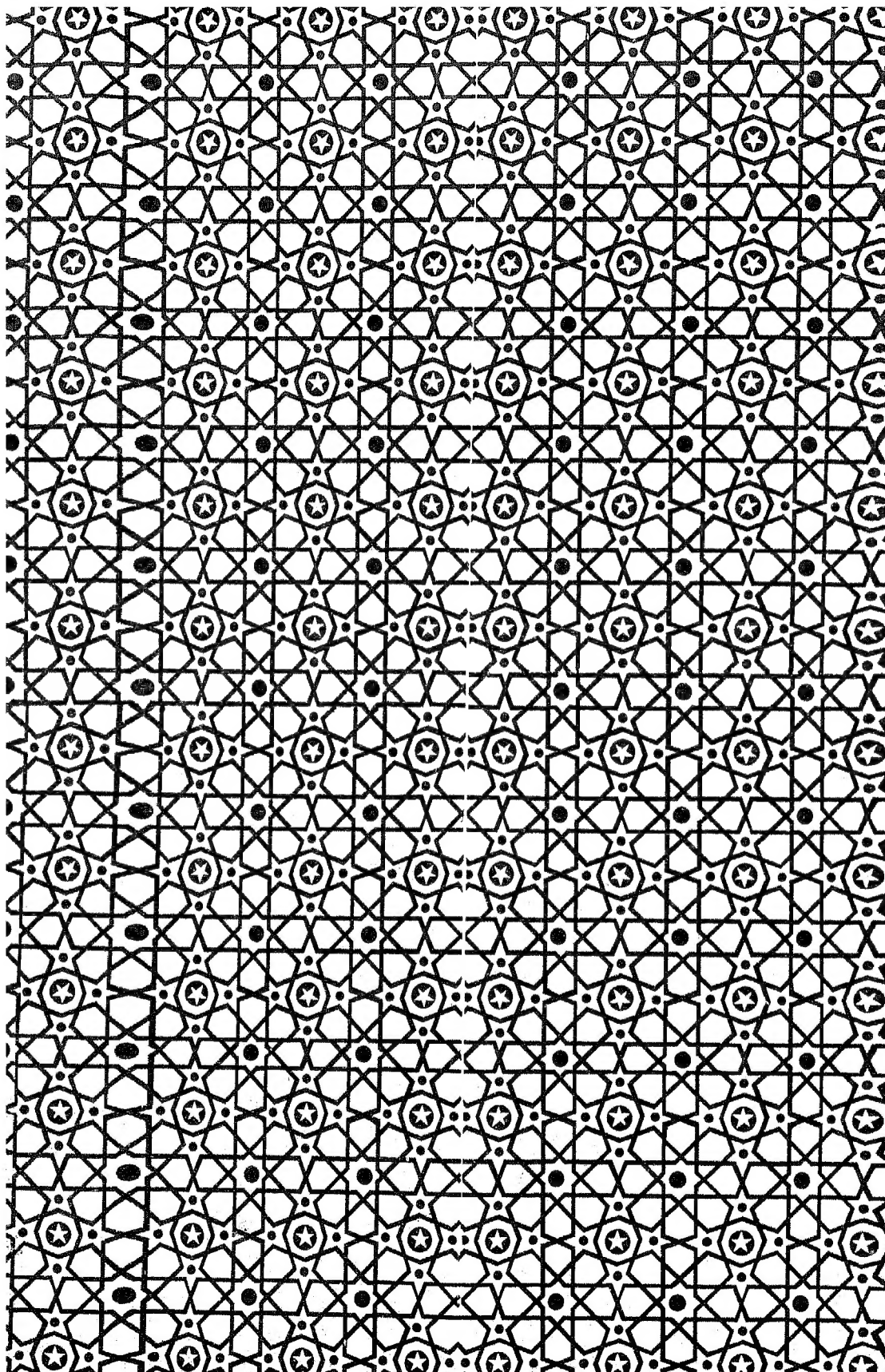
محمد عبد الله عثمان

المجلد الثاني

المناظر

مكتبة ابن أبي المظفر والنشر والتوزيع





المجلة العامة للكتابة لاسكندرية
رقم المجلد: ١٠٠
رقم العدد: ١٠٠
تاريخ التسجيل: ١٠٠

الأخطار في اختيار عزت طاهر لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حقق لعه ووضع مقلته وحواشيه

محمد عبد الله غنيان

المجلد الثاني

الناشر مكتبة النخاعي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1974

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » نقدمه إلى القراء والباحثين ، بعد أن تم بحمد الله ، تحقيقه ، وتزويده بمختلف الحواشي التفسيرية ، وبعد أن تم كذلك إخراج الطبعة الثانية من المجلد الأول ، من هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

ونود أن نبدأ هنا بالإشارة إلى بعض حقائق تتعلق بالأصول المخطوطة ، التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » ، فقد رجعنا في ذلك إلى الأصول الآتية :

أولاً - مخطوط أكاديمية التاريخ بمديرية (مخطوط العلامة جاينجوس) المحفوظ بها برقم CXLII .

ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم 8135

ثالثاً - مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال برقم ١٦٦٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

رابعاً - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم 1840

وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس ، حسبما فعلنا بالنسبة للمجلد الأول ، أساساً ، لتدوين نص المجلد الثاني ومقارنته . والواقع أنه لا يوجد بين هذه الأصول المخطوطة ، ما يتضمن المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بصورة مستقلة ، سوى مخطوط جامع الزيتونة ، الذي يقدم إلينا كتاب الإحاطة في ثلاثة أجزاء متتالية ، والذي يوصف خطأً ، بأنه هو النسخة الوحيدة الكاملة من الإحاطة في العالم . وقد سبق أن وصفنا هذا المخطوط وخصائصه وأحجام أجزائه بإفاضة ، في مقدمة المجلد

الأول . وبينما بوضوح ما يعتوره من ضروب النقص والتصحييف . وكيف أن القول بأنه هو النسخة الكاملة الوحيدة من الإحاطة ، لا يطابق الواقع ، فلا حاجة بنا هنا إلى التكرار .

هذا ، وقد سلطنا في تنظيم محتويات هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » وتبويبه مسلكاً جديداً ، راعينا فيه نظام « الأسفار » التي جعلها ابن الخطيب أساساً لتبويب كتابه ، ومن ثم فإننا لم نتخذ مخطوط جامع الزيتونة ، بالرغم من وصفه المتقدم ، أساساً وحيداً لتصنيف هذا المجلد الثاني من الإحاطة . ذلك أن الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، يتضمن عقب نهاية ترجمة (محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي) ابن زمرك — الإشارة الآتية : (انتهى السفر السادس هنا ، والحمد لله رب العالمين)

ويتضمن مخطوط جاينجوس ، عقب ترجمة محمد بن يوسف الصريحي — ابن زمرك المذكور — نفس هذه العبارة . ويتضمن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ، رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، في رأس صفحة العنوان العبارة الآتية :

(تملك هذا السفر الثاني من مختصر الإحاطة .. بن جعفر بن محمد القيت لطف الله بهم ونفعهم) .

ومن الواضح أن « السفر الثاني » يقصد بها هنا « الجزء الثاني » . ذلك لأنه قد وردت في الصفحة التالية في بداية المخطوط هذه الإشارة :

(ومن السفر السابع المفتتح بقوله : ومن الطاريين منهم في هذا الباب) . وإذا فإن مخطوط الإسكوريال ، يبدأ وفقاً لترتيب نظام الأسفار الذي اتخذ أساساً لتبويب كتاب « الإحاطة » ، عقب انتهاء السفر السادس من المخطوطين السابقين ، مخطوط الزيتونة ، ومخطوط جاينجوس ، بالسفر السابع . وعلى ذلك وبعد دراسة مقارنة عميقة ، لختلف المخطوطات التي بين أيدينا ، رأينا أن نتخذ نظام الأسفار قاعدة لتبويب « الإحاطة » ، وأن نبدأ بعد نهاية السفر السادس من مخطوطي الزيتونة وجاينجوس ، في تدوين تراجم السفر السابع الذي يفتتح به مخطوط الإسكوريال .

ويجب أن نعلم بهذه المناسبة ، أن كتاب «الإحاطة» يشغل وفقاً لنظام الأسفار المشار إليه ، والذي اتخذه المؤلف قاعدة لتقسيمه وتبويبه ، إثني عشر سفراً ، يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار ، من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر ، ويلى هذا السفر الأخير ، ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه . وهذه الأسفار فيما يبدو — عدا السفر الأخير — متقاربة الأحجام ، يحتوى كل منها على نحو أربعين ترجمة ، وهذا عدا السفر الأخير الذى يضم ثمان تراجم فقط . ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال يمثل بحجمه وعدد أسفاره ، نصف المؤلف الأصلي ، وتكون نسخة الإسكوريال هذه ، مكونة من جزئين كبيرين ، وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثانى ، الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثانى) من مختصر الإحاطة ، وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التى استولى عليها الإسبان فى عرض البحر فى أوائل القرن السابع عشر ، وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال ، وذلك حسبما فصلناه فى مقدمة المجلد الأول .

هذا وقد رأينا أن نفتح المجلد الثانى ، بترجمة السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجى (السلطان محمد الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب . هذا فى حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان ، يرد فى نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فى اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص ٣٠٦ — ٣٣٥) . ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى) ثانى الملوك النصريين .

وقد أحصينا التراجم التى وردت بالمجلد الثانى من مخطوط الزيتونة عقب الانتهاء من (السفر السادس) حتى نهايته ، فوجدناها سبعة وأربعين ترجمة ، تبدأ بترجمة (محمد بن أحمد بن عبد الله الإستجى) وتنتهى بترجمة (محمد بن على بن عبد الله اللخمى) وهى آخر التراجم الواردة بالمجلد المذكور ، وكلها من حرف الميم (المحمدون) . ووجدنا بالمرجعة الدقيقة أنه قد ورد منها فى مخطوط الإسكوريال سبع وثلاثون ترجمة ، وردت متباعدة تتخللها تراجم كثيرة أخرى من (المحمدين) أيضاً ، وتنتهى بترجمة ، محمد بن على بن عبد الله اللخمى فى اللوحة رقم 146 .

ونود أن ننوه بأنه إلى جانب البواعث النظامية والفنية ، التي حملتنا على انتباه هذه الخطوة ، توجد ثمة بواعث علمية هامة ، تتلخص في أن مخطوط الإسكوريال ، يتناول كثيراً من التراجم المذكورة بتوسع وإفاضة ، ويقرنها بكثير من مختارات المنظوم والمثور ، التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ومنها تراجم كثيرة لشخصيات أدبية بارزة ، أمثال ابن الحداد الوادي آشئ ، وابن مرج الكحل ، وابن الجنان ، وابن أبي الحصال ، وذو الوزارتين ابن الحكيم ، وابن طفيل ، ومحمد بن عبد العزيز التجيبي البرشاني ، وابن قزمان ، وابن القصيرة ، وابن خميس الحجري ، وابن جزى ، وغيرهم . وقد وردت معظم هذه التراجم في مخطوط الزيتونة في نصوص موجزة ، ينقصها الكثير من مختارات الشعر والنثر ، التي يوردها مخطوط الإسكوريال ، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بأن مخطوط الإسكوريال ، هو أقرب المخطوطات التي انتهت إلينا ، إلى نص كتاب الإحاطة المطول ، وهذا بالرغم من كونه يوصف في صفحة العنوان ، وفي نهايته بأنه « مختصر الإحاطة » . وهذا كله إلى أن نص مخطوط الإسكوريال ، يمتاز بسلامته ، وخلوه من كثير من الأخطاء وضروب التصحيف ، التي ترد خلال نص مخطوط جامع الزيتونة .

وهناك إلى جانب ما تقدم فارق التاريخ . ذلك أن مخطوط الإسكوريال قد نص في نهايته ، على أنه قد تم نسخه في أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، وذلك بمدينة غرناطة ، هذا في حين أن مخطوط الزيتونة قد تم نسخه حسبما ورد في نهاية الجزء الثالث منه ، في شهر جمادى الثانية عام ١٢٧٣ ، فهو إذن مخطوط حديث . وميزة القدم بالنسبة لمخطوط الإسكوريال ، وكونه قد كتب في غرناطة موطن مؤلف « الإحاطة » ، وبعد وفاته بنحو قرن وربع فقط ، تسبغ عليه أهمية خاصة ، من حيث الاطمئنان إلى سلامة النص ، وإلى أنه قد نقل من أصول معتبرة يعول عليها .

ولسنا بحاجة إلى أن نعيد هنا شيئاً مما ورد في مقدمتنا للمجلد الأول ، من البيانات والشروح عن كتاب « الإحاطة » ، وعن مصادره وتاريخ تأليفه ، أو عن مؤلفه ابن الخطيب ، وعن حياته ، وخلالها الفكرية والأدبية اللامعة ، فكل ذلك قد استوفيناه في مقدمتنا بإفاضة ، يرجع إليها في المجلد الأول .

ويحتوى المجلد الثانى من كتاب « الإحاطة » على إحدى وثمانين ترجمة ، ويضم طائفة من الرسائل الهامة ، التى دبرها ابن الخطيب بلسان سلطانه ، فى الحث على الجهاد ، وجمع كلمة الأمة فى الذود عن الدين والوطن ، كما يضم طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس ، مثل المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق ، والمنصور بن أبى عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير ، مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغنى بالله ، سلطان ابن الخطيب . ومن أكابر الكتاب والأدباء والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك ، وابن مرج الكحل ، وابن شلبطور ، وابن أبى الخصال ، وأبى عبد الله بن الحكيم ، وابن غالب الرصافى ، وأبى بكر بن القصيرة ، وابن قزمان ، وابن خميس الحجري ، وغير هؤلاء وهؤلاء .

وتتضمن هذه التراجم كثيرا من الحقائق والتفاصيل التاريخية والأدبية الهامة . هذا فضلا عما تقرر به من مختار المنشور والمنظوم .

وقد عنيانا فى هذا المجلد أسوة بالمجلد الأول ، بشرح وتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، فى حواشى خاصة ، وربما حدث خلال ذلك بعض تكرار فى التعريف بأعلام أو بلاد سبق التعريف بها فى المجلد الأول . ولكن ذلك لا ينتقص من أهميتها ، لأنها فى مكانها أقرب إلى التناول والإفادة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلد الثانى من « الإحاطة » سوف يصدر بعون الله ، فى ربيع أو صيف هذا العام — سنة ١٩٧٤ . وتوافق هذه السنة الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، وتقع هذه الذكرى فى خريف العام المذكور . وقد أشرنا فى ختام مقدمة المجلد الأول ، إلى أهمية إحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها ، وأهنا بالدوائر العلمية والأدبية فى مختلف البلاد العربية ، ولاسيما المغرب ، الذى قضى فيه ابن الخطيب أخصب فترات حياته ، ومازال يشوى الثواء الأخير بأرضه ، أن تقوم بتنظيم الاحتفاء بهذه الذكرى العلمية التحليلية ، وقد علمنا مع الغبطة أن الحكومة المغربية . تعنى الآن بالعمل لإحياء هذه الذكرى فى موعدها . ونحن نرجو لها من الله العون والتوفيق فى تحقيق هذه الأمنية النبيلة .

محمد عبد السلام عريان

القاهرة فى غرة المحرم سنة ١٣٩٤
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٧٤

رموز المخطوطات

رأينا وفقاً لما تم في المجلد الأول ، أن نرمز إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على النحو الآتي :

١ — مخطوط أكاديمية التاريخ بمديرد (مخطوط جاينجوس) بحرف «ج» .

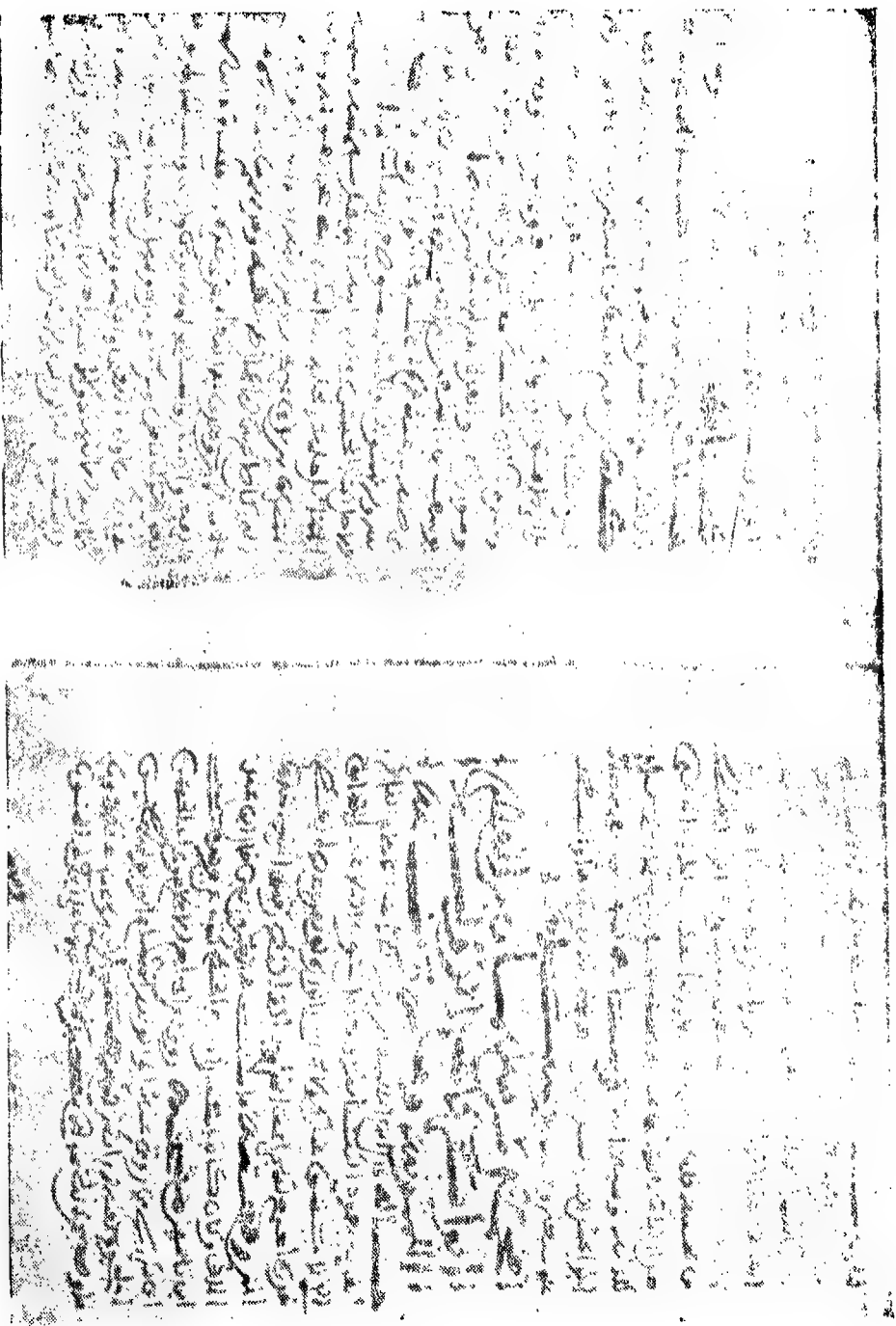
٢ — مخطوط جامع الزيتونة بتونس بكلمة « الزيتونة » .

٣ — مخطوط الخزائن الملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .

٤ — مخطوط مكتبة الإسكوريال بكلمة « الإسكوريال » .

٥ — وجرينا في التعبير عن مخطوطي جاينجوس والزيتونة ، بكلمة « المخطوطين » .

٦ — وفي التعبير عن جاينجوس والزيتونة والملكية « بالمخطوطات الثلاثة » .



صفحتان من الجزء الثاني من كتاب (الإحاطة) من مخطوط جامع الزيتونة المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية بفرنس برقم 8435

[illegible][illegible]

الإحاطة
في أخبار غرناطة
—
المجلد الثاني

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج
ابن يوسف بن نصر الخزرجي^(١)

أميرُ المسلمين لهذا العهد بالآندلس ، صدرُ الصدور ، وعلمُ الأعلام ، وخليفةُ
الله ، وعماذُ الإسلام ، وقُدوةُ هذا البيت الأصيل ، ونيرُ هذا البيت الكريم ،
وُثْبَابُ هذا المجدِّ العظيم ، ومعنى السَّكَّال ، وصورَةُ الفضل ، وعنوانُ السَّعَدِ ،
وطائرُ اليَمَنِ ، ومَحْوَلُ الصَّنْعِ ، الذي لا تبلغُ الأوصافُ مداه ، ولا تُوفى العبادة
حقه ، ولا يَجْرَى النظم [والنثر]^(٢) في ميدان ثَنَائِهِ ، ولا تنتهي المدائحُ إلى
عَلْيَانِهِ .

أَوَّلِيَّتُهُ

أشهرُ من إمتاع الضُّحَى ، مستوليةٌ على المدا ، بالغةٌ بالسَّعةِ بالانتساب^(٣) إلى
مَتَعِدِ بْنِ عِبَادَةِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، مُبْتَدِحَةٍ^(٤) في جِهَادِ الْعِدا ، بِحَالَةٍ مِنْ مَلِكِ جَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا ، وَهِيَ بِهَا فِي أَسْنَى^(٥) الْمَزَايِنِ وَالْخَلَى ، وَقُدُمًا فِيهِ بِحَسَبِ
لِمَنْ مَتَعَ وَرَأَى .

(١) وردت في الزيتونة إزاء اسم هذا السلطان العبارة الآتية في الهامش الأيسر (ترجمة
سلطان المصنف) . هذا وقد وردت بداية هذه الترجمة في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فرأينا
أن نبدأ منها بالمراجعة عليه .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٣) هذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (على الانتساب) .

(٤) هكذا في «ج» و «الملكية» من ابتجح ، أى افتخر وتباهى .

(٥) في الملكية ، والزيتونة ، أبهى .

حاله

هذا السلطان أيمُنُ أهل بيته نقيبةً ، وأسمعهم ميلاداً وولايةً ، قد جمع الله له بين حُسن الصورة ، واستقامة البنية ، واعتدال الخلق ، وصحة الفكر ، وثقوب الذهن ، ونفوذ الإدراك . ولطافة المسایل ، وحُسن التأني ؛ [وجمع له من الظرف]^(١) ما لم يجمع لغيره ، إلى الحلم ، والأناة اللذين يُحبُّهما^(٢) الله ، وسلامة الصدر ، التي هي من علامة الإيمان ، ورقة الحاشية ، وسُرعة العبرة ، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة ، إلى ضخامة التَّعَجُّد ، واستجادة الآلات ، والكَلَف بالجهد ، وثبات القدم ، وقوة الجأش ، ومشهور البسالة ، وإيثار الرفق ، وتَوْخِي السداد ، ونجاح المحاولة . زادهُ الله من فضله ، وأبقى أمره في ولده ، وأمتع المسلمين بعمره . ساقى الله [إليه] الملك طواعية واختياراً ، إثر صلاة عيد الفطر على بَنْتَه^(٣) وفاة المُقدَّس أبيه ، من عام خمسة وخمسين وسبع مائة ، لمُخايل الخير ، ومَرْيَةِ السَّن ، ومُظَنَّةِ البركة ، وهو يافع ، قريب العهد بالمرأته ، فأَنْبَتَهُ اللهُ النَّبَاتَ الْحَسَنَ ، وسَدَّلَ^(٤) به السَّترَ ، وسَوَّغَ العافية ، وهنأ العَيْشَ ؛ فلم تَشْخُ في مدته السماء ، ولا كَلِبَ^(٥) الأعداء ، ولا تبدلت الألقاب ، ولا عُوِنَتِ الشدائد ، ولا عُرِفَ الخوف ، ولا فُورِقَ الخُصْبُ ، إلى أن كانت عليه الحادثة ، ونابَهُ التَّمْحِيصُ ، الذي أكَسَبَهُ الحُنْكَ ، وأفاده العبرة ، فشهد بعناية الله في كَفِّ الأيْدِي العادية ، وأخطأ [أَلَم]^(٦) السَّهام الرَّاشِقَةَ ، وتَخَيَّبَ الآمال

(١) وردت في «ج» (وجمال الظرف) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة ، يحجم . والتصويب لازم لاستقامة السياق .

(٣) كذا في «ج» و «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة ، وسبل .

(٥) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٦) الزيادة من «الملكية» ، والزيتونة .

المكيدة ، وانسداد أزوجة السُّر والعِصمة ، ثم العودة ، الذي عرّف الإسلام ، [بدار الإسلام] (١) قدرها ، وتملاً عزّها ، ورجح (٢) وزنها ، كما اختبر ضدها فرصة الملك ، وشاع العدل ، وبعد الصيت ، وانتشر الذِّكر ، وفاض الخير ، وغزُر القطر ، فظهرت البركات ، وتوالت الفتوح ، وتخلّدت الآثار . وسيرد من بيان هذه الجمل ، مايسعه الترتيب بحول الله .

ترتيب دولته الأولى

إذ هو ذو دولتين ، ومُسُوغ ولايتين ، عزّزها الله ، بملك الآخرة ، بعد العمر الذي يملأ صحايف البر ، ويخلد حُسن الذِّكر ، ويُعرف إلى الوسيلة ، ويرفع في الرفيق الأعلى الدرجة ، عند الله خير وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

وزراؤه وحجابه

انتدب إلى النيابة عنه ، والتّشهير إلى الحجابة ببابه ، الشيخ القايّد المعتمد بالجلّة ، المتّحول من اخذام النّبهاء ، المتسود الأبوة ، المخصوص بالفدح المعلى من المزية ، المسلم له في خصوصيّة الملك والتربية ، ظهير العلم (٣) والأدب ، وأمين الجِد ، ومولى السلف ، ومُفرغ الرأى إلى هذا العهد ، وعقد سفر (٤) السلطان ، وبقية رجال الكمال من مشيخة الماليك ، وخياو الموالي ، أبا النعيم رضوان وجهه الله ، فحمد الكل ، وخلف السلطان ، وأبقى الرُتب ، وحفظ الألقاب ، وبذل الإنصاف ، وأوسع السكّنف ، وامتدعى النصيحة ، ولم يأل جهداً في حُسن

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي «ج» و «الملكية» (بهذه الاسلام) .

(٢) هكذا في «الملكية» والزيتونة ، وفي «ج» واسترجح . والأولى أفضل .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» ، العمر ، والتصويب أرجح .

() هكذا في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» سفرأ .

السيرة ، وتظاهر المحض ، وأفردني بالمزية^(١) وعاملني بما يرتد عنه جسر أطرف الموالاة والصحبة ، ووفى لي الكيل الذي لا يقتضيه السن ، والقربة من الاشتراك في الرتبة^(٢) ، والتزحزح عن الهضبة ، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر والغيبة ، والمحافظة على التشيع والقدمة ، بلغ في ذلك أقصى الغايات . مدارج التخلق المأثور عن الجلة ، والتودد إلى [المرأة بعد المرأة]^(٣) ، واختصت بفوت المدة بالسلطان ، فكنت المنفرد بسرّه دونه ، ومفضى همه ، وشفاه نفسه ، فيما يُذكره من فتنة تقع في سيرته . أو تصير توجيه السداجة في معاملاته ، وصالح ما يتغير عليه من قلبه ، إلى أن لحق بربه .

شيخ الفزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الفزاة شيخهم على عهد أبيه ، أبا زكريا يحيى بن عمر بن دحون عبد الله بن عبد الحق ، مطمح الطواف^(٤) ، وموفى الاختيار ، ولباب القوم ، وبقية السلف . حزناً ودهاء ، وتجربة [وحنكة وجداً وإدراكاً]^(٥) [ناهيك]^(٦) من رجل فذلّ للنازع ، غريبها ، مستحق التقديم ، شجاعة وأصالة ، ورأياً ومباحثة ، لساية قبيله ، وأضحى قسمهم ، وكسرى ساستهم ، إلى لطف السجية ، وحسن التأني ، لغرض السلطان ، وطرق التّنزل للحاجات . ورقة غزل الشفاعات . وإمتاع المجلس ، وثقوب الذهن والفهم ، وحسن الهيئة . وزادته خصوصية ملازمته

(١) وردت في «ج» و «الملكية» بالزبدة ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» وفي «الملكية» بالزينة ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (المدة بعد المدة) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «الزيتونة» ، وفي «ج» و «الملكية» (الطرف) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (وحركة وجدا) .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضها السياق .

مجلس الرِّفَاع المعروضة ، والرَّسُل الواردة . وسيأتى ذكره فى موضعه بحول
الله تعالى .

كاتب سره

قَتُّ لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التى أسندها^(١) إلى أبوه المولى المقدس ،
رحمه الله ، من الوقوف على رأسه ، والإمساك فى التهانى والمباينة بيده . والكتابة
والإنشاء والعرض والجواب . والخيلة والمجالسة ، جامعا بين خدمة القلم . ولقب
الوزارة ، معززا الخطط برسم القيادة ، مخصوصا بالنيابة عنه فى الغيبة ، على كل
ما اشتمل عليه سرور القلعة والخضرة . مطلقا أمور الإيالة ، محكما فى أشقائه تحكيم
الأمانة . مطلقا الجراية . ظاهر الجاه والنعمة . ثم تضاعف العز ، وتأكد
الرعى . وتمحض القرب . فنقلنى من جلسة المواجهة ، إلى صف الوزارة ،
وعاملنى بما لا مزيد عليه من العناية ، وأحلنى المحل الذى لا فوقه فى الخصوصيّة ،
كافا الله فضله ، وشكر رعيه ، وأعلى محله عنده .

وأصدر لى هذا الظهير لثانى يوم ولايته : هذا ظهير كريم ، صفى شربه .
وسفرنى فى الرسالة عنه ، إلى السلطان ، الخليفة الإمام ، ملك المغرب ، وما إليه
من البلاد الإفريقية ، أبى عنان ، حسبما يأتى ذكره . ثم أعفانى فى هذه المدة
الأولى ، عن كثير من الخدمة ، ونوّه بى عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة ،
فاخترت للسكل والبديلة ، وما صان عنه فى سبيل التجلّة ، وإن كان منتهى أطوار
الرّفعة ، الفقيه أبامحمد بن عطية ، مستنزلا عن قضاء وادى آش وخطابتها ،
فكان يتولى ما يكتب بنظرى ، وراجعا لحكمى ، ومترددا لبالى ، مكفى

(١) وردت فى «ج» والملكية ، أسند . والتصويب أفضل .

المؤنة في سبيل^(١) الحمل الكلى ، إلى وقوع الحادثة ، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

قضائته

جدّد أحكام القضاء وأخطابة لقاضى أبيه الشيخ الأستاذ الشريف ، نسيج وحده ، وفريد دهره^(٢) ، إغراباً^(٣) في الوفاة ، وحسن السمّة^(٤) وأصالة البيت ، وتبحراً في علوم اللسان ، وإجهازاً في فصل القضايا ، وانفراداً ببلاغة الخطبة ، وسبقاً في ميدان الدهاء والرّاحة ، أبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى ، الجاني إلى الإيالة النّصرية من مدينة سبّنة . وسياق التعريف به في مكانه إن شاء الله . وتوفي رحمه الله بين يدي حدوث الحادثة ، فأرجى الأمر بمكانه ، إلى قدوم متلقّف الكُرة ، ومتعاون تلك الخطّة : الشيخ الفقيه القاضى ، أبى البركات قاضى أبيه . ووليها الأحقّ بها بعده ، إذ كان غائياً في السفارة عنه ، فوقع التّمحيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة .

الملوك على عهده

وأولّهم بالمغرب ، السلطان ، [الإمام]^(٥) ، أمير المسلمين ، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ، البعيد الشّأو في ميدان السّعادة ، والمُضنى أغراض السّداد ، ومُعظم الظّفّر ، ومُحوّل الموهبة ، المستولى على آماذ السّكال ،

(١) وردت في الزيتونة بعد هذه الكلية عبارة (المؤمنة في) وهي عبارة لا معنى لها هنا ، ومن ثم فقد أغفلناها .

(٢) هكذا في «ج» ووردت في «الملكية» ، عصره .

(٣) وردت في «ج» إغراباً . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» السّة ، والأولى أرجح .

(٥) الزيادة من الزيتونة .

عقلاً وفضلاً وأبهةً ورؤاءاً . وخطاً وبلاغاً ، [وحفظاً ودكاً : (١)] وفيها وإقداماً ، تغمده الله برحمته . بعثني إلى بابه رسولاً على إثر بيعته . وتماير أمره ، وخاطباً إثره ووُدّه ، مُستَرِنداً (٢) من منحة قبوله ، فألفتُ بشراً مبدولاً ، ورفداً ممنوحاً ، وعزاً باخناً ، يضيق الزمان عن جلالته ، وتقصر الألسنة عن كُنّه وصفه ، فكان دخولي عليه في الثامن والعشرين من شهر ذي قعدة عام خمسة وخمسين المذكور ، وأنشدته بين يدي المخاطبة ، ومُضمن الرسالة :

خليفةُ الله ساعدَ القَدْرَ علاك ملاح في الدُّجَا قرُ

فأحسب وكفى ، واحتفل واحتفى ، وأفضتُ بين يدي كرمته (٣) ، إلى الحضور معه في بعض المواضع المظلة على مورد وحب . هاج به الخُدام أسداً ، أرود ، شثن الكفّين مُشعر (٤) اللبدة ، حتى مرّق عن تابوت خشبي كان مسجوناً به ، من بعد إقلاعه ، من بعض كُواه ، وأثارته من خلفه ، واستشاط وتوقد بأساً . وجلب (٥) ثورٌ عَيلُ الشّوى ، منتصبُ المروى ، يقدمه صُور (٦) من الجواميس ، فقرّبت الخطأ ، وحميت الوغى ، وبلغ الزئير والجوار ماشاء ، في موقف من ميلاد الشيم العلى [يخشى] (٧) الجبانُ مقارعة العدا ، ويوطن نفسه الشجاعُ على ملاقة الرّدى ، وخار الأسدُ عن المبارزة ، لما بلغ منه ثقافاً عن رد المناوشة ، ومضطماً بأعباء المحاملة ، فتخطاه إلى طائفة من الرّجالة ، أولى عدّة ،

(١) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» إدراكاً .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» مستريداً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) وردت في «ج» مقشعر . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وجلبت) . والتصويب أنسب للسباق .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (صواراً) فاتقضى التصويب .

(٧) هذه الإضافة أو ما في معناها لازمة لإستقامة الساق .

وذوى ذُرْبَةٍ^(١)، حمل نفسه متطارحا كشهاب الرُّجْم، وسَرَكَ الدُّجَا، وأخذته
وماحهم بإبادته^(٢)، بعد أن أَرْدَى بعضهم، وجَدَّل بين يدي السلطان، متخبطا
في دمه. وعَرَّض بعض الحاضرين، وأغْرَى بالنظم في ذلك، فأنشدته:

أَنعامُ أَرْضِكَ تُقهرُ الأسادا طبعاً كسا الأرواح والأجسادا
وخصايصُ اللهِ بثِ ضروبها في الخلقِ ساد لأجلها من سادا
إن الفضائلِ في حماك بضائعُ لم تحش من بعد النفاق كسادا
كان الهزبرُ محارباً فجزيته بجزاء من في الأرض رام فسادا
فابغ المزيدي من آلايه بشكره وأرغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأثي القريحة، وإمكان البديهة، مع قيّد الصفة، وهيبة المجلس.
وكان الانصراف بأفضل ما عاده سفيرٌ، من واد^(٣) أصيل، وإمدادٍ موهوب،
ومهاداة أنيرة وقطار مجنوب، وصامتٌ محمول، وطعمة مشوعة. وكان الوصول
في وسط محرم من عام ست وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السعي، وأثمر الجهد،
وصدقت الخيلة، وقد تضمن رَحْلَى الوُجْهَة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله
الذي له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفى زعموا بحيلة، وقيل حتف أنفه، لما نهكه
المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى بابه الأبناء. وخاف
مُدبِّرُ أمره، حايدة ملامته، على توقع بُرْئه، وكان سيفه^(٤) يسبق على سوطه،
والقبر أقرب إلى من تعرض لعتبه من سجنه، ففضى موضع هذا السبيل خاتمة
الملوك الجلَّة، من أهل بيته. جدد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب،

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (ذرية). والتصويب أزجج.

(٢) في «ج» و «الملكية» بآبارته، والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» ود.

(٤) في «ج» و «الملكية» سفيه. والتصويب من «الزيتونة».

وأغلظ العقاب ، وصير إيلته أضيّق من الخلد^(١) . وأمدّ الأندلس ، وهزم الأضداد ، وخذلّ الآثار ، وبنى المدارس والزوايا ، واستجلب الأعلام . وتحرّك إلى تليمان فاستضافها إلى إيلته ، ثم ألحق بها قسنطينة وبجاية ، وجيز أسطوله إلى تونس ، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعائة ، واستمرت بها دعوته إلى ذى قعدة من العام ، ورحمة الله عليه . وكانت وفاته في الرابع عشر لذي حجة من عام تسع وخمسين وسبعائة . وصار الأمر إلى ولده المسى بالسعيد ، المسكني بأبي بكر ، مختار وزيره ابن عمر القدوى^(٢) . ودام ضبط الإيالة^(٣) المشرقية فأعياه ذلك ، وبايع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان ، ولجأ الوزير وسلطانُه إلى البلد الجديد ، مئوى الخلافة المرينية ، فكان أملك بها . ونال منصور بن سليمان ، ثم استغضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيته . وغادر^(٤) السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن أخو المالك السلطان أبي عنان [الأندلس]^(٥) ، وقد كان استقر بها بإزعاج أخيه إياه عن المغرب ، كما تقدم في اسمه ، فطلع على الوطن الغربي بإعانة من ملك النصارى ، عانى فيها هولا كثيرا ، واستقرّ بآخرة بعد إخفاق شيعته^(٦) المرأكشية ، بساحل طنجة ، مستدعى من بجبال غمارة ، ودخلت سبّنة وطنجة في طاعته . وفرّ الناس عن منصور بن سليمان ، ضربة لازب ، وتقبّض عليه وعلى ابنه ، فقتلا صبرا ،

(١) في المخطوطات الثلاثة (الحد) والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» القدوى . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٣) وردت في «ج» والزيتونة «الأبالي» . والتصويب من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (ونص) . وفي «الملكية» والزيتونة (وبعض) . وهى كلمة لا معنى

لها هنا . وقد أضفنا كلمة (وغادر) ليستقيم السياق .

(٥) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

(٦) وردت في «ج» سعية . والتصويب من الزيتونة ، وبه يستقيم المعنى ، لأن السلطان

أبا سالم نزل أولا بساحل دكالة على مقربة من منطقة مراکش ، ثم تحول عنها بعد فشله إلى الشمال .

نفعهما الله . وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر شعبان عام ستين وسبعمائة ، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه . ثم دالت الدولة . وكان من لحاق السلطان برؤدة ، واستعانته على رد ملكه ما يأتي في محله ، والبقاء لله سبحانه .

وبتلمسان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن بقراس بن زيان ، قريب العهد باسترجاعها ، لأول أيام السعيد .

وبتونس الأمير إبراهيم بن الأمير أبي بكر بن الأمير أبي حفص بن الأمير أبي بكر بن أبي حفص بن إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد ، لنظر الشيخ رأس الدولة ، وبقية الفضلاء ، الشهير الذكر ، الشائع الفضل ، المعروف السيامة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن تافراكين^(٢) . تحت مضايقة من عرب الوطن .

ومن ملوك النصارى بقشتالة ، بطرء بن ألنشة بن هراندة بن شانجه بن ألفتش بن هراندة ، إلى الأربعين ، وهو كما اجتمع وجهه ، تولى^(٣) الملك على أخريات أيام أبيه في محرم عام أحد وخمسين وسبعمائة . وعقد معه سلم على بلاد المسلمين . ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به ، وغمرت الرُّوم . وألقت العصا ، وأغضت القضاء ، وأجالت على الكثير من الكبار^(٤) الردى ، بما كان من إخافته ساير إخوانه لأبيه ، من خاصته ، المعجزة الغالبة على هواه ، فنبذوه على سوء^(٥) بعد قتلهم أمهم ، وانزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوم قبل موته برعية أمهم . وسلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكايه لمنصبه ،

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (أبو عمران) . وهو كنية السلطان المشار إليه

(٢) هكذا رسمت في «ج» . وترسم أحياناً بالكاف : تافراكين .

(٣) وردت مكانها في «ج» ، وكأولى . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (كبار) . والتصويب لازم للسياق .

(٥) وردت في «ج» سوا . والتصويب من «الملكية» .

إلى اختصاص عجلة ، أنف بحركاه كبار قومه ، من أجل ضياع بذره وانقراض
هقيبه ، فال الخوارج عليه ، ودبروا القبض عليه ، وتحصل في أنشودة ، يقضى
أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع ، لولا أنه أفلكت وتخلص من شرارها .
فاضطره ذلك إلى صلة السلم ، وهو الآن بالحالة الموصوفة .

الأحداث في أيامه

لم يحدث^(١) في أيامه حدث إلا العافية المسحة^(٢) والهدنة المتصلة ، والأفراح
المتجددة ، والأمنة المستحكمة ، والسلم المتعددة . وفي آخر جمادى عام ست
وخسين وسبعائة لحق بجبل الفتح فشم شعبته ، وأبر متبوتة^(٣) ، كان على ثغره
العزير على المسلمين ، من لدن افتتاحه ، الموسوم الخطية ، المخصوص بمزية تشييده ،
عيسى [بن] الحسن بن أبي منديل ، بقية الشيوخ أولى الأصالة والدهاء ،
والتزي بزى الخير ، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة ، والإغراق
في سوء العقبي . والله غالب على أمره . فكان أملك بمصامته ، وقر عينه بلقاء
ولده ، والتمتع منه بجواد عتيق . ملّى من خلال السياسة ، أزداه سوء الحظ ،
وشؤم النصبة^(٤) ، واظلم ما بينه وبين سلطانه ، مسوغه برداء العافية على تفه صغر ،
وملبسه رداء العفة على قدح الأمور ، أبدى منها الخوف على ولده ، وعرض
ديسم عزمه ، على ذوبان الجبل ، فانحدوا في هواه ، وغرثوه بكاذب عصبية^(٥) ،
فأظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور ، واتصلت الأخبار ، وساعت

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة ، تحدث . فاقضى التصويب .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» ، المسبحة . والتصويب من الزيتونة .

(٣) أعنى قام بعملية أسواره وأصلاح أجزائه الخربة الهالكة .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» ، النصفة ، والأول أرجح .

(٥) وردت في «ج» عهد التصويب من « . الملكية » والزيتونة .

الظنون ، وضائق الصدور ، ونكست الرؤوس لتوقع الفاقة . بانسداد باب الصريح . وانبتات سبب النضرة . وانبعث طمع العدو [وانمحطت الأطماع]^(١) في استرجاعه واستقالته ، لمكان حصانته ، وسمو الذروة ، ووفور العدة . ووجود الطعمة ، وأخذ به بلاشي الفرصة . ثم ردفت الأخبار بخروج جيشه^(٢) صعبة ولده إلى منازلة أشتبونة^(٣) ، وإخفاق أمله فيها . وامتناسك أهلها بالدعوة ، وانتصافهم من الغائفة العادية ؛ فبؤدر إليها من مألقة بالعدد . وخوطب السلطان [من]^(٤) ملك المغرب أيده الله بالجلية ، فتحققت المناينة ؛ واستقرت الظنون . وفي الخامس والعشرين من شهر [ذي قعدة]^(٥) ، ثار به أهل الجبل . وتبرأ منه أشياعه ، وخذله بالفرار ، فأخذت شعابته ونقابته ، فسكر واجماً أدراجها إلى القاعدة^(٦) الكبيرة . وقد أعجله الأمر ، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها . وكثر^(٧) فألقى به ، وقد لحق به^(٨) . بعض الأساطيل بسببته لداعي تسوّر توطى^(٩) على إمارته ، فقيد هو وأبنته ، وخيض بهما البحر للدين ، ولم ينتطح فيها عزّازان ، رحمه الله . سنّام فيئة ألفت برّ كها^(١٠) ، وأناخت بكلّ كها . وقد تدّر أنها واقعة . ليس لها من دون الله كاشفة . فقد كان من بالجبل يرموا على إيالة ذينك المرتسين^(١١) .

- (١) وردت في «ج» و «الملكية» (وركت الأطماع) . والتصويب من الزيتونة .
- (٢) وردت في «ج» والزيتونة بعدها كلمة ، إلى ، وهي حشو لا محل له .
- (٣) أشتبونة ، وبالإسبانية Estrepona ، ثغر أندلسي صغير ، يقع جنوبي إسبانيا ، وشمال جبل طارق في منتصف المسافة بينه وبين ثغر مريلة .
- (٤) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .
- (٥) مكانها بياض في المخطوطات الثلاثة ، ونعتقد صحة ما أثبتناه ، وهو متفق مع ما سبق
- (٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (القاهرة) . وهو تحريف ظاهر . والتصويب أرجح .
- (٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وقد تعنى كثرة خصومه .
- (٨) وردت بعدها في المخطوطات الثلاثة كلمة (الأسطول) ، ووجودها هنا يخل بالسياق والأغلب أنه من باب السهو .
- (٩) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (سور تولى) .
- (١٠) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة ، بركانها .
- (١١) وردت محرفة في «ج» ، المرتسين . والتصويب من «الملكية» .

وَأَلْقَوْا أَجْوَارَهَا ، وَأَعْدَوْهَا الصَّفْقَةَ . بِمَا أَطْعَمَهُمَا فِي الثَّوْرَةِ ^(١) . وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . وَاحْتَمَلَ إِلَى الْبَابِ السُّلْطَانِي بِمَدِينَةِ فَلَس ، وَبَرَزَ النَّاسُ إِلَى مَبَاشَرَةِ إِيصَالِهِمَا مَجَالِيِينَ فِي مَنْصَةِ الشَّهْرَةِ ، مَرْفُوعِينَ فِي هَضْبَةِ الْمُشَلَّةِ . ثُمَّ أَدْخَلَ السُّلْطَانُ فِيهِمَا حُكْمَ الْفَسَادِ ، بَعْدَ أَيَّامِ الْحَرَابَةِ ، فَقُتِلَ الشَّيْخُ بِخَارِجِ بَابِ السَّمَارِينَ مِنَ الْبَلَدِ الْجَدِيدِ . بِأَيْدِي قَرَابَتِهِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أُضْحِتْ ^(٢) دِمَاحَ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشَةَ اللَّهُ أَرْحَامُ هُنَاكَ تُشْتَقُّ وَقُطِعَتْ رِجْلُ الْوَلَدِ وَيَدُهُ . بَعْدَ طَوِيلِ عَمَلٍ وَسُوءِ تَنَاوُلٍ . وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ اسْتَنْفَذَهُ حِمَامُهُ فَأَضْحَى عِيرَةً فِي سُرْعَةِ انْتِلَابِ حَالِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ : حَسَنُ طَالَعَةٍ . وَذِياعُ نَحْمَدَ ، وَفَضْلُ شَهْرَةٍ . وَاسْتَفَاضَةَ خَيْرِيَّةٍ ، وَنَبَاهَةَ بَيْتٍ ، وَأَصَالَةَ عِزٍّ ، إِلَى ضِدِّ هَذِهِ الْاِخْطِلَالِ ، وَقَانَا اللَّهَ مُصَارِعَ السُّوءِ ، وَلَا سَلْبَ عَنَا جِلْبَابِ السُّتْرِ وَالْعَافِيَةِ .

وَسَدَّ السُّلْطَانُ ثَغَرَ الْجَبَلِ بِآخِرِ ^(٣) مِنْ وَلَدِهِ اسْمُهُ السَّعِيدُ ، وَكَنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَحِقَ بِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ بِضَائِنَتِهِ . وَقَدَّرَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَسَوَّغَهُ رِزْقًا وَغَدَاً ، وَعَيْشًا خَفِضًا . وَبَادَرَ السُّلْطَانُ الْمُرْتَجِمَ لَهُ ، إِلَى تَوْجِيهِ وَسُؤْلِهِ : قَاضِيًا حَقَّهُ . مَقَرَّرَ السَّرُورَ بِمَجَاوَرِهِ ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ مَا يَلِيْقُ مِنَ الْحَالِ مِنْ بَرٍّ وَمَهَادَاةٍ وَنَزَلٍ . وَتَعَقَّبَتْ بَعْدَ أَيَّامِ الْمَكَافَاتِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ الْوُدَّ ، وَتَحَسَّنَتْ الْأُلْفَةُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِهِمْ ^(٥) وَمُسْنَى الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ ^(٦) عَلَى أَيْدِيهِمْ .

-
- (١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (الثَّرْوَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الزَّيْتُونَةِ ، ظَلَّتْ .
 (٣) وَرَدَتْ فِي «ج» بِأَمْرٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمُلْكِيَةِ» .
 (٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمُلْكِيَةِ» وَالزَّيْتُونَةِ . وَفِي «ج» الْمَكَافَاةُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .
 (٥) وَرَدَتْ فِي «ج» تَوْفِيقِهِمْ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمُلْكِيَةِ» وَالزَّيْتُونَةِ .
 (٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الْمُلْكِيَةِ وَالزَّيْتُونَةِ ، الْخَيْرَاتُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول ، خفضُ عيش^(١) ، وتوالى خِصب ، وشياعُ أمن . إلا أن شيخ الدولة القايد أبا النعيم رحمه الله ، أضاع الحزم . وإذا أراد الله إنفاذ [قضايه وقدره]^(٢) ، سلب ذوى العقول عقولهم ، بما كان من أمنه جانب القصر^(٣) المزم دار سكناه ، من علية فيها أخو السلطان ، بتهاونه يحيل أمه المداخلة في تحويل الأمر اليه . جملة من الأشرار ، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأختلاف . وإبراهيم بن أبي الفتح . والدليل المورورى^(٤) . وأمدته بالمال : فداخل القوم جملة من فرسان القيود ، وعجرة الشجون . وقلاميذ الأسوار . وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث ، المنزوع العصمة ، خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام : اجتمعوا وقد خفي أمرهم : وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من وادى هداؤه الى البلد : اصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء ، وكان بسورها ثلم ، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه ؛ فنصبوا سُلما أعد لذلك ، وصعدوا منه . ولما استوفوا ، قصدوا الباب المضاع المسلحة ، للثقة بما قبله ؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح ، واستغلظوا بالتهويل . وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء ، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القايد أبي النعيم ؛

(١) وردت في «ج» عيشة . وقد آثرنا لفظة «الملكية» والزيتونة .

(٢) هذا ما ورد في «ج» . وفي «الملكية» ، والزيتونة (أمر من أوامره) . والمزدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الصبر) وهو تحريف . ونعتقد أن المعنى يستقيم بالتصويب

(٤) المورورى أو الدليل المورورى ، هو أحد الزعماء الذين اشتركوا مع الرئيس محمد بن

إسماعيل بن فرج في تدبير الثورة ، التي نشبت في رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، وانتهت بعزل محمد الغنى بالله ،

وإجلاس أخيه إسماعيل بن يوسف مكانه على العرش . وقد ولاه هذا السلطان وزارته ، وجعله حافظ

الباب وأمين السدة . راجع الإحاطة (١٩٧٣) ج ١ ص ٤٠١ و ٥٢٤ . واللحمة البدرية ص ١١٦ .

فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه ؛ وقتلته في مضجعه ؛ وبين أهله وولده ، وانتهيت ما وجدت به . وقصدت الأخرى دار الأمير ، الذي قامت بدعوته . فاستنجزته واستولت على الأمر . وكان السلطان متحولاً بأهله^(١) الى مكئي « جنة العريف »^(٢) خارج القلعة ، فلما طرقة النبأ ؛ وقرعت سمعه الطبول مدده الله ؛ وساند^(٣) أمره في حال الحيرة ، إلى امتطاء جواد كان مرتبلاً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه ؛ وطار على وجهه ، فلحق برادي آش قبل سُبوق نكبته ، وطرق مكانه بأثر ذلك ، فلم يُلَف فيه ، وأتبع فأغيا المتبع . ومن الغد ، استقام الأمر لأولى الثورة ، واستكلوا لصاحبهم أمر البيعة ، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزيمة ، وأرسلوا [إلى]^(٤) ملك النصارى في عقد الصلح . وشرعوا في منازل وادي آش ، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها ، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق . وخيف فوات البدر ونفاد القوة ، فشرع السلطان في النظر لنفسه ، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه ، فتلقيه بالقبول وبعث من يمهّد الحديث في شأنه ، قتمّ ذلك ثانياً يوم عيد النحر من العام . وكنت عند الحادثة على السلطان ، ساكناً بجنتي المنسوبة إلى من الحضرة ، منتقلاً إليها بجملتي ، عادة المترفين ، إذ ذاك من مثلي ، فتخطاني الحُف ، ونالتني النكبة ،

(١) هكذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (بأمره) .

(٢) هو قصر صنير أنيق يقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من شمال شرقي قصبة الحمراء . وقد كان فيما يبدو بموقعه الجميل وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به ، مصيفاً لسلطين غرناطة ، ويعرف بالإسبانية El Generalife . وقد كان الوقت الذي وقع فيه الانقلاب الذي يرويه ابن الخطيب وهو أواخر رمضان سنة ٧٦٠ هـ يوافق أوائل سبتمبر سنة ١٣٥٧ ، أعنى أوائل فصل الخريف .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي «الملكية» والزيتونة (وسواس) وهو تحريف .

(٤) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضينا السياق .

فاستأصلت النعمة العريضة ، والجيدة الشهيرة ، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً ، ولا ذرّت قدماً ولا حديثاً ، والحمد لله مخفف الحساب ، وموقظ أولى الألباب ، ولطف الله بأن^(١) تعطف السلطان بالمغرب إلى شفاعته بنى بخطته ، وجعل أمرى من فصول قصده . [ففككت عنى]^(٢) أصابع الأعداء ، واستخلصت من أنيابهم ، ولحقت بالسلطان بوادى آش . فذهب البأس ، واجتمع السمل . وكان رحيل الجميع ثانى عيد النحر المذكور . فكان النزول بنحس ألفنت . ثم الانتقال إلى لوشة ، ثم إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان . ثم إلى مربلة^(٣) يضم أهل [كل]^(٤) محل من هذه [مائماً للحسرة ، ومناحة للفرقة]^(٥) . وكان ركوب البحر صحوة الرابع والعشرين من الشهر ، والاستقرار بمدينة سبته ، وكفى بالسلامة غمماً ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل إلى باب السلطان ، تحت بر لا تسمعه العبادة ، ولقاؤنا إياه بظاهر البلد الجديد لإمام ألم عاقه عن الإصحار^(٦) والتغنى على البعد ، يوم الخميس السادس لمحرم من عام أحد وستين بعده . فى مركب هائل ، واحتفال رابع رايق ، فعورض فيه النزول عن الصّهوات ، والبرش اللايق بمناصب الملوك ، والوصول إلى الدار السلطانية^(٧) ، والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل . وقت يومئذ فوق رأس السلطان وبين يدي مؤمّله ، فألشدته مغرباً بنصره ، كالوسيلة بقولى :

- (١) وردت فى «ج» . ولم ترد فى الملكية . وبالتصويب يستقيم السياق .
- (٢) وردت فى «ج» والزيتونة (فكككت عن) . والتصويب أفضل للسياق .
- (٣) إن هذه البلاد كلها تقع فى الطريق من وادى آش إلى لوشة أولاً ، ثم جوبا بغرب إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة على شاطئ البحر المتوسط . وقد كانت بعد سقوط الجزيرة الخضراء وجبل طارق فيما بعد من أهم ثغور العبور بين الأندلس والمغرب .
- (٤) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة ، وبها يستقيم السياق .
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى «الملكية» والزيتونة كالاتى: (مائماً الحسرة ومناحة للفرقة) .
- (٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الملكية والزيتونة (الإحصار) وهو تحريف .
- (٧) هكذا فى «ج» . ووردت فى الملكية والزيتونة (الإمامية) .

سلاهلَ لديها مِن مُحْبَّرَةٍ ذِكْرُ وهل أعشَبَ الوادى ونمَّ به الزهر
فهاج الامتعاض^(١)، وسالت العَبْرَات. وكان يوماً مشهوداً. وموقفاً مشهوراً،
طال به الحديث. وعمرت به النوادي. وتوزعتنا^(٢) النزائل على الأمل.
شكرَ الله ذلك وكتبه لأهله. يوم الافتقار إلى رَحْمَتِهِ. واستمرت الأيام، ودالت
الدولة للرئيس بالأندلس. والسلطان تغلبه المواعيد. وتونسُ الآمال. والأسبابُ
تتوَقَّر، والبواعثُ تنأْ كُد. وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه. واستقرت
بى الدارُ بمدينة سلا. مرابطاً. مُستمتعاً بالغيبة. تحت نعمة كبيرة، وإعفاء
من التكليف.

وفى اليوم السابع لشوال من عام التاريخ: [قَعَدَ السلطان بقية العرض]^(٣)
بظاهر جنة المضارة لتشيعه^(٤)، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك: من آلة وحلية^(٥)،
وقد برز الخلق، لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع. الباعث للرقّة. المتبع
بالدعوات، لما قدّف الله فى القلوب من الرحمة. وصحبه به فى التغرّب من العناية،
فلم تذب عنه عين، ولا تحل له موكب. ولا تقلصت عنه هيئة، ولا فارقت
حشمة، كان الله له فى الدنيا الآخرة. وأجاز، واضطربت الأحوال. بما
كان من هلاك معينه السلطان أبى سالم، وغدر الخبيث المؤمن على قلّته
به، عمر^(٦) بن عبد الله بن على، صعر الله حزبه^(٧). وخلد خزيه، وسقط

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة: الامتعاض.

(٢) وردت فى المخطوطين (وتوزعتنا)، وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) هذه العبارة ساقطة فى المخطوطين. ونقلناها من «اللمحة البدرية» و«النفح».

(٤) وردت فى «ج» وتشيعه. وفى «الملكية» والزيتونة وتشيعه وهو تحريف. والمقصود

هنا هو تشيع سلطان غرناطة المخلوع.

(٥) وردت فى «ج» وحيلة. وهو تحريف.

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة محرفة (عامر). والصواب ما أثبتناه.

(٧) وردت فى «ج» خزيه. والتصويب من «الملكية» والزيتونة.

في يده ، إلا أنه ثَبَّتَتْ في رُنْدَةٍ من إِيَالَةِ الأَنْدَلُسِ ، الرَّاجِعَةِ إلى إِيَالَةِ المَغْرِبِ ^(١) ،
 قَدَمُهُ ، ففَعَلَّ بِهَا : وَاِرْتَاشَ بِسَبَبِهَا ، إلى أن فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَسَدَّدَ عَزْمَهُ ،
 وَأَرَاهُ لَمَّا ضَعُفَتِ الحِيلُ صُنْعَهُ ، فَتَحَرَّكَ إلى بَرِّ مَالِقَةَ ، وَقَدْ فَرَّ عَلَيْهَا العَدُوُّ فَهُ .
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَالِقَةَ - مُسْتَمِيتًا دُونَهَا ، فَسَهَّلَ اللهُ الصَّعْبَ ، وَأَنْجَحَ القَصْدَ ، وَاسْتَوَلَى
 عَلَيْهَا . وَانْثَالَتْ عَلَيْهِ لَحِينُهَا الْبِلَادُ ، وَبَدَأَ الرِّيسُ الْمُتَوَثَّبُ عَلَى الحُضْرَةِ ،
 بَعْدَ أَنْ اسْتَوْعَبَ الذَّخِيرَةَ وَالْعُدَّةَ ، فِي جُمْلَةٍ ضَخْمَةٍ مِنْ خَافٍ عَلَى نَفْسِهِ - لَوْ وَفَّى
 بِذِمَّةِ الْغَادِرِ وَعَهْدِهِ ، وَاسْتَقَرَّ بِنَادَى ^(٢) صَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، فَأَخَذَهُ بِجُورِيَرَتِهِ ^(٣) ،
 وَحَكَّمَ الحِيلَةَ فِي جَنَابَتِهِ وَغَدْرِهِ ، وَأَلْحَقَ بِهِ مِنْ شَارِكِهِ فِي التَّسَوُّرِ مِنْ شِيعَتِهِ ،
 وَوَجَّهَهُ إِلَى السُّلْطَانِ بِرُؤُوسِهِمْ تَبَعَ رَأْسَهُ . وَحَثَّ السُّلْطَانُ أَسْعَدَهُ اللهُ خُطَاهُ إِلَى
 الْحُضْرَةِ ، يَتَلَقَّاهُ النَّاسُ ، مُسْتَبْشِرِينَ ، وَتَتَرَاكُمُ عَلَيْهِ أَفْوَاجُهُمْ مُسْتَقْبِلِينَ مُسْتَغْفِرِينَ ،
 وَأَحَقَّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ .

وَكَانَ دُخُولُ السُّلْطَانِ دَارَ مُلْكِهِ ، وَعَوْدُهُ إِلَى أَوِيكَةِ سُلْطَانِهِ ، وَحُلُولُهُ بِمَجْلِسِ
 أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، زَوَالُ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُؤَفَّى عَشْرِينَ لِحِمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَمِائَتَيْنِ
 وَسَبْعِمِائَةٍ ، جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ ، وَأَهْلَمَنَا لَمَّا يَخْلُصُ عَنْدهُ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .
 وَتَخَلَّفَ الْأَمِيرُ وَلَدُهُ بَكْرُهُ ، أَسْعَدَهُ اللهُ ، بِمَدِينَةِ فَاَسَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ جُمْلَةٍ ، وَخَلْفَهُ
 مِنْ حَاشِيَةٍ . [وَلَدَ الْمُسْتَوَلَى ^(٤) عَلَى مُلْكِ الْمَغْرِبِ فِي إِسْكَاهِ إِلَى أَنْ يَسْتَرْجِعَ رُنْدَةَ
 فِي مُعَارَضَةٍ هَدَفَهُ . ثُمَّ إِنْ اللهُ جَمَعَ لِأَبِيهِ بِجَمْعٍ شَمْلَةٍ ، وَتَمَّ الْمَقَاصِدَ بِمَاعَةٍ مِنْ سَعْدِهِ .
 وَكَانَ وَصُولِي إِلَيْهِ مَعَهُ ، فِي تَحْمِلِ الْيُنَى ^(٥) وَالْعَافِيَةِ ، وَعَلَى كِسْرِ التَّيْسِيرِ مِنَ اللهِ

(١) كَانَتْ رُنْدَةُ يَوْمُئِذٍ ضَمِنَ الْقَوَاعِدَ الَّتِي نَزَلَ عَنْهَا مَلُوكُ غِرْنَاطَةِ لِلْمُلُوكِ الْمَغْرِبِ (بَنِي مَرْوَانَ)
 لَتَكُونَ لِبُيُوشِهِمْ قَوَاعِدَ لِلزُّوْلِ وَالرِّبَاطِ عِنْدَ عُبُورِهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِإِنْجَادِهَا .
 (٢) وَرَدَتْ فِي الْخُطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (بِنَا) وَالتَّصْوِيبِ لِأَزْمِ لاسْتِقَامَةِ الْمَعْنَى .
 (٣) وَرَدَتْ فِي «ج» بِجَزِيرَةٍ . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» (فِي جَزِيرَةٍ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٤) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي الزِّيْتُونَةِ (الْمُتَوَثَّبِ) (٥) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي الزِّيْتُونَةِ (الْيَسْرِ) .

والعناية [١] يوم السبت الموفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور

إلى بيعة الكور

هنا المسلمين ببركتها الوافرة ، ومزاياها المتكاثرة . السلطان أيده الله
قد مرّ ذكره ، ويسر الله من ذلك ما تيسر .

وزراؤه

اقتضى حزمه إغفال هذا الرسم بجملة ، مع ضرورته في السياسة . وعظم
الدخول ، حذراً (٢) من انبعاث المكروه له من قبله ، وإن كان قدّم (٣) بهذا اللقب
في طريق (٤) منصرفه إلى الأندلس : وإيائاً من مقامه برئدة ، فنحله عن كره ،
على بن يوسف بن كماش ، من عتاق (٥) خدامه وخدام أبيه . مستصحباً إياه ،
مسدول التجمل على باطن نفرة ، مختوم الجرم ، على شوكة ، في حظبه في حبل
المتغلب ، وإقراضه السيئة من الحسنة ، والمنزل الخشن ، إلى الإنفاق منه على
الخلال الدميمة ، ترأسها خاصة الشوم ، علاوة على حمل الشيخ الغريب الأخبار ،
والطمع في أرزاق الدور (٦) ، والاستراية بمودة الأب ، وضيق العطن (٧) ، وقصر

(١) وردت في «الملكية» مقابل هذه الفقرة التي بين الحاصرتين ، فقرة أخرى لا تمت إليها
بأية صلة ، وذلك على النحو الآتي : (يصل فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح الضعيف ، وينتظر حصول
الزمن ، يعتمد ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة في الأمر عن سد . وكان ...
في ترك الحظ ، والتبري من سجية الانتقام ، والكلف بما تيسر من الله والعناية ، يوم السبت ...)

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : حوزا . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» والملكية (قدوه) . وفي الزيتونة (قدمه) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطتين : طريقه .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : عقاق . والتصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» والملكية (الدر) .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الطن) . وهو تحريف .

الباب ، وعى الأسان ، ومشهور الجبن . ولما وقع القبض ، وساء الظن ، بعته من رُندة إلى الباب المرينى ليخلى منه جُندَه ، ويجسّ مرض الأيام . بعد أن نقل من الخطّة كعبه ، فيسر بعد مُنصرفه الأمر ، وتَسَقَّى الفتح . وحمله الجشعُ الفاضح ، والهوى المتبع ، على الذشطُ لنفسه ، والسكّاحُ لخويصته بما أقطعه الجفوة ، وعسر عليه العودة على السلطان بولده ، إلى أن بلغ الخبرُ برجوع أمره . ودخول البلاد في طاعته . فالتقى ماتمّين إليه ، وأهوى به الطمعُ البالغ في عرش الدولة ، ويرتاشُ في ريق انتقامها . وتحرك وراية الإخفاق خافقةً على رأسه ، قطبَ مَخْلَصه ، وجُجوة عَوْدَه ، من شيخ تدور بين فتسكه رَحَى جَعَجعة ، وتثور بين أضلاعه (١) حَيّة مكيّدة ، وينعق (٢) فوق مساعيه غرابُ شومٍ وطيرة . وحدث حرقاؤه صَرْفاً من مداخله سلخان قشتالة ، أيام هذه المجاورة ، فبلغ أمنيته من ضربٍ وعدٍ ، واقتناء عهدٍ ، واتخاذ مددٍ ، وترصيد دار قرارٍ ، موهاً نفسه البقاء والتعمير والتملّى ، وانفاسح المدة والأمر ، وقيادة الدجن (٣) عند تحوّل الموطن للملّة (٤) الكُفْر ، يَسْمَح (٥) لذلك . لنقصان عقله ، وقلة حَيائنه وضعف غيرته . وطوى المراحل ، وقبض عُقَى تزلزل (٦) لهاف كاهه . أضلّها الحسرة . وانترا ، (٧) الخبائث . وتلقاه بمالقة ، إيماءُ السلطان بالإقامة بها ، لما يتصل به من سوء تصرّيفه ، ثم أطلّع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عَتْبِه ، وصرفه إلى منزله ، ناظراً في علاج مَرَضِه . ثم لما أفق

(١) في «ج» أغلاطه . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» ويلحق . والتصويب من الملكية وهو أرجح .

(٣) الدجن من تدجن أى بق بأرض الوطن بعد سقوطها في أيدي النصارى . والمدجنون هم المسلمون الأندلسيون الذين كانوا يبقون في الأرض التي يفتتحها النصارى .

(٤) وردت في «ج» الملكة ، وفي «الملكية» الملكة . ونعتقد أنه تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (ينجح) والأولى أرجح .

(٦) وردت في «ج» تولول . وفي «الملكية» تزلزلول . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : انترا . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وَقَفَّه دُونَ حَدِّهِ ، وَلَمْ يَسْتَدِإِلْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِ ، فَشَرَعَ فِي دَيْدَنِهِ مِنَ الْفَسَادِ عَلَيْهِ ، وَتَمَرَّسَ سُلْطَانُ قَشْتَالَةَ ، شَاكِيًا إِلَيْهِ بَشْئُهُ ، وَأَضْجَرَ لِسُكْنَى بَادِيَتِهِ بِالْغَرِّ ، فَرَابَ السُّلْطَانُ أَمْرَهُ ، وَأَهْمَهُ شَأْنَهُ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ ، وَصُرِّفَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ دَائِرَةِ الشُّؤْمِ مَنْ ثَقُلَتْ ^(١) وَطَأْتُهُ ، فَغُرِّبُوا إِلَى تُونِسَ ، أَوَّالِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسْتَيْنَ . ثُمَّ لَمَّا قَفَلَ مِنَ الْحِجِّ ، وَاسْتَقَرَّ بِبِدْجَايَةِ يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ، حَنَّ إِلَى جَوَارِ النَّصْرَانِيَّةِ ، الَّتِي رِيَمَ سَلْفُهُ الْعِبُودِيَّةَ إِلَيْهَا ، فَعَبَرَ الْبَحْرَ إِلَى بَرْجُلُونِهِ ، يَنْفُضُ عَنْهُ طَرِيقَ الْحِجِّ عَلَى الصُّلْبَانِ ، وَيَقْفُو عَلَى آثَارِ تَقْمِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، تَقْبِيلَ أَيْدِي السَّكْفَارِ . ثُمَّ قَصَدَ بَابَ الْمَغْرِبِ رَسُولًا عَنْ طَاغِيَةِ ^(٢) بَرْجُلُونِهِ فِي سَبِيلِ فَسَادٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِ قَصْدُهُ ، فَتَقَاعَدَ لَمَّا خَسِرَ فِيهِ ضَمَانَهُ ، وَصَرَفَ وَكْرَهُ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِصَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، وَعَنَّ عَلَى كَتْنٍ إِلَيْهِ بِخَطِّهِ ، يَتَنَفَّقُ عِنْدَهُ وَيُغَرِّبُهُ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَسُجِّنَ بِغَاسٍ مَعَ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ . وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَقَرَّ حَالُهُ إِلَى الْيَوْمِ ، وَأَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّجَاوُزِ فِي أَمْرِهِ . وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

وَلَمَّا وَفَدَتْ عَلَى السُّلْطَانِ بُولَدُهُ ، وَفَرَّتْ عَيْنِي بِلِقَائِهِ ، نَحَتْ سَدَادَهُ وَعِزَّهُ ، وَفَوْقَ أُرَيْكَةِ مُلْكِهِ ، وَأَدْبَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ ، عَرَضْتُ عَلَيْهِ غَرَضِي ، وَنَفَضْتُ لَهُ خِزَانَةَ سِرِّي ، وَكَاشَفْتُهِ ضَمِيرِي بِمَا عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ عَهْدِي ، وَصَرَفْتُ إِلَى التَّشْرِيقِ ^(٣) وَجْهِي ، فَعَلِمْتُ بِي لِرُكُومِهِ عُلُوقُ الْكَرَامَةِ ، وَلَا طَفَنِي بِمَا عَامَلْتُ الْبِرَّ بَيْنَ الدَّعْرِ وَالضَّنَانَةِ ، وَيَضْرِبُ الْأَمَادَ ^(٤) [وَخَرَجَ لِي عَنِ الْضُرُورَةِ ، وَأَرَانِي أَنْ مُؤَاذَرْتَهُ أَبْرَ الْقُرْبَ ، وَرَأَى كُنْئِي إِلَى عَهْدٍ بِخَطِّهِ ، فَسَحَّ فِيهِ لِعَامِينَ أَمَدَ النَّوَاءِ ،

(١) وردت في «ج» والزيتونة ثقلة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : طا - فقط . والتصويب ضروري لإستقامة السياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها السفر إلى المشرق لقضاء فريضة

الحج .

واقْتَدَى بِشُعَيْبِ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ في طلب الزَّيَاةِ على تلك النُّسْبَةِ ، وأشْهَدَ من حَضَرَ من العَمَلِية ، ثم رَمَى إلى بعد ذلك بِمَقَالِيدِ رَأْيِهِ ، وَحَكَمَ عَقْلِي في اخْتِيَارِ عَقْلِهِ ، وَغَطَّى من جَفَائِي بِحِلْمِهِ ، وَحَثَّ في وَجْهِهِ شَهَوَاتِهِ تَرَابَ زَجْرِي ، وَوَقَفَ الْقَبُولَ على وَغَطِّي ، وَصَرَفَ هَوَاهُ في التَّحَوُّلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي ، واعترف بقبول نصحي ، فاستعنتُ بالله ، وعاملتُ وجهه فيه ^(١) . وصادقني مُقَارَضَةَ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ ، ورمى إلى بدُنْيَاهُ ، وَحَكَمَنِي فيما مَأْكَنَتَهُ يَدَاهُ ، وَغَلَبَنِي على أمره لهذا العهد ، والله غالبٌ على أمره . فأكمل المقامُ بيبابه إلى هذا التاريخ مُدَّةً أَجْرَى اللَّهُ فيها ، من يُبْنِي النُّقْبَةَ ، وَأَطْرَادَ السَّدَادِ ، وَطَرْدَ ^(٢) الْهَوَى ، وَرَفَضَ الزُّورَ ^(٣) ، واستشعار الجِدِّ ، وَنُصْحَ الدِّينِ ، وَسَدَّ الثُّغُورِ ، وَصَوْنَ الْجَبَايَةِ ، وَإِنْصَافَ الْمُرْتَزَقَةِ ، وَمُحَاوَلَةَ الْعَدُوِّ ، وَفَرَعَ الْأَسْمَاعَ بِلِسَانِ الصَّدْقِ ، وَإِيقَازَ الْعُيُونِ من نوم الغفلة ، وَقَدَحَ زِيَادَ الرَّجُولَةِ ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، يُعْضِدُ دَعْوَاهُ ، وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ ، سَجِيَّةُ السَّدَاجَةِ ، وَوَفَعُ التَّسْمِيتِ ^(٤) ، وَتَسْكُورَ الْمُنَسَّاهِ ، وَتَقْوِيَتِ الْعَقَارِ في سَبِيلِ الْقُرْبَةِ ، وَالزُّهْدِ في الزُّبْرِجِ ، وَبَثَّ حِبَالَ الْأَمَالِ ، وَالتَّعْزِيزَ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيْمَةِ ، وَجَعَلَ الثَّوْبَ غِطَاءَ اللَّيْلِ ، وَمَقْعِدَ الْمَطَالَعَةِ فِرَاشَ النَّوْمِ ، وَالشَّغْلَ لِمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ ، لِرَأْسِ الْأَنْفَاسِ ، فَاتَمَرَ هَذَا الْكَرْخُ ^(٥) ، وَأَتَبَّجَ هَذَا الْمَسْعَى مِنْاقِبِ الدَّوْلَةِ ، بَلَّغْتَ أَعْنَانِ ^(٦) ، وَأَنَارَا خَالِدَةً ، مَا بَقِيَتْ الْخَضِرَاءُ عَلَى الْغَبَرَاءِ ، وَأَخْبَارًا تُنْقَلُ وَتُرَوَّى ، إِنْ طَانَدَهَا الْحَاسِدُ ، فَضَحَهُ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، وَكَاثَرَهُ الْقَطَرُ الْمُنْثَالُ ، وَأَعْيَاهُ السَّيْلُ الْمُنْدَافِعُ :

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤١) ولم ترد في «ج» ولا في «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (أطراد) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت بحرفة في «الملكية» (الدور) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة (التسمية) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والزيتونة ، وفي «ج» (الكرج) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

فما يختص من ذلك بالسلطان ، فخامة الرتبة ، ونباهة الألقاب ، وتجميل
الرياش ، وتريع^(١) الشريعة ، وارتفاع التشاجر ببابه ، والمنافسة والاعتباط منه ،
بمجالس التنبيه والمذاكرة ، ويدرأ الدموع في حال الرقة ، والإشادة باحتقار الدنيا
بين الخاصة ، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة ، والقعود لمباشرة المظالم ستة
عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة ، يصل إليه فيها اليتيم والأرملة ، فيفرج
الضعيف ، وينتظر حضور^(٢) الزمن ، ويتعمد هفوة الجاهل ، ويتأثر لشكوى
المصاب ، ويعاقب الوزعة على الأغلاط ، إلى إحسان^(٣) الملكة في الأسرى ،
والإغراب في باب الحلم ، والإعياء في ترك الحظ ، والتبرئ من سجية الانتقام ،
والسكف بارتباط الخيل ، واقتناء أنواع السلاح ، ومباشرة الجهاد ، والوقار
في الهيئات ، وإرسال سجية الإيمان ، وكساد سوق المكيدة ، والتصامم عن
السماية ؛ هذا مع الشباب الغض ، والفاحم الجعد ، وتعدد^(٤) حبال الشيطان
في مسالك العمر ، ومطاردة قانص اللذات في ظل السلم ، ومغازلة عيون الشهوات
من ثنايا الملوك . وإيئتم الله الذي [به]^(٥) تستخلص الحقوق ، وتيسر الشئور ،
وتستوثق العهود [ولا]^(٥) تطمئن القلوب إلا به ؛ ما كاذبته ، ولا راضيت
في الهوادة طوله ، ولا ساحته في نقيض هذه الخلال . ولقد كنت أعجب من
نفاق أسواق الذكري لديه ، وانتظام أقيسة النصيح عنده ، وإيقاع نبات الرشد
فيه نصيحة ، وأقول بارك الله فيها من سجية ، وهنأ المسلمين بها من نفس زكية .
وسيأتي بيان هذه النتائج ، وتفسير مجمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلا به

-
- (١) وردت في «ج» (فسويج) وفي الملكية (فهويج) . ونعتقد أن السياق يستقيم بالتصويب .
(٢) وردت في «ج» (حصوا) وفي «الملكية» والزيتونة (حصو) وهو تحريف .
(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (أحسن) . والأولى أرجح .
(٤) وردت في «ج» التعدد . والتصويب من الملكية والزيتونة .
(٥) ساقطة في المخطوطين ولازمة للسياق .

سبحانه . والحال متصلة على عهد الوثير من إبعائه بالسوس^(١) ، والخروج له عن هذه العهدة ، والنسليم له في البقية ، إرهافاً لسيف جهاده ، وجلالة لمراة نصحه ، ونسوية لميزان عدله ، وإهابة [لمحمد رُشدته ، شد العقدة ، عقدة وغيره على حرمة ماله وعرضه]^(٢) ، ورعاية للسان العلم المنبئ عن شأنه ، ونيابة عنه في معقل ملكه ، ومستودع ماله وذخيرته ، ومحافظة على سره وعلايته^(٣) لحرمه وولده ، وعمراناً للجوانح بتفضيله وحبّه ، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه ، واتّخضاها من أجله ، ترفعه عن جناية [وحل هلالها ، وإقطاع تنجّع قدرته ، أو فصلة تعبث البنان بنشيرها ، وخطة تشد إليه على منشورها]^(٤) . والله يُرجح ميزاني عنده ، ويحظى وسيلتي لديه ، ويحرك مكافأة سعي في خواطر حبه ، وينبئه لتبليغ أملي من حج بيت الله ، وزيارة رسول الله ، بمنه وكرمه ، فما على استحثاث الأجل من قرار ، ولا بعد الشيب من إعدار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أولاده

كل له في هذا الوقت من الولد أربعة ، ثلاثهم ذكور ، يوسف بكره ، وأواه يتلوه سعد ، ثم نصر ، غلة روقة ، قد أفرغهم الله في قالب الكمال ، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً ، فسح الله لهم أمد السعادة ، وجعل مساعيهم جانحة إلى حسنى^(٥) العقبى ، سالكا [بهم]^(٦) سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

(١) هكذا في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» (بالسوس) .

(٢) هذه الفقرة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة .

(٣) وردت في «ج» وعناية . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) ما بين الجاصرتين ساقط في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» نعم . والمؤدى واحد .

(٦) ساقطة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة ، على . وبالتصويب يستقيم السياق .

قضااته

قدّم لأول قدومه . الفقيه القاضى . الحسيب ، الخيّر ، أبا جعفر بن أحمد بن جَزَى . شاكراً بلاءه بمالقة . إذ كان قد ألقاه قاضياً بها المتغلب ، فلم يألُ جهداً فى الإجلاب على من اعتصم بقصبتها ، والتحريض على استنزاهم ، فاتخذ زُلْفَةً لديه . فأجرى الأحكام . وتوخى السداد . ثم قدّم [إليها] ^(١) الفقيه القاضى الحسيب ، أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن ، عين الأعيان ببلده مالقة ، والمخصوص برسم التَّجَلَّة . والقيام بوظيفة العَقد والحلّ بها فى الدولة الأولى ، وأصالة البيت ، والاقطاع ^(٢) إليه ، ومصاحبة رِكابه فى طلب [المُلك] ^(٣) ، ومُتَسَوِّر المشاق من أجله ، وأولى الناس باستدْزار خلف دولته ، فسدّد وقارب ، وسحل السكّل ، وأحسن فصاحة [الخطبة] ^(٤) ، والخطّة ، وأكرم المشيخة وأرضى ، واستشعر النّزاهة ، ولم يقف فى حُسن التأني عند غاية ، واشتمل معها لِفَق الخطابة ، فأبرز وأعلم ، تسمياً وحِفْظاً وَجْهَورِيَّةً ، فاتَّفَق فى ذلك على رجاحته ^(٥) ، واستصحب ^(٦) نظره على الأحباس . فلم يقف فى النصّح عند غاية ، أعانه الله .

كتّابه

أسند السكتابة إلى الفقيه المدّوك ، المبرّز فى كثير من الخلال ^(٧) ، ملازمه

-
- (١) ساقطة فى «ج» . وواردة فى الملكية والزيتونة .
 - (٢) وردت فى «ج» والزيتونة (الإقطاع) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 - (٣) ساقطة فى المخطوطين ، وإثباتها لازم السياق .
 - (٤) هذه الزيادة من الزيتونة .
 - (٥) هكذا وردت فى «الملكية» والزيتونة . وفى «ج» رجحانه . والأولى أنسب لسياق .
 - (٦) هكذا فى الملكية والزيتونة ووردت محرفة فى «ج» . واستحب .
 - (٧) وردت فى «ج» الخلل . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

أيضاً في طلب الملك . [ومطاردة قنص الخطأ]^(١) أبي عبد الله بن زمر . ويأتي التعريف بجميعهم .

شيخ غزاته

مُتولى ذلك في الدولة الأولى ، الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق ، قدمه إليها مُعْتَباً إليها ، طاوياً بِساط العدو بالجملة ، قدسوها بابنه عثمان [على]^(٢) الخِلاصة يومئذ ، لمظاهرتة في الوجبة ، وسعيه في عَوْدَةِ الدَّوْلَةِ . واستمرت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان من عام أربعة وستين وسبعمائة ، وكان القبضُ على بُجَلَّتِهِمْ ، وأجلى^(٣) هذا البيت من سُفْرَةِ السياسة مدة . مجتزئاً فيه بنظره على رُحمته في الوزاة من قبيله . ثم قدّم إليها موعودَه بها القديم الخِدمة ، وسالف الأُدْمَةِ ، لما لجأ إلى وادي آش مفلتاً من وَبْقَةِ^(٤) الحادثة ، الشيخ أبا الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق . حلف السِّدَادَ أيامه^(٥) ، والمقاومة والفضل والدِّمَاءِ ، المخصوصَ على اختصار بيُمن النِّقِيَّةِ ، واستمرت أيامه إلى نُقْبَةِ القفول عن غزوة جَيَّان أخريات محرم من عام تسعة وستين . وتوفي رحمه الله حَتَفَ أَنفِهِ ، فاحتفل لمواراته ، وإقرا به من تَأْبِيهِ ، واستغفاره ، والاعتراف بِصدق مواراته ، وتَفْجِيعِهِ لفقده . وما أعربَ به من وفاء نَجْدِهِ ، وَقَدَّمْ لها عهداً طُرف اختياره ، الأَمِين^(٦) ، الشَّهْمُ ، البُهْمَةُ . خِذْنِ الشَّهْرَةَ ، والمشار إليه بالبَسَالَةِ ، وفرع الملك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت مقابلها في «الملكية» (ومطاردة الخطأ) وفي الزيتونة (ومطاردة الخطأ) .

(٢) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . ويقتضيها السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة وأحلى . والأول أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في «ج» والملكية (وثبة) . والأول أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) وردت في «ج» الأمير . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

والأصالة ، عبد الرحمن بن الأمير أبي الحسن علي بن السلطان أبي علي عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إذ كان قد لحق به ، بعد ظهور أتيح^(١) له بوطنه من المغرب ، استقر مباحياً بجملة سبجلماسة وما إليها ، وطن جدّه ، وميراث سلفه ، ففسح له جانب قبوله ، وأحلّه من قُربِه محلّ^(٢) مثله ، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونجره ، ثم استظهر به على هذا الأمر ، فأحسن الاختيار . وأعزّ الخطّة . وهو القائم عليها لهذا العهد ، وإلى الله أسباب توقيعه .

ظرفُ السلطان وحُسن توقيعه

بَدَأَ في هذا الباب من تقدّمه ، وكثرة وقوعه ، بحيث لا [يُعدّ نادره] ^(٣) ، وقليلُ الشيء يدلّ على كثيره . مرّ بي يوماً ومعي ولدُه ، يروم اتّخاذ حقّ القرآن ، فقلتُ له أيّدك الله ، الأميرُ يريدُ كذا ، ولا بدّ له من ذلك ، وأنا وكيله عليك في هذا ، فقال حسْبنا الله ونعم الوكيل . ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع . وغرابة مقاصده . ومجالسُه على الأيام معمورة بهذا ومثله ^(٤) .

الملوك على عهده

بالمغرب السلطان الجليل إبراهيم [بن السلطان] أبي الحسن ، بن السلطان أبي سعيد بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . تولى ملك المغرب حسبما تقدم في اسمه ^(٥) ، وألّقي إليه بالمقاليد ، واستوسقت له الطاعة ، وبحسب ما بثّ الله من

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (أبيح) . وبالتصويب يستقيم المعنى .
(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أنسب للسياق .
(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (يعد نادك) . وفي الزيتونة (يعدك) . وبالتصويب يستقيم المعنى .
(٤) وردت في «ج» ومثله . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .
(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (اسم أبيه) . وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، لأن المقصود هنا هو الإشارة إلى اسم السلطان إبراهيم أبي سالم . وقد مرّت ترجمته في المجلد الأول ص ٣٠٣ .

إشراب^(١) الخلق إليه ، وتعطشهم إلى لقاء ، ورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه ، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال ، شرقاً بأيامه وإحصاء لستقاته ، وولعاً باغتيا به وتربصاً لمكروه به ، إذ أخفقت فيه الآمال ، واستولت الأيدي من خُدّامه على مُلكه . وقبض الله لإبادة أمره ، وتغيّر حاله وهدّ ركنه ، الخائن الغادر نسمةُ السوء وقَذار ناقةِ الملك ، وصاعقة الوطن [وحرّد السيد]^(٢) عمرُ بن عبد الله بن علي مؤتمنة^(٣) على البلد الجديد ، دارِ ملكه ومستودع ماله وذخيرته ، فسدّ الباب دونه . وجهرَ بخلعائه . وفُض في أتباع الناعق المشنوم سورَ ماله ، وأقام الدّعوة باسم أخيه أبي عمر ، ذى اللّوثة ، الميئوس من إفاقته ، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعائه . وبادر السلطان أبو سالم البيعة من متحول سكنناه بقعر البلد القديم^(٤) ، وصابر الأمر عامّة اليوم . ولما جنّ الليل ، فرّ لوجهة ، وأسلم وزراؤه وخاصّته ، وقيدت خطاه الخيرية ، فأوى الى بعض البيوت ، وبه تلاحق متبوعه ، فقيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده ، وحزّ رأسه ، وأوتى به إلى الغادر . وكان ما بين انفصال السلطان عنه مؤدّعاً إلى الأندلس بإيعائه ، ومطوّق فضل تلقّيه وقوله وحسن كفالته ، ثمانية أشهر ويوم واحد . واستمرت دعوة أخيه الممّوّه به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعائة ، واستدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيّان بن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن بن السلطان المعظم أبي الحسن . وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان أبي سالم ، وقع عليه اختيارُ

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (أشر) وهو تحريف . والاشرباب هو المحبة والميل .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والملكية . وفي «ج» (جرد السيد) .

(٣) وردت في «ج» ويتضمنه . وهي أملاء قديمة .

(٤) أى مدينة فاس القديمة أو فاس البالي حسبها تسمى . وذلك بعكس البلد الجديد ، وهو الصاحبة المملوكية التى أفضاها بنو مرين بجزوار فاس .

هذا الوزير الغادر ، أذ وافق شئ تغلبه طبق ضعفه ، وأعمل الحيلة في استجلابه ، فوصل حسب غرضه ، وأجريت الأمور باسمه ، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه ، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه ، فعزى بالشراب على فيه [وبين الصبح] (١) إلى أن ساءت حاله ، وامتلات بالموجدة على الوزير نفسه ، فعاجله بحتفه ، وبأشر اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه ، وطرحه بحاله في بعض سواقي قصره ، مُتبعاً ببعض أولاني خمره ، يومئذ قاتله ، تردّيه سكرًا ، وهويّه طفوحًا . ورقف عليه بالعدول عند استخراجِه ، ونَدَب الناس إلى مواراته ، وبائع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وأوث ملك أبيه السلطان أبي الحسن ، المنفرد به ، وخاطب الجهات بدعوته ، وهو صبي ظاهرُ النبل والإدراك ، مشهورُ الصَّون ، وأعمل الحيلة لأول أمره ، على هذا الوزير خيف أريكة مُنكته ، ومظنة البُدا في أمره ، ففوقه الحام [واستأصل مازراه] (٢) من مال وذخيرة . شكر الله على الدولة صنيعة وفي ذلك يقول :

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوماً وتخشاه

تغداً به عبد العزيز مبادراً وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليه الحق ونصيره لا إله إلا هو . وهو اليوم ملك المغرب ، مزاحماً بابن أخيه ، السلطان أبي سالم ، المعقود البيعة بمرأ كش وما إليها ، جمع الله شتات الإسلام ، ورفع عن البلاد والعباد مضرّة الفتنة .

وبتألمسان السلطان أبو حمو موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمّر اسن بن زيان . حسباً كان في الدولة الأولى ، متفقها (٣) منه على خلال الكرم [والحزم] (٤) مضطماً بأمره (٥) والقيام على ما بيده .

(١) وردت في المخطوطين (وبين العصب) . وهي ساقطة في الزيتونة . ونعتقد أن المعنى يستقيم بهذا التصويب .

(٢) وردت في «ج» (واستأصل ما رناه) . وفي «الملكية» والزيتونة (واستأزر مازراه) . ولداختارنا الصحيح من العبارتين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . (٤) الزيادة من الزيتونة

(٥) وردت في «ج» (بدجا أمره) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

وبنولس ، الأمير أبو سالم إبراهيم بن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص ، حسبما تقدم ذكره .

ومن ملوك النصارى

فبِقِسْطِهَا سلطانها المتقدم الذكر في الدولة الأولى ، يطرؤه بن السلطان الهنشة بن هرايدة بن شاميجه بن الهنشة بن هرايدة ، متأكدة بينهما السلم الجملة ، والهدنة المبرمة ، بما سلف من مظاهرتة إياه ، والحرص على [ما استَحْكَمَهُ]^(١) من المغرب في أسطوله ، وبعثه إليه برأسِ عدوّه المتوثب على ملكه ، ورؤوس أشياعه ، الظالمين الغدرة ، وأتباعه^(٢) الفجرة ، مستمرة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة وستين ، صافوا وجهه إلى محاربة صاحب برجلونة ، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة ، وقلاع المنيع ، لما أسلفه به من إجازته^(٣) أخيه أندريق المدعو بالقند^(٤) ، ومظاهرتة حتى ساءت أحواله وأحوالُ عدوّه ، وأوهنت الحركات قوى جيشه ، وأضعف الاحتشادُ حمرة أوضه ، واشترأبت القلوبُ إلى الانحراف عن دعوته ، ومالت النفوس إلى أخيه ، وقامت البلاد بدعوته ، وتلاحقت الوجوه بجبهته ، ورام التمسك بإشيلية دار ملكه ، فثار أهلها به في عام سبعة وستين . فخرج فاراً عنها...^(٥) به والسلاح يهشُّ إليه ، وبعد أن استظهر بخويصته ، وأحمَل ماقدر عليه من ذخيرة ، ورفع من له من ولدٍ وحرمة ، رأى سُخْنة العين من انتهاب قصوره ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» بحرفة (مل) اسخاثة) . وقد تبنى هنا ما وعده به من إجازته في أسطوله .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» (أشياعه) مرة أخرى .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (إجازة) .

(٤) الإشارة هنا إلى الكونت هنرى دى تراسبارا أخى بيدرو غير الشرعى ، ومنافسه في انتزاع العرش . وقد استجار بملك فرنسا فحشد له جيشاً من المرتزقة وحارب أخاه بيدرو وانتصر عليه (سنة ١٣٦٦) .

(٥) هنا بياض في المخطوطات الثلاثة .

وتشيعت منازلهم ، وغيث الأيدي في خزائنه ، وأسمعه الناس من تحض التائب (١) وأعراض الشمت ، مالا مزيد عليه ، ولاذ بصاحب برتغال ، فنأى عنه جانبهم لما يجنيه أبواه من مخالفة رأى الأمة فيه ، فقصده بلاد غليسية ، وتلاحق أخوه أندريق بحضرة إشبيلية ، فاستوى على الملك وطاعت لأمره البلاد ، وعاجله المسلمون لأول أمره ، فاستولوا على كثير من الثغور والحدود .

ولما توسد له الأمر تحول لاستئصال شاة الخلع ، فأجلى عن غليسية في البحر ، واستقر ببلد بيونة (٢) ، مما وراء دوروب قشتالة ، وانتبذ عن الخطة القشتالية وأمر نفسه ، ولجأ إلى ابن صاحب الأنتكيرة (٣) ، وهو المعروف ببرقسين أبي الأمير ، وبين أول أرضه وبين قشتالة ثمانية أيام فقبله ولد السلطان المذكور ، الساكن بأول ما تلقاه من تلك الأرض ، وسفر بينه وبين أبيه . فأنكر الأب استئذانه إياه ، والمراجعة في نصره ، حجة له ، وامتعاضاً للواقع . وحال هذه الأمة غريبة في الحماية المزوجة بالوفاء والرفقة . والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد ، وبين يدى العشاق ، عادة العرب الأول . وأخبارهم في القتال غريبة ، من الاسترجال والزحف على الأقدام ، أميرهم ومأمورهم ، والجئو في الأرض ، أو دفن ببعض الأرض في الثراب . والاستظهار في حال المحاربة ببعض الألحان المهيبة ، ورماتهم

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (التأنيث) ، وحكمة التصويب واضحة .

(٢) بيونة Bayonne ، هي ثغر ولاية غسقونية الفرنسية الواقع في زاوية خليج بسكونية بين حدود فرنسا وإسبانيا . والإشارة هنا إلى هذا القسم من جنوب فرنسا الذى يشمل ولايتي أكويتين وجوين .

(٣) صاحب الأنتكيرة أى ملك إنجلترا ، وهو يومئذ الملك إدوارد الثالث . وابنه ولي العهد ، واسمه أيضاً إدوارد (الأمير الأسود) . وقد كان يحكم باسمه ولايتي أكويتين وجوين ، اللذين انتزعهما أبوه من ملك فرنسا ، على أثر هزيمة إياه في موقعة يواتيه (سنة ١٣٥٥) وذلك ثمناً لتنازله عن دعواه في عرش فرنسا (بطريق الميراث عن أمه الفرنسية) .

قِسْمُهُمْ غَرِيبَةٌ جَافِيَةٌ ، وَكُلُّهُمْ [فِى] ^(١) دَرْوَع ، وَالْإِحْجَامُ عِنْدَهُمْ ، وَالتَّقَهُّرُ
مَقْدَارُ الشُّبْرِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ . وَعَارٌ شَدِيدٌ ، وَرِمَاهُمْ يَنْبُشُونَ الْخَيْلَ فِى الطَّرَادِ . وَحَالُهُمْ
فِى بَابِ التَّحْلِىِّ بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَثْرَةُ آلَاتِ الْفِضَّةِ ، غَرِيبٌ . وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَبْعَةِ
عَشَرَ يَوْمًا كَانَ رَجُوعُهُ وَرَجُوعُ الْبَرَنْسِ ^(٢) الْمَذْكُورِ مَعَهُ مُصَاحِبًا بِأَمْرَاءَ كَثِيرِينَ
مِنْ خُتْرَانِهِ ^(٣) وَقَرَابَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَفُوهُ مَالًا كَثِيرًا ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ
صَاحِبُ الْأَنْتَسِكِيرَةِ ، بِمِائَتَى أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
وَارْتَهَنُوا فِيهِ وَلَدَهُ وَذَخِيرَتَهُ . وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَيْشِهِ بِحَسَبِ دِينَارٍ وَاحِدٍ
مِنَ الذَّهَبِ لِلْفَارَسِ فِى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَكَانَ تَأْلِيفُ الْجِيُوشِ فِى بَنْبِلُونَةَ فِى أَزِيدٍ مِنْ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَسَّرَ عَلَيْهِمُ الْمَجَازُ عَلَى فَحْصِ أَحَدُونِيهِ ، لِبِلَادِ تُمْسَكٍ لَطَاعَةِ الْقُنْدِ
أَخِيهِ ^(٤) ، فَصَالِحُ الْقَوْمِ صَاحِبُ نِبَارَةِ ^(٥) عَلَى الْإِفْرَاجِ لَمْ ، وَنَزَلَتْ الْحَلَاتُ فِى فَحْصِ
نِبَارَةِ ، مَا بَيْنَ حُدُودِ أَرْضِ نِبَارَةِ وَقَشْتَالَةِ ، وَنَزَلَ الْمُتَصَيِّرُ إِلَيْهِ أَمْرُ قَشْتَالَةِ ،
الْقُنْدُ بِإِزَائِيهَا فِى جُوعٍ لَمْ تَنْتَظِمَ لِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَشَهَامَتِهِ وَاعْتِرَازِهِ ، أَجَازَ خَنْدَقًا كَانَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَبَّرَ جِسْرًا نَشِبَ فِيهِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ . وَكَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ
السَّبْتِ سَادِسَ إِبْرَيْلِ الْعَجْمَى ، وَبِوَافَقَةِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسْتِينَ . وَكَانَ هَذَا
الْجَمْعُ الْإِفْرَنْجِيُّ الْآتَى مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ^(٦) فِى صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ ، مَرْتَبَةً بَعْضُهَا

(١) وَارِدَةٌ فِى « الْمَلِكِيَّةِ » وَالزَيْتُونَةِ . وَسَاقِطَةٌ فِى « ج » .

(٢) نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَقْصِدُ هُنَا بِكَلِمَةِ (الْبَرَنْسِ) - وَسَوْفَ تَأْتِى مَرَّةً أُخْرَى - الْأَمِيرُ إِدُورْدُ

وَلِىَ الْمَهْدِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِى الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَمِمَّنْهَا مُخَادَعِيهِ أَوْ الْأَمْرَاءُ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِنَصْرَتِهِ .

(٤) يَقْصِدُ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى الْكُونْتِ هَنْرَى دى تَرَاستَارَا أَخَى الْمَلِكِ بِيْدُرُو .

(٥) نِبَارَةُ - وَفِى الْإِسْتِمَالِ الشَّائِعِ نَبْرَه - هِىَ مَمْلَكَةُ Navarra أَوْ بِلَادُ الْبَشْكَلسِ الْوَاقِعَةُ

غَرْبِيَّ جِبَالِ الْبَرْنِيهِ ، وَجَنُوبَ شَرْقِ خَلِيجِ بَسْكَوْنِيَّةِ ، وَعَاصِمَتُهَا مَدِينَةُ بَنْبِلُونَةِ .

(٦) الْأَرْضُ الْكَبِيرَةُ تَعْنِى فِى الْجُغْرَافِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فَرَنْسَا . وَيَعْرِفُ جَنُوبَ فَرَنْسَا

كَذَلِكَ بِغَالِيَسِ La Gaule .

خلف بعض ، ليس فيهم فارس واحد ، إنما هم رجالة ، سواء ^(١) أميرهم ومأمورهم ، في أيديهم هصى ^(٢) جافية في غلظ المعاصم ؛ يشرعونها أمامهم ، بعد إثبات زجاجها ^(٣) فيما خلفهم من الأرض ، يستقبلون منها وجوه عدوهم ، ونحو خيله ، ويجعلونها دعائم وتسكات لبناء مصافهم ، فلم تقلقهم ^(٤) المحلات ، وبين أيديهم من الرماة الناشبة الدارعة ، مالا يحصيهم إلا الله عز وجل . وسائرهم السلطان ، مستدعى نصرهم راجلاً أميلاً برأيهم ؛ إلى أن أعيا بعد ميلين منها فأزكبه بغلة كملوه بينهم عليها ، إلى موقف اللقاء والقنْد ^(٥) . وكان على مقدمة القوم ذلك ^(٦) أخو البرنس ، والبرنس ^(٧) مع السلطان مستجيره في القلب ، والقنْد المعروف بقنْدار مانيان ، وكثير من الأمراء ؛ رداً وسيفه دونهم ، ومن خلف الجميع الخيل يجنّونها ساستهم وغلماهم وخدّامهم ، ووراءها دواب الظهر وأبغالهم ، وفي أثناء هذه العيية من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره . وكان في مقدمة القنْد المستأثر بملك قشتالة ؛ أخوه شائجه في رجل قشتالة ، قد ملأ السهل والجبل ، ومن خلفهم أولو الخيل الجافية القبيلية ، المسبغة الدروع ، من رأس إلى حافر ، في نحو ألف وخمماية ، وفي القلب أخوه الآخر دنطية ^(٨) في جمهور الزعماء والفرسان والدّرق ، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم ، ومن ورائهم السلطان أندريق ^(٩) في لفيف من الناس . ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماة الفرنج ، ثمة

(١) وردت في «ج» سوى ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين (عصا) وهو تحريف .

(٣) ومفردتها (الزج) وهو عبارة عن الحديد المثبتة أسفل الرمح .

(٤) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (تقلقهم) والأولى أرجح .

(٥) أى الكونت هنرى دى ترستارا السالف الذكر .

(٦) يقصد هنا أن يشير إلى أخى ولي العهد إدوارد ، دوق لانكستر Duke of Lancaster

وكان من قواد الحملة المذكورة .

(٧) وردت في «ج» والزيتونة (البرقى) . وهو تحريف .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (أخوه نطية) .

(٩) هو كما تقدم الكونت هنرى دى ترستارا .

بدرؤوصهم، فمظلم أنرم فيمن يازايهم من رماة عدوم ورجلم، [لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم]^(١). وحملت خيل قشتالة الدّارعة، فحزحت كراً المصافّ الإفونجى، واتصل الحرب بالبرنس، وهو مطّل عليهم فى ربّوة. فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من الزراب فاستغّه، وكسر ثلاث عِصِي^(٢)، وفعل من معه [مثل]^(٣) فعله، وهى عادتهم عند الغضب. وعلامة الإقدام الذى لا نكوص بعده. ووجه إلى أخيه فى المقدمة. يقول له، إن وجدت فى نفسك ضعفاً. فاذا كر أنك ولد صاحب الانتكيرة. وحمل الكلّ حملة رجل واحد. فلم تجد الخيل الدّارعة سيلاً. وقامت فى نحورها تلك الأسنّة، فولوا منهزمين. ولما رأى القنند هزيمة أخيه، تقدّم بنفسه^(٤) بمن معه من مدد الأمة الرّغونية^(٥)، وهو ينادى، يا أهل قشتالة. يا موالى، إياكم والعار. هأنذا، فلم يثبت أمره^(٦)، وتراجع فله. فعند ذلك فرّ فى أربعة من أولى ثقته، واستولى القتل والأسر على خاصّته، وتردى المنهزمون فى الوادى خلفهم. فكان [ذلك]^(٧) أعوان الأسباب على هلكهم، فأناف عدد من هلك فى هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلات أيدى هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يقدونهم [بمال عظيم]^(٨)، واتصل القنند المنهزم بأوض رّغون^(٩)،

(١) هكذا وردت فى «الملكية». وفى «ج» (لكونهم كشفاء فكشفوهم). وفى الزيتونة (لكونهم كتفا فكشفوا إياهم).

(٢) وردت فى المخطوطين: عصاة - عصات. والتصويب أفضل.

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة.

(٤) وردت فى المخطوطات (فى نفسه). والتصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا فى «الملكية» والزيتونة. وفى «ج» (هذه) وهو تحريف.

(٦) أى الأمة الأرجونية.

(٧) وردت بعدها فى المخطوطين كلمة (ولا) ووجودها هنا سهو لا يستقيم معه السياق.

(٨) أثبتنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة فى «الملكية». ومكانها فى «ج» (المظلمة) وهو تحريف.

(١٠) رّغون هى ملكة أراجون

ثم تَجَمَّعَ من البلاد الفرنسية . ودخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفاً بحميد^(١) سقيم ، وعزيز نصرهم ، وقد رابه استيلاؤهم ، وأوجسه تغلبهم . [وساءه في الأرض الرعاة عيائهم]^(٢) فاستأذنهم في اللُّحوق بقواعد أرضه . وقَبَضَ الأموال التي تجبى^(٣) منها نفقاتهم . وقَبَضَ منها ديونهم قبَّله . وحثَّ السَّير ، فوصل طَلَيْطَلَة لا يُصدَّق بالنجاة ، وخاطب السلطان المترجم به . وقدَّر وده^(٤) ، وحذَّره سَوْرَة هذه الأمة . التي فاض بحرُّها وأعيا أمرُّها . وأنهى إليه شرُّها ، وشَرَّه إلى استيصال المسلمين . وحدَّله مواعيدَها التي جعلت لذلك . ووصل إشبيلية ، وانثألت البلاد عليه ، وعادت الإيالة إلى حُكْمه ، ثم شرع في جعل الضرايب . وفرض الأموال ، وأخاف الناس [بالطلب والتبعات]^(٥) فعاد نفورهم عنه جزَّهاً . وامتنعوا من الغرم ، وطرَدوا^(٦) العُمال . وأحسَّ بالشَّرَّ ، فتحصَّن بإشبيلية ، وجهَّتها على نفسه ، وطال على الأمة الواصلة في [سبيل]^(٧) نصره الأمر . فرجعت إلى بلادها ، وورقت نفرة الفرسان ، وأولى الأتباع . وأظهروا الخلاف ، وكشفت جيَّان وجهَّها في خلعاته ، والرجوع إلى دعوة أخيه المتعصِّف ، فتحرَّك إليها السلطان المترجم به ، بعد أن احتشد المسلمين ، فكان من دخولها عنوة ، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها ، ما هو مذكور في موضعه . ثم ألحقت بها مدينة

(١) وردت في «ج» والزيتونة (بحمد) . والتصويب أرجح .

(٢) ما بين الخاصرتين ماقط في الملكية والزيتونة .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» يجرى . والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الملكية (وقرر رده) وفي «ج» (وقر رده) والأولى

أرجح .

(٥) وردت في «ج» والزيتونة (والطلب بالتبعات) والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في «ج» والزيتونة . وفي «الملكية» وطرخوا . والأولى أرجح .

(٧) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

أَبْدَةً ، الذاهبة في مخالفة مذهبها والحمد لله . وخالفَتْ عليه قرطبة ، واستقر بها من السكيارُ جُملة ، كاتبوا أخاه ، واستمعوا ، فتمرّف في هذه الأيام ، أنه قد بلغ أرض بُرْغَش ، ونارُ الفتنة بينهم ، ويدُ الإسلام لهذا العهد ، والمُنْمِيَّة^(١) لله ، وحده غالبية^(٢) .

وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرّومية ، لغاية تاريخها ، وليُسْتَشعر الحذر ، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها ، والله ولي نصر المؤمنين بفضلِه^(٣) .
وبأرض رَغُون سلطائها الكاين على الدولة الأولى .

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولا ما يُرْجِع إلى مناقب الحِلْم والسَّكْظ من مَآزِق^(٤) الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس .

فمن ذلك أن السلطان لما جَرَّت الحادثة ، وَعَظَه^(٥) التمهيص ، وأجأ إلى وادي آش لايملاك إلّا نفسه في خبر طويل ، بادو إلى مخاطبة ثقتَه بقصبة المريّة ، قلعة المُلْك ، ومَظَنَّة الامتناع ، ومِهَاد السَّلامة ، ومَحْزَن الجباية والمُدَّة ، وقد أصبح محلّ استِقراره ، بينها ، وبين المُتَنَزِي سَدًّا ، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرع منها حُكْمًا يناشده الله في رَمَقه ، ويتملّقه في رَعَى ذِمَّتِه ، والوفاء له ، وإبراء غُرْبَتِه ،

(١) كذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (والهيبية) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» عالية . والأول أنسب للمعنى .

(٣) يبدى ابن الخطيب في سرد حوادث الحرب الأهلية في قشتالة ، وما تخلفها من تدخل ملك فرنسا ، ثم ولي عهد إنجلترا أوصاحب إمارة أكويتين وجوين لهذا العهد ، كل إلى جانب فريق من الفريقين المتحاربين — يبدى في ذلك كله دقة واضحة ، وحسن معرفة بأطوار الممارك المختلفة ونتاجها ، وكذلك بالأوضاع الجغرافية لاسبانيا وفرنسا في ذلك العصر .

(راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين — الطبعة الثالثة — ص ١٤٣ — ١٤٥) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الزيتونة (مداق) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (وعظمه) .

وتمسك به من أمانته ، فردّ عليه أسوأ الرد . وسجن رسوله في المُطَبِّق ، وخرج منها لعدوه^(١) ، وناصح بعد في البغي عليه . فلما ردّ الله الأمر ، وجبر الحق ، أعتب وأجرى عليه الرزق . ولما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي^(٢) ، هاتفاً بالدعوة لبعض القراية ، وأكذبه الله ، وعقه الشيطان بعد نشر راية الخلاف ، وجعل للدولة ، علواً ليد ، وحسن العاقبة . وتمسك من المذكور ، أبقى عليه ، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه ، وهو من مغربات الحلم المبني على أساس الدين ، وابتغاء وجه الله .

ولما أجلي عن الترشيح من القراية ، بعد تقرب^(٣) التهمة ، ونمّس الأيدي في المعصية ، صُرفوا إلى المغرب صرّف العافية ، وأجرى على من تخلفوه عوايد الأرزاق ، ومرافق المواسم ، ووعد^(٤) ضعفاءهم بالإرفاد ، وتجوّفى عما يرجع للجميع من عتّ وريباع ، وأستغف^(٥) آمالمهم في لحاق [ذويهم]^(٦) من أهل وولد . ومما يرجع إلى عوايد الرقيق ، ومرافق العدل من مأزق^(٧) في جهاد النفس ، وقوف وكيل الدولة ، مع من يجاور مستخلص السلطان^(٨) من العامرين^(٩) ومما ولى الفلاحة ، وقد ادعوا أضراراً ، يجرّه الحوار بين يدي القاضي بالحضرة ، حتى بعد منقطع الحق ، على ما يخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف . ولا كفضية التاجر المعروف بالحاج اللباس ، من أهل مدينة وادي آش ،

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . ووردت مكانها في «ج» (لدرى لعدوه) .

(٢) سوف نشير إليه في حاشية قادمة .

(٣) هكذا في « الملكية » . والزيتونة . وفي «ج» قرب .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (توعد) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (واستغف) وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة لم ترد في المخطوطين . وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٧) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٨) مستخلص السلطان هو كما سبق شرحه الأملاك السلطانية الخاصة .

(٩) العامرين أى الذين يعمرّون الأرض ويفلحونها .

وقد [تخلصت في] (١) داره ، من قِبَلِ التاجر المذكور جارية من بنات الروم ، في سبيل تقوُّت الذَّم ، ومُسْتَهْلَكِ المتَّولات (٢) ، وتَرَقَّتْ إلى تربية وَلَدِهِ ، وأصبحت بعض الأظار لأُمِّ رايه . واتَّصل بها كَلْفُهُ ، وزاد هِيَانُهُ ، وَغَشِي مدافن (٣) الصَّالحين من أَجْلِهَا ، وأُنْهِيَتْ إِلَيْهِ خَبْرُهُ وَبَثُّهُ . وقرَّرتُ عنده شَجْوَهُ ، وألعتُ بما يُنْقَلُ في هذا الباب عن الملوك قَبْلَهُ ، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه ، وانتزعها من أيدي الغَبِيطة ، انتزعَ القَهْرُ . بحاله في جميل الزَّيِّ ، فمُكِنْتُ منها يدُ عاشقها الذَّاهِل ، وقد خَفَّتْ (٤) نَفْسُهُ ، وسكن حِسَّهُ ، وكاد لقاؤه إِيَّاهَا أَنْ يَقْضَى عَلَيْهِ . ونظاير هذا الباب متعددة .

ومن مواقف الصَّدق والإحسان من خارق جهاد النفس . بناء المارستان الأعظم حسنة هذه النخوُم القُصوى . ومزيةُ المدينة الفُضلى . لم يهتد إليه غيره [من] (٥) الفتح الأول . مع توفر الضرورة ، وظهور الحاجة ، فأغرى به همةُ الدين ، ونفسُ التقوى ، فأبرزه موقفُ الأُخدان (٦) . ورحلةُ الأندلس . وفذلكة (٧) الحسنات ، فخامةُ بَيْتٍ ، وتعدُّدُ مساكن ، ورحبُ ساحة ، ودرُور مياه ، وصحةُ هواء ، وتعدُّدُ خزائن ومتوضَّات ، وانطلاقُ جارية وحسنُ ترتيب ، أُبْرَّ على مارستان مصر (٨) ، بالسَّاحة العريضة ، والأهوية الطيبة ، وتدفُّقُ المياه

(١) ورد مكانها في المخطوطات الثلاثة (تخلصت من) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في «ج» مدفن . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (خافت) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٨) يلوح لنا أن ابن الخطيب يشير هنا إلى المارستان المنصوري الكبير ، الذي أنشاه السلطان المنصور بن قلاوون سنة (٦٨٣ هـ) بميدان بين القصرين بالقاهرة ، وهو أقرب المارستانات القاهرية عهداً بعصر ابن الخطيب .

من فورات الرمل ، وأُسود الصخر ، وتموج البحر : والسدال الأشجار . إلى موافقته إياي ، وتسويغ ما اخترعته^(١) بإذنه . وأجريته^(٢) بطيب نفسه ، من اتخاذ المدرسة والزاوية ، وتعيين التربة ، مُغيّراً [في ذلك كله]^(٣) على مقاصد الملوك ، نقشاً عليه ، بطيب اسمه في المزيد ، وتخليد في الجُدُرات للذكر^(٤) ، وصوناً للمدافن غير المعتادة ، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة ، وترتيل التلاوة ، آناء الليل ، [وأطراف]^(٥) النهار . وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدقاته ، وعلو همته . ويشهد بما ينبه الحسَّ إلى المنقبة العظمى ، في هذا الباب ، من إمداد جبل الفتح ، مع كونه في إيالة غيره ، وخارج عن مُلكة حُكمه ، وما كان من إعانته ، وسدَّ ثغره ، فانهار إليه على خطر السرى ، والظهر البعيد المسعى ، ماملاً الأهواء ، وقطع طمع العداة ، أنفقت عليه الأموال ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، بُودٍ بذلك ، بين يدي التفاؤل ، بتزول العدو إياه ، فكان الكرى^(٦) على إيصال الطعام إليه ، بحساب درهم واحد وربع درهم للرَّطل من الطعام ، منفعة فذة ، وحسنة كبرى ، وبدعاً من يدع الفتوى .

وفي موقف الاستعداد لعدو الإسلام ، من خارق جهاد النفس ، اطلاق البني^(٧) ، للمدة القريبة ، والزمان الضيق ، باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو ، والمشاركة الحدود ، مع أراضيه ، المترامية النيران لقرب جوابه ، منها ثغر

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : اخترعه ، والماضي هنا أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : وأجرات . وقد لزم التصويب لاستقامة السياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» الذكر ، فلزم التصويب .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٦) الكرى هنا يقصد بها الكراء أو الأجر .

(٧) البنى هنا جمع بناء

أرجدونة^(١) ، المستولى عليه الخراب . أنفق في تجديد قصبته . واتخاذ جُبّه . ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب ، وفي اليوم شجى العدو ، ومُعْتَصِم المساهين . وحصن أشير ، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج . على بعد أقطاره . واتخاذ جباب الماء به . واحتفار السانية^(٢) الهايلة برَبْصِه . ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله . والعناية بالإسلام . ثم ختم ذلك بنديد حصن الحمراء . رأس الحضرة ، ومَقِيل الإسلام . ومَفْرَعُ الْمَلِك . ومَقْد^(٣) الأيدي . وصوان المال والذخيرة . بعد أن صار قاعاً صفصفاً . وخراباً بَلَقْعاً . فهو اليوم عروس يُحلى المَهْضَب . ويفازل الشهب ، سكن لمكانه الإزجاف . وذوت نجوم الأَطَاع . ونَقَلَ إليه مال الجبابه . الْمُتَفَضِّل لهذا العهد . بحسب التدبير . ونَقَدَ الخراج . وصَوَّن الأقباب . وقمع الخزانة بما لم يتقدم به عهد . من ثمانين سنة . والحمد لله . وتجديد أساطيل الإسلام ، وإزاحة علل جيوش المَرَج . وعساكر البحر . فهي لهذا العهد ، مَكَس الأديم ، شارعة الشبا ، مُنْقَضَةٌ جفاتها إلى مساواة الأعداء ، راكبة ظهور المحاسن ، قلقة الموافق ، قُدُماً إلى الجهاد ، قد تعدد إغزاؤها ، وجاست البحر سوابجها ، وتعرفت بركتها والحمد لله ، وأنصاب جيش الجهاد ، استغرق الشهور المستقبلية . لرود^(٤) الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها ، على الدوام ، بعد أن كانت يتحيفها المَطْل ، وينقصها المطال ، والحمد لله .

وفي^(*) مواقف الجهاد الحسنى ، وبيع النفوس من الله ، وهو ثمرة الجهاد الأول ،

(١) أرشدونة وأرجدونة Archlidona . هي بلدة حصينة تقع شمال مالقة على مقربة من حدود قشتالة في هذا العصر .

(٢) السانية هي الكلمة الأندلسية لآلة الرى المعروفة بالساقية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة هنا (معقل) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (لدور) .

(*) هنا يبدأ الجزء الثاني من كتاب «الإحاطة» بمخطوطة جامع الزيتونة بتونس . وسوف نوال المراجعة عليه إلى جانب مخطوطي جاينجوس والخزانة الملكية . وسوف نرسم له بكلمة (الزيتونة) .

ملا يحتاج عليه إلى دليل . من الجوف^(١) إلى حصن أشر ، قُبِلَ النغر، والجارحُ
المطلُّ على الإسلام ، والعزم على افتتاحه . وقد غاب الناس من مساورته . وأُعْيِي
عليهم فتحه ، فلزمه السلدان بنفسه . بياض يوم القيظ . مُحْرَضاً^(٢) ، للمقاتلة ،
مُواسياً لهم^(٣) ، خالطاً نفسه بالمُسْتَنْفَرَةِ . يصابر لهيب النار . ووقع السلاح ،
وتعميم الدُخان ، مُقْدِياً للكلمات . مُحْرَضاً لذوى الجراح ، [مباشراً الصلاة على
الشهداء] ^(٤) إلى أن فتحه الله [على يده] ^(٥) ، بعزمه وصبره . فبأشْرَ رَمِّ
سوره بيده ، وتحصين عَوْرته بنفسه ، ينقل إليه الصَّخر ، وينال الطَّين ، ويخالط
الفَعْلَةَ ، لقرب محلِّ الطاغية ، وتوقع المفاجأة . ثم كان هذا العمل قانوناً مُطَرِّداً
في غيره ، وديناً في سواه ، حسبما نذكر في باب الجهاد .

وفي باب النصيحة للمسلمين من مَازَقِ^(٦) الجهاد الأكبر . ما صدر في هذه
الدولة ، من مخاطبة الكافة ، بلسان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،
صَدَعَتْ بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر ، وأُمْتَمَعَتْ آذان المحافل . مالم
يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر] ^(٧) .

نص الكتاب

ولما صَحَّتْ الأخبار بخروج الأمة الإفريقية إلى استئصال هذه البَقِيعة^(٨) ،

(١) وردت في المخطوطين (الخوف) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» متحرضاً .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الأول) . بالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت هذه الزيادة فقط في «ج» .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والملكية .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» ، وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» البقعة .

والله متم نوره ، ولو كره الكافرون ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه :

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ، بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، أيده الله ونصره ، وأوى^(١) أمره ، وخَلَدَ مآثره . إلى أوليائنا الذين نُوقِظ من الغفلة أحلامهم ، وندعُوهم لما يظهرون من الاتياف إليهم . ويخلص الله أسرارهم وإعلانهم ، يرى لعدم إحسانهم ، وخيبة قيامهم ، ويفار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم ، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات ، وتخفيض الشدائد المعتورات ، وكَفْ أَكْف العوادي المُبتدات . إلى أهل فلاة ، دافع الله عن فئتهم الغريبة^(٢) ، وعرفهم في الدراري ، والحرم ، عوارف الائلاف القريبة^(٣) وتداركهم بالصنائع العجيبة ، سلام عليكم أجمعين ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا نشرك به أحداً ، ولا نجِد من دونه مُلتحداً . مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جليداً ، وأبعد في الصبر مدداً ، ليزيد الذين اهتموا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أنقذ من الردى ، وتكفل بالشفاعة [لمن]^(٤) غداً ضارباً هام العدا ، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولدا . والرضى عن آل الذين كانوا لسماء ملته عمداً ، فلم ترعهم الكتائب الوافرة ، وكانوا لهم أقل عدداً ، ولا هالتهم أمم الكفر . وإن كانت [أظهر جمعاً ، وأكثر عدداً]^(٥) صلاة لاتقطع أبداً ، ووضى ، لا يبلغ مدداً . فإننا كتبنا إليكم ، كتبكم

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (واوى)

(٢) وردت في «ج» (الغري) وفي «الملكية» (الغري) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه الجملة في «الزيتونة» . وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (أكثر جمعاً وأظهر عدداً) .

الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدائه^(١) ورحمة، ورحى بفكره غرض السداد، فلم يُخط منه هدفاً ولا رمية. وقد اتصل بنا الخبر، الذي يوجب نصيح الإسلام، ورعى الجوار والذمام^(٢)، وما جعل الله للأوم دلى الإمام، فوجب علينا إيقاظكم من مراقبكم المستغرقة، وجمع أهوايكم المُنترقة، وتهيشكم إلى مصادمة الشدايد المرعدة المبرقة، وهو أن كبير النصرانية، الذي إليه ينقادون، وفي مرضاته يصادقون^(٣) ويمادون، وعند رؤية صايبه ييكون ويتسجدون، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضماً وقغماً. وأوسعهم هضماً فلم تُبق [لم] ^(٤) عصباً ولا عظماً، ونُثرت ما كان نظماً، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق، ويرفع ما طرّق. ويرى^(٥) ما مزق الشّتات وخرّق، فرمى الإسلام بأمة عدوها كالقطر المُنثال، والجراد الذي تضرب به الأمثال، وعاهدكم وقد حضر التمثال، وأمرهم وشأنهم الامتثال، أن يذمنوا لمن ارتضاه الطاعة، ويجمعوا من ملته الجماعة، ويطلع السكل على هذه الفئة القليلة الغريبة. بقتة^(٦) كقيام الساعة. وأقطعهم، قطع الله بـ. | العباد والبلاد |^(٧). والشارف والتلاد، وموَّخهم الحريم المنضعف والأولاد، وبالله تسندف مالا نطقه. ومنه نسأل عادة الفرج. فما سُدت لديه طريقة، إلا أننا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنةً بالبوار. وأشققنا للذين من وراء البحار، وقد أصبح معظمهم في لهوات الكفار، وأردنا أن نهزهم بالموعظة. التي^(٨) تسكحل البصائر بميل الاستبصار. وتلميحكم الاستنصار بالله، عند عدم الانتصار.

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». ووردت في «ج» (له) وهو تحريف.

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» المنار.

(٣) هكذا في الزيتونة والملكية. وفي ج (يصفون).

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في الزيتونة والملكية.

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية». وفي الزيتونة (يرمى) وهو تحريف.

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (سقية). والتصويب أنسب للسياق.

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (البلاد والعباد).

(٨) هكذا في «الملكية» و «الزيتونة». وفي «ج» الذي، وهو تحريف.

فإن جَبَرَ الله الخواطر بالضراعة إليه، والانكسار . ونسخ الإغسار بالإيسار، وأنجد
 الممين بانهاء اليسار، وإلا فقد تعيّن في الدنيا والآخرة حظُّ الخسار^(١) فإن من ظهر عليه
 عدوُّ دينه، وهو عن الله معزوف، وبالباطل مشغوف، وبغير^(٢) العرف معروف .
 وعلى الحدائم المسلوب ملهوف، فقد تله^(٣) الشيطان للجبين، وخسر الدنيا والآخرة،
 وذلك هو الخسران الممين . ومن نفذ فيه قدرُ الله عن أداء الواجب وبذل الجهد،
 وآجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن الشهوات الموبقة
 [في]^(٤) دار الخلود، العائدة بالحياة الدائمة والوجود . أو الظهور على عدوه
 المحشود إليه صبرا^(٥) على المقام المحمود وبينما تكون الملائكة فيه من الشهود،
 حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهذوم، بقوة الله المحمود، والسواد الأعظم
 المدود، كان على أمر ربّه بالحياء المردود «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
 ونحن نتربصُ بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إننا
 معكم متربصون»^(٦). فالله الله في الهمم، فقد خبت ريحها . والله الله في العقائد .
 فقد خفت مصابيحها . والله الله في الرجولة فقد فلّ حدّها . والله الله في الغيرة .
 فقد نكس حدّها . والله الله في الدين . فقد طمع العدو في تحويله . والله الله في
 الحريم . فقد مدّ إلى استرقاقه يد تأمله . والله الله في المساكن التي زحف لسكنائها

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (الخسران) . والتصويب أنسب لسياق السجع .

(٢) وردت في «ج» (ويصير) . ونعتقد أن هذا تحريف . والتصويب أنسب للمعنى .

(٣) تله أى صرعه .

(٤) ساقطة في «ج» والملكية، وإثباتها أنسب للمعنى .

(٥) واردة في «ج» . وساقطة في الملكية .

(٦) يقول لنا المقرئ في فصح الطيب : إن هذه الرسالة أو الموعظة التي تبدأ من هنا، وتنتهى فيما بعد
 بمباركة (والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته) كتبها على بن الخطيب (وليس
 الدوه لسان الدين) على لسان السلطان ، نداه إلى الأمة ، واستنهاضا لعمتها ، على مثل رسائل عديدة
 وجهها إليها ابن الخطيب نفسه (راجع فصح الطيب ج ٤ ص ٤١٥ - ٤١٨) .

والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسنّها | وقد كُمل فضلها وتناهى ^(١) .
والله الله في القرآن العظيم . والله الله في الجيران . والله الله في العتّارف والتّالّد .
والله الله في الوطن الذي توارثه الولدُ عن الوالد . اليوم تستأسد النفوسُ المهينة .
اليوم يُستنزّل الصبرُ والسكينة . اليوم تحتاجُ الهِمَمُ [أن] ^(٢) ترعى هذه النفوس
الكريمة الذّمم . [اليوم يُسلّك سبيل العزم والحزم والشدة والشّم] ^(٣) اليوم يرجع
إلى الله تعالى المصرون . اليوم يفيق من نومه الغافلون والمفترون . قبل أن يتفاقم
الهول ، ويحقّ القول ، ويُسد الباب ، ويحقّ ^(٤) العذاب ، ويُسترقّ بالكفر
والزّقاب . [فالتساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار] ^(٥) . والأيور ترفرف لتحمي
الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها والإضرار . تمر الأيام عليكم مرّاً السحاب
وذهاب الليالي لكم ذهاب ^(٦) . فلا خبر يفضى إلى العين ، ولا حديث في الله ^(٧)
تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كدّ ^(٨) إلا لزينة يُحلى بها نحر وجيد ، ولا سَمَى إلا
في ^(٩) متاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد . وبالأمس ندبتم إلى التماس [رَحْمَى
أورضى] ^(١٠) مُسَخَّر السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ، وسؤال مرسل الدّيمة ،
وُحْيي البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء ، واغبرت جوانبكم المخضرة
احتياجاً إلى بلالة الماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون . وإليها الأَكفّ تمدون ،

(١) هذه الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، وإثباتها لازم للسياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٤) هكذا في « ج » والملكية . وفي « الزيتونة » (ويحق) والمؤدى احد .

(٥) هذه الزيادة واردة في نفح الطيب .

(٦) هذه الجملة ساقطة في المخطوطات الثلاثة وواردة في النفح .

(٧) هكذا في « ج » . وفي الملكية (بالله) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة (تقد . تعد) والتصويب من النفح .

(٩) واردة في « الزيتونة » ، وساقطة في المخطوطتين .

(١٠) هذه الزيادة من نفح الطيب .

وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يصحّر^(١) منكم عددٌ معتبر ، ولا ظهر للإنابة
[ولا للصدقة]^(٢) خبر ، وتوقّفون^(٣) عن إعادة الرغبة إلى الغنى الحميد ، والولى
الذى إن شاء يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد . وأيم الله لو كان لهموا لارتقبت
الساعات [وضاقت المتسعّات]^(٤) . وتزاحمت على جماله وغصّت الجماعات^(٥) .
أتمزّزاً على الله وهو القوى العزيز ، وتلبّساً على الله ، وهو الذى يُميز
الطيب من الطيب ، والشّبه من الإبريز ، أمّابذة والنواصى بيده ، أغروراً
في الشدايد بالأمل [والرجوع بعد إليه]^(٦) . من يبدأ الخلق ثم يعيده ،
ثم يُنزل الرزق ويقىده ، من يُرجع إليه في الملمات ، من يُرجى في الشدايد
والأزمات ، من يوجد في الحميا والمات ، أفى الله شك يختلج القلوب ، أم غير
الله يدفعُ المسكروه ، ويُيسّرُ المطلوب^(٧) . تفضلون على اللجأ إليه في الشدايد ،
[بواسم الجهل ، وثرة الأهل]^(٨) وطائفة منكم قد بررت إلى استسقاء رحمته ،
تمدّ إليه الأيدى والرقاب . وتستكشف بالخصوع لعزّة^(٩) العقاب^(١٠) ، وتستعجل
إلى مواعد إجابة الارتقاب ، وكأنكم أنتم ، عن كرمه قد استغنيتم ، أو على

-
- (١) وردت في «ج» (يفسح) . وفي الملكية و«الزيتونة» (يحسح) والتصويب من النفع .
(٢) الزيادة من نفع الطيب .
(٣) وردت في المخطوطين (وتترفل) والتصويب من النفع .
(٤) وردت في «ج» و«الملكية» . (المساعات) والتصويب من النفع .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في النفع كالاتي (وتزاحمت على
أذنيته الجماعات) .
(٦) هذه الزيادة من النفع .
(٧) واردة في «ج» والنفع . وساقطة في «الزيتونة» .
(٨) هكذا وردت في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة . ووردت في النفع كالاتي
(مرائد الفضل وثرة الجهل) .
(٩) كذا في «ج» والملكية . وفي النفع (لغفلته) .
(١٠) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (المذاب) . والأولى
أنسب للسياق .^١

الامتناع من الرجوع إليه بَنَيْتُمْ . أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبليغ باليسير ، والاستعداد إلى (دار الرحيل)^(١) الحق والأسير ، ومداومة الجوع ، وهَجْرُ الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع . دَخَلَتْ هَلِيه فاطمة رضى الله عنها ، ويدها كسرة شعير ، فقال ما هذه يا فاطمة ، فقالت يا رسول الله ، خَبِرْتُ^(٢) قرصة ، وأحببت أن تأكل منها ، فقال يا فاطمة ، أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم ، يستغفر في اليوم سبعين مرة . يلتمس رَحْمَهُ ، ويقوم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، حتى تورمت قدماه ، وكان شأنه الجهاد ، ودأبه الجِدُّ والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد . فإذا لم تقنّدوا به فبمن تقنّدون . وإذا لم تهتدوا بهديه فبمن تهتدون ، وإذا لم تُرضه باتباعكم ، فكيف تعتزون إليه وتنتسبون ، وإذا لم ترغبوا في الاتّصاف بصفاته غضباً لله (تعالى)^(٣) وجهاداً ، وتقللاً من العَرَض^(٤) الأدنى [وسُهاداً ففيم ترغبون ، فابتروا حبال الآمال ، فكل آت قريب ، واعتبروا بِثَلات]^(٥) ما ذَهَبَ من تقدم من أهل البلاد والقواعد ، فذهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي كان يعلوها واعظٌ أو خطيب ، ومطيلٌ ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف ، والجماعات المعمورة بأنواع الطاعات ، وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجهور بما أغضوا عيونهم ، وصامت بالغفلة عن الله عُقْبَى جميعهم ، وذهبت النعمات^(٦)

(١) وردت في «ج» للرحيل . وما أثبتناه عن النفع .

(٢) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (أخبرته) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي النفع وفي «الملكية» (العرض) .

(٥) الزيادة من نفع الطيب .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (المنقحات) . والتصويب من النفع .

بعضهم ، ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم [مناصب]^(١) للصلبان ، واستبدلت مآذنهـم بالنواقيس من الأذان . هذا والناس ناس ، والزمان زمان . (فما)^(٢) هذه الغفلة عن من اليه الرجى وإليه المصير [وإلى متى التساهل في حقوقه ، وهو السميع البصير ، وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير]^(٣) وإلى متى نسيان اللبأ إلى الولى النصير . قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم ، وتحركت الطواغيت من [كل]^(٤) جهة اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتابُ الله قائم فيكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمنح سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأنتم بقايا من افتتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ورضى الرحمن ، ما ظهر التشليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عديم الإسلام فيها عزم التأييد . ولكن شمل الداء ، وصمّ النداء ، وطمحت الأبصار ، فكيف الاهتداء ، والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعاً ، فهو الغفور الرحيم ، واستقبل مقبل العثرات ، فهو الرؤوف الخليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدّمت أيدينا ، فقبول المعاذير من شأن الكريم . سُدَّت الأبواب ، وضُفَّت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم [يا فتاح]^(٥) ، يا وهّاب . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم [يا أيها الذين آمنوا]^(٦) قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين . ولا تهنأوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل

(١) الزيادة من النفع .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» والنفع .

(٦) الزيادة من النفع .

وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة واغيطوها ، فمن خاف الموت رضى
بالدنية ، ولا بد على كل حال من المنية ، والحياة مع الذل ليست من شيم أهل
العقول والنفوس السنية . واقننوا السلاح والعدة ، وتعرفوا إلى الله في الرخاء
يمرفكم في الشدة ، واستشعروا القوة بالله [تعالى] ^(١) على أعدايه وأعدايكم ،
واستميتوا من دون أنبايكم . وكونوا كالبُنيان ^(٢) [المرصوص] ^(٣) لحملات العدو
النازل بفنائكم . وحطوا بالتعويل على الله وحدة بلادكم . واشتروا من الله جل
جلاله أنباءكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها . وشكت إلى بعض الصالحين ، فأشار
عليها بالصدقة [فتصدقت] ^(٤) ، برغيف . فأطلق السبع ولدها . وسمعت النداء
[يا هذه] ^(٥) لقمة بلقمة ، وإنالما استودعناه لحافظون . أهجروا الشهوات ،
واستدركوا الباقيات ^(٦) من قبل الفوات . وأنصروا لمساكينكم من الأقوات ،
واخضعوا لما أنزل الله [تعالى] ^(٧) من الآيات . وخذوا نفوسكم ^(٨) بالصبر على الأزمات ،
والمواساة في المهمات ، وأيقظوا جفونكم من السّنات . واعلموا أنكم رضع ^(٩)
تدنى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب ، والدّين الوحيد ، وحزب التمحيص ،

(١) الزيادة من نفع الطيب .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» وفي النفع (كالبناء)
والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . ووردت بالملكية محرفة (المروسس) .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) الزيادة من النفع .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» والنفع (البقية) .

(٧) الزيادة من النفع .

(٨) وردت في «ج» و «الملكية» (من لكم) . والتصويب من النفع .

(٩) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» والنفع (رضعاء) .

ونَفَرَ [المرام] ^(١) العَوِيص ، فَتَقَدَّمُوا مُعَامِلَتِكُمْ مَعَ اللَّهِ [تعالى] ^(٢) ، فَمَهْمَا
وَأَيْتَمَ الصَّدَقَ غَالِبًا . وَالْقَلْبَ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ . مُرَاقِبًا ^(٣) وَشَهَابَ الْيَقِينِ
ثَاقِبًا ، فَشَتُّوا بِنَايَةَ اللَّهِ الَّتِي لَا يَغْلِبُكُمْ مَعَهَا ^(٤) غَالِبٌ ، وَلَا يَنْالُكُمْ [مَنْ
أَجْلَهَا] ^(٥) عَدُوٌّ مُطَالِبٌ ، وَأَنْتُمْ فِي السَّيْرِ الْكَثِيفِ . وَعَصِمَةُ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ .
وَمَهْمَا رَأَيْتُمْ الْخَوَاطِرَ مُتَبَدِّدَةً ، وَالظُّنُونَ بِاللَّهِ مَتَرَّدَةً ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَخَافُ ،
وَتَرْجُو مُتَعَدِّدَةً ، وَالْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مَلَابِسُهَا مُتَجَدِّدَةً . وَعَادَةُ [دَوَاعِي] ^(٦) الْخِلْدَانِ
دَائِمَةٌ ، وَأَسْوَاقُ الشَّهَوَاتِ قَائِمَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُنْفِذٌ فِيكُمْ [وَعِدَهُ] ^(٧) وَوَعِيدُهُ
فِي الْأَثَمِ الْغَافِلِينَ ، وَأَنْتُمْ قَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ . وَالتَّوْبَةُ
تُرَدُّ الشَّارِدَ ، وَاللَّهُ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ ، وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . وَهُوَ الْقَائِلُ : « إِنْ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا » . وَمَا أَقْرَبُ صَلَاحِ الْأَحْوَالِ ،
إِذَا صَلَّحْتَ الْعَزَائِمَ ، وَتَوَلَّيْتَ عَلَى حِزْبِ الشَّيْطَانِ الْمَزَايِمَ ، وَخَمَلْتَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ
فِي الْعُيُونِ ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ الظُّنُونَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ،
فَلَا تُغَرِّبُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يُغَرِّبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » . وَتَوَبُّوا سِرَاعًا إِلَى طَهَارَةِ
الْقُلُوبِ ، وَإِزَالَةِ الشُّرُوبِ ، وَاقْصِدُوا أَبْوَابَ غَافِرِ الذُّنُوبِ ^(٨) ، وَقَابِلِ التَّوْبِ .
وَاعْلَمُوا أَنَّ سُوءَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ ، يَفْتَحُ أَبْوَابَ الشَّدَايِدِ ، وَيُسُدُّ طَرِيقَ ^(٩) الْعَوَايِدِ ،
فَلَا تَمَّطُّلُوا بِالتَّوْبَةِ أَزْمَانَكُمْ ، وَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَتَغْشَوْا إِيْمَانَكُمْ ، وَلَا تَعْلَقُوا

(١) و (٢) الزيادة من النفع .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفع . ووردت في «الملكية» و الزيتونة (راغباً وراقباً) .

(٤) هكذا في الزيتونة و «النفع» . وفي «ج» عليها .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة و «الملكية» . وفي «ج» لأجلها .

(٦) الزيادة من النفع .

(٧) الزيادة من النفع .

(٨) هكذا في الزيتونة . وفي «ج» و النفع (الذنب) والأولى أنسب للسياق .

(٩) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي النفع (طرق) .

متابكم بالصرائر^(١). فهو علام السراير، وإنما علينا معاشر الأولياء أن نصحكم، وإن كنا أولى بالنصيحة. ونعتمدكم بالموعظة المريجة، الصادرة عليم الله عن صدق المريجة. وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم^(٢) إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم الدنيا نفس مبدولة في جهاد الكفار. وتقدم إلى ربكم العزيز الغفار، وتقدم لديكم إلى مواقف الصبر. التي لا ترتضى، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسن وعقبى الدار. والاختيار لله ولي الاختيار. ومصرف الأقدار. وهانحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو. [ونفدى بنفوسنا]^(٣) البلاد والعباد. والحريم [المستضعف]^(٤) والأولاد. ونصلى من دونهم [نار]^(٥) الجلال. ونستوهب منكم الدعاء إلى من وعد بإجابته. وتقبل من صرف إليه وجه إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً، وعلى أعدائك ظهيراً. ومن انتقام عبدة الأصنام مجيراً، [اللهم]^(٦) قو من ضعفت حيلته، فأنت القوى المعين، وانصر من لانصير له إلا أنت، إياك نعبد، وإياك نستعين. اللهم ثبت أقدامنا [وانصرنا]^(٧) عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملايكتك^(٨) المسمومين، [عن ضيقت أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجاؤه]^(٩). اللهم هيئ لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير

(١) هكذا في الزيتونة و « النفع ». ووردت محرفة في « الملكية » وفي « ج » (الغرايز الفرايز).

(٢) هكذا في المخطوطين. وفي النفع (سبقناكم).

(٣) وردت في « ج » والملكية (ونفدى بنفوسنا). وفي الزيتونة (ونفد بنفوسنا). والتصويب من النفع.

(٤) الزيادة من النفع. (٥) الزيادة من النفع.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) الزيادة من النفع.

(٨) وردت في المخطوطين (بلايتك) والتصويب من النفع.

(٩) وردت في المخطوطات الثلاثة (رجاؤنا) والتصويب من النفع.

[إليك] (١) . ذليلٌ بين يديك حقيرٌ . [رحمةٌ تُروى بالآزمة وتشيع ، وقوةٌ تطرد وتُسْتَنْبَع ، يَغْلِبُ الغَلَاب . يَهَازِمُ الأحزاب . يا كريم العوايد . يا مُفْرِجَ الشدايد ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا . وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] (٢) . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ تَيَقُّظٍ [فَتِيَّةً ظ] (٣) ، وَذَكَرٍ فَتَذَكَّرَ ، وَمَنْ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا . وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْنَا الْمُخَاطَبَاتُ مِنْ قَبْلِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ عَرَّفْنَا فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ اجْتِهَادَهُمْ ، وَشَكَرْنَا فِي ذَاتِ اللَّهِ [تَعَالَى] (٤) جِهَادَهُمْ ، بَنِي مَرَيْنَ ، أُولَى الْإِمْتِعَاضِ اللَّهُ وَالْحِمِيَّةُ ، وَالْمُخَصَّصِينَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ السَّكْرِيَّةِ بِهَذِهِ الْمَرْيَةِ ، بَعَزْهُمْ عَلَى الْإِمْتِعَاضِ لِحَقِّ الْجَوَارِ . وَالْمُصَارَخَةُ الَّتِي تَلِيْقُ [بِالْأَحْرَارِ] (٥) [وَالنَّفَرَةُ لَا تَهْلِكُ دِمَارَ بَيْتِهِمُ الْمُخْتَارِ . وَحَرَكَةُ سُلَاطَنِهِمْ] (٦) مُحَلٌّ أَخِينَا بِمَنْ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْصَارِ ، إِلَى الْإِعَانَةِ عَلَى هَؤُلَاءِ السَّكَّارِ ، وَمُدَافَعَةِ أَحْزَابِ الشَّيْطَانِ وَأَهْلِ النَّارِ . [فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى] (٧) إِعَانَتَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْكَرِيمِ الْآثَارِ . وَالسَّعَى الضَّمْنِ (٨) لِلْعَزِّ وَالْأَجْرِ وَالْفَخْرِ ، وَالسَّلَامِ الْكَرِيمِ يَخْضَعُكُمْ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ مِنْ عَامِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . عَرَّفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ . صَبَّحَ هَذَا . فَكَانَ دَفَاعُ اللَّهِ أَقْوَى ، وَعَصَمَتُهُ أَكْفَى . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَوَايِدِهِ الْحَسَنِي .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) ما بين القوسين إبتداء من (عن ضيقت) ساقط كله في النسخ . وما بين القوسين إبتداء من (رحمة تروى) ساقطة في الزيتونة . (٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) الزيادة من النسخ . (٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الزيتونة .

(٧) ما بين القوسين وارد في النسخ . ووردت في «ج» و «الملكية» (فاسل . فارسل) .

(٨) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (الضمان) .

ومن الغيرة على الدين ، وتغيّر أحوال الملحدّين ، من مآزق جهاد النفس ،
ما وقع به العمل من إخماد البِدْع . وإذهاب الآراء المضلّة ، والاشتداد على أهل
الزُّيغ والزُّنْدَاقَة . وقد أضّقت ^(١) أرباب هذه الأضاليل الشريعة ، وسدّت مضرتهم
في السكافة ، فَيُسَلِّط عليهم الحُكَّام . واستدعيت الشهادات . وأخذهم التّشريد ،
فهل يُحسّ منهم أحداً ، أو تسمع لهم ركزاً .

وقيّد في ذلك عنى مقالات أخرى . منها رسالة « الغيرة على أهل الخير » ،
ورسالة « تحلّ الجمهور على الشُّنن المشهور » . ورسالة « أُلشِدّت على أهل الرّد » .
فلتفع الخوض ، وكسدت تلك الأسواق الخبيثة . وصُمّ ^(٢) منها الصّدّا ، ووضّح
نار الهدى ، والحمد لله ، ولو تتبععت مناقب الهدى ، لا أخرج ذلك عن الغرض .

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشّنعاء ، المُجحفّة بالدولة ، وقد كان السلطان
أُنذِر بظامفة ، تُداخل بعض القرابة ، فعاجله بالقبض عليه ، وهو في محل ولايته ،
فصنّد وأنجل إلى قصبة المريّة ، وخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر ، فتمعّجوا
إبراز السكامن ، وإظهار الخبيث ، وتولّى ذلك جملة من بنى غرون دُنابى بيت
الإدبار ، وقد عابهم من بنى مطرون ، يدور أمرهم على الدّليل البرّكى ^(٣) ،
فأكنب الله دَعْوَتهم ، بعد أن أركبوا الشيخ عليّاً بن نصر ، ونصبوه تلقاء
القلعة بباب البُنود ^(٤) ، ودَعَوْا الناس إلى بيعته . وأخذ السلطان حِذْره ، وناصبهم

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (أضيقّت) .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» وفي «الملكية» وضم .

(٣) الدليل البركى يشير به إلى أحد وزراء الغنى بالله ، وهو الذى قام بتدبير تلك الثورة
التي نشبت في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) .

(٤) باب البنود هو من أبواب حى القصبة الجديدة من غرناطة . وكان يقع قبالة الحمراء
وقباله القصبة القديمة ، يفصله عن قصبة الحمراء نهر حدره .

القتال ، وأشاع العطا ، واستركب الجيش ، وعمر الأسوار . فأخفق القصد ، وفرّ الدليل البركي ، وتقبّض على الرئيس المذكور ، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان .

وكان مما أُمليته يومئذ بين يدي السلطان - من الكلام المرسل - ما هو نصه ، بعد الصدر : وإلى هذا فيما أفادته الفطر السليمة . والحلم والقضا بالشريعة ، والنقل الشرعي والسُنن المرعى ، أن مُغالِب الحق مغلوب ، ومزاحم الله مهزوم ، ومكابر البرهان بالجهل موسوم ، ومرتع الغي مهجور ، وسيف العدوان مغلول ، وحظّ الشيطان مؤكوس ، وحزب السلطان منصور . ولا خفاء بنعمة الله علينا التي أطردّها^(١) في المواطن العديدة ، والهضبات البعيدة . والشبهات غير المُسَيِّنة ، والظلمات الكثيفة ، معلنٌ بوفور الحظّ من رحمة ، وإبراز^(٢) القِداح في مجال كرامته ، والاختصاص بسيا اختياريه . فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع أماننا ، ونهَج لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا ، وسخر لنا ظهري الطريف والطريق ، بعد أن فرّق لنا بحر الليل ، وأوضح لنا خفي المسالك ، وعبد لنا عاصي الحزم ، ودمّت غمر الشعراء^(٣) ، وأوطأنا صهوة المنعة ، وضرب وجود الشرذمة المتبعة ، بعد أن ركضوا قتيب^(٤) البراذن البادية ، من خزائن إهدائنا ، المتجملة بحلي ركبنا ، وتحملوا السلاح والزياش المختار من أثير صلاتنا ، وأهروا الأنفاس التي طال ما رفعها إيناسنا وأبلغها الريق تأميننا ، وصببوا العرق الذي أفضله طعامننا ، شرهين إلى دَمِنَا ، المحظور بالكتاب والسنة ، المحوط بسياج البيعة ، المحصن عنهم بتقديم النعمة ، وحرمة الأب ومُتعدّد الأذمة ، فجعل

(١) وردت في «ج» اطرادها ، وفي «الملكية» اطردّها . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» وبراز . وفي «الملكية» (وبواز) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) الشعراء هي الأرض الكثيرة الشجر .

(٤) قتيب أى الجمع المتكاثف .

الله بيننا وبينهم حاجزاً ، وسدّاً ليأجوجهم [من] ^(١) المَرَدَّة ^(٢) مانعاً ، واتقلبوا
يعضون الأنامل الغضة من سُرَيْط جفاننا ، ويقلمون الأكف التي أجدها الدهر ،
ترفعاً من المهن المترتبة ^(٣) [في] ^(٤) خدمتنا ، قد حالهم صغار القدر . وذلك
الخليية ، وكبح ^(٥) الله جماعتهم عن التنفق بتلك الوسيلة . واحتلنا قسبة وادى
آش ، لا نملك إلا أنفسنا ، لم يشبها غش العلة ، ولا كياذ الأمة ، ولا دنسها والحد
لله عار الفاحشة . ولا ومحم الشوم في الولاية ، [ولا] ^(٦) أحبط عمل نجابتها ^(٧)
دخل العقيدة ، ولا مرض السريرة ، مذ سلّمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب ،
وصير إلينا ملكاً أيننا من غير حول ولا حيلة . نرى أنها أملك لحرمتنا : وأعلم
بما كفنا ^(٨) ، وأرحم بنا : فتشبّث بها القدم ، وحجيت لنا من أهلها ، وعاهم الله الهيم ،
وصدقت في الذب عنا العزائم ، وحاصرنا جيش العدو ، وأولياء الشياطين ،
وظهر ^(٩) الباطل ، فبان الظفر والاستقبال ، وظهّرت الفية القليلة ، والله مع
الصابرين ، فغلبوا هناك واتقلبوا صاغرين . ومع ما لنا من الضيق ، وأهمتنا من
الأمر ، فلم نطلق ^(١٠) به غارة ، ولا شرهنا إلى تغيير ^(١١) . نعمة ، ولا سرّحنا عنا
اكتساح على ^(١٢) هجمة ، ولا شعننا لبساً في بيت ولا حلة ، وأمسكنا الأزمق

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (المودة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (المتربة) .

(٤) وضعناها ليستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» (وجمع) . والأولى أنسب للسياق

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نجاتها) .

(٨) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (بمالنا) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وطهر) .

(١٠) وردت في «ج» (نطق) والتصويب من «الزيتونة» .

(١١) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (تنير) والمؤدى واحد .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» وفي «ج» (إلى) .

بَيْسِيرِ الْحَلَالِ^(١) الذى اشتملته خزائناً من أعشار وزكوات ، وحظوظ من زراعات ، وارتقبنا الفرج مِمَّنْ مَحَّصَ بِالشَّدَّةِ ، والإقالة ممن نبه من الغفلة ، وألهم الإقلاع والتوبة . ثم وقفنا^(٢) سبحانه ، وألهمنا من أمرنا رَشْداً ، وسلك بنا طريقاً فى بحرِ الْفِتْنَةِ يَبْسِياً ، فِدْنَاهُ بِحَقِّنِ الدِّمَاءِ ، وتأمين الأَرْجاءِ ، وشكّرنا على الْبَلَاءِ ، كشكّرنا إِيَّاهُ [على]^(٣) الآلاءِ . وخرَجْنَا عن الأندلس ، ولقد كاد ، لولا عَمَمَتُهُ ، بأن نذهب [مذاهب الزوراء]^(٤) ، ولستأصل الشافة ، ولستأصل العَرْصَةِ ، سبحانه ما أكلَ صُنْعُهُ ، وأَجْمَلَ علينا سِتْرَهُ ، إلى أن جُزْنَا البحر ، ولحقنا بحوار سلطان المغرب ، لم تَنْبُ عَنَّا عَيْنُ ، ولا شَمَخَ علينا أَنْفُ . ولا حمل علينا بَرَكَبُ^(٥) ، ولا هَفَفَتْ^(٦) حولنا غاشية^(٧) ، ولا نُزِعَ عَنَّا [للتقوى والمغاف]^(٨) سِتْرُ ، بل كان الناس يُوجِبون لنا الحقَّ الذى أغفله الأوغاد^(٩) من أبناء دولتنا ، والضفادع ببركة نعمتنا ، حتى إذا الناس صافوا الصَّيْحَةَ^(١٠) ، وتملأوا^(١١) الحسرة ، وسيموا الخسار والخيبة ، وسامهم^(١٢) الطُّغام الذين لا يرجون الله وقاراً ، ولا يألون لشعايره العظيمة احتقاراً ، كلابُ الأطماع ، وعبيدُ الطاغوت ، ومدبرو

(١) وردت فى «ج» (الحال) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا فى «ج» . ووردت محرفة فى «الزيتونة» و «الملكية» (أوقفنا . وقفنا) .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) فى المخطوطين (مذاهب ندمت الزوراء) . ونعتقد أن التصويب أفضل للسياق .

(٥) الركب - الجماعة من عشرة إلى ما فوق .

(٦) وردت فى «ج» (عفت) وفى الملكية (حفت) . وفى الزيتونة (هتف) . والتصويب

أوضح .

(٧) وردت فى «ج» غاشية . والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الملكية» (المغاف والتقوى) .

(٩) هكذا فى «ج» . وفى الزيتونة (الأعوان) والأولى أنسب للسياق .

(١٠) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (المهجة) .

(١١) هكذا فى «الملكية» . وفى «ج» (وملوا) . والأولى أنسب للسياق .

(١٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (وساسهم) .

حُجُونِ الجبل . ومياسيس أسواق البُعد عن الرّب . وعرايس تحرم الزينة ، وُود
القرّ ، وثغار النّهم . الأعزّة^(١) على المؤمنين بالباطل . الأذلة^(٢) في أنفسهم بالحق ،
من لا يُحسن المحاولة . ولا يلازم الصّهوة . ولا يحمل السلاح . ولا يُنزّه مجتمع
الحشمة عن الفحشاء ، ولا يُطعم المسكين ، ولا يشعر بوجود الله ، جاروا^(٣) من
سقيهم^(٤) [المحروم]^(٥) ، على مضعوفٍ مُلتفٍ في الحرّم المحصور ، مُحَنفٍ بلُطف
المهد ، مُملٍّ بالخداع ، مسلوب الجراة بأيدي انتهازم ، شؤمٍ على الإسلام .
ومعرة في وجه الدين ، أخذ الله منهم حق الشريعة ، وأنصف أئمة الملة فلم ينشوا
أن تهاشوا ، فُعْضٌ بعضهم ، واستأصلهم البغي ، وألحم لل سيف ، وتفنن القتل ،
فن بين مُجدل ، يُؤارى بأحلاس الدّواب الوبرة^(٦) ، وغريقٍ يُزف^(٧) به إلى
سوء الميئة ، واستُئنت حرمة الله ، واستُضمّ الدين ، واستُبيحت المحرّمات ،
واستُبشّعت الفروج في غير الرّشدة . وساءت في عدوّ الدّين الحيلة ، فتحرّ كناعن
اتفاق من أرباب الفُتيا ، وعزم من أولى الحرية ، ونحريض من أولى الحفيظة والهمة ،
وتدأخر^(٨) من الشوكة ، وتحريك من وراء البحر من الأمة ، فكان ما قد علمتم
من تَسْكِين الثائرة [وإشكا العديم]^(٩) ، وإصمات الصارخ ، وشعب الثأى ،
ومعالجة^(١٠) البلوى ، وتدارك القطر ، وقد أشفى ، وكشف الضرّ والبأسا [أما

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (الغزة) . وفي الملكية (الغزة) . والأولى سبب السياق .

(٢) وردت في «ج» (الأقلة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» داروا .

(٤) وردت في «ج» سقيهم . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» الدبرة . والتصويب من «الملكية» و «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يروف) والأولى أنسب السياق .

(٨) هكذا في «ج» و «الملكية» . والتدأخر تعني هنا الدفع .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .

(١٠) وردت في «ج» (معالجة) والتصويب من «الزيتونة» .

الخبوة فالتسمها . وجَلَّ الرَّب . واستشاط عليها جوُّ السماء [١] . وأما مرافق
البحر ومرافقه . فسَدَّتْ طرقها أساطيلُ الأعداء . وأما الحمية فبدَّدها [٢] فسادُ
السيرة ، وغَمَطَ الحق ، وتفضيل الأذى . وأما المال فاصْطَلَمَ السَّفَهَ بيضاءه وصفراءه ،
وكبس خزائنه حتى وقع الإِدْقَاعُ والإِعدام . وأقوى العامر . وافْتَقَرَتِ المجاني
والمناين ، واغْتَرَبَتِ جفون السيوف من حُلاها . وجردتموه الآلة إلى أعلاها [٣] ،
والدَّغْلُ المُسْتَبْطِنُ [الفاضح] [٤] ، ويمحض الحين ، وأسأمت للدواء
العرصة ، وتخرَّبت الثغور من غير مُدافعة ، واكتُسحت الجهات فلم يُترك بها
نافخ ، ووقع القول ، وحقَّ البُهْت ، وخُذِلَ الناصر ، وتبرَّأت الأواصر ،
فحَاكْنَا العدو إلى النَّصْفَةِ . ولم تَقْرَهُ على الدَّنيَّة ، وبايئناه أُحوجَ ما كُنَّا إلى
كُدْحِهِ ، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرته على الكفار مثله ، اعتزازاً بالله ، وثقةً
به ، ولجأً إليه وتوكلاً عليه ، سبَّحانَه ما أبهرَ قدرته ، وأسرع نُصرته ، وأوجى
أمره ، وأشدَّ قهره . ورَكِبْنَا بحر الخطر ، بجيش [من التجربة] [٥] ونَهَدْنَا
قُدُمًا ، لانهاب [٦] الهول ولا تراقبه ، وأطللنا على أحواز رِيَّة [٧] في الجمع القليل ،
إلا من مدد الصبر المفرد ، إلا من مظاهره الله الغفل ، إلا من زينة الحق المظلل جناح
عقابه يجتاحُ الروح ، تُسدَّ جِياذُه بصهيل العز ، المطالعة غُرَّره بطليعة النصر . فلما أحسَّ
بنا المؤمنون المُطَهَّرُونَ [٨] بساختهم . اتَّزَوْا من عِقال الإيالة الظالمة ، والدَّعوة الفاجرة ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (فشدها) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» علاها .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» . ولكن قد وردت كلمة (الفاضح) في «ج» بعد كلمة (الحين) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وفي «ج» (من تجاربه) .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (هب) والتصويب أرجح .

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أحواز أربه) وهو تحريف . وولاية ريه المذكورة هنا هي

الولاية الأندلسية التي تقع بها مالقة وأحوازها من الشمال والغرب .

(٨) وردت في «ج» (المضطهدون) . والتصويب من «الملكية» وهو أرجح .

وتبرأوا من الشرذمة الغاوية . والطائفة المناصبة لله الحاراية . وأقبلوا ثنّيات
وأفراداً، وزرافات ووحداً. ينظرون بعيون لم تُرو من غيبتنا . من محيّا رحمة،
ولا اكتحلت بمنظر رافّة . ووجوه عليها قسوة الخسف . وإشار عليها بوس
الجهد ، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق، يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى ،
ويجهشون بالبكاء، ويعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرّفناهم الأمان من الأعداء ،
وأول عارفة جعلونا عليهم، وصرفنا وجه التّأمين والتّأنيس ، وجعل الود إلىهم،
وخارطناهم ^(١) الإجهاش والرّقة ، وثبّنا ^(٢) لهم من الذّلة ، واستولينا على دار
الملك بيلدهم ^(٣) . فانزلنا منها أخايث كان الأشقياء مخلّفوهم بها . من أخلاف
لا يزال تظاً لإشارهم الحسود ، وثأف من استكفاهم البهود ، وانثألت علينا
البلاد ، وشمرّ الضاغية ذيله عن الجهات ، وراجع الإسلام رمق ^(٤) الحياة، وحكّنا
السير إلى دار الملك ، وقد فرّ عنها الشقى الغاصب . بشوكة بغيه ، التي أمّدتّه
في الفى ، وأجرّته على حرمة الله ، وقصد دار قشّالة . بكل ماصانت الحقائق
من ذخيرة ، [وحجبت الأثماء من خرزة ثمينة] ^(٥) يتوعدون المسدين بإدالة
الكفر من الإيمان ، واقتياد جيوش الصّلبان ، وشدّ الحيازيم إلى تبديل الأرض
غير الأرض ، وسوم الدّين ، وطمس معالم الحق ، كياداً لرسول الله فى أمته ،
ومناصبه [إله] ^(٦) فى حنيفيته . وتبديلاً لنعمة الله كُفراً . ولمعروف الحقّ تُكرأ،
أصبح ^(٧) له الناس على مثل الرّصف ، يرتقبون إطلال الكريهة ، وسقوط الظّلة ،

(١) وخارطناهم (هكذا فى ج والمملكية) معناها وبكينا بكاء شديداً .

(٢) وثبنا بالتشديد معناها ، أكرمناهم وأقلناهم من الذلة .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» و«المملكية» . وفى «ج» بيلدهم .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» و«المملكية» (الى) والأولى أرجح للسياق .

(٥) هذه العبارة واردة فى «ج» و«المملكية» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٦) وردت فى «ج» (لله) ، وفى «المملكية» (لرسول الله) مرة أخرى . والتصويب أنسب للسياق

(٧) وردت فى «ج» (أصبح) والتصويب من «المملكية» .

وعودة الكرّة ، وعُتِبِي المَعْرَة ، والله من ورائهم مُحِيط ، وبما يعملون مُحِيط ،
ولدعاء للمستضعفين من المؤمنين مُحِيب ، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض
قريب . ولم تُقدم [مذ] ^(١) حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره ،
نناشده العَهْد ، ونُطرى له الوفاء ، ونُناجزه إلى الحق ، ونَقوده إلى حُسْن التلطف ،
إلى الذي نشاء من الأمن ، نخسّم الداء ، واجتث الأعداء ، وناصح الإسلام وهو
أَمَدَا عُدُوهُ ، وحَزَم الدين ، وهو المعطل ^(٢) من أدوايه ، وصارت صُغرى عناية الله
بنا ، التي كانت العُظمى ، واندرجت أولاهها في الأخرى ، وأنت ركائبُ اليُمن
واليُسرين ، تترى ، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصُّعق سدى ولا هباءً عبثاً ،
وأن له فينا خبيثةً غيب ، وسرُّ عناية ، يملُفُّنا إياها ، ويَطوِّقنا طوقها ، لآمانع
لعظايمه ، ولا مُعدِّد لآلايه ، له الحمد على أرضه وسمايه .

فمن اضطردت له هذه العجائب ، فحملته ^(٣) عوايق الاستقامة مزيةً جيوب
التقوى ، كيف لا يتمنى ، ويدين لله بمناصحته ، ويحذر عناد الله بمخالفته ، ويخشى
عاقبة أمره ، إنها لا تعنى الأبصار ، ولكن تعنى القلوب التي في الصدور . قللنا
أظفار المطالبة [واغضينا عن البقية] ^(٤) وسوَّغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة
الإبقاء ، وأقطعنا رَحِم من قطع طاعتنا جانب الصَّفح ، وأذررنا لكثير ممن شحَّ
عنا ولو بالسكامة الطيبة جورة ^(٥) الرزق ، ووهنا ما وجب لنا من الحق ، ودنا له
بكظم الفيظ ، وعمرنا الرُتب بأربابها ، وجردنا الألقاب بعد خرابها ، وقبضنا

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة وبإثباتها يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت محرفة في «ج» (المعطل) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فحمله) . والتصويب أنسب للمعنى .

(٤) وردت في «الزيتونة» و «الملكية» (واغضينا على البقية) . وفي «ج» (واغضينا طرف

التبعية) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة والمقصود بها (الجراية) .

الجباية مُحَمَّلَةٌ كَتَدَ العادة ، مقودة بزمام الرِّفق . مَسْحُوحاً عَظْفُهَا بِكَفٍّ^(١) الطَّوَاعِيَّة .
فَبَلَّغْنَا صَدَأَ الْجَيْشِ الْمَمْطُولِ بِالْأَمَانِي ، الْمَعْلَلِ بِالْكَذِبِ ، الْمُسْتَعْدِمِ فِي الذَّبِّ عَنْ
بِجَائِمِ الْفَحْشَاءِ ، وَمِرَاقِدِ الْعَهْرِ ، وَدَارِينَا الْأَعْدَاءِ ، وَحَسْمِنَا الدَّاءَ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ
وَهُمْ كَارِهُونَ . إِلَّا أَنْ تَلَّكَ الشَّرِّ ذِمَّةَ الْخَيْبَةِ ، أَبْقَتْ جَرَائِمَ نِفَاقٍ ، رَكَّبَهَا أَنْجَحَارَ
الْعَنْدَرِ ، وَبَذَرَ بِهَا حَصِيدُ الشَّرِّ^(٢) ، وَأَخْلَطُوا الْحَقَائِبَ الْأَمِينَةَ مِنْ سَاءِ ظَنِّهِ ، وَخَبِثَ
فِكْرُهُ ، وَظَنَّ أَنَّ الْعِقَابَ لَا يَفْلِتُهُ ، وَالْحَقُّ لَا يَنْدَرُهُ ، وَالسِّيَاسَةَ لَا تَحْفَظُهُ ، فَدَبَّتْ
عَقَارِبُهُمْ ، وَتَدَارَتْ طَوَافِقُهُمْ ، وَتَأَبَّتْ^(٣) فَسَادُهُمْ ، فَدَبَّرُوا أَمْرًا تَبَرَّهَ اللَّهُ تَتْمِيرًا ،
وَأَوْسَعَهُ خَزِينًا وَبِيْلًا ، وَجَعَلُوا يَرْتَادُونَ مِنْ أَذْيَالِ الْقِرَابَةِ ، مَنْ اسْتَخْلَصَهُ الشَّيْطَانُ
وَأَصْحَبَهُ الْخِلْدَانُ ، مَنْ لَا يَصْلِحُ^(٤) لِشَيْءٍ مِنَ الْوُظَائِفِ ، وَلَا يَسْتَقِلُّ^(٥) بَعْضُ الْكُلْفِ .
فَخَرَكُوا مِنْهُمْ زَاهِقًا^(٦) زَمَانَهُ ، مِنْ شَرِّ الدَّوَابِّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ ، فَأَجْرَهُمْ رَسْمُهُ ،
وَتَوَقَّفَ^(٧) وَقْفَةُ الْعَيْنِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ . بِخِلَالِ مَا أَطَامَنَا اللَّهُ طَلْعَ نَيْتِهِ . فَعَا جَلْمَنَا
بِالْقَبْضِ ، وَاسْتَوْدَعَنَا مَصْفِدًا يَبْعُضُ الْأَطْبَاقَ الْبَعِيدَةَ ، وَالْأَجْيَابَ^(٨) الْعَمِيقَةَ ،
فَخَرَجَ أَمْرُهُمْ ، وَخَافُوا أَنْ نَحْتَرِشَ السَّعَايَاتِ ، صَبَابَ مَكْرَهُمْ ، وَتَتَبَعَ نَفَاقَهُمْ ، فَأَقْدَمُوا
إِقْدَامَ الْعِيرِ عَلَى الْأُسْدِ ، اسْتَعْجَلَا لِلْحَيْنِ ، وَرَجَعَا لِحُكْمِ الْخِيَارِ ، وَإِقْدَامًا عَلَى التِّيْ هِيَ
أَشَدُّ ، تَوَلَّى كِبَرَهَا ، وَكَشَفَ وَجْهَهُ فِي مَعْصِيَتِهَا الْخَبِيثِ الْبَرْكِيِّ^(٩) حِلْفَ التَّهْوَرِ
وَالْمُحْرِقِ ، الْمَوَهُ بِالْبَسَالَةِ وَهُوَ الْكَذُوبُ النَّكُوثُ الْفُلُوكُ ، تَحْمَلُنَا هَفْوَتَهُ ، وَتَعْمَدُنَا

(١) وردت في المخطوطين (الكف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (وتبات) . والأولى أنسب

اساق .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (يصح) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» وفي الزيتونة (زهو) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ووقف) .

(٦) وردت في «ج» (والأجبال) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) البركي . وقد سبق أن عرفنا بصاحب هذا الاسم .

بالعلم قديماً وحديثاً زلته ، وأعرضنا فيه عن التصيحة ، وأبقينا له حكم الولاية ،
وأنسنا من نفرتة ، وتماففنا عن غرته . وسوَّغنا الجرائم التي سبقت ، والجراير
التي سلفت ، من إفساد العهد وأسر المسلمين ، والافتيات على الشرع ، والصدوع
بدعوى الجاهلية ، فلم يفده . إلا بطراً ، ولم يزد إلا مكرراً ، والخير في غير أهله
يستحيل شراً ، والنفع ينقلب ضرراً . والتفت عليه طائفة من الخلايق ^(١) بنوغرون
قرناء الجبل والشماسة . وأذنان بيت الإديار ، ونفاية الشرار ، عرك جراثيم مكان
ميرهم البائس . ابن بطرون ^(٢) . الضعيف المنة السقيط الهمة ، الخامل التفصيل
والجثة . وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخيب سعيهم ، فافتحموا البلد صبيحة
يهنفون بالناس أن قد طرقت حمامهم ، وأن العدو قد دكهم ، ملتفتين يرون أنهم في
أذالمة ، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم ، وسرعاتهم ترهقهم ، كأنهم سقطوا من السماء ،
وأروا من بين الحصباء . ثم جالوا في أزقة البلد يتذفون في الصفاح ناراً الجاحب ^(٣)
وكساً فوق الصخر المرصوف ، وخوضاً في الماء غير المزهوف . ثم قصدوا دار الشيخ
البائس بن أحمد بن نصر ، نفاية البيت ، ودودي القوم ، ممسوخ ^(٤) الشكل ، قبيح اللثغ
ساهر الكدر . لإدمان المعاورة ، مزنون ^(٥) بالمعاورة والرَّبت على الكبرة ساقط
الهمة . عديم الدُّين والحشمة . مُنتَمَت ^(٦) في البخل والهلع ، إلى أقصى درجات
الخلّة . مثل في الكنب والهمية ، معيب ^(٧) المثانة . لا يُرق بوله ، ولا يجف
سكبه ^(٨) . فاستخرجوه مُبَايماً في الخلافة . منصوباً بأعلى كرسى الإمامة ، مدعوماً

(١) وردت في المخطوطات المتنوعة (الخلايف) . والتصويب يستقيم المعنى .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ابن بطون .

(٣) في المخطوطات : «ألقى ما تظاير من شرر النار في الهواء من تصادم حجارة أو نحو ذلك .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» وفي «الملكية» (من شيوخ) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (موقوف) . وألفون ، المحقون البول .

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (منتجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (ميب) وفي «الملكية» معيب .

(٨) في «ج» (سلسلة) والتصويب من «الزيتونة» .

بلايدي لكونه قلقاً لا يثبت على الصهوة. مختاراً الحماية البيضة. والعدل في الأمة ،
مفتاً للذب عن الخنيفة السمحة ، وسعدوا به إلى رهوة بإزاء قلعنا ، مُنتترا باب
البنود^(١) ، مستنداً إلى الربض . مطلاً على دار الملك ، قد أقام له رسم الوزارة ابن
مطرون^(٢) الكاري ، الكسح الدوب برسم المسومة ، الحرْدُ ، المهينُ الحجة ،
فحل^(٣) طاحونة الغدر ، وقدر الشوق والخيانة ، واليهودي الشكل والنحل ،
وقرعت حوله طبول الأعراس ، إشادة بخمول أمره ، واستهجان آله . ونُشرت
عليه رايةٌ فال رأيها ، وخاب سعيها ، ودارت به زعنفة من طغام من لا يُعلى ولا
يزيد المكا والصغير من حيله ، وأنبث في سكك البلد مُناديه ، وهتف أولياء
باطله باسمه وكُنيته . وانتجروا مواعيد الشيطان فأخلفت ، ودعوا سحاسير الغرور
فصُمت ، وقدحوا زناد الفتنة فصلدت وما أوارت . ولحين شعُرنا بالحادثة ،
ونظرنا إلى مَرَج الناس ، واتصل بنا ربح الخلاف ، وجهير الخلعان . استعنا بالله وتوكلنا
عليه ، وفوضنا أمرنا إلى خير الناصرين ، وقلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ،
وأنت خير الفاتحين ، واستركبنا الجند . وأذعنا خبرَ العطاء ، وأطلقنا بريح الجهاد ،
ونَقِير الجلال ، وملأنا الأَكْفَ بالسلاح ، وعمرنا الأبراج بالرجال . وقرعنا طبول
الملك ، ونشرنا ألوية الحق ، واستظهرنا [بخالصة الأمراء]^(٤) أولياء الدعوة ،
وخاطبنا فقيه الرِّبْض ، نخبر نخبره ، ونُسبر غَوْره ، فألفيناه متواريّاً في وكره ،
مُرْعياً على دينه ، مُشَقِّقاً من الإخطار برُمّه ، مشيراً بكُمّه . وتفقدا البلد ، فلم ترتب
بأحد من أهله . فلما كُملت البيعة . وفُحِمت الجملة ، أنهدنا الجيش ، ولى أمرنا ،

(١) هو أحد أبواب غرناطة القديمة ، وقد سبق التعريف به .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» ابن بكرون .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (بل) . ونعتقد أن
الأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الملكية» (بخلاصة الأمر) . والأولى
أنسب للسياق .

الذي اتخذناه ظهيراً ؛ واستنبطناه مشيراً ، والترمناه جليساً وصهيراً^(١) . ولم ندخر عنه محلاً أثيراً ، الشيخ الأجل ، أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو ، مُهد الرعب بقدمه ، والسعد في خدمتنا بخدمه ، في جيش كفيف الجملة ، سابع العدة ، مُزاح^(٢) العلة ، وافر الناشية ، أخذ بباب الرَبَض وشُعابه ، ولفّ عليه أطنابه ، وشرع إليه أمله . ولم يكن إلا كلاً ولا . حتى داسه بالسَّنايك ، وتخلّفه بحرُ العوالى ، وبحرى السوايق ، وهو الحى الذى لا يُتوعد ، والمجدُ الذى لا يغرب ، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السلم ؛ واستظلاله بظلال العافية ، لحث^(٣) الفارقة ؛ ووقعت به الرزية^(٤) . وفر الأعداء لأول وهلة ، وأسلموا شقيهم أذلّ من وتد في قاع ، وسلّحفة في أعلى يقاع ، فتقبّض عليه ، وأخذت الخليلُ أعقاب الفدرة أشياعه ، وقيد إلينا يرسف في قيد المهزم : ثعلبان مكيدة ، وشكبة ضلال ومظنة فضيحة ، وأضحكة سمر . فنضرع بين أيدينا ، وأخذته الملامة ، وعلاه^(٥) الخزي ، وألّ إلى المطبق ، حتى نستدعى حكم الله في جرّمه ، ونقتضى الفتيا في جزيّته ، ونختار في أقسام ما عرضه الوحى من قتلته . وهذأت النائرة ، والحمد لله من يومها ، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها ، فالحمد لله الذى أتم نوره ولو كره الكافرون « إن هؤلاء مُتبرّ ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون » . وماذا رابهم منّا ، أصغر الله مُنقلبهم ، وأخزى مرّهم ، واستأصل فلككم . أولاً يقتبى أمر وارثه . ثم عوده إلينا طواعية ، ثم رفعنا وطأة العدو وحرّبه ، ومددنا ظلال

(١) هكذا في «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت بحرفة في «ج» (وسهيرا) .

(٢) وردت في «ج» (قداح) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (المرتبة) وفي «الملكية» (المرتبة) .

والأولى متفقة مع السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و«الملكية» (وجلاه) والأولى أنسب

للسياق .

الأمن دفعة ، وأنفأنا^(١) رَمَقِ الثُّغُورَ، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أَمْنِهِ،
وبلوا من حَيْطَتِهِ^(٢) وتسوَّغاً من هُدْنِهِ، وانسجبت فوق آمالهم وحرِيمهم من عِفَّةٍ.
وأظهر الله علينا من نعمة . ربنا أنك تعلم ما نخفى وما نعلن، وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن
كنا أودنا لجماعتهم شرًّا، وفي دينهم إغماضا، وعن العدل فيهم عدولا، فعاملنا
بحسب ما تبلوه من عقيدنا^(٣)، واستكشفه من خبيثتنا، وإن كنت تعلم صحة
مُناصحتنا لسوادهم؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعى^(٤) صلاحهم،
وتكيف^(٥) آمالهم، فصل لنا عادة صنْعك فيهم، ومسلنا طاعتهم، واهد بنا
جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم، يا أرحم الراحمين .

ولما أسفر صبح هذا الصُّنْع عن حُسن العفو، وأستقر على القى هي أَرْكَى، وظهر
لنا لا تخاف بالله دركا ولا تخشى، وأن سبيل الحق أنجى ومحجَّة أحجى،
خاطبنا كم نجلو^(٦) نعم الله قبلنا^(٧) عليكم، ونُشيد بتقوى الله بنا ديك، وعنايته
لدينا ولديكم، ونهدي طرف صنْعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتبارا،
فزجوا الله وقارا، وتزيدوا يقيناً واستبصارا، وتصفوا العين من اختار لكم
اختيارا . وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله يصل سعدكم، ويمحرس مجدكم . كتب
في كذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صحَّ هذا

(١) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (حيطه) . والأولى

أنسب السياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عقدنا) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وروم) والمؤدى واحد .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلف) . والأولى أنسب السياق .

(٦) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بجلو) وهو تحريف .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (قبلكم) .

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين ومبعمائة

اقتضى نظر الحزم، ورأى الاجتهاد للإسلام، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين، فعظم الأثر، وشهر الذكر، واكتسحت المشية، وألحم السيف. وكان ثغر برغة^(١)، الفائزة به يد الكفرة، لهذه السنين القريبة، قد أهم القلوب، وشغل النفوس، وأضاق الصدور، لانبئات^(٢) مدينة رندة، بحيث لا يخلص العايف، ولا تبلغ الرسالة من الطير وغيرها إلى ناحية العدو^(٣). فوقع العمل على قصده، واستعانة الله عليه، واستنفر لئلازله أهل الجيات الغربية من مالقة ورندة، وما بينهما، ويسر الله في فتحه، بعد قتال شديد، وحرب عظيمة^(٤)، وجهاد شهير، واستولى المسلمون عليه، فامتلات أيديهم أثاثاً وسلاحاً ورياشاً وآلة، وطهرت للحين مساجده، وزينت بكلمة الله مشاهنه [وأنت بالمؤمنين معاهده]^(٥) ورُتبت فيه الحماة والرماة، والفرسان الكماة، واتصلت بفتحة الأيدي، وارتفعت العوايق، وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السبل، والحمد لله. وتوجهت بفتحة الرسائل، وعظمت المنن الجليل، وفرر العدو لهذا العهد عن حصن السهلة، من حصون الحفرة اللويشية، وسد الطريق الماثلة، وذلك كله في العشر الأوسط^(٦) لشعبان من هذا العام. ثم أجلب^(٧) المسلمون في رندة في أخرياته

(١) هكذا في «ج». وفي الزيتونة «بغرة». وهو تحريف. وبرغة بالإسبانية Burgo، وهي تقع شرق رندة.

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (لانتباب). وبالتصويب يستقيم المعنى. والانبئات معناها الانقطاع.

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (وابه من الاعانة مسلما بها للاستباحة) وقد رأينا الاغضاء منها نظرا لاضطرابها وغوضها.

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (عظيم). فاقتضى التصويب.

(٥) الزيادة من «الزيتونة».

(٦) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (الأول).

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ومعناها احتشدوا.

وقصدوا^(١) [باغة وجيرة^(٢)] فاستنزلوا أهلها ، وافتتحوها ، فعمّطت النعمة ، واطرّد الفتح ، واتسعت الجهة .

وكانت مما خطبت به | الجهة المرينية^(٣) من إملأى :

المقام الذى نبشره بالفتح ونحييه ، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه ؛ ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهضه من أغصان [الزهور ونجنيه^(٤)] ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه ، وإعانتهم أهم ما يعنيه . مقام محل أخيننا الذى نعظم قدره ، ولنلتزم برّه . ونعلم سرّه فى مساهمة المسلمين وجهره ؛ السلطان الكذا ، الذى أبقاه [الله^(٥)] فى عمل الجهاد ونيته ، متكفلة بنشر كلمة الله طويته ، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته . معظم جلاله : ومجزل ثنايه ، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادى واعتنايه . أيد الله أمره ، وأعز نصره . سلام [كريم^(٦)] عليكم ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ، واصل سبب الفتوح ، ومجزل مواهب النصر المنوح . ومؤيد الفية القليلة بالملايكة والروح : والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ، الآتى بنور الهدى بين الوضوح الداعى من قبوله ورصوايه إلى المنهل المورود والباب المفتوح ، والرضا

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) ورد مكانها فى «ج» (باعة وعارجير) وفى «الملكية» (باعة وعار واجره) وفى «الزيتونة» (باعث وعار وجيره) . وهذا كله تحريف شديد . والصحيح ما أثبتناه وهو (باغة وجيرة) . وهما حصنان يقعان بين رقدة ومالقة . وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة السلطان الفنى بالله فى شعبان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . (راجع كتابى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة) ص ١٤٨ ..

(٣) المقصود هنا بالجهة المرينية هو بلاط فاس . وكان ملك المغرب يومئذ هو السلطان أبو زيان محمد حفيد السلطان أبي الحسن المرقى ، وقد حكم من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٦٨ هـ .

(٤) وردت فى «ج» (الظهور ونجنيه) . والتصويب من «الملكية» ..

(٥) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

عن الله وأصحابه . أسود الشروح . وحمة^(١) الشروح ، والمقتفين نهجه في جهاد
عبد الله بالعين القارة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالمعز الرفيع الصروح
فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سُبُوح المواهب . ووضوح المناهب ،
وعزة الجانِب ، وظفرة الكتائب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله
واكفة السحاب ، كفيلة بذيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف ،
ويجعل الشهيد دليلاً على الغائب . وإلى هذا وصل الله إعزازكم ، وحرس أخوانكم
وعمر بالحقيقة من أمراد مجازنا ومجازكم . فإننا بادرنّا تعريفكم بما فتح الله علينا من
الثغر العزيز على الإسلام ، العايد رزؤه الفادح على عبادة الأصنام ، وكاب الغارات ،
وممكن حياة المضمرات ، وخيف الطريق السابلة ، والمسارح الآهلة ، حصن برُغّة^(٢)
ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه ، وتطهر من دنس الكفار [وأنيرت
منذنته]^(٣) بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار ، وعجلنا^(٤) ذلك على حين وضعت
الحرب فيه أوزارها ، ووفت الأوتار أوبارها^(٥) ، فصار الكتاب إليكم ، وأجير
الأجر لم يجف عرقه ، وعذر الاستعجال لاجبة طرقة . ولما عدنا إلى حضرتنا ، بعد
ما حصّناه ودمّرناه ، وأجزلنا نظر^(٦) الحزم له وفرقناه . لم تكد البنود لمسرة فتحه
أن تعاد إلى أما كن صونها ، مرتبة عادة الله في عونها ، حتى طرقت الأنباء السارة
بتوالى الصنع وانفراده بشئنيح أفراده ، وذلك أن أهل رُندة حرسها الله ، نافسوا
جيرانهم من أهل مالقة ، كان الله لجميعهم ، وتولى شكر صنيعهم ، فيما كان من امتيازهم

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (حملة) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (حصن أشر) . ولكن من الواضح هنا أنه يقصد حصن
(برغّة) الذي افتتح في هذه الغزوة . أما حصن أشر فقد افتتح في الغزوة التالية حسبما يحى .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (ولإشارة مآذنته) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وجعلنا) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (أوتارها) . والتصويب من «الملكية» .

(٦) وردت في «ج» (نصر) . والتصويب من «الملكية» .

بحصن برغة ، الجار المصائب لها ، فخميت همهم السنية ، وهانت في الله موارد المنية .
وتضافر العمل والنية . وظهر يُبجج المقاصد الدينية في إتاحة الفتوح الحنية ، فوجهوا
نحو حصن وحبر^(١) ، وهو الداين صحر^(٢) المدينة ونحرها . والعدو الذي لا يفر عن
ضرها ، والحية الذكر التي هي مروان^(٣) أمرها ؛ ففتحوه بعون الله وقوته . وتهنؤوا
بعده سلوك الحريق ، وإشاعة الريق ، ومراصد الحرس . ومجلؤ الجرس ، وأنصفوا ،
وانصرفوا إلى حصن باغة ، من مشاهد تلك الحفرة^(٤) ، فناشبهوه القتال . وأذاقوه
الوبال ، وفوقوا إليه الثبال ، ففتحة الله فتحاً هيناً . لم تفت فيه للمسلمين نفس
ولا تطرّق لنصر التيسير لبس ، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليّة ، والمِنن
المتقدّمة والنالية . وأعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرفة^(٥) المراقب ، والطبول إلى
قرعها عملاً من الإشارة بالواجب ، وشكرنا الله على اتصال المواهب ، ووضوح
المذاهب ، وخطبنا مقامكم الذي نرى الصنائع متواترة بنيه الصالحة وقصده ،
ويُعتد في الحرب والسلم بمجده ، علماً بأن هذه المسرات ، نصيبكم منها النصيب
الأوفى ؛ وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى . ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكليات ،
التي تُفتّت كبد العدو تنالها ، وتروع أحوازها وما يليها ، ولا بدّ له من امتعاض
يروم به صرع المعرّة ، ويأبى الله أن ذلك يأتى بالكثرة ، والله يجعلها محرّكات
لخفته المرقوب ، وحينه المجلوب ، ويحقق حق^(٦) القلوب ، في نُصرة المطلوب ،
عرّفناكم بما تريدون عملاً^(٧) بواجب برّكم ، ومعرفةً بقدركم . وما يتزايد نعرفكم
به ، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه والسلام .

(١) هكذا ورد اسمه في «ج» . وفي «الزيتونة» (وصبر) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وحبر) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (مراوات) .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الحفرة) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (المشرفة) والأولى أرجح .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة :

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (علما) والأولى أرجح .

الغزاة إلى حصن أشرف^(١)

وفي أوائل شهر رمضان بعده - عمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشرف . وهو قُفل^(٢) النغر الذي فضّه الطاغية ، وسورها الذي فرغه^(٣) الكفر . وجارحه المخلّقى على البلاد . والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد . فتأذن الله برد مُغتصبه ، والشفا من وَصْبِهِ ، وأحاط به وناصبه الحرب ، ففتحة الله على يده عَفْوَةٌ . على سمو ذروته ، وبعد صيته وشهرته ، واختيار^(٤) الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله ، فاز بعزّة الحمد فيها السلطان ، لمباشرته إياها بنفسه ، وحمل كلّها فوق كاهله ، واتقاد ما تحمّد من الحمية بتحريضه . ثم لما كان بعد الفتح من [استخلاص القصبَة]^(٥) وسدّ ثلمها بيده ، ومصابة جو القيظ عامّة يومه ، فجاز ذكراً جليلاً وحلّ من القلوب محلاً أثيراً ، ورحل منها ، بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة مُتخيرة ، ومن الرّماة بُحلة ، وتخلّف سلاحاً وعدّة ، فكان الفتح على المسلمين ، في هذا المعقل العزيز عليهم جليلاً ، والمنّ من الله جزيلاً ، والصنع كثيراً ، وصدوت المخاطبة للمغرب بذلك ، على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى .

الغزاة المعمّلة إلى أطرية

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، كانت الحركة إلى مدينة أطرية^(٦)

(١) وردت في كل من «ج» و «الزيتونة» (آش) . وهو تحريف . وحصن أشرف يقع على مقربة من أطرية شرق إشبيلية . وقد وقع غزو أطرية عقب ذلك حسبما يحكى . واستولى المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله على حصن أشرف في رمضان سنة ٧٦٧ هـ وقاموا بتحصيله .
(٢) في الزيتونة (قبل) .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (اختبار) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٥) وردت مكان هذه العبارة في «ج» (مواساة الفعلة) . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (مواسات الفتح) . وهي عبارات لا معنى لها . وبالعبارة الموضوعية يستقيم المعنى والسياق .

(٦) أطرية وبالإسبانية Utrera هي مدينة صغيرة تقع جنوب شرق إشبيلية ، وشرق نهر الوادي الكبير .

بفت إشبيلية . و بلدة تلك الناحية الآمنة . مهاد الهدنة البعيدة عن الصّرة . حرك إليها بعد المدى ، وآثرها بمحض الرّدى ، من بين بلاد العدا . ما أسلف به أهلها المسلمين ، من قتل أسراهم في العام قبله . فنازلها السلطان أول رمضان . وناشها الحرب واستباح المدينة وربّضها عنوة . ولجأ أهلها إلى قصبها المنيع . ذات الأبراج المشيدة ، وأخذ القتال بمُخَنَقِهِمْ ، وأعان الزحام على استنزاهم ، فاستنزلوا على حكم المسلمين ، فيما يناهز خمسة ، بما لم يتقدمه عهد ؛ ولا ا كَتَحَلَّتْ به في هذه المدة عين . ولا تلقته عنها أذن ، وامتلات أيدي المسلمين ، بما لم يعلمه إلا الله ، من شقّ الغنائم ، وأنواع الفوائد ، واقتسم الناس السّبي رُما على الأكفال والظهور ، وتقديرا بقدر الرجال ، ومُخَلّا فوق الظهور للفرسان . وعمرانا للسروج والأعضاء بالصّبية ، وبرز الناس إلى ملاقة^(١) السلطان . في هول من العزّ شهر من الفخر ، وبعيد من الصيت ، قرّت له أعينهم ، وقعد لبيعهم أياما تباعا ، وولأبهم البلاد هدايا وتحنّنا والحمد لله [وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي] ^(٢) .

الغزاة إلى فتح جيّان

وفي آخر محرم من عام تسعة^(٣) وستين وسبعمائة ، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيّان ، إحدى دور الملك ، ومدن المعمود ، وكريّة^(٤) الإماره ، ولوان المدن الشهيرة ، افتتحها الله عنوة ، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النّعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدّواب والسّلاح ، ومكّنهم من قتل المُقاتلة . وسبي الذرية ، وتخريب الديار ، ومحو الآثار ، واستنّساف النّعم ، وقطع الأشجار . وهذا الفتح

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (قفول) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هذه الجملة واردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في «الزيتونة» (سبعة) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

خارق . تعالى أن يحيط به النظم والنثر . فذكره أطير . وفخره أشهر . وصدرت في ذلك المخاطبة من إملأني إلى ملك المغرب . وأصاب الخلق عقب القول في هذه الغزاة . مرضٌ وافد . فشا في الناس كافة ، وكانت عاقبته السلامة ؛ وتدارك الله باملفه . فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء ، ومواقف الإطراء . إلى شغل عن ذلك ^(١) .

الغزاة إلى [مدينة] ^(٢) أبدة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام ، كان الغزو إلى مدينة أبدة ، واحتل بظاهرها جيش المسلمين ، وأبلى السلطان في قتالها ، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أوبة . واستعدت بما في الوُسع والقوة ، وكانت ^(٣) الحرب بها مشهورة . وافتتحها المسلمون فاتهبوها . وأعفوا مساكنها العظيمة البناء . وكنائسها العجيبة المرائى ، وألصقوا أسوارها بالترى ، ورأوا من سعة ساحتها ، وبُعد أقطارها ، وضخامة بناها ، ما يُكسب الخبر فيه المرائى ، ويُبدل الأفسار ، ويُحير النهى . والله الحمد على آلايه التي لا تحصى . وقُتل المسلمون عنها ، وقد أخربوها ، بحيث لا تعمُر وباعها ، ولا تأتلف حجورها وجموعها . وصدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشأ بما نصه :

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة ، بطره بن أدفونش بن هيراندة بن شائجه ، وهو الذي تهيأ به الكثير من الصنع للمسلمين ، بمزاحمة أخيه أندريق ^(٤)

(١) وردت بعد ذلك في «ج» العبارة الآتية (العدو إلى مدينة أبدة) . وهي عبارة لا محل لها هنا .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وكان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) سبق أن أوضحنا أن هذا الاسم يقصد به الدوق هنري دى تراسبارا الأخ غير الشرعى الملك بيدرو الثالث (بطره) ملك قشتالة .

في الملك وتضييقه عليه ، [وحياز سبعة]^(١) من كبار أصحابه ، وأهل ملته إليه ،
وافتنار بطره المذكور إلى إماعة المسلمين ، وإجلابهم على من آثر طاعته ضده ،
فانهزم بظاهر حصن مُنتيل ، ومعه عدد من فرسان المسلمين ، ولجأ إلى الحصن
على غير أهبة ولا استعداد ، فأخذ أخوه الذي هزمه بمُخَنَقه ، وأدار على الحصن
البناء ، وفرّ جيشُ المحصور ، فاجتمع فله بأحواز أبدّة ، وراسلوا المسلمين في مظاهرتهم
على استنقاذهم ، فتوجهت الفُتيا بوجوب ذلك . ووقع الاستنفار والاحتشاد
حرصاً على تخليصه ، ليسبّب بقاؤه بقاء الفتنة تستأصل الكفر ، ونشغل^(٢) بعض
العدو ببعضه .

وفي أثناء هذه المحاولة تباطن^(٣) الحائز المحصور بمن معه ، وبعد عليه الخلاص
من ووطته ، ومساهمة المسلمين إياه في محنته ، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته ،
فداخل بعض أمراء أخيه وظُهرائه ، ممن يباشر حصاره ، وكان قومساً شهيراً من
المدد الذي ظاهره . من أهل إفريقية ، ووعد به بكل ما يطعم من مال ومهد ، وتوفية
عهد . فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة . ولما نزل إليه : سجنه ومن لحق به من
الأدلاء [وأولى الحرّة بالأرض]^(٤) وأمسكه ، وقد طير الخبر إلى أخيه ، فأقبل
في شريدة من خواصه وخدّامه ، فهجم عليه وقتله ، وأوسع العفو من [كان]^(٥)
محصوراً معه ، وطير إلى البلاد برأسه ، وأوغر الثّبن^(٦) في جُثته ، ولبس ثياب

(١) وردت في الزيتونة (وحياز من السبعة) وفي «الملكية» (وحياز من أسفه) . وفي
«ج» (من أسط) . وبالنسبة يستقيم السياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاث (واستغل . واشتغل) فاقضى التصويب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) ورد مكانها في «الزيتونة» (وهو) وفي «الملكية» (من هو) . والتصويب أنسب

السياق .

(٦) وردت في «ج» (واوغر تبر) وفي «الزيتونة» (وادغر تبر) وفي «الملكية» (واوغر تبر)

والتصويب يستقيم السياق .

الحزن من أجله . وإن كان معترفاً بالصواب في قتله . وخاطب البلاد التي كانت
 [على] ^(١) مثل البحر من طاعة ، الجاهر ^(٢) بظاهرة المسلمين . وما جرَّ ذلك من
 افتتاح بلادهم ، وتخريب كنياسهم ، والإتيان على نعيمهم ، فأجابته ضربة ، وافقت
 على طاعته ، فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة . واجتمعت
 كلمة النصاري ، ووقع ارتفاع شتاتهم ، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين ، وشاع
 استدعائهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه ^(٣) ، وعدو الأشبونة ،
 والعدو الثقيل الوطاة بإفرائسية . وقد كان الله جل جلاله ، ألهم أهل البصائر النظر
 في العواقب ، والفكر فيما بعد اليوم أعمل . ووقع لي إذن السلطان ، المتخلي بيني
 وبين النصائح ، في مخاطبة سلطان النصاري المنكوب لهذا العهد ، فأشرت عليه
 بالاحتراز من قومه ، والتفطن لمساكيد من يحطَّب في حبل أخيه ، وأريته اتخاذ
 معقل يحرز ولده وذخيرته ، ويكون له به الخيار على دهره ^(٤) ، واستظهرت ^(٥) له
 على ذلك بالحكايات المندولة ، والتواريخ المعروفة ، لتتصل الفتنة بأرضهم . فقبل
 الإشارة وشكر النصيحة ، واختار لذلك مدينة قرمونة ، المختصة بالحوار المكتسب ،
 من دار ملئهم إشبيلية ، فشيّد هضابها ، وحصّن أسوارها ، وملأها بالخازن طعاماً
 وعدّة ، واستكثر من الآلات ، واستظهر عليها بالثقات ، ونقل إليها المال والذخيرة ،
 وسجن بهارها أكابر إشبيلية ، وأسرى المسلمين ، وبالف في ذلك ، فيما لا غاية
 وراءه ولا مطمع ، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه ، حتى تركها عدّة
 خلفه ، وأودع بها ولده وأهله ، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهذنة ^(٦)

(١) هذه الكلمة لازمة لاستقامة السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (الجابر) . والتصويب أرجح .

(٣) هي مدينة برشونة شاصمة بملكة أراجون وقتئذ .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . وفي «الزيتونة» (ظهره) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (استطرت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وردت في «ج» وفي «الملكية» (معدنة) والأولى أنسب للسياق .

ضده. ولا يقر أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالنحل على شهبه، ولجأوا إلى المسلمين، فبغض عليهم الكرة والفتح بقاء هذا الشئجي، المعترض في حلقه، وأهمه تغيير أمره، وجمع به الماسمون لأجله. وأظهروا لمن انحاز بقرمونة. الامتسك بهم، فعظم الخرق، وأظهر الله نوح الحيلة. وصدق [بها] ^(١) المخبلة، وتفتت الأمر. وتمدت ^(٢) نار ذلك الإرجاف. واشتغل الطاغية بقرمونة، بخلال ماخوطب به صاحب الأرض الكبيرة ^(٣)، فطمعه في المظاهرة. وتحطّب له ملك قشتالة. وعقد السلم مع صاحب برطغال ^(٤) والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم. وخرجت عليهم الخوارج. فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة. وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أحوازها. وجعل الخصاص موجهة قرمونة. وانصرف إلى سد الفتوق التي عليه بلطف الحيلة. ببواطن أرضه وأحشاء عماله، وصار في ملكه أشغل من ذات الشحين. [فساغ الرقيق] ^(٥). وأمكن العذر، واتهمز الفرقة. واسترقت الحركة ^(٦). فكانت إلى حصن منبيل والحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبعائة. ثم إلى ثغر روضة. ففتحها الله [عن] ^(٧) جهنم كبير، واتصل به حصن زمرة ^(٨). فأمن الإسلام عادية العدو بملك الناحية، وكبس أهل رندة. بإيعاز من السلطان إليها. وإلى من بالجبل. جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشتور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضاً.

-
- (١) الزيادة من الزيتونة.
 - (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخمد). وبالتصويب يستقيم السياق.
 - (٣) الأرض الكبيرة هي فرنسا.
 - (٤) هكذا وردت في «ج»، وفي «الملكية» و «الزيتونة» (برتقال).
 - (٥) واردة في «ج» و «الملكية»، وساقطة في «الزيتونة».
 - (٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (الحركات) والتصويب أنسب السياق.
 - (٧) الزيادة من «الزيتونة».
 - (٨) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (حصن مرة).

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء ، باب الأندلس . وبكرُ الفتح الأول ، فكانت الحركة إليها شهر ذى الحجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصه :

معاشر المساهين المجاهدين . وأولى الكفاية عن ذوى الأعدار من القاعدين .
أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين . وجعلكم في سوى الأجر والفخر من الزاهدين ،
إعادهوا رحمكم الله . أن الإيلاء بالأندلس : ساكن دار . والجزيرة الخضراء بابهُ ،
ومُبعد مغار ، والجزيرة الخضراء رِكابه . فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث
أسبابه ، ونفّرتة على أعدائه وأعداء الله أحبابه . ولم يشك العدو الكافر الذى
استباحها ، وطَمَسَ بظُلْمَةِ الكفر صباحها^(١) . على أثر اغتصابها . واسوداد الوجوه
المؤمنة لمصابها ، وتبديل محاربها . وعلق أصله الخبيث في طيّب ثرائها ، أن صريع
الدين الخفيف بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يفوم . بعد أن فرى الخلقوم .
وأن الباقي رمق يذهب . وقد سُدَّ إلى التدارك المذهب . لولا أن الله دفع الفارقة
وَوَقَّاهَا . وَحَفِظَ الْمَسْكَنَةَ^(٢) . واستبقاها . وإن كان الجبل^(٣) عصمه الله نعم البقية .
وبمكائه حَفَّتِ التقيّة ، فحسبك من مصراع باب بُنِعَ بثانيه ، ومُضايق جوارِ حيل
بينه وبين أمانيه . والآن ياعباد الله قد أمكنكم الانتهاز ، فلا تُضَيِّعُوا الفرصة ،
وفترَ الْمُخَنَّقِ فلا [نَسُوغُهُ غَضَّة]^(٤) . وأعمروا البواطن بحميّة الأحرار ،
وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار . وانظروا للعون من الذراري والآبكار ،
والنشأة الصغار ، زُغِبَ الحواصل في الآكوار ، والدين المنتشر بهذه الأقطار ،

(١) وردت في المخطوطات الثلاث (صاحبها) وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح أو جبل طارق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، ووردت في «ج» وفي «الملكية» (تسوها) .

واعملوا للعواقب، تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضماير، يُبَلِّغُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَمَلَكُمْ،
فَاعْزُرْ مِنْ سَلَمٍ فِي بَابٍ وَكُرْهُ. وماذا ينتظر من أذعن السكيد عدوه ومكره. من
هذه الفُرْضة. دخل الإسلام تروُّع أسوده. ومن هذه الجهة طلع [الفتح الأول] (١)
تَحْفَقُ بِمُودِهِ، ومنها تقهجم الضير الغريب. إذا رامت الجواز وفوده، فيبصر
بها صافات والدليل يقوده. الباب المسدود يعابد الله فافتحوه، وجه النصر تجلّي
يعابد الله فلمحوه، الداء العضال يعابد الله فاستأصلوه، حبّل الله يارجل الله قد
انقطع فصوله. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تختبر الهتم العالية،
في مثلها تُشهر (٢) العقائد الوثيقة، وتُدسّ الأحباس العريقة، فنضّر الله وجهه من
نظر إلى قلبه، وقد امتلأته (٣) حمية الدين، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا
مُتَهَلِّلُ الْجَبِينِ.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي
الذي أوفدت (٤) من خصوص الرّحمت وأجزلت، وبكل نبي (٥) ركن لوجهك
الكريم وسجد، وبكل ولي [سده من إمدادك كما وجد] (٦). ألا ما ركذت
علينا ضالّتنا الشاردة، وهنّا تنا بفتحها [من] (٧) نعمك الواردة، يأسجل المآرب
العسرة، ياجبر القلوب المنكسرة، ياولى الأمة الغريبة، يأمّنزل الآثاف القريبة،
اجعل لنا من ملايكة نصرك مدداً، وانجز لنا من تمام نورك الحق موعداً. وبنا
آتيناً من لدنك رحمةً، وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الملكية» (الفتوح الأولى).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» و «الملكية» (تشر) وهو تحريف.

(٣) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ووردت في الملكية (أملته).

(٤) وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و (فدت). والتصويب أرجح.

(٥) هكذا في «ج». وفي الملكية (ولى).

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الملكية» و «الزيتونة».

(٧) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

فوقع الانفعال ، وانتشرت الحمية ، وجُهزت الأساطيل . وكانت مُنازلاتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وعاطاها المسلمون الحرب ، فدُخِلت البنية^(١) وهي المدينة الملاصقة لها عنوة ، قتل بها من الفرسان الدائرة عِدَّة ، وصُرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى . فرأوا من أمر الله ، ما لا طاقة لهم به ، وخذلهم الله جلّ جلاله ، على مَنَمَةِ الأسوار [وبُعد مهاوى الأغوار ، وكثرة المدّ والمُدَد]^(٢) . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، السعيد على المسلمين ، في العيد^(٣) والسرور ، [برُد الدين]^(٤) . والله الحمد على آلايه ، وتوالت نعمه وإرغام أعدايه .

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة ، أعمل الحركة إلى أخواز إشبيلية دار الملك ، وحمل الشوكة الحادّة ، وبها نايبُ سلطان النصارى . في الجمع الخشن من أنجاد فرسانهم ، وقد عظم التضيق ببلدة قَرْمُونَة ، المنفردة بالانزواء على ملك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة^(٥) ، ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات . فسكان الانتقال قُدماً إلى مدينة مُرشانة^(٦) [وقد أحرقوا بها]^(٧) . وبها العُدَّة والعديد من الفرسان الصناديد : ففتحها الله سبحانه ، إلا

(١) البنية وبالإسبانية La Pena هي بلدة صغير تقع على المحيط غربي مدينة الجزيرة الخضراء وشمال مدينة طريف .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (العديد) .

(٤) هاتان الكلمتان واردتان فقط في «ج» .

(٥) أشونة وبالإسبانية Osona بلدة تقع جنوب شرق إشبيلية ، على مقربة من شرق مدينة مورور .

(٦) مرشنة وبالإسبانية Marchena بلدة تقع جنوب شرق ترمونة وإشبيلية . وشمال مورور .

(٧) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وقد أحدث إبنها) . وهو فيما يبدو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

القَصبة ، واستولى المسلمون فيها ، وفي جارتها . من الدواب والآلات على ما [لا] (١) يأخذه الحَصْر . وقتل الكثير من مُقاتلتها . وعمَّ جميعها العَدَم والإحراق . ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ، ما ثَقُلَهُ أَظْهُرُ (٢) . مراكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة ، وانحطاط الأسعار . وأوجب الغلاء في أرض الكفار ، وقفل والحمد لله في عزٍّ وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النشبية (٣) ، الميمون الطلوع والحيية

المقترن بالعافية . منقولاً من تهليل نشأته المباركة . وحِرْز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الإثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قُلْتُ : ووافقه من التاريخ الأعجمي [رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين] (٤) لتاريخ الصفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيودا وبطليموس ، أن يكون الطالع بـرج (٥) القمر ، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الإثنين المذكورة . والطالع من بُرج الشُّبُلَة ، خمس عشرة درجة . وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظهور) .

(٣) وردت في «ج» . و «الملكية» (النشبة) ونعتقد أن كلمة (النشبة) ومعناها النشأة

أنسب للتوافق .

(٤) إن هذا التاريخ الميلادي الذي يورده ابن الخطيب (وهو : يناير سنة ١٣٧٧ م مقابل التاريخ الهجري لمولد السلطان الغني بالله وهو (٢٢ جمادى الثانية سنة ٧٣٩ هـ) ينطوي على خطأ حسابي بين . والحقيقة أن مقابل التاريخ الهجري المذكور بالميلادي هو ٢١ يناير سنة ١٣٣٨ م .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (بدرج) والأولى أرجح .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس
ابن نصر بن قيس الخرزجي الأنصاري

من ولد سعد بن عبادة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن سليمان
ابن حارثة [بن خليفة] (١) بن ثعلبة (٢) بن طريف بن الخرزج بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هَمَيْسَع بن يُمَيْن بن نَبْت بن إسماعيل
ابن إبراهيم، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم. أمير المسلمين بالأندلس ودايلها
[وخدمة النُصَريين بها] (٣)، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله.

أوليته

وقد اشتهر عند كثير من عُي بالآخبار أن هذا البيت النُصري من ذرية
سعد بن عبادة سيد الخرزج. وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصنف الناس
في اتصال نسبهم [بقيس بن سعد بن عبادة] (٣) غير ما تصنيف. وأقوى ما ذكر،
قول الرأزي: دخل الأندلس [من ذرية] (٤) سعد بن عبادة وجلان، نزل أحدهما
أوض تاكرونا (٥) [ونزل] (٦) الآخر قرية من قرى (٧) سقرسطونة (٨) تعرف بقرية

-
- (١) وردت هذه الزيادة في «ج» وفي «الملكية»، ولم ترد في «الزيتونة».
- (٢) وردت هذه العبارة في «ج» فقط. (وخدم . . الخ) وهي تؤدي معناها بتصحيح الكلمة الأولى. والخدمة هي الحلقة المحكمة.
- (٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بسعد بن عبادة).
- (٤) هذه الزيادة من «الزيتونة».
- (٥) يطلق هذا الاسم أحياناً على منطقة رندة.
- (٦) الزيادة من «الزيتونة».
- (٧) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». وفي «ج» (نظر).
- (٨) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». ووردت في «ج» (سقرسطة). ونحن نعتقد أنه لا مجال هنا للذكر سقرسطة التي تقع بعيداً في الشمال، وما يلي يدل على أن سقرسطونة — وإن لم نثر على مكان بهذا الاسم — إنما يقصد بها مكان يقع في منطقة جيان.

الخزرج ، وتشأ بأحواز أرجونة^(١) من كنبانية^(٢) قرطبة ، أطيب البلاد مدرة ، وأوفرها غلة ، وهو بلد ، وبلد جدّه ، في ظل نعمة ، وعلاج فلاحية ، وبين يدي تجدة وشهرة ، بحيث اقتضى ذلك ، أن يفيض شريان الرياسة ، وانطوت أفكاره على نيل الإجارة [وراه مرتادوا كفاء الدول أهلا . فقدحوا رغبته ، وأثاروا طامعه]^(٣) .

حدث شيخنا الكاتب الشاعر - محمد بن محمد بن عبد الله اللوشى اليعصبى ، وقد أخبرنى [أنه كان يوجد] بمدينة جيان [رجل] من أهل المالئة^(٤) ، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل . على عادة أولى المالئة . وكان له من أهل الثغور ، من ارتباط الخيل ، والتنافس في إعداد القوة . وشهرت هذه الفرس . في تلك الناحية ، وبعت الطاغية ملك الروم في ابتياعها ، فعلمت بها كفو هذا الرجل ، وآثر بها نفسه ، وازداد غبطة بها لديه ، ورأى في النوم قايل يقول له : سر إلى أرجونة ، بفرسك ، وابحث عن رجل اسمه كذا ، وصفته^(٥) كذا . فاعطه إياها^(٦) ، فإنه سيملك جياناً وسواها ، ينتفع بها عقبك . وأرجى الأمر . فعرض عليه ثانية ، وحث في ذلك في الثالثة ، فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها . فقال له المخبّر ، وكان يعرف بابن يعيش ، فوصفه له ، فتوجه العقبة إلى أرجونة ، ونزل بها ، وتسوّم مع به ،

(١) أرجونة بلدة من بلاد ولاية جيان تقع ، في جنوب غربى أندوجر ، على مقربة من نهر الوادى الكبير وبالإسبانية Arjona .

(٢) يقصد بكلمة كنبانية هنا ، السهل المنبسط من الأرض ، وهى مأخوذة من كلمة Campo الإسبانية ومعناها الحقل .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المانية) والأولى أنسب السياق . ويبدو أنه قد شطبت من هذه العبارة بعض كلمات . وربما كان تركيب العبارة كلها كالاتى (وقد أخبرنى أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالئة) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (ونعته) والمؤدى واحد .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (إياه) . فلزم التصويب .

وأقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه . فذكر غرضه فيه ، وأظهر العجز عن الثمن ، وسأل منه تأخير بعضه ، فأسمعه ، واشترى منه الفرس ، بمال له خطر . فلما كمل له القصد ، طلب منه انخلوة به في المسجد من الحصن ، وخرج له عن الأمر . وأعطاه بيئته ، وصرف عليه الثمن . واستكتمه السلطان خيفة على نفسه وانصرف إلى بلده .

قال : وفي العام بعده ، دعا إلى نفسه بأرجونة ، وتملك مدينة جيان . واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فقليل إن بعض العمال ، أساء معاملته في حق مخزني ، وقيل غير ذلك .

حاله

هذا الرجل كان آية من آيات الله في السداجة والسلامة والنجهورية ، جندياً ، ثغرياً شهماً ، أيداً ، عظيم التجلد ، رافضاً للدعة والراحة ، مؤثراً للتقشف ، والاجترأ باليسير ، متبلفاً بالقليل . بعيداً عن التصنع ، جافى السلاح ، شديد العزم ، مرهوب الإقدام ، عظيم التثمير ، [مقرياً لضيفه] ^(١) ، مضطماً لأهل بيته ، فظلاً في طلب حظّه ، محمياً لقربته وأقرانه وجيرانه . مباشراً للحروب بنفسه ، تتغالى الحكمة في سلاحه ، وزينة دُبُوره ^(٢) . يخصف النعل ، ويلبس الخشن ، ويؤثر البداوة ، ويستشعر الجلد في أموره . سعد بيوم الجمعة ، وكان فيه تملكه جيان ، ثم حضرة الملك غرناطة ، وقيل يوم قيامه ، شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة ، ومنابهم إلى اليوم . وتملك مدينة إشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره ، وهو عام تسعة وعشرين وستمائة نحواً من ثلاثين يوماً . وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور ، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود .

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

ولما تم له القصد من تلك البَيْضَة، والحصول على الْعَمَالِ، مباشرةً للحسابات بنفسه، فتوفر ماله، وعُصَّتْ بالصامت خزائنه، وعقد السِّلْم الكبير، وتهنأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم^(١) الأهواء. وملاً^(٢) بطن الجبل المتصل بالقلعة حبوباً مختلفة. وخزائن دَرَّة. وملاً وسلاحاً وارية^(٣) ظهراً. وكُرَاعاً. فوجد فائدة استعدادة، ولجأ إلى ما أذخره من عتاده.

سـيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالمُدَوَّة وإفريقية، يَحْطُب لهم زماناً يسيراً. وتوصل بسبب ذلك إلى أمدادٍ منهم وإعانة. [ولقب ما]^(٤) افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حذو سميه ابن هُود، لِلهَج العامة في وقته، بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً، يومين في كل أسبوع، فترفع إليه الظالمات، ويُشافِه طالب الحاجات، وتنشده الشعراء. وتدخل إليه الوفود، ويُشافِه أرباب النصائح في مجلس اختصَّ به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة. وأولى الرتب التَّبِيهية في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصَّحِيحِينَ، ويختم بأعشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره^(٥) فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك. ويؤا كل بالعشِّيَّات خاصته من القرابة؛ ومن^(٦) يليهم من نُباه القوَّاد.

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور، محمداً ولئى عهده، وأمير المسلمين على أثره، والأميرين

- (١) كذا في «ج» و«الزيتونة». ومعناها هنا: سكن.
- (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وملك) وهو تحريف. وبالتصويب يستقيم السياق.
- (٣) وردت في «ج» و«الزيتونة» (وراية) والتصويب من «الملكية».
- (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ومعناها هنا، وقبل ذلك.
- (٥) وردت في «ج» و«الزيتونة» (أمره) وبالتصويب يستقيم السياق.
- (٦) وردت في «ج» و«الزيتونة» (ما). وبالتصويب أرجح.

أبا سعيد فرج . وأبا الحجاج يوسف : توفيا على حياته : حسبما يتقرر بعد
إن شاء الله .

وزراء دولته

وزر له جماعة . الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد^(١) زعيم قاعدة
جيان ، وهو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة . واستوزر على بن إبراهيم
الشيباني من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى الدّماء والوقار . واستوزر
الرئيس أبا عبد الله بن الرئيس أبي عبد الله الرّيمى . واستوزر الوزير أبا يحيى
ابن السكّات من أهل حضرته . وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم .

كُتّابه

كتب له من الجلة جماعة . كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن على بن محمد
ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى . ولما توفى كتب عنه ولده ، أبو بكر بن محمد .
هؤلاء مشاهير كُتّابه . ومن المرءوسين^(٢) أعلام كآبى بكر بن خطاب وغيره .

قضائه

ولى له قضاء^(٣) الجماعة . القاضى العالم الشير ، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن
ابن ربيع الأشعرى ، من جلة أهل الأندلس فى كبر البيت ، وجلالة المنصب ،
وغزارة العلم . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل
ابن غالب الأنصارى الخزرجى . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(١) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (ابن صناديد) وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المدرسين) وهو تحريف .

(٣) وردت فى «ج» (قاضى) والتصويب من «الزيتونة» .

ابن عبد السلام التميمي . وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة ، وآخر قضية العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده [الفقيه] ^(١) القاضي الحسيب أبو عبد الله بن أضحى ، وبينه شهير ، [ولم تطل مدته] ^(٢) . وولى بعده آخر قضائه أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي الملقب بالأشبرون .

الملوك على عهده

بمراً كُش المأمون إدريس ، مأمون الموحدين ، مُزاحماً بأبي زكريا يحيى ابن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل . ولما توفى المأمون ولي الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستماية ، وولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى ، إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دُبُوس في عام خمسة وستين . وولى بعده يسيراً بنو عامر بن علي بمراكش ^(٣) ، وتعاقب منهم على عهده جلة ، كالأمير عثمان وابنه حمو ، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق . واستمر الملك في أسن أملاكهم ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن يحيى إلى آخر أيامه .

وبتلمسان . شبيهه يغمراسن بن زيان أول ملوكهم ، وتقدمه أخوه أكبر منه برهة . ويغمراسن [أول من] ^(٤) أثلى الملك ، وحاز الذكر ، واستحق الشهرة . وبتونس ، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وخاطبه السلطان المترجم به ، والتمس رِفْدَه ، وقد حصل على إعانته ، وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله ، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (مراكش) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في «ج» وفي «الزيتونة» . وبإثباتها يستقيم السياق .

وبقشالة هِراندة^(١) بن أُلْمُنْشَة بن شَانْجِه الإِنْبَرَطُور . وهراندة هذا هو الذى ملك قرطبة وإشبيلية ، ولما هلك ولى بعده أُلْمُنْش^(٢) ولده ثلاثاً وثلاثين سنة ، واستمر ملكه مدة ولايته . وصدرًا من دولة ولده بعده .
وبرغون جايش ابن بَطْرُه ابن أُلْمُنْش قُط بَرَجْلُونِه . وجايش هذا هو الذى ملك بَلَنْسِيَة^(٣) ، وصيرها دار ملكه^(٤) من يد أبى جميل زِيان ابن مَرْدَنِيش .

لمع من أخباره

قام ابن أبى خالد بدعوته بقرناطة ، كما ذكر فى اسمه ، ودعاه وهو بجِيَّان - فبادر إليها فى أخريات رمضان من عام خمس وثلاثين وستائة ، بعد أن بعث إليه المَلَأ من أهلها ببيعتهم مع وجلين من مشيختهم . أبى بكر الكاتب ، وأبى جعفر التَّيْزولى .

قال ابن عَدَّار فى تاريخه ، أَقْبَلَ ومازِيَه بفاخر ، ونزل عَشَى اليوم الذى وصل بخارج غَرْنَاطَة . على أن يدخلها من الغد ، ثم بداله فدخلها عند غروب الشمس ، نظرًا للحزم .

(١) المقصود بهرانة هنا ، هو فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون (١٢١٧ - ١٢٥٢ م) ، وهو الذى استولى على قرطبة فى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وإشبيلية سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ، واستولى كذلك على جِيَّان وغيرها من القواعد الأندلسية . وهو يعتبر من أعظم ملوك اسبانيا النصرانية . وقد أسبغت عليه صفة القداسة ، ولقب بفرناندو المقدس (سان فرناندو) .

(٢) هو ألفونسو العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم El Sabio . حكم قشتالة عقب وفاة أبيه فرناندو فى سنة ١٢٥٢ ، واستمر فى حكمها حتى سنة ١٢٨٢ م ، ثم ثار عليه ولده سانشو وانزع منه العرش ، وتوفى مخلوعاً مبنوداً فى سنة ١٢٨٤ م .

(٣) جايش المشار إليه هنا ، هو خيايمى الأول ابن بيدرو الثانى ملك أراجون . تولى الملك بعد وفاة أبيه حدثاً فى سنة ١٢١٣ م . وهو الذى افتتح الجزائر الشرقية من أيدي المسلمين (١٢٣٢ م) . ثم افتتح ثغر بلنسية فى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ومرسية سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وتوفى بعد حكم طويل سنة ١٢٧٦ م . ويلقب بخيايمى الفاتح .

(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الملكية» (سلطانه) . والمعنى واحد .

وحدث أبو محمد البسطى قال . طابته يوم دخوله وعليه شاشية^(١) ملف مضلعة أكتافها مخرقة ، وعند ما نزل بباب جامع القصبه ، كان مؤذن المغرب في الخيلة ، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادى قد غاب . فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب ، وصلى بهم ، على هيئته تلك ، بفاتحة الكتاب . « وإذا جاء نصر الله والفتح » . والثانية بقول هو الله أحد . ثم وصل قصر باديس . والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم ، الذي طاحت^(٢) في شروطه جيان . [وكان]^(٣) واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته ، المختص بمحصن بليس^(٤) على بريد من الحضرة . وكان الفتح عظيما . ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيعابه . وفي حدود اثنين وستين وستمائة [صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم]^(٥) . وعقد البيعة لولى عهده ، واستدعى القبائل للجهاد .

مولده

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأرجونة ، عام الأرك^(٦) .

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (شاية) فلزم التصويب .
 - (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (طاحت) . والتصويب أنسب لاستقامة السياق .
 - (٣) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .
 - (٤) هكذا في « ج » . وفي « الزيتونة » بليس .
 - (٥) وردت هذه العبارة في « الملكية » فقط .
 - (٦) وردت (الأركة) في « ج » و « الملكية » . وهو تحريف ظاهر . وقد وهم ابن الخطيب في ذكر تاريخ موقعة الأرك ، إذ ذكر أنه سنة ٥٩٥ هـ . والحقيقة أن معركة الأرك وقعت في سنة ٥٩١ هـ (١٩٥ م) بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور ، والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ، وأحرز فيها الموحدون نصرهم الباهر . والأرك بالإسبانية Alarcos . وهي تقع على مقربة من مدينة (ثيوداد ريال) . وسرى فيما بعد أن هذا التاريخ سوف يصحح وذلك بتصحيح تاريخ مولد ابن الأحمر وهو سنة ٥٩١ هـ .

وفاته

في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستمائة ، وَرَدَ عليه وقد سنّ . جملة من كُتِّبَ^(١) الرُّعايم ، يقودون جيشاً من أتباعهم ، فبرز إلى لقاءهم بظاهر حَضْرَتِهِ ، ولما كَرَّ آيئاً إلى قصره . سقط ببعض طريقه ، وخامره خَصَرٌ ، [وهر] ^(٢) راكب ، وأردفه بعض مماليكه ، واسمه صابر الكبير ، وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية المذكورة ، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة^(٣) ، وعلى قبره اليوم منقوش :

« هذا قبر السلطان الأعلى ، عزّ الإسلام : جمال الأنام ، فخر الليالي والأيام ، غياث الأئمة ، غيث الرحمة ، قطب الملة ، نور الشريعة ، حامى السنة ، سيف الحق ، كافل الخلق ، أسد الهيجاء ، رحام الأعداء . قوام الأمور ، ضابط الثغور ، كاسر الجيوش ، قاصع الطغاة ، قاهر الكفرة والبغاة ، أمير المؤمنين^(٤) ، علم المهتدين ، قدوة المتقين ، عصمة الدين ، شرف الملوك والسلطين ، الغالب بالله ، المجاهد في سبيل الله ، أمير المسلمين ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأثناصري ، رفعه الله إلى أعلى عليين ، وألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولد رضى الله عنه ، وأتاه رحمة من لدنه . عام أحد وتسعين وخمسمائة^(٥) ، وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين [من رمضان

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) أثبتناها ليستقيم السياق .

(٣) هو السهل المنبسط الذى تشرف عليه الحبراء من الناحية الشرقية .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (المسلمين) ، وهو لقب يقصد به هنا التكريم فقط . ويلاحظ كذلك أنه يرد لقب (أمير المسلمين) فيما بعد .

(٥) هذا هو التاريخ الحقيقى لمولد محمد بن الأحمر ، وليس ما ذكره ابن الخطيب من قبل وهو سنة ٥٩٥ هـ . وهذا التاريخ الصحيح لمولد ابن الأحمر ، يوافق تاريخ موقعة الأرك .

عام خمسة وثلاثين^(١) وستماية ، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستماية ، فسبحان من لا يفنى سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، ولا ينقضى زمانه ، لا آله الا هو الرحمن الرحيم .

ومن جهة أخرى :

قبر الإمام الهمام الطاهر العلم	هذا محل العلى والمجد والكرم
ومن شيم علوية الشيم	لله ما ضم هذا اللحد من شرف
لا بأس عنترة ولا ندى هرم	بالجود والباس ما تحوى صفايحه
نخر الملوك الكريم الذات والشيم	مغنى الكرامة والرضوان يعهده
كالغيث في مجد وكالليث في أجم	مقامه في كلا يومى ندى ووغى
تقر بالحق فيها جملة الأمم	مآثر تليت آثارها سـ وراً
تضيق عنه بلاد العرب والعجم	كأنه لم يسر في محفل لجبـ
يفتر منها الهدى عن نغر مبتسم	ولم يباد ^(٢) العدا منه ببادرة
لا تشرب الماء إلا من قليب دمـ	ولم يجهز لهم خيلاً ^(٣) مضرة
تأوى رعيته منه إلى حرّم	ولم يقيم حكم عدل في سياسته
وما حواه لدين لله من حرّم	من كان يجهل ما أولاه ^(٤) من نعم
أبدى وأوضح من نار على علم	فتلك آثاره في كل مكرمة
سحائب الرحمة الوكافة ^(٥) الدّيم	لا زال تهيم على قبر تضمّنه

(١) أضفنا هذه العبارة من عندنا ليستقيم السياق .

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يقاد) والتصويب أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت في «ج» وفى «الزيتونة» (جيشا) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» (لولاة) . وهو تحريف .

(٥) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» الواكفة ، وهو لا يستقيم مع الوزن

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن
أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، المنصور بن أبي عامر

مُعْظَمُ الظَّفَر ، وَخِذَن السَّعْد ، وَمَلَقَى عُيَيْبُ الْجَدِ وَجُوهُ دِيَالِ^(١) الشَّهْرَةِ ،
وَدِيَوَانُ فَنُونِ السِّيَاسَةِ ، وَحِجَابُ الدَّوْلَةِ الْعَبْشِيَّةِ^(٢) ، فِي التَّخْوِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ ،
الْمَزَى^(٣) بِالظَّرْفِ وَكِلَالِ السَّجِيَّةِ ، وَالْجِهَادِ الْعَظِيمِ ، الْعَرِيقِ^(٤) فِي مَجْبُوحَةِ بِلَادِ
الْكَفَارِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أُولَيْتُهُ

دَخَلَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَنْدَلُسِيُّ مَعَ طَارِقِ [مَوْلَى] ^(٥) مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ
فِي أَوَّلِ الدَّخَالِينَ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ لَهُ فِي فَتْحِهَا أَثَرٌ جَمِيلٌ . وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ
مَادِحُهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانٍ :

وَكُلُّ عَدُوٍّ أَنْتَ تَهْزِمُ^(٦) عَرْشُهُ وَكُلُّ فُتُوْحٍ عَنْكَ يَفْتَحُ بِأَيْهَا
بِرَأْيِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ حَلَا فُتُوحٌ قَرْطُبَةً وَاتِّهَا بِهَا
وَنَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجَرِيرَةُ الْخَضِرَاءُ لِأَوَّلِ الْفَتْحِ ، فَسَادَ أَهْلُهَا ، وَكَثُرَ عَقِبُهُ
بِهَا ، وَتَكَرَّرَتْ فِيهِمُ النَّبَاهَةُ ، وَجَاوَرُوا الْخُلَفَاءَ بِقَرْطُبَةٍ . وَكَانَ وَالِدُ مُحَمَّدٍ هَذَا ،

(١) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (رناج) وهو تحريف .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأوبية) . والعشمية من أوصاف الدولة
الأموية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمزى أى الفائق للامع .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (العريقة) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (تهدم) . والتصويب من «الزيتونة» .

من أهل الدين والعفاف والزهد في [الدنيا]^(١) والقعود عن السلطان . سمع الحديث . وأدّى الفريضة . ومات منعرفاً عن الحج بإطرابلس .

حاله

كان هذا الرجل بسكر الدهر . وفايدة الأيام . وبَيضة العمر ، وفرد الخلق في اضطراد السعد ، وتَمَلّد العاجل من الحظ . حازماً ، داهية ، مشتملاً على أنظار السؤدد ، هويّاً^(٢) إلى الأفاقي ، وطموحاً ، سوساً حَمِيّاً . مُصْغِئاً للرجال ، جالِباً للأشراف ، مستمِلاً^(٣) للقلوب . مُطَبِّقاً المفاصل ، مُزِيحاً للعِلال . مستبصراً في الاستبداد ، خاطباً جميل الذكر ، عظيم الصبر ، وحيب الذرع ، ملحوح الطرف ، جَشَع السيف ، مُهْدِي جِياد العقاب والمثوبة ، مُهَيِّباً . جَزْلاً ، مُنْكَسِف اللون ، مُصْفِر السكف ، آية الله جل جلاله في النضر على الأعداء ومصاحبة الظفر^(٤) : وتوالى الصنع .

نباهته

قال المؤرخ ، سلك سبيل القضاء في أوليته ، مقتنياً آثار عمومته وخؤولته ، يظلم الحديث في حدائمه ، وكتب منه كثيراً . ولقى الجَلَّة من رجاله ، ثم صحب الخليفة الحكم مُتَحَرِّباً^(٥) في زمرته . وولى له الأعمال من القضاء والإمامة . ثم استكفاه ، فعدل عن سبيله ، وصار في أهل الخدمة . ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام ، فزاد يخاصته لولى العهد ، عزاً ومكانةً من الدولة . فاحتاج الناس إليه . وغشوا بابه ، وبلغ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (هدياً) والأولى أنسب لسياق .

(٣) وردت في «ج» (مستلياً) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» الصفر . وفي «الزيتونة» السفر . والتصويب من «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» متخرجاً . وهو تحريف .

الغاية من أصحاب السلطان معه^(١) . إسماعيل ، وكرم لقاء ، وسبولة حجاب ، وحسن أخلاق . فاستطار ذكره . وتحرر بابه ، وساعده الجدد . ولما صار أمر المسادين إليه ، فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة .

الثناء عليه

قال ، وفي الدولة العامرية ، وأعين محمد على أمره ، مع قوة سعيه ، بخصال مؤلفه^(٢) لم تجتمع لمن قبله ، منها الجود ، والوقار ، والجهد ، والهيبة ، والعدل ، والأمن ، وحب العارة ، وتدمير المال ، والضبط ، للرعية ، وأخذهم بترك الجدل ، والخلاف ، والتشغب . من [غير]^(٣) وهن في دينه ، وصحة الباطن ، وشرح كل فضل ، وجلب كل ما يوجب عن المنصور فيه .

غزواته وظهوره على أعدائه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه ، فيما يناهز خمسين غزوة ، وفتح فيها البلاد ، وخضد شوكة الكفر ، وأذل الطواغيت [وفض مضاف الكفار]^(٤) ، وبلغ الأعماق ، وضرب على العدو الضرايب ، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه [وأتحفه بآيئته]^(٥) في سبيل الرغبة في صهره ، فكانت أحظى عقايده ، وأبرت في الدين والفضل على ساير أزواجه ، وعقد اثني عشر بروزاً إلى تلقى ملوك الروم القادمين عليه [مُصْطَهَرِينَ بِالْخَاصِ سَيْفِهِ]^(٦) منكبين على لثم سريره .

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا في «ج» وفي «الملحق» .

(٣) أنشأنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسيناق .

(٤) هذه العبارة واردة فقط في «ج» . وساقطة في المخطوطتين الآخرين .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأتخذ به) وهو تعبير غامض . وبالتصويب ينتضج المعنى

ويستأنس السيف . والإشارة هنا إلى زوجة المنصور النافارية ابنة سنشو شرعية ملك نافر . وقد أعدها للمنصور زوجة له ، فاعتنقت الإسلام ، وسميت (عنده) ، وأنجب منها المنصور ولده عبد الرحمن المنسوب بشنجلول أي سانشو الصغير نسبة لجدته ملك نافر . وكانت عبده أحظى نساء المنصور وأحبهم لديه .

(٦) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطتين الآخرين .

شعره

ومما يؤثر من شعره :

دميتُ بنفسى هَوَّل كل عظيمة وخاطرتُ والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنانٌ مُشيع وأسحرُ خطي وأبيضُ باتر
ومن شيعتي أنى على طالب أجود بئال لا تقيه المصادر
وإنى لزجاء الجيوش إلى الوغى أسردُ تلاقيها أسودُ خوارد
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة وكأثرتُ حتى لم أجدهن أكاثر^(١)
وما شدتُ بنيانا ولكن زيادةً على ما بنى عبد الملك وعاصر
رفعنا العلى بالعوالى سياسةً^(٢) وأورثناها فى القديم مُمافِر

وبلغ فى مُلكه أقطار المغرب ، إلى حدود القبلة^(٣) ، وبمدينة فاس ، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار ، ونَهْد أوليك الملوك الكبار .

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان فى الدولة العامرة ، وقد مر ذكر المنصور ، قومس الفرنجة بمدينة برشلونة : وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا ، وأوسعها ، وأوفرها من الاستعداد ، وما أوطىء من الممالك والبلاد ، وفتح من اقواء ، وهزم من الجيوش . وقفل المنصور عنها ، وهو أطمع الناس فى استيصالها ، ثم خصهم بصايقة سنة خمس وسبعين ، وهى الثالثة عشر لغزواته ، وقد احتفل لذلك ،

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى المخطوطات النادرة . وفى نص آخر : (ونأثرت حتى لم أجدهن من أفاثر) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة فى المخطوطات النادرة . وفى نص آخر : (رفعنا العوالى بالعوالى مثلها) .

(٣) بلاد القبلة تقع فى جنوب المغرب على مشارف الصحراء الكبرى شمال شرق موريتانيا ، وتسكنها قبائل ضهاجة الكبرى .

واستبلغ في النفي. واستوفى أتم الأبهة . وأكل العُدَّة . فجعل طريقه على شرق الأندلس . لاستكمال ما هنالك من الأطعمة . فسلك طريق البيرة . إلى بسطة . إلى تدمير ؛ وهزم في هذه الغزوات بُريل ملك فرنجية^(١) ونازل مدينة برجلونة ؛ فدخلها عتوة يوم الإثنين النصف من صفر . سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها .

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد البيرة . ما يحق دعوى من ادعى دخول المعتمدين من^(٢) أهل الأندلس^(٣) لذلك العهد ؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة ، من الشعراء المرتزقين بدويانه من يذكر ؛ فضلا عن سائر الأصناف على ندوة هذا الصنف من الخدام ؛ بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم .

والذي صح أنه حضر ذلك ، أبو عبد الله محمد بن حسين الطائفي^(٤) . أبو القاسم حسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف . أبو الوضاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد . أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي^(٥) . أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن اليميني . عمر بن المنجم البغدادي . أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي . عبدالعزيز بن الخليل المحرود . أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى بن أبي طالب . مروان [بن عبد الحكم]^(٦) بن عبد الرحمن . يحيى بن هذيل بن

(١) هو الكونت بوريلى أمير إمارة قطلونية وقت أن غزانا المنصور . ولم تكن قطلونية قد تحولت بعد إلى ملكة أراجون .

(٢) وردت مكانها في المخطوطات الثلاثة كلمة (هل) . ونعتقد أنه بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة كلمة (إيالة) ، وهي كلمة لا محل لها هنا .

(٤) وردت محرفة في المخطوطات (الطبي) . والصواب ما أثبتناه . وكان الطائي من أثر شعراء المنصور لديه . والطائي نسبة إلى طائفة من أرض الزاب بالمغرب .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة ، وإذا كانت الكلمة من الألقاب فهي خطأ وصحتها (البغدادي) . وإن كانت وصفا فهي صحيحة لأن أبا العلا صاعد بن الحسن البغدادي ، كان شاعرا ولغويا في نفس الوقت .

(٦) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

عبد الملك بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاضى . ابن عمرو القرشى الروانى .
على النقاش البغدادى . أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب . محمد بن إسماعيل الزبيدى
صاحب المختصر فى اللغة . أحمد بن درّاج القسطلّى مُتَنَبِّى الأندلس . أبو الفرج
مُثِيل بن مُنِيل الأشجعى . محمد بن عبد البصير . الوزير أحمد بن عبد الملك بن
شهيد . محمد بن عبد الملك بن جَهْوَر^(١) . محمد بن الحسن القرشى من أهل
المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هانى . طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنَّد .
محمد بن مُتَرْف بن شُخَيْص سعيد بن عبد الله الشنترينى . وليد بن مُسْلَمَة المرادى .
أغلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . أحمد بن أبى غالب الرُّصافى .
محمد بن مسعود البلخى ، عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن بن أبى الفهد
الإلبيرى . أبو الحسن بن المضيء البجلي الكاتب . عبد الملك بن سهل .
الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيرى . قاسم بن محمد الجياني .
قال المؤرخ ، هؤلاء [مَنْ]^(٢) حفظته منهم . وهم أكثر من أن يحصوا ،
فعلى هذا يتبنى القياس فى ضخامة هذا الملك ، وانفساح هذا العز .

وفاته

توفى رحمه الله منصرفاً من غزاته المسماه بقمناش والرّيد ، وقد دوّخ أقدار
قشتالة ، ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة ، وقد
عهد أن يُدفن^(٣) ببلد وفاته ، بعد وصية شهيرة صدوت عنه ، إلى المُظَفَّر ولده ،
فدفن بمدينة سالم ، التى بناها فى نحر العدو من وادى الحجارة ، وبقصرها . وقبره

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة (هجور) وهو تحريف . وآل جهور من بيوت الوزارة
المشاهير .

(٢) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت مكانها فى المخطوطات كلمة (يعرف) . وحكمة التصويب ظاهرة .

معروف إلى اليوم . وكان قد اتخذ له من غُبار ثيابه الذي علاها في الجهاد . وعاء
كبيرا يحديه رحمه الله . وكتب على قبره هذا الشعر :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحى الثغور سواه

محمد بن عباد بن [محمد بن] ^(١) إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] ^(١) بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم ، نحى النسب
أوليته

دخل الأندلس جده عطف مع بلج بن بشر القشيري . من أشرف الطالعة
البلجية ، وهم من عرب مُحص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش
في آخر الجفار بين مصر والشام . ونزل عطف بقرية تعرف بيومين من إقليم
طُشانة ^(٢) على ضفة النهر الأعظم ^(٣) من أرض إشبيلية . ولما هلك قريش ، ورث ^(٤)
السيادة إسماعيل بن قريش ، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ^(٥) ، يكنى
أبا الوليد . وولى الشرطة الوسطى هشام بن الحكم ، وخُفّة الإمامة إلى صلاة
الجمعة . ثم خلفه أبو القاسم المنفرد برياسة إشبيلية ، المتخف فيها بخطّ الوزارتين
والقضاء والمظالم . وعز جاهد ، وكثرت حاشيته ، وتمددت ^(٦) غلمانه ، وأذعن

(١) نقلنا هذه الزيادة في النسبة من «الحنّة السيرة» لابن الأثير (نقاهرة ١٩٦٥) ج ٢ ص ٣٤

(٢) إقليم ، أو بلدة طُشانة ، وبالإسبانية Tucina ، تقع شمال شرق إشبيلية ، وشمال غربي

قرمونة ، على مقربة من جنوبي نهر الوادي الكبير .

(٣) النهر الأعظم هو نهر الوادي الكبير .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، ملك ، والمؤدى واحد .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» كلمة (والده) . ونعتقد أنها تحريف لكلمة (الدهاء) .

(٦) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (وتقدمت) . والأولى أرجح .

له عُداته . ثم خلفه الأمير المعتضد ولده ، وكان خيراً حازماً ، شديد الرأي ، مَصْنُوعاً له في الأعداء ، فلما توفى ، نصَّير الأمر إلى ولده المترجم به ، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعته .

حاله

قالوا كلُّهم ، كان المعتمد ، رحمه الله ، فارساً شجاعاً . بطالاً مقدماً : شاعرا ماضياً ، مشكور السيرة في رعيته . وقال أبو نصر في قلائده^(١) « وكان المعتمد على الله ملكاً قاع العدا ، وجمع بين البأس والنداء . وطلع على الدنيا بدراً هدى . لم يتعطل يوماً كفه ، ولا بنانه ، آونة يراعه . وآونة سنانهُ . وكانت أيامه مواسم . وثغوره برةً بواسم » . لقبه أولاً الظَّافِر . ثم تلقب بالمعتمد . كلفاً بجاريته اعتماداً ، لما ملَّكها . لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها . لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زَيْدُون^(٢) . وابن عَمَّار . وغيرهم .

أولاده المملكون

عبيد الله . يكنى أبا الحسن ، وهو الرُّشيد . وهو الذي لم يوافق أباه على استِصْراخ المرابطين . وعَرَضَ بزوال الملك عنهم ، فقال : أحبُّ إلى أن [أكون داعياً]^(٣) لِمَلِكٍ بِالْعُدُوَّةِ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ . وقد حُوِّلَت الأندلس دار كفر . وكان قد ولاء عهده ، وبويع له بإشيلية ، وهو المحمول معه إلى العدو . ثم الفتح . وهو الملقب بالمأمون ، كان قد بويع له بقرطبة ، وهو المقتول بها . المُحْمَلُ رأسه إلى

(١) هو كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد ابن زيدون كلمة (ابن خلدون) وهو خطأ تاريخي بين

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يكون لراعى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

محنة العدو المرباطين . المحاصرة لأبيه بإشبيلية ، ثم يزيد الراخى . وكان قد ولاء
رُندة ، قتل لما ملكها اللمتونيون^(١) . ثم عبد الله . ويكنى أبا بكر . هؤلاء
الأربعة من جاريته اعتماد السيدة الكبرى . والمدعوة بالرميكسية منسوبة إلى
مولاها رُميك بن حجاج الذى ابتاعها منه المعتمد .

مُلَمَّتُهُ

لما تكالب أذفوش^(٢) بن فردلاند على الأندلس بعد أخذه مدينة طليطلة^(٣)
ضيق بالمعتمد ، وأجحف فى الجزية ، التى كان يتقّى بها على المسلمين عاديتُهُ ،
وعلى ذلك أقسم^(٤) أخذها وتجنّى عليه ، وطمع فى البلاد ، فحكى بعض الإخباريين
أنه وجه إليه رسله فى آخر أمره لقبض تلك الضريبة . مع قوم من رؤساء النصارى ،
ونزلوا خارج باب إشبيلية ، فوجه إليهم المال ، [مع بعض الوزراء ، فدخلوا على
اليهودى المذكور فى خبايه ، وأخرجوا المال]^(٥) ، فقال لهم ، لا أخذتُ منه هذا
العيار ولا أخذتُ منه إلا ذهباً مشجراً^(٦) ، ولا يؤخذ منه فى هذا العام إلا أجفان البلاد
ونقل كلامه إلى المعتمد ، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ، ونكّل بهم ، وقتل
اليهودى بعد أن بذل فى نفسه زنة جسمه ذهباً ، فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ،
وراسله الطاغية فى إطلاقهم ، فأبى إلا أن يُخلى منه حصن الحدود ، فكان ذلك .

(١) اللمتونيون هم المرباطون ، نسبة إلى قبيلتهم البربرية المغربية «لمتونة» .

(٢) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (أذفوش) والتصويب من «الملكية» . وهو ألفونسو
السادس ملك قشتالة .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (قرطبة) وهو سهو تاريخى . والصواب ما أثبتناه . وقد
استولى ألفونسو السادس على طليطلة من ملكها القادر بن ذى النون فى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٨٥ م) .
وكانت أول قاعدة أندلسية كبرى تسقط فى أيدي النصارى .

(٤) وردت فى «ج» . وفى «الملكية» (قسم) . ولم ترد فى «الزيتونة» .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط فى «الملكية» .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وربما كانت (مشهوراً) .

واستصرخ اللّٰهُنَّيْنِ، وأجاز البحر بنفسه . وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة ألا يرفع عنه يده . وهاجت حفيظة المعتمد ، واجتهد في جواز المراتبين ، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية [في] وقعة الزلاّقة^(١) فإنه الذي أسلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه ، وشهر صبره ، وأصابته الجراح في وجهه ويده ، رحمه الله . وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّى :

وقالوا كفّه جُرحت قتلنا أعاديه ثواقمها الجراح
وما لمرتد^(٢) الجراحة ما رأيت فتوهّنها المناصل والزّماح
ولكن فاض سيلُ البأس منها ففيها من [مجاريه النسيح]^(٣)
[وقد صحت . وسحت بالأمانى وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها عقاباً لا يُهاض له جناح
فقال له لك القسحُ المعلى إذا ضربت بمشهدك القِداح]^(٤)

ولما اتصلت به الصّيحة : بين يدي دخول المدينة ركب في أفراد من عبيده ، وعليه قميص يشفُّ عن^(٥) بدنه ، والسيف مُنتَضِي بيده . ويمجم باب الفرج^(٦) ، فتدّّم الداخلين ، فردم على أعقابهم : وقتل فارساً منهم : فانزعجوا أمامه ، وخلفوا الباب : فأمر بإغلاقه : وسكنت الحال : وعاد إلى قصره . وفي ذلك يقول :

(١) وقعة الزلاّقة هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش المرابطة والأندلسية المتحدة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي عاهل المغرب والمعتمد بن عباد ، والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة . وانتهت بنصر المسلمين الباهر ، وسحق الجيوش النصرانية وذلك في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . ويقع مكان الموقعة وهو سهل الزلاّقة على مقربة من شمال شرق مدينة بطليوس .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . ووردت في «القلائد» (وما أثر) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (محاربه انتياح) . والتصويب من «القلائد» .

(٤) نقلنا هذه الأبيات الثلاثة من «القلائد» تكملة للقصيد (ص ١٣) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أرجح .

(٦) هو أحد أبواب إشبيلية الإسلامية ، وقد كان يقع جنوب المدينة على مقربة من القصر

[إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
فالتلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع] (١)
قد رمت يوم نزالهم ألا تحصني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفع
أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلي والخضوع
ماسرت قط إلى القتل وكان من أمل الرجوع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع (٢)

جوده

وأخبار جوده شهيرة، ومما يؤثر من ذلك، على استصحاب حال العز -
ووفور (٣) ذات اليد، وأدوات (٤) الملك، غريب. والشاهد المقبول بقاء السجينة
ومصاحبة الخلق الماسكية، مع الإقنار والإيسار، وتقلب الأطوار. وتعرض له الحصري
القرموني (٥) الضريح بخارج طنجة، وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال،
بأشعار ظاهرة المقت، غير لايقة بالوقت، ولم يكن بيده زعموا، غير ثلاثين ديناراً
كانت بحقه، معدة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر
طيها اعتذار عن نزلها، راغباً في قبول أمرها، فلم يراجع الحصري بشيء عن
ذلك، فكتب إليه :

-
- (١) نقلنا هذين البيتين، وهما فاتحة القصيدة من الحلة السراء (ج ٢ ص ٦٥).
(٢) هذا الشعر في المخطوطات الثلاثة مليء بالتحريف والتصحيف. وقد اكتفينا بنقل النص
السليم عن الحلة السراء.
(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (ووفور).
(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وأداة). وفي الملكية (وأداة).
(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الملكية». ووردت بحرفة في «الزيتونة» (القيرواني)
والقرموني نسبة إلى مدينة قرمونة الواقعة شمال شرق إشبيلية.

قل لمن جمع العلم وما أحصى صوابه
كان في الثمرة تسعراً فانتظرنا جوابه
قد أتيناك فملاً جلب الشعر جوابه

حلمه

رُفِعَ إليه صَدْرُ دولته شعر ، أُغْرِيَ فيه ، بأبي الوليد بن زيدون ، وهو شهير ،
وَنُحِبُّ (١) له موقع وتَرْصُدُ حين ، وانتظر به مُؤَجَّرَه ، وهو :

يا أيها الملك [الأعزَّ] (٢) الأعظم أقطع وريدَي كل باغ يُسَلِّمُ (٣)
واحسم بسيفك (٤) كل منافق يُبْدِي الجميل وضد ذلك يكتم
لا تتركَنَّ للناس موضع شُبْهة وأحزم فثلك [في العظام] (٥) يحزم
قد قال شاعر كِنْدَةُ فيما مضى قولاً على مرِّ الليالي يُعَلِّمُ
لا يسلم الشرف الرفيع (٦) من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ (٧)
فوقع على الرقعة :

كذبت منا كم صرَّحوا أو جَمَعُوا الدِّينُ أمتن والسجِّية أكرم
خُنْتُمْ ورُمْتُمْ أن أخون وإنما حاولتم أن يستخف بللم
وأردتم تضيق صدر لم يضيق والسر في صدر (٨) النحور تحطم

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة . ووردت مكانها في «القلائد» (العل) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (يلتم) ، وفي «القلائد» (ينتم) .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بنفسك) . والتصويب من «القلائد» .

(٥) هذا ما ورد في «الزيتونة» وفي «القلائد» : وهو ساقط في «ج» .

(٦) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (الشريف) . وهو ما يخالف النص المعروف المتداول .

(٧) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات الخمسة فقط من القصيدة : وهي تقع في سبعة وعشرين

بيتاً ، وقد نشرت كاملة في «القلائد» (ص ١٤ و ١٥) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلائد» (نثر) .

وزحقتكم بمحالكم لمَجْرَبٍ مازال يَثْبُتُ المُحَالُ فِيهِ رِزْمٌ
أَنْى وجوتم غَدْرٌ مِنْ جَرَبْتُمْ منه الوفاء وظلٌّ مِنْ لا يظلم
أنا ذا كم لا السَّعى ^(١) يشمر غَرْسه عندى ولا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُهدم
كُفُّوا وإلا فارتَبُوا لى بِشَشة يَبْقَى ^(٢) السَّفِيهِ بِمِثْلِهَا يَتَحَلَّم

توقيعه ونثره فى البدئية

كتب مع الحمايم إلى ولده الرشيد عَقِب الفراغ من وقعة ^(٣) الزَّلَاقَةِ ^(٤) .
يا بنى ، ومن أبقاه الله وسلمه ، ووقاه الأسواء وعَصَمَه . وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه
كتبته ، وقد أعزَّ الله الدين ، وأظهر المسلمين . وفتح لهم على يدى مستدعيات الفتح
المبين : بما يسره الله فى أمسيه وسناه . وقدَّره سبحانه وقضاه : من هزيمة أذفونش
ابن فرذلانده لعنه الله وأصلاه . وإن كان طاح للجحيم ، ولا أعدهم وإن كان أهل
العيش الذميمة ، كما قنعه الخزي العظيم . وأتى القتل على أكثر رجاله ومُحاته ،
واتصل النُهب سائر اليوم ، والليلة المتصلة به ، جميع محلاته ، وجمع من رؤوسه
بين يدي ، من مشهورى رجالهم ، ومن كورى أبطالهم ، ولم يَختر منهم إلا من شهر
وقرب ، وامتلات الأيدي مما سلب ونُهب . والذي لامرية فيه : أن الناجى منهم
قليل ، والمفلت من سيوف الجزع والبعد قتيل ^(٥) ، ولم يُصننى بفضل الله إلا جرح
أشوى ، وحسن الحال عندنا والله وزكى ، ولا يُشغل بذلك بال ، ولا يُتوهم غير
الحال التى أشرت إليها حال ، والأدفونش بن فرذلانده ، إن لم يصبح تحت السيوف

(١) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها فى «القلائد» (البهى) .

(٢) وردت فى «ج» وفى «الزيتونة» و «القلائد» (يلق) . ونعتقد أن التصويب أرجح
وأنسب للسياق .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (غزوة) .

(٤) سبق أن قدمنا تعريفاً موجزاً بموقعة الزلاقة (أنظر الهامش فى ص ١١١) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى «الملكية» (قليل) .

فسيوت لاحالة كمداء ، وإن كان لم تعلقه أسرار الحمام [فنداء ، فإن برأسه طمرة
ولحام]^(١) . فإذا ورد كتابي هذا ، فمر بجمع النخاس والعام ، من أهل إشبيلية ،
وجيرانها الأقربين ، وأصفينائنا المحبين ، في المسجد الجامع . أعزهم الله . وليقرأ
عليهم فيه ، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم ، ويضيفوا شكراً لله إلى صالح دُعائهم
[والحمد لله على ما صنع حقّ حمده ، جلّ المزيدي لمرحين ، إلّا من عنده . والسلام]^(٢) .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني^(٣) : سألني في بعض الأيام عند قدومي عليه بأغصت ،
قاضياً حق نعمته ، مُستكثراً^(٤) من زيارته ، مُستمتعاً^(٥) برايق أدبه ، على حال
محنته ، عن كُتبي ، فأعلمته بذهابها في نهب حضرته . وكنت قد جَلَبْتُ في سَفَرَتِي
تلك ، الأشعار الستة ، بشرح الأستاذ أبي الحجاج الشنتمري الأعم ، وكانت
مستعارة ، فكتمتها عنه . ووَشَى إليه أحد الأصحاب . فحجل بكرمه وحسن شيمته ،
من الأخذ ممي في ذكر ما كتّمته ، فاستطرد إلى ذلك بغرض نبيل ، ونحافه
نحواً ، يعرّب عن الشرف الأصيل ، وأملّي علىّ في جملة ما كان يُملّيه :

وكواكب لم أدرِ قبل وجوها أن البودور تدور في الأزار
نادمُها في جَنَح ليل دامس فأعرّنه مثلاً من الأنوار

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فند برأس طرة ولحام) .
وكلتاها يشوبها الغموض .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» ، في هامش الصفحة . وساقط في المخطوطات الأخرين .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن الببنة ، من شعراء عصر الطوائف ،
اتصل ببلاط إشبيلية وغدا شاعر المعتمد الأثير لديه ، وقد نظم الكثير في مديحه . ولما ذهبته دونه
المعتمد ، وثنى أسيراً إلى المغرب ، زاره أبو بكر في أغصت . وله في دولة المعتمد وأيامه ، وفي
محنته وأسره قصائد كثيرة . وله في تاريخ الدولة العبادية كتاب عنوانه «نظم السلوك في مواظب الملوك»

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مستكراً) والتصويب أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (مستمتعاً) .

في وَسَطِ رَوْضَةِ نَرْجِسٍ كَعْيُونِهَا مَا أَشْبَهَ النُّوَارَ بِالنُّوَا
 فَإِذَا وَاصَفْنَا الْحَدِيثَ حَسْبَتَنِي أَلْهُو بِمُلْتَقَطِ لَدْرٍ نَشَار
 فَإِذَا اكْتَبَحْتُ بَرْقَ^(١) تَغْيَرِ بِاسْمِ سَكَبَتْ جُفُونِي أَغْزَرَ الْأُمُتَار
 حَرَّ الْمَلَامِ وَخَيْفَةً مِنْ جَفْوَةٍ تَذَرُ الصَّدُورَ عَلَى شَفِيرِ هَار
 تَرَكَ الْجَوَارِي الْأَنَسَاءَ مَذَاهِبِي وَسَوَّهَا ظَفَرَ بَرِيْشَةِ الْأَشْعَار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد سرى إليه ، فأعلمته
 قصتها . فبسط العذر بفضلها . وتأول الأمر . وقسم الأشعار . على ثلاثة . من بنيها .
 ذوى خط رائع ، ونقل حسن . وأدب بارع . أخذوا في نسخها . وصرفوا الأصل
 لأجل قريب .

محتفه

ولم يلبث أمير اللاتونيين بعد جوازه إلى الأندلس ، وظهوره على طائفة^(٢)
 الروم . أن فسده ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس ، وعزم على خلعهم . فأجاز
 من سبته العساكر ، وسرب الأمداد . وأخذ المعتمد بالعزم يحصن حصونه ، وأودع
 المعقل عدته . وقسم على مظان الامتناع ولده . وصمدت الجموع صمدة بنيها . ونازل
 الأمير سير إسبيلية ، دار المعتمد ، وحضرة ملكه . ونازل الأمير محمد بن الحاج
 قرطبة ، وبها المأمون ، ونزل جرور^(٣) من قواده رنذة ، وبها الراضى ابن المعتمد .
 واستمر الأمر . واتصلت المحاصرة ، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها .
 فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة ، وقتل الراضى ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» بريق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت أيضاً تحريفاً لكلمة (طاغية) .

والمؤدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرور) . والصواب ما أثبتناه .

وجلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيه . وكان دخول إشييلية على المعتمد ، دخول
 القهر والغلبة . يوم الأحد لعشر بقين من رجب (١) . وشملت الغارة . وامتعت
 الدور ، وخرج ابن عباد في شيكته (٢) . وابنه مالك في أمته . معها فقتل مالك
 الملقب بفخر الدولة ورهقت الخيل ، وكثر ، فدخل القصر ملقياً بيده . ولما جن الليل ،
 وجه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير . فحجب عنه ، ووكل بعض خدمه به .
 وعاد إلى المعتمد فأخبره بالإعراض عنه . فأيقن بالهلكة . وودع أهله وعلا
 البكاء . وكثر الصراخ ، وخرج هو وابنه . فأنزلا في خباء حصين . ورُفبا بالحرس ،
 وأخرج الحرم من قصره . وضم ما شتمل عليه . وأمر بالكتب إلى ولده برنثة
 ففعل . ولما نزل ، واستوصلت ذخيرته (٣) . وأجيز المعتمد البحر . ومن معه
 إلى المنجة . فاستقر بها في شعبان من العام . وفي هول (٤) البحر عليه في هذا الحال ،
 يقول رحمه الله

لم أنسُ والموت يد نيني ويُقصيني	والموت كأنَّ المني يأتيني
أبصرتُ هولاً لو أن الدهر أبصره	لما خوفاً لأمر ليس بالثون
قد كنت ضائعاً بنفس لا أجود بها	فبعثها باضطراب بيع مغبوف
كم ليلة بت مطوياً على حرق	في عسرٍ من عيون الدبر (٥) في العين
فتلك أحسن أم ظلات به	في ظل عزّة سلطان ونمكن
ولم يكن والذي تعنو الوجوه له	عريضاً مهبأً ولا مالى بمخزون
وكم خلوت من الهيجا بمعترك	والحرب ترفل في أثوابها الجون
يارب إن لم تدع حالاً أسره به	فهب لعبدك أجراً غير ممنون

(١) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة ، كلمة (الهب) ، ولا مكان لها في السياق .

(٢) في شيكته أى في سلاحه وعدته .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (سل) .

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (هو - هوا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) وردت في «ج» (الدير) . والتصويب من «الزيتونة» .

وجرى على مناته شيء يوم خروجهم، واضطربهم الضية إلى معيشتهم من غزل أيديهم، وجرت عليه محن طال لها شجنه^(١) وأقعدته قيئده. إلى [أن]^(٢) نقل إلى أغمات وريكة^(٣). وحل عنه الاعتقال. وأجرى عليه رزقه. تملغ به لمدة من أعوام أربعة، واستمقده حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال ابن الصيرفي. وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة، وخلع أميرها عبد الله بن بلة بن حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين: ولحق ابن عباد [وحليفه ابن مسلمة]^(٤) بخيل ورجل ورؤمة وعدد، وحل ذلك من [ابن] عباد تفضيلاً لمسرة أمير المسلمين. وتحققاً^(٥) بمولاته، فدخل عليه، وهدياه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد التناحيرية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استصفاة نعمة صاحبها، عوضاً عن الجزيرة الخضراء، وكان قد أشخصه معه، [فعرض بغيره]^(٦). فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية [كل منهما]^(٧) التخلّص من يده، والرجوع إلى بلده. فأعمل ابن عباد

(١) وردت في «ج» (سجنه). والتصويب من «الملكية».

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أغمات أو أغمات وريكة، هي بلدة قديمة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلو متراً جنوب شرق مراكش، وكانت قبل إنشاء مراكش عاصمة للدولة المرابطية.

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة (وخليفة بن مسلمة). وهو تعريف. والصواب ما أثبتناه. وابن مسلمة هو المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس. ويعرف بنو الأفطس أيضاً ببني مسلمة باسم جدهم ومؤسس دولتهم عبد الله بن محمد بن مسلمة.

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وتحققوا). والتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت مكان هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة عبارة مضطربة مكررة (فعرض به فأعرض عنه بغيره: فأعرض به ما عرض عنه بغيره.. الخ). وبهذا التصويب الموجز يستقيم المعنى والسياق.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كل واحد منهما).

الخيالة . فكتب ، يزعم ^(١) أنه وردت عليه تحته من إشبيلية في اللاحق ، أنباء ^(٢) مهمة طرقت بتحرك العدو . واستأذن بها في الصدور ، فأخذ له ولخليفة ابن مسلمة ، فانتهزا ^(٣) الفرصة ، وابتدرا الرجعة . ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك رياسة أمره .

مولده .

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ووُلِّي سنة إحدى وستين . وخُلِع سنة أربع وثمانين .

وفاته

كانت وفاة المعتمد [على الله] ^(٤) بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد . وجزع عليها جزعاً ، فأقرب ^(٥) سرعة لحاقه بها . ولما أحس بالمنية . رثى نفسه بهذه الأبيات . وأمر أن تُكتب على قبره :

قبرُ الغريب سقاك الرَّامحُ العَصادي حَقّاً ظَفِرت بأشلاء ابن عباد
[بِالْحِلْمِ بِالْعِلْمِ بِالنُّعْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ بِالْخِصْبِ أَنْ أُجْدِبُوا بِالرَّيِّ لِلصَّادِي]
بِالْمَاعِنِ الضَّارِبِ الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا بِالموتِ أَحْمَرُ بِالصُّرْغَامَةِ العَصادي
[بِالدهْرِ فِي نَقْمٍ بِالبَحْرِ فِي نَعْمٍ بِالبدْرِ فِي ظُلْمٍ بِالصَّدْرِ فِي النّادِي]
نعم هو الحق [فاجأني على] ^(٦) قدر من السماء ووافاني لمعاد

(١) في «ج» (زعم) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في «ج» (لأنباء) . فاقتضى التصويب .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فاستهزا) . والتصويب أفضل .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (رحمه الله) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (أقر) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت في «المعجم» . وفي مصادر أخرى

(حبابي به) .

ولم أكن قبل ذاك الشمس أعلمه
[كفأك فاروق بما استودعت من كرم
[يبكى أخاه الذي غيبت وأبلى
[حتى يجودك دمع الغل منهجراً
فلا تزل صلوات الله نازلةً
أن الجبال تُهادى فوق أعواد
رواك كل قطوب البرق وعاد
تحت الصفيح بدمع رائج غادى
من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد^(١)
على دفينك لا تُحصى بتعداد

بعض مراثي به

قال ابن الصيرفي: وخالف في وفاة المعتمد، فقال: كانت في ذي حجة. فلما انفصل الناس من صلاة العيد. حف بقبره ملاً، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل ابن عبد الصمد، فوقف على قبره وألشد:

ملكُ الملوك أسمعُ فأنادى أم قد عدتكَ عن السماع عوادى
لما خلّت منك القصورُ فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت^(٢) في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضعَ الإنشاد^(٣)
ثم خرّ يبكي، [ويُقَبِّلُ القبر]^(٤) ويعزُّ وجهه في التراب، فبكى ذلك الملاً حتى أخضلوا ملابسهم، وارتفع لشيعهم^(٥) فله درُّ ابن عبد الصمد، وملاذ ذلك البلد.

-
- (١) وردت هذه التقديرة في المخطوطات الثلاثة. وقد أكتلتها بالأبيات التي بين الخواصر. وأوردنا المراتب في «الملاحية» (١٣٢٢ هـ) من ٨٧.
(٢) وردت في «ح» وفي «أريثونة» (قبلت). وفي «الملاحية» (مملت).
(٣) أورد ابن الخطيب مطلع هذه التقديرة فقط. وقد أوردنا الفتح في «القلائد» كاملة (قلائد القبر من ٣١).
(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (ويُقَبِّلُ القبر).
(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذه الكلمة عبارة (دمع البار). ولا مكان لها في السياق.

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرزنديش الجنداي
قال بعضهم ينتمى في تيجيب. الأمير أبو عبد الله .

أوليته

معروفة . وعلى يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة . على ابن رذمير
الطاغية ، فجلت الشهرة ، وعظمت الأثرة . قال بعضهم ، تولى أبو سعد قيادة
إفراغة وما إليها . وضبطها . ونازلها^(١) ابن رذمير . فشهروا غناؤه بها في دفاعه . وصبره
على حصاره ، إلى أن هزمه الله [عز وجل]^(٢) . على يدى ابن غانية^(٣) . وظهر
بعد ذلك فحس بلاؤه . وبعد صيته . ورأس ابنه محمد . ونفق في الفتنه . وكان بينه
وبين ابن عياض المتأمر بمروسة صهر ، ولأه لأجله بالكسبية . فلما توفى ابن عياض ،
بادرها ابن سعد ، وبأنه أثناء طريقه ، غدر العدو بحصن جلال . فكرر [وقادله]^(٤)
وفتحه . وعاد فلك بالنسبية ، وقد ارتفع له صيت شهير ، ثم دخلت مروسة في
أمره ، واستقام له الشرق . وعظمت حاله .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكنة» (ونال) .

(٢) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) موقعة إفراغة المشار إليها هنا ، هي الموقعة الحاسمة التي نشبت بين القائد المروسي
(ابن رذمير) ملك الأرجون وبين المرابطين تحت أسوار مدينة إفراغة الواقعة على نهر سبيل البحر .
نهر إبيرو بالغراند على ، بقيادة يحيى بن غانية اللاتوني . وكان الأرجونيون قد ضربوا سبيل الأسار
وقاومتهم حاليها الإسلامية بقيادة واليها سعد بن محمد بن مرزنديش أشد مقاومة ، وصمدت حتى
وافت القوات المرابطية . ومنى الأرجونيون في الموقعة بهزيمة ساحقة ، وكان ذلك في يوم ٢٣ رمضان
سنة ٥٢٨ هـ (٧ يولييه ١١٣٤ م) . وقتل ألفونسو الحارب خلال الموقعة أو توفى بعدها بغير قتال
غماو ياسا .

(٤) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

حاله

قال ابن حمّامة. ساد من صغره بشجاعته ونجابته^(١)، وصيت أبيه، فقال بذلك إلى القيادة. وسنة إحدى وعشرون سنة. ثم ارتقى^(٢) إلى الملك الراسخ. والسلطان الشايع. بباهر شجاعته وشهامته. فسما قدره. وعظم أمره. وفكّى في كل أمة ذكره. وقال غيره، كان بعيد الغور، قوى الساعد، أصيل الرأى. شديد العزم، بعيد العفو، مؤثراً للانتقام، مرهوب العتوبة.

وقال في مختصر «نورة المريدين»^(٣) كان عظيم القوة في جسمه، ذا أيد في عظمته. [جزارة في لحه]^(٤)، وكان له فروسيّة، وشجاعة. وشهامة. ورياسة.

بطالته وجوده

قال وكان له يومان في كل جمعة. الإثنين والخميس، يشرب مع ندمائه فيهما، ويجود على قوّاده، وخاصته وأجناده، ويذبح البقر فيهما^(٥)، ويفرق لحومها على الأجناد. ويحضّر القيان بزاميرهن وأغوادهن^(٦)، ويتخلل ذلك لهو كثير، حتى ملّك القلوب من الجبّد، وعاملوه بغاية النصّح. وربما وهب المال في مجالس أنسه. ذكر أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قوّاده، فشرّب معه ومع القزابة،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (ونجدت) والأولى أرجح.

(٢) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ارتفع).

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (ثور المريدين). والصواب ما أثبتناه. وثورة المريدين كتاب من تأليف ابن صاحب الصلوة الباجي مؤرخ الموحدين وصاحب كتاب (المن بالإمامة). ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا.

(٤) وردت هذه العبارة فقط في «ج». وهي ساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (في المواسم) والأولى أرجح وأكثر اتفاقاً مع السياق.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة».

في مجلس قد كساه بأحمر الوشي والوشى^(١) والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم . فلما كمل نهاره معهم، وهبهم الآنية . وكل ما كان في المجلس من الوشي^(٢) وغير ذلك .

ما نقيم عليه ووصم به

قالوا، كان عظيم الانهماك في ميدان البقالة، واتخذ نجمة من الجوارى . فصار يُراقب منهن جملة تحت لحاف واحد . وانهمك في حُب القيان ، والزمر والرقص . قالوا، وكان له فتى اسمه حسن، ذو وقبة سمينة . وقفاً عريض . فإذا شرب، كان يرزّه، ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلاً . وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسّلمى ، وكان يحضر شرابه . ويخمر^(٣) .

أدركؤوس المدام والرّز فقد ظفّرنا بدولة العـز
ونعم الكف من قنا حسن فإنها في ليانة الخـز
وصاحب إن طلبتُ أخدعه فلم يكن في بدله بمعتز
انحنى على أخداعي فاطر بنى وهزّ عنيّ أيما هـز

وأجزل صلة السّلمى حين أنشدها إياه ، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق ، واستظرفها الناس . [فردّ مُرسية دار مجونه ، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين]^(٤) . وآثر زى النصارى من الملابس ، والسلاح ، واللّجم ، والسّروج . وكلّف بلسانهم يتكلم مُباهة^(٥) ، وأجّاه الخروج عن الجماعة . والانفرادُ بنفسه (إلى الاحتماء)^(٦)

(١) هذه الكلمة واردة فقط في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت مكررة في «ج» (فرش وآنية)

(٣) وردت في «ج» وفي «الملكية» (ويخف - يخفه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطات الثلاثة . ولم تتضح حكمة وجوده هنا . والظاهر

أنه قد سقطت منه بعض كلمات .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم المعنى والساق .

بالنصارى ، ومُصانعتهم ، والاستماعة بطواغيتهم . فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة . وصالح ملك قشتالة على أخرى . فكان يبذل لهم في السنة [خمسين ألف مثقال]^(١) . وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم . فعضمت في بلاده المغارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق ، تحتق^(٢) بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر ، مؤنّاً غريبة . وأمارسوم الأعراس والملاهي ، فكانت قبالاتها غريبة . حدث بعض المؤرخين عن الثقة ، قال كنت بجيآن مع الوزير أبي جعفر الوَقَّشي فوصل إليه رجل من أهل مرسية ، كان يعرفه . فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنيس وعن سيره فقال الرجل ، أخبرك بما رأيته من جور عماله وظلمهم . وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن ، كان له بنظر شاطبة ، ضويعة يعيش بها ، وكان لازمها أكثر من فايدها ، فأعطى لازمها حتى افتقر ، وفرّ إلى مرسية . وكان أمر ابن مردنيس ، أنه من فرّ من الرعية أمام الغزو^(٣) ، أخذ ماله للمخزن . قال الرجل الشاطبي ، فلما وصلت إلى مرسية فارّاً عن وطني ، خدمتُ الناس في البُنَيان ، فاجتمع لى مثقالان سَعْدِيَّان ، فبينما أنا أمشي في السوق . وإذا بقوم من أهل بلدي شاطبة ، ومن قرابتي ، فسألهم عن أولادى وزوجتى ، فقالوا إنهم في عافية ، ففرحت فرحاً عظيماً ، وسألهم عن الضويعة ، فقالوا إنها باقية بيد^(٤) أولادك ، فقلت لهم عسى تبقيتوا عندي الليلة ، فاشتريت لحماً وشرباً ، وضربنا دقاً . فلما كان عند انصباح ، وإذا بنقر عنيف

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (خمين ألفاً من المثاقيل) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة . وربما كان القصد أنها ترددهم .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المدو) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عند) .

بالباب . فقلت من أنت ، فقال أنا الطروقون الذى بيده قبالة الله ، وهى متفقة بيدي .
وأنتم ضربتم البارحة الدف فأنقذنا حق العرس الذى عملت . فقلت له والله ما كانت
لى [عرس]^(١) . فأخذت وسُجنت . حتى افتديت بمئقال واحد من الذى خدمت به .
وجئت إلى الدار . فقيل لى أن فلاناً وصل من شاطبة الساعة . فشيت لأسأله [عن
أولادى . فقال تركتهم فى السجن . وأخذت الضويرة من أيديهم فى رسم الجبالى .
فرجعت]^(٢) إلى الدار . إلى قرايتى . وعرفتهم بالذى طراً على . وبكيت طول ليلتى ،
وبكوا معى . فلما كان من الغد . وإذا بناقر بالبواب . فخرجت . فقال أنا رجل صاحب
المواريث . أعلمنا أنكم بكيتم البارحة . وأنه قد مات لكم ميت من قرايتكم
[غنى]^(٣) . وأخذتم كل ما ترك . فقلت والله ما بكيت إلا نفسى . فكذبنى
وحملنى إلى السجن ، فدفعت المئقال الثانى . ورجعت إلى الدار [وقلت أخرج إلى
الوادى . الى باب القنطرة . أغسل ثيابى من دَرَن السجن . وأفره إلى العدو]^(٤)
فقلب لامرأة تغسل الثياب . إغسل مما على . وجردتها . ودفعته لى زناراً
ألبسه . فبينما أنا كذلك . وإذا بالخصى قائد [ابن]^(٥) مردنيش ، يسوق
ستين رجلاً من أهل الجبل ، لابسى الزنازير . فرآنى على شكاهم . فأمر بحملى
إلى الشجرة والخدمة بحصن مسقوط عشرة أيام . فلبثت أخدم وأحضر مدة عشرة
أيام . وأنا أبكى واشتكى للقائد المذكور ، حتى أشفق على وسرّخنى . فرجعت أريد
مرسية . فقيل لى عند باب البلد . كيف أسمك فقلت محمد بن عبد الرحمن ، فأخذنى
الشرطى ، وحملت [الى] القابض بباب القنطرة . فقالوا هذا من كتبته من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) أضفنا هذه الكلمة تصحيحاً للاسم .

أرباب الخالي بكنا وكذا دينار . فقلت والله ما أنا إلا من شاطبة . وإنما إسمي وافق ذلك الاسم ، ووصفت له ما جرى علي ، فأشفق وضحك مني ، وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا .

بعض الأحداث فى أيامه ، ونبذ من أخباره

استولى على بلاد الشرق . مُرْسِيَّة وبلَنْسِيَّة وشاطبة ودانية ، ثم اتسع نطاق ملكة ، فولّى جِيَّان [وأبْدَّة وبيَّاسَة]^(١) . وبَسْطَة ووادي آش ، وملك . قَرْمُوتة . ونازل قرطبة وإشبيلية . وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس . فولّى صهره ابن هَمْشَك . وقد [مرَّ]^(٢) فى باب إبراهيم . مدينة جِيَّان [وأبْدَّة وبيَّاسَة]^(٣) ، وضيق منها على قرطبة . واستولى على إستجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة وثار عليه^(٤) يوسف بن هلال من أصحابه بمحصر مطرنش^(٥) وما إليه . ثم تفسد ما بينه وبين صهره [الآخر ابن هَمْشَك]^(٥) ، فكان سبب إذبار أمره . واستولى العدو فى مدة ابن سعد على مدينة طُرْطُوشة عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة . وعلى حصن إقليج . وحصن شرانية .

دخوله غرناطة

ولما دخل ابن هَمْشَك مدينة غرناطة . وامتنعت عليه قصبته . وهزم

-
- (١) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .
 (٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق . وقد مرت ترجمة ابن هَمْشَك فى المجلد الأول ص ٢٩٦ .
 (٣) وردت (على) فى «ج» و «الزيتونة» ؛ فلزم التصويب لاستقامة المعنى .
 (٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (حصن بطرقش) . وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه .
 و حصن مطرنش يقع على مقربة من بلَنْسِيَّة .
 (٥) هذه العبارة وارد فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

الجيش المُصرَّح لمن حُصِرَ بها من الموحيدين بمرج الرقاد^(١) وثاب أثناء ذلك أمرُ الموحيدين . فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب . وأجار البحر . واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة . استعد^(٢) ابن هَمْشُك صهره الأسعد . أبا عبد الله محمد بن سعد . فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى . فوصل إلى غرناطة ، واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة بربض البيّازين . وتُعرف إلى اليوم بكُدَيْة مردنيش [وتلاحق جيش الموحيدين بأحواز غرناطة . فأينوا جيش عدوهم . فكانت عليه الدّبرة ، وفر ابن مردنيش^(٣) فلحق بجيان ، واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين فلم يكن له بعده ظهور .

وفاته

وظهر عليه أمر الموحيدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده ، وأوقعوا بجنده الوقائع العظيمة . وحُصِرَ بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ، مات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام [سبعة :^(٤) وستين وخمسية وله ثمانية وأربعون عاما ، ووصل^(٥) أمره أبو القمر هلال^(٦) ، وألقى باليدين إلى الموحيدين ، فنزل على عهدٍ ورسمٍ حسبما يأتي في موضعه .

(١) موقعة مرج الرقاد ، نشبت بين الموحيدين وبين قوات ابن هَمْشُك صهر ابن مردنيش على أثر استيلائه غرناطة في جمادى الأولى سنة ٥٥٦ هـ ، في الموضع المسمى مرج الرقاد ، ويقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل البيرة ومقابلته مكان يسمى اليوم Majorracal وقد هزم الموحدون في تلك الموقعة هزيمة شديدة

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (استمر) . وهو تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» و «الزيتونة» وفي «الملكية» (عام احد وستين وخمسة) . وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وردت في ج (وهم) وفي «الملكية» (وهم) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هلال ، أبو القمر ، هو ولد محمد بن سعد بن مردنيش . وقد أقمته القادة والأشياخ

على أثر وفاة أبيه بالتسليم للموحيدين . فصدع برأيهم وأعلن طاعته للموحيدين . وسار إلى إشبيلية يؤكد ذلك بنفسه لخليفة الموحيدين أبي يعقوب يوسف ، وتوثقت فيما بعد أواصر المودة بين خليفة الموحدى وبين آل مردنيش ، ولأشياء حين تزوج الخليفة إبنه محمد بن سعد .

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أمير المسلمين
بالأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل
على الله .

أوليته

من ولد المستعين بن هود . وأوليتهم معروفة ، ودولتهم مشهورة ، وأمرؤهم
مذكورون . خرج من مرسية تاسع وحب عام خمسة وعشرين وستمائة إلى
« الصُخُور »^(١) من جهاتها في نفر يسير من الجنود [معه]^(٢) وكان الناس
يستشعرون ذلك . ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه ، ويندّدون^(٣) . بإمرته
وسلطانته . وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحدين مرات ، إذ
كان بعض الهاتنين بالأمور السكينة ، والقضايا المستقبلة ، يقول لهم ، يقوم عليكم
قايم من صنف الجند ، اسمه محمد بن يوسف . فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من
من أهل جيان . ويقال [إن]^(٤) شخصاً ممن يفتح ذلك ، لقي ابن هود ، فأمن
النظر إليه ، ثم قال له [أنت سلطان الأندلس]^(٥) ، فانظر لنفسك ، وأنا أدلك
على من يقيم مُلكك ، فاذهب إلى المُقَدِّم الغشقي^(٦) فهو القايم بأمرك .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الحضور) . والصواب ما أثبتناه . وهو « الصُخُور »
أو « الصخيرات » حسب يأتي بعد .

(٢) الزيادة من « الزيتونة » و « الملكية » .

(٣) هكذا وردت في « ج » . ووردت في « الملكية » و « الزيتونة » (يندرون) والأولى أرجح

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا وردت في « ج » . ووردت في « الزيتونة » و « الملكية » (أنت السلطان

بالأندلس) .

(٦) وردت في المخطوطات (الغشقي) وهو تعريف .

وكان القشتى رجلاً صُلوًكا يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال ، وسباع الشرار ، قد اشتهر أمرهم ، فنهض إلى المقدم ، وعرض عليه الأمر ، وقال نستفتح بمُؤاودة إلى أرض العدو ، على اسمك وعلى سعدك ، ففعلوا ، فجلبوا كثيراً من الغنائم (١) والأسرى ، وانضاف إلى ابن هود طوايفٌ مثل هؤلاء ، وبايعوه بالصخيرات (٢) كما ذكر ، من ظاهر مرسية (٣) ، وتحرك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية ، فأوقع به وشرّده ، ثم ثاب إليه ناسه ، وعدل إلى الدعاء للعباسيين ، فتبعه ألفيف ، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد ، فاستنصر (٤) الناس في دعوته ، وشاع ذكره ، وملك القواعد ، وجيش الجيوش ، وقهر الأعداء ، ووفى للقشتى بوعده ، فولاه أسطول إشبيلية ، ثم أسطول سبّنة ، مضافاً إلى أمرها ، وما يرجع إليه ، فنار به أهلها بعد وخلعوه ، وفرّ أمامهم في البحر ، وخفي أثره إلى أن تحقق استنصاره أسيراً في البحر بغرب الأندلس ، ودام زماناً ، ثم تخلص في سن الشيخوخة ، ومات برباط آسفى .

حاله

كان شجاعاً ، ثبّتاً ، كريماً حياً ، فاضلاً ، وفيّاً . متوكلاً عليه (٥) ، سليم الصدر ، قليل المبالاة ، فاستغنى لذلك عليه ولأنه بالقواعد ، كأبى عبد الله بن الرّميى بالمربة ، وأبى عبد الله بن زنون بمالقة ، وأبى يحيى عتبّة بن يحيى الجزولى بفرناطة . وكان مجتهداً ، لم ينهض له جيش ، ولا وفق لرأى : لغلبة الخفة عليه ، واستعجاله الحركات ، ونشاطه إلى اللقاء ، من غير كمال استعداد .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الغنى) . والتصويب أرجح .

(٢) هى الصخور أو الصخيرات كما سبق شرحه .

(٣) وردت في «الزيتونة» (غرناطة) وهو خطأ ظاهر .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (فاننصر) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» ، ووردت بحرفة في «ج» (كقالبه) . والتصويب

من «أعمال الأعلام» .

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم. منها هزيمة السلطان الغالب بالله إياه مرتين، إحداها بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجاً^(١) بنفسه. ثم هزمه بالبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة. واستولى على محلاته، ولأذ منه بمدينة مرسية. ثم شغل المأمون الأمر، وأهمته الفتنة الواقعة بمرّا كُش، فصرف وجهه إليها. وثاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المرية، ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستماية، تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصراخ^(٢) مدينة ماردة، وقد نازلها العدو وحاصر، ولقى العاغية بظاهرها، فلم يتأن زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافه^(٣). ثم لما كرّ إلى ساقته. وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. واستولى العدو على ماردة بعد ذلك.

وفُتح عليه في أمور. منها تملكه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستماية، وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بعماد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين. رجعت قرطبة إلى طاعته، واستوْمدق أمره. وتملك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستماية، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال. دخل في طاعته الريّسان أبو زكريا، وأبو عبد الله، إبننا الرئيس أبي سلطان [عزيز]^(٤) بن

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ثم نجاً) والمؤدى واحد.

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وفي «أعمال الأعلام».

(٣) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (مصابه - مصارفه - مصابه). وبالتصويب

يستقيم السياق.

(٤) الزيادة من «أعمال الأعلام».

أبي الخجاج بن سعد . وخرجا عن طاعة الأمير أبي جَمِيل ، وأخذوا البيعة لابن هود على ما في أيديهما . وفي سنة ست وعشرين وستمائة ، تملك الجزيرة الخضراء عَنوة ، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام . وفي العشر الأوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو وُجْهة مدينة وادي آش . فأسرى ليلد مسرجاً^(١) بقية^(٢) يومه . ولحق بالعدو على ثمانين ميلاً . فأتى على آخرهم . ولم ينج منه أحد .

أخوته

الرئيس أبو النجاة سالم ، [وعلامته وثقتُ بالله]^(٣) ، ولقبه عماد الدولة ، والأمير أبو الحسن عضد الدولة ، وأسرره العدو في غارة^(٤) ، وافتكَّ بهال كثير ، والأمير أبو إسحاق شرف الدولة . وكلهم يُكْتَب عنه ، من الأمير فلان .

والده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله ، أخذ له البيعة على أهل الأندلس . في كذا ، ووُلِّي بعده ولَّى عهده ، واستقلَّ بملك مرسية . ثم لم يَنْشُب أن هلك .

دخوله غرناطة

[دخل غرناطة]^(٥) مرَّات عديدة ، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وقد وردت عليه الرأية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد . وبمصلَّى غرناطة ، قرى على الناس كتابه ، وهو قايم ، وزِيَّ السَّواد ، ورايته السوداء بين يديه ،

(١) وردت في «ج» (مصرجا) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بجاية) وهو تحريف ظاهر . والتصويب يستقيم المعنى

والسياق .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (غزوة) .

(٥) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» ، وساقطة في «ج» .

وكان يوم استسقاء ، فلم يستم على الناس قراءة الكتاب يومئذ ، إلا وقد جادت السماء بالمطر ، وكان يوماً مشهوداً ، وصنعاً غريباً ، وأمر [بعد انصرافه]^(١) ، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد .

وفاته

اختلف الناس في سبب وفاته ، فذكر أنه قد عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره ، فلما تصير إليه الأمر ، أعجبه وومية [حصلت له بسبب السبي]^(٢) من أبناء زعمائهم ، من أجل الناس ، فسترها عند ابن الرميى خليفته ، فزعموا أن ابن الرميى علق بها . ولما ظهر حملها . خاف افنضاح القصة . فدبر عليه الحيلة ، فلما حل بظاهر المرية ، عرض عليه الدخول إليها ، فاغتاله ليلاً ، بأن أقعد له أربعة رجال ، قضاوا عليه خنقاً بالوسايد . ومن الغد ادعى أنه مات فجأة ، ووقف عليه العدول ، والله أعلم بحقيقة الأمر^(٣) . سبحانه . وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستمائة . وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود : والأمر قبل وقوعه ، يقول الشاعر :

هُمَامٌ بِهِ زَادَ الزَّمَانُ طَلَاقَةً وَلَدَتْ لَنَا فِيهِ الْأَمَانِي مَوْرَدًا
فَقُلْ لِبْنِي الْعَبَّاسِ هَاهِي دَوْلَةٌ أَضَارُ بِهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأُنْجَدَا
فَإِنْ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَصْفُهُ بْتَمْهِيدِ هَذِي الْأَرْضِ قَدْ جَاءَ فَاهْتَدَا^(٤)
فَإِنْ بَشَّرْنَا بِابْنِ هُودٍ مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ ابْنَ هُودٍ مُحَمَّدًا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعد أن انصرف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (في سبي الروم)

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الزيتونة والملكية (ذلك) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (فابتدا) .

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب

ابن حامد بن زيد بن منخل النافقي

يكنى أبا بكر من أهل غرناطة . وسكن وادي آش .

أوليته

أصل هذا البيت من إشبيلية ، وذكره الرأزي في الامتيعاب ، فقال ،
ويأشيبيلية بيتُ زيد النافقي ، وهم هناك جماعة كبيرة . فرسانٌ ولهم شرف قديم ،
وقد تعرفوا في الخدمة . بَلَدِيُون^(١) ، ثم انتقلوا إلى طَلَيْطَلَة ، ثم قرطبة ، ثم
غرناطة . وذكر الملاحى في كتابه^(٢) ، الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب
[بن زيد]^(٣) ، وعَدَّه من أهل الشورى ، وقُضَا الجماعة بفرناطة . وأحمد بن زيد
ابن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد ، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب
بالله بن نصر ، وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها ، وعَمَّنْ جُمُعَ له بين الدين
والفضل والمالية .

حاله ونباهته ومحتته ووفاته

كان هذا الرجل عَيْشًا ، من أعيان الأندلس ، وصدرًا من صدورها . نشأ عَفَاً

(١) البلدون نطق على العرب . ثم اقلوا الذين كانوا الأندلس واسفروا بها . قبل قدوم بني هود .
مع الحاج بن بشر القشيري أو الطالعة السجدة .

(٢) الملاحى ، هو محمد بن عبد الواحد أنه قهر . وأصله من اندلس وهو قرية من
البيرة . وقد برع في الأدب والرواية والسجع وألف عدة كتب عربية . أشهرها كتابه
الخير والشر . وأما . وهو بابن زيد هذا . وقد يخطى بخطب الأندلس . وقاتلها من
وقد ذاع صيته بين بني هود . فقاموا بالزحف على بني هود . فقاموا بالزحف على بني هود .

(٣) بن زيد بن هود .

مُتَّصَاوِنًا عَزُوفًا ، وَطِلَاوَةً ^(١) نَزِيهًا [أَبِيَا كَرِيمِ الْخُزُولَةِ] ^(٢) ، طَيِّبِ الطَّعْمَةِ ، حُرِّ الْأَصَالَةِ ، نَبِيهِ الصُّهْرِ ^(٣) . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْوِزَارَةِ بَيْلَهُ ، ثُمَّ قُدِّمَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنَ الْفَرَسَانِ ، فَأَوْرَدَهُمُ الْمَوَارِدَ الصَّفِيَّةَ بِإِقْدَامِهِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنَ الْعُدُوِّ الْفُرْصَةَ ، وَأَكْسَبَهُمُ الذِّكْرَ وَالشُّهُرَةَ ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَى غَضَاظَةِ الْإِيمَانِ ، وَصِحَّةِ الْعَقْدِ ، وَحُسْنِ الشَّيْخَةِ ، وَالْإِسْتِرْسَالِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ ، وَالْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأَمْنَالِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَمَسْحَبِ أَذْيَالِ الطُّهَارَةِ ، وَهَجْرِ الْخُبَايِثِ ، وَإِثَارِ الْجَدِّ ، وَالْإِنْخِطَاطِ فِي هَوَى الْجَمَاعَةِ .

مَشِيخَتُهُ ^(٤)

قَرَأَ بِفَرْنَاتَةِ عَلَى شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَمَّارِ ، وَبَيْلَهُ عَلَى الْأَسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرْسُونِيِّ ، وَبِهِ انْتِفَاعُهُ ، وَكَانَ جَهْوَرِي الصَّوْتِ ، مُتَفَاضِلًا ، قَلِيلَ التَّهَيُّبِ فِي الْحِفْلِ . وَلَمَّا حَدَّثَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِيَادِ دَوْلَتِهِ ، وَتَلَا حَقَّ بَوَادِي آشِ مُفْلِتًا ، قَامَ بِأَمْرِهِ ، وَضَبَطَ الْبَلَدَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَلْمِ الْمُدَاهَنَةَ ^(٥) فِي أَمْرِهِ ، وَجَعَلَ حَيْلَ عَدُوِّهِ دُبْرَ أُذُنِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الْعُدُوِّ ، فَكَانَ زَمَانُ طَرِيقِهِ مُقَدِّيًا لَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِمَأْمَنِهِ ، فَتَرَكَهَا مَغْرِبَةً .

خَبَرُ فِي وَفَاتِهِ وَمَعْرِجَتِهِ ^(٦)

وَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُحَمَّدِهِ ، وَاسْتَأْثَرَ [بِهِ الدَّخْلُ] ^(٧) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزِّيْتُونَةِ» .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» (أَبِيَا كَرِيمِ الْحَوْلَةِ) وَالتَّصْوِيبِ أَرْجَحُ . وَسَاقَطَةُ فِي «الزِّيْتُونَةِ» «الْمَلِكِيَّةُ» .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (الظُّهَرُ) .

(٤) سَاقَطَةُ فِي «ج» . وَوَارِدَةٌ فِي «الزِّيْتُونَةِ» .

(٥) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (الْمَرَاهِنَةُ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزِّيْتُونَةِ» .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الزِّيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (بِالدَّخْلِ) .

اغتياله ، وأغرى به عقد ضنائه ، وخلطه بنفسه ، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة ، فتقبض عليه ، وعلى ولده ، لباب بنى وقته ، وغرة أبناء جنسه ، فأودعهما مطبق أرباب الجرائم ، وهم باغتيالهما^(١) ، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لحرم من عام اثنين وستين وسبعمائة في جملة من النبهاء ، مأخوذتين بمثل تلك الجريمة . ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية ، في العشر الأول لربيع الأول مصفدين . ولما حلوا بها ، أقاموا تحت برّ وتجلة ، ثم ركبوا البحر إلى تونس ، فقطع^(٢) بهم أسطول العدو بأحواز تكررنت ، ووقعت [بينه و]^(٣) بين المسلمين حرب ، فكرم مقام المترجم يومئذ ، وحسن بلاؤه . قال المخبر ، عهدى به ، وقد سلّ سيفاً ، وهو يضرب العدو ويقول ، اللهم اكْتُبْهَا لى شهادة . واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ، ومنهم ولده ، وكُتِبَ^(٤) افتكّ الجميع ببلد العناب^(٥) ، وانصرف ابنه إلى الحج ، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة . من سُكون وفضل ودين وحياء ، وتلاوة ، إلى ما كان يجده من الرّكض ، ويمانیه من فروسية ، فضى على هذا السبيل من الشهادة ، نفعه الله ، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعمائة .

شعره

أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن [له]^(٦) :

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغتيالها) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٣) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (القبلة) . والأولى أرجح .
 والعناب هي ثغر بونة .
 (٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

يأبىها المرتجى لطف خالقه
لو كنت توقن حقاً لطف قدرته
فإن لله لطفنا عز خالقه
وكل أمر وإن أعياك ظاهره
وفضله في صلاح الحال والمال
فاشمخ بأنفك عن قيل وقال
عن أن يقاس بتشبيه وتمثال
فالصنع في ذلك لايجرى على بال

محمد بن أحمد بن محمد^(١) الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله. ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، القهرمان بها، المستنور آخر عمره، سداد من عون.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتصاؤن، جانحاً إلى الخير، محباً في أهل الإصلاح، مغضوب الطارف عن الحرم^(٢)، عفيفاً عن الدماء، مستمسكاً^(٣) بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرز في عدول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرائض، وحظّه تافه^(٤) من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة [مرقوساً مع الجملة]^(٥). وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعين لحصر ما استرفع من منتهب ماله، وتحصل بالدار السلطانية من آثاته وخرنيته^(٦)، فحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (أحمد).

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية»، وفي «الزيتونة» (الحرام).

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». ووردت في «ج» (متسكا).

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرورساً مع الجملة) ونعتقد أن تصويب الكلية الأولى

يعطى العبارة معنى مناسباً.

(٦) الخثر أى أثاث البيت.

الوقت ، وطلَّع له جاه كبير ، وتملَّك أموالاً عريضة ، وأرضاً واسعة^(١) ، فجمع الدنيا بحزمه ومنابرته على تنمية داخله . [وترقى]^(٢) إلى سماء الوزاوة في الدولة السادسة من الدول النُصيرية ، بتدبير شيخ الغزاة ، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلاء ، فوصله إلى إدوار دنياء ، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتأذَّن الله سبحانه بنفاد أجله على يده ، فاستولى وحجَّب السلطان . ثم وقعت بينه وبين مُرَّشِّحه ، الوَحْشَة الشهيرة ، عام سبع وعشرين وسبعمئة ، مارساً^(٣) لمكان الفتنة ، صِلَة فارط في حجَّب السلطان ، وأجلى جُهور ما كان ببابه ، ومنع من الدخول إليه . فاضطربت حاله ، وأعمل التدبير عليه ، فهجم عليه بدار الحُرَّة الكبيرة جَدَّة السلطان ، وكان يعارضها في الأمور ، ويجعلها [تسكأة لغرضه]^(٤) ، فتَيَّان من أحداث المالك ، المُستبقيين مع محجوبه ، تناولاه سَطّاً بالخناجر ، ورمى نفسه في صهرج الدار ، ومازالا يتعاورانه من كل جانب [حتى فارق الحياة]^(٥) رحمه الله تعالى .

مَشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له فيه فُراسة صادقة .

(١) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (إلى ضاف طريقتهما التي لو كان له) وقد آثرنا الإغضاء عنها .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (داوسا) والأولى

أرجح .

(٤) هذه العبارة ولردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكفي أبا بكر [ويشهر بالأشبرون]^(١) . قاضي الجماعة .

حاله

كان طرِفًا في الدِّهَاءِ والنَّخْلِ والمعرفة بمقاطع الحقوق ، ومفايز الرِّيب ، وعِلَلِ
الشَّهادَاتِ ، فذًا في الجزالة ، والصُّرَامَةِ ، مقدمًا^(٢) ، بصيرًا بالأُمُور ، حسن السِّيرة ،
عذب الفكاهة ، ظاهر الحُظُوة ، على الرِّتبة . خرج من إشبيلية عند تغلب العدو
عليها ، ووَلَّى القضاء بمالقة وبسطة . ثم وُلِّي الحسبة^(٣) بفرناطة ، ثم جُمِعَتْ لَهُ إليها
الشرطة . ثم قُدِّمَ قاضيًا ، واستمرت ولايته نحوًا^(٤) من ثلاثين سنة .

وفاته

توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيَّات السَّكَلَايَ

ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيَّات ، من أهل بُلُّش يكفي أبا بكر .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٢) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة (صارما) . وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .
وقد أغضينا عنها لأنها تكرر لا محل له .

(٣) وردت في «الزيتونة» (الخدمة) وفي «ج» و «الملكية» (الجدعة - الخدعة) . ونعتقد
أن التصويب أرجح ، وهو يستقيم مع المعنى والسياق .

(٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (مدة) .

حاله

من «عائد الصلة» من تأليفنا (١). كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقيماً للأبهة، مستدعياً بأبيه ونفسه للتعجّل. بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروعة وحشمة، إلى خطّ بديع قيد البصر، ورواية عالية. ومشاركة في فنون. وقراءة، وفقه. وعربية، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرسم، واستعمل في السفارة، فسدّ مسدّ مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، وبغرناطة، على شيخ الجماعة الأستاذ [أبي جعفر] (٢) بن الزبير. ومن أعلام مشيخته، جدّه للأُم خال أبيه، الحكيم العارف أبو جعفر ابن الخطيب [أبي الحسن بن الحسن المذحجي الحمي] (٣). والخطيب الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة، والوزير أبو عبد الله ابن رشيد.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

(١) «عائد الصلة» هو حسبا بينا في مقدمة «المجلد الأول» مجموع صغير من التراجم كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا على كتاب «صلة الصلة» لابن الزبير. وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين. وهو يقتبس منه في كثير من تراجم الإحاطة.

(٢) ساقطة في «ج» واردة في «الزيتونة».

(٣) هذه الزيادة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية».

أَوَّلِيَّتُهُ وَحَالُهُ

[كان أبوه نجاراً من مُدَجْنِي مدينة إشبيلية^(١) من العارفين بالحِيل الهندسية ، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية ، والعمل بها ، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق ، واتخذ له الدولاب ، المنفح القطر [البعيد المدى]^(٢) ، مُلَتِن المركز والمحيط ، المتعدّد الأكواب ، الخفيّ الحركة ، حسبما هو اليوم مائل^(٣) بالبلد الجديد ، دار الملك بمدينة فاس ، أحد الآثار التي تمحّو إلى مشاهدتها الرُّكَّاب ، وبناء دار الصُّنعة بسلا . وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من بني نصر ، ومث إليه يوسيلة ، أدنّت محلّه ، وأسنّت جراياته ، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين ، أبي الجيوش نصر ، واضطلع بتدبيره . وقم الناس عليه بإثارة لمقاتلات الرُّوم ، وانحطاطه في مهوى^(٤) لهم ، والتشبه بهم في الأكل والحديث ، وكثير من الأحوال والهينات والاستحسان ، وتطريز المجالس بأمانهم وحكمهم ، سمّةٌ وسمت منه عقلاً ، لنشأته بين ظهرانهم ، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم ، فلم تفارقه بحال ، وإن كان آية في الدهاء ، والنظر في رجلٍ بعيد الغور ، عميق الفكر ، قايم على الدّئمّة ، مُنطوي على الرُّضف ، لين الجانب ، مبذول البشر^(٥) ، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الرُّوم

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الملكية» . ووردت مكانه في الزيتونة الجملة الآتية (كان جده من مدينة إشبيلية) . وما ورد في «ج» أدق وأرجح ، يؤيد ما ورد بعد من وصف الأب بالمعرفة بالحيل الهندسية . والمدجنون في تاريخ الأندلس كما سبق هم المسلمون الذين بقوا في القواعد الأندلسية المغلوبة تحت حكم النصارى . وبالإسبانية Mudejares .
(٢) هكذا وردت في «ج» ووردت في «الملكية» (البعيد المدار المحيط) .
(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (مؤثّل) .
(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (قهرى) . وفي «الزيتونة» (هم) .
(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (بشرة) .

وسيرهم ، مُنَحَم الأَوْضَاع [فِي] أَدَب الخِدْمَةِ ، دَرَب^(١) بالتصريف في أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم ، وجَهِرُوا بِإِسْلَامِهِ إِلَيْهِمْ ، وقد ولوه بسبب الثورة . وطَوَّقُوهُ كِيَاد الأَزْمَةِ . فَضَنَّ بِهِ السلطان ضَنَانَةً ، أَعْرَبَتْ عَنْ وُفَايِهِ ، وصان مُهْجَتَهُ . واستمر الأمر إلى أن خُلِعَ الملك عن الملك . وكان نزول [الوزير^(٢)] المذكور تحت خفارة شيخ الغَزَاة ، وكبير الطائفة . عثمان بن أبي العلي ، حَانَتْقَل محفوظ الجملة ، مُحُوط الوفير . ولم يَنْشَبْ إِلَى أن لجأ إلى العُدُوَّة ، واتصل بالأمير أبي علي عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد ، فخرَّكه . زعموا ، على مُحَادَّة أبيه ، وحمله على الانْسِرَاء ، فكان ما هو معلوم من دُعَايِهِ إِلَى نَفْسِهِ ، ومنازعة أبيه [٣] . ولَقَايَهُ إِيَّاهُ بِالْمَقْرَمَةِ^(٤) وفُلَّ جَيْشُهُ . وفي أَثْنَائِهِ هَلَكَ المترجم به .

وفاته

توفي بغاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربع عشرة وسبعمائة .

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النميري^(٥)] من أهل وادي آش : يكنى أبا يحيى .

حاله

كان صَدْرًا شَهِيرًا ، عَالِمًا عَظِيمًا ، حَسِيْبًا ، أَصِيْلًا ، جَمَّ التَّحْصِيل ، قَوِي

(١) رردت في «ج» (دربا) . وبالتصويب من «الملكية» .

(٢) واردة في «ج» وفي «الملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الحاصرتين كلها ساقطة في «الزيتونة» .

(٤) المقرمدة هي بلدة صغيرة تقع على مقربة من جنوب شرق فاس .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الملكية» .

الإدراك . مضطماً بالعربية واللغة . إماماً في ذلك ، مشاركاً في علوم من حساب
وهيئة وهندسة . قال الشيخ . كان في هذا كاد أربع من لقيته ، إلى سراًوة
وفضل وتواضع ودين ، جاريّاً في ذلك على من سلفه . وعلو محنّده . جالسته .
رحمه الله . كثيراً عند [عليّة] ^(١) من أدركته بغرناطة . لإقامته بها
[وتكرر لقائى إياه بها] ^(٢) وبغيرها ، فرأيت أصيلاً جليلاً ، قد جمع علماً
وفضلاً . وحسن خلق . وكان حسن التقييد ، خلقة رونق يمتاز به . ويعد
عن غيره ، ولى القضاء ببلده . ثم ولى بعد مدة بئرشة ^(٣) فجمدت سيرته .

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودى بن عبد الرحمن . وقرأ عليه
الغريب ^(٤) واللغة ، ولأزمه في ذلك ، وأجاز له [إجازة] ^(٥) عامة . وأخذ
من غيره ببلده ، وصحب بغرناطة جملة ^(٦) من العلماء بها . أيام اختلافه إليها ،
وإقامته بها .

تأليفه

ألف كتاباً سماه « الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال » ، وهو
كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأفدته . واختصر الغريب المصنف . وله تقايد

(١) ساقطة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (وتقرر لقائى إياه بها) .

(٣) برشة وبالإسبانية Purchena بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة غربى مدينة المنصورة
وشمالى نهر المرية .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة . وقد تكون (جلة) .

منشور ومنظوم في علم النجوم . ورسالة في الإسطرلاب الخطي والعمل به . وشجرة
في أنساب العرب .

وفاته

توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبع وخمسين وسبعماية ،

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن
محمد] ^(١) بن خاف بن محمد بن ساجان بن سوار بن
أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير ^(٢) بن عيَّاش

المسكني بأبي عيشون بن سحود ، الداخذل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير ،
ابن عتبسة بن حارثة بن العباس بن المرداس ، يكنى أبا البركات ، بلقي ^(٣)
الأصل ، مروي ^(٤) النشأة والولادة والساف ، يعرف بابن الحاج ، وشهر الآن
في غير بلدة بالبلقي ، وفي بلدة بالمعرفة القديمة .

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس ؛ صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وأحد خطبايه وشعرايه . وديس في الإسلام . وديس في الجاهلية .
وكان لسلفه . وخصوصاً لإبراهيم من الشهرة بولاية الله ؛ وإيجاب الحق من خلقه

(١) - الزيادة بين الحاصرتين من «الزيتونة» .

(٢) في «الزيتونة» (سعد) فقط .

(٣) بلقي نسبة إلى بلقي Belfiq وهي بلدة من بلاد ولاية ألمرية ، تقع جنوب برشانة .
على مقربة من نهر المنصورة وشمال ثغر ألمرية .

(٤) مروي هنا نسبة إلى «ألمرية» .

ما هو مشهور ، حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ،
كأبي بكر بن صهيب ، وابن عمه أبي إسحاق ، وغيرهم ، الكثير من صنف
في رجال الأندلس ، كأبي عبد المجيد الملقب ، وابن الأبار ، وابن طلحة ،
وابن فرثون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ،
فليَنظر هناك .

حالـه

نشأة ببلده المرية عمود^(١) العفة ، فضفاض جُلُباب الصيانة ، عَضِيض طرف
الحياء ، نأى جَنبَ السَّلام ، حليف الانقباض والازورار ، أويًا إلى خالص النشَب
وَبَحْت^(٢) الطَّعْمَة ، لا يُرى إلا في منزل من سألَه ، وفي حَلَقِ الأسانيد ، أو في
مسجد من المساجد خارج المدينة المَعْدَّة للتعبُّد ، لا يجيء سوقًا ، ولا مجمعا ، ولا
وليمة ، ولا مجلس حاكم [أو وال]^(٣) ، ولا يلبس أمرًا من الأمور ، التي
جرت عاداته أن يلبسها بوجه من الوجوه . ثم تَراعى إلى رحلته^(٤) ، فحَسَّ خلال
القطر الغربي إلى بجاية ، نافضًا إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده ،
وأخذه قيام ذكر ، وإغفال شهرة . ثم صرف عِنايته إلى الأندلس ، فتصرف
في الإقراء ، والقضاء ، والخطابة . وهو الآن نسيجُ وحدِه في أصالة عريقة ، وسجِّية
على السلامة مَفْطُورَة [فما شئت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ،
ونُصح مَبْدُول ، وتصنعُ مرفُوض]^(٥) ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ،

(١) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وتحت) وهو تعريف .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (حلة) والتصويب من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

ودمعة سريعة . وهزل يُشمر تجلّة . وانبساطٍ يفيد حُسن نية . إلى حُسن العهد . وفضل المشاركة . ورقة الحاشية . وصلابة العود ، وصدق العزيمة ، وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة . وجلّة الوقت . وفايدة العصر ، تفنّناً وإمتاعاً ، فارس المنابر غير الهَيَّابَة ، ولا الجزُوع ، طيب النغمة بالقرآن ، مُجَهَّشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياح الأوقات ، [مدمعا على الفينة]^(١) ، مُجِمّاً ، مُحَوِّلاً في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يُسمح فيه الإيجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكنى فيه الإلماع والإشارة ، أبقى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته . ولايته

تقدم قاضياً بقنالش^(٢) ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة^(٣) ثم ولى مَرَبَلَّةً ، وإِسْتَبُونَةَ^(٤) ثم كالت رحلته^(٥) إلى بجاية . ثم عاد فقدم بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسلم ، مُتَّفِقاً على اضطرّاعه بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب إلى الأندلس ، واستقر ببلده المرية ، ففقد بمسجدها الجامع للإقراء [ثم قدّم قاضياً ببرجة ودلاية ، والبينول^(٦) وفنيانة^(٧)] ، ثم نقل

(١) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) قنالش من بلاد وادى المنصورة في شمال ولاية المرية ، وتقع على مقربة من بلفيق بلد ابن الحاج .

(٣) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (خمس وسبعمائة) .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرية) وهو تحريف . ومربلة وبالإسبانية Marbella هي ثغر أندلسى صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غرب مالقة . وإستبونة أو إشتبونة تقع بعدها على الشاطئ . وقد سبق التعريف بها .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ولايته ورحلته) .

(٦) برجة Berja من بلاد ولاية المرية وتقع غربي ثغر المرية . ودلاية Dalias تقع جنوب شرق برجة . والبينول Albinol من بلاد ولاية مالقة ، وتقع غربي النهر الأحمر وشمال شرق مترل .

(٧) فنيانة هي بلدة صغيرة من بلاد ولاية المرية تقع جنوب شرق وادى آش .

عنها إلى بيرة^(١) ، ثم غربي ألمرية^(٢) . ثم قُدِّم قاضياً بمالقة ، ثم قُدِّم بغيرها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب «طُرُفَةُ العصر»^(٣) من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعمائة ، ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى ، وانتابه^(٤) الطلبة ، ووجوه الحضرة والدولة ، مهنيين بمشواه من دار الصيانة ، ومحل النجلة ، إحدى دور الملوك بالحمراء ، فظنوا يفتشونه [بها]^(٥) زَرَافَات ووُحْدَانًا ، في إناحة الخير ، وإلهام السداد ، وتسويغ الموهبة . وكان وصوله ، والأفق قد اغْبَرَّ ، والأرض قد اقشَعَرَّت لانصرام حظٍّ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته ، لم يسح فيه الغمام بقطرة ، ولالمت السماء بنزعة ، حتى أَضْرَّت^(٦) الأنفس الشح ، وحَسَرَ العُسر عن ساقه ، وتوقفت البُذور ، فساعده الجُدُّ بنزول الرِّحمة عند نزوله من مِرْقاة المنبر ، مُجَابَةً دعوة استسقاياه ، ظاهرة بَرَكَةِ خشوعه ، ولذلك ما أُنشِدت في تلك الحال :

ظَمِئَتْ إِلَى السَّقْيَا الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَامًا مَجْدِبًا
وَالغَيْثُ مَسْدُولُ الْحِجَابِ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَمَامِ قَدُومُكُمْ فَنَادِبًا
وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها ، مضطلمًا بأصالة النظر ، وإرجاء المشبهات ، وسلك في الخطابة طريقةً مُثْلَى ، يفرغ في قوالب البيان أغراضها ،

(١) بيرة بلدة صغيرة تقع شمال شرق ألمرية على مقربة من مصب نهر المنصورة .

(٢) ما بين الحاصرتين واردة في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) قد تم التبريف به في مقدمة المجلد الأول . وعنوانه الكامل «طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر» . ولم تصلنا منه أية نسخة مخطوطة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وانتبه) و «الملكية» (وانتباه) وهو تحريف .

(٥) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

وَيَتَسَرَفُ عَلَى الْأَحْكَامِ السَّكَوَانِ وَالْبَسَاطَاتِ أَسَالِيهَا. مِنَ الْحَاكَاةِ (١). بِاخْتِلَافِ
التَّبَضُّعِ وَالْبَسْطِ . وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . حُظُوظَهَا عَلَى مَتَبَضِّضِ الْعَدْلِ . وَسَبَبِ الصَّوَابِ
يَقُومُ عَلَى كَثِيرٍ (٢) مِمَّا يَصْدَعُ بِهِ ، مِنْ ذَلِكَ شَاهِدُ الْبَدِيهِ . وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَابِ .
قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ : ثُمَّ صُرِّفَتْ عَنْهَا لِلسَّبَبِ الْمُتَقَدِّمِ . وَبَقِيَتْ مُقِيمًا بِهَا ،
لَمَّا اشْتَهَرَ مِنْ وَقُوعِ الْوَبَاءِ بِالْمَرْيَةِ ، ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَى الْقَضَاءِ وَالْخَطَابَةِ بِالْمَرْيَةِ ، وَكُتِبَ
بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ رَجَبِ عَامِ تِسْعَةِ (٣) وَأَرْبَعِينَ . وَبَقِيَتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صُرِّفَتْ
بِسَبَبِ مَا ذَكَرَ . ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ ، عَنِ
أَنْ يَكُونَ الْإِنْقِطَاعُ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ . فَأَنَا الْآنَ أَتَمُّنُّ بِمَا قَالَهُ . أَبُو مُطَرِّفٍ (٤) بْنُ عَمِيرَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَدْ لُسَبْنَا إِلَى الْكِتَابَةِ يَوْمًا (٥) [نَمَّ جَاءَتْ] (٦) خُطَّةُ الْقَضَاءِ تَلِيهَا
وَبَسْكَلٌ لَمْ تُطَقْ لِلْمَجْدِ إِلَّا (٧) مَزَلًا نَائِيًا وَعَيْشًا كَرِيهَا
لِسَبَّةٍ بَدَّلْتُ فَلَمْ تَتَغَيَّرْ مِثْلُ مَا يَزْعُمُ الْمُهَنْدِسُ فِيهَا
بَدَّلَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابَةِ إِلَى الْخَطَابَةِ . وَأَغْرَبَ مَا رَأَيْتُ مَا أَحْكَى لَكَ ،
وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِبَعْضِ ذَلِكَ ، أَنْ أَفْضَلَ مَا صَدَّرَ عَنِّي فِي ذَلِكَ ، الْخُطْبَةَ مِنَ الْعَمَلِ
الَّذِي أَخْلَصْتُ لِلَّهِ فِيهِ ، وَرَجَوْتُ مِنْهُ الْمَثُوبَةَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مَفْتَخَرٌ

-
- (١) هَكَذَا فِي «ج» وَ «الْمَلِكِيَّةِ» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (الْحَاكَاةُ) .
(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَفِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (الكَثِيرُ) .
(٣) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَ «الزَيْتُونَةِ» (سَبْعَةٌ) .
(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَهِيَ تَرْسُمُ عَادَةَ (أَبُو الْمُطَرِّفِ) .
(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَمِيرَةَ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِحَاطَةِ (ص ١٧٧)
كَالآلَى : (قَدْ عَكَفْنَا عَلَى الْكِتَابَةِ حِينًا) .
(٦) هَكَذَا فِي «الزَيْتُونَةِ» . وَفِي «ج» (وَاتَّصَلَتْ) .
(٧) وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَمِيرَةَ كَالآلَى (وَبَكُنْ لَمْ يَبْقَ لِلْجَهْدِ إِلَّا) (الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ
ص ١٧٧) .

لمن أراد أن يفتخر [غير]^(١) ملأفت للدنيا . فعليه عولت سبحانه .
انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلى بخطه [ما نصه] . وهو فصل من فصول : وأما توالي في فأكثرها ،
أو كلها غير مُتَمِّمة . في مُبَيَّضَات . منها كتاب ، قد يَكْبُو الجواد في أربعين
غلطة [عن أربعين من النقاد ، وهو نوع من تصحيف الحُفَاط للدارقُطني ، منها
سَلَوَةُ الخاطر]^(٢) فيما أشكل من نسبة النسب الرّيب إلى الذّاكر . ومنها كتاب
« قَدَرُ جَمِّ في نظم الجمل » . ومنها كتاب « خطر فبطر » : ونظَر فَحَظَر ، على تنبيهات
على وثائق ابن فُتُوح . ومنها كتاب « الإفصاح فيمن عُرِف بالأندلس بالصلاح » .
ومنها « حركة الدخولية في المسألة المالقية » . ومنها « خُطَرَةُ المجلس في كلمة وقعت في
شعر استنصر به أهل الأندلس » جزء صغير . ومنها « تاريخ المُرِيَّة » غير تام .
ومنها ديوان شعره المسمى « بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج » .
ومختصرة سماه القاضي الشريف « اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج
يُسْتَخْرَجَان »^(٣) . ومنها « عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصّات المنابر » يحتوي
على فصول الخطب التي أنشئت بطول بني والخطابة . ومنها « المؤتمن على أبناء
أبناء الزمن »^(٤) . ومنها تأليف [في]^(٥) أسماء السكتب ، والتعريف بمؤلفيها ،

(١) الزيادة من «الملكية» .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذا العنوان هو كما ورد في «ج» وفي «الزيتونة» . ولكن المقرئ يورده لنا في «نفع

الطيب» كالأق : (اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان» .

(٥) ورد هذا العنوان في «الملكية» كالأق : (المستومان على أبناء الزمن) .

(٦) «إ» زيادة من «الزيتونة» .

على حروف المعجم . ومنها « ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات » ومنها كتاب « ما رأيت وما رُئى لى من المقامات » . ومنها كتاب « المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك » . ومنها « مُشَبَّهَات اصطلاح العلوم » . ومنها « ما كثر وروده فى مجلس القضاء » (١) . ومنها « الفَلَسِيَّات » ، وهو ما صدر عنى من الكلام على صحيح مُسلم أيام التكلّم عليه فى النعلّيس . ومنها « الفصول والأبواب ، فى ذكر من أخذ عنى من الشيوخ والأتباع والأصحاب » .

ثم قال ، وقد ذهب شَرَحُ الشَّباب ونشاطه ، وتقطّعت أوصاله ، وَرَحَلَ رِباطه ، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال ، وقلة المبالاة التى لا يصل أحد بها إلى مَنال . وهذه الأعمال لا يُنْشِطُ [إليها إلا] (٢) المحرّكات التى هى مفقودة عندى ، أحدها طلبه مجتمعون متعطّشون إلى ما عندى ، منشوّفون غاية التشوّف ، وأين هذه بالمرية . الثانى ، طلبُ رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم ، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ فى عادة هذا الوقت ، فالتشوّف لهذه الرياسة مفقود عندى . الثالث ، سلطانٌ يلاّ يد من يُظهر مثل هذا ، على يده غبطة ، وما تم هذا . الرابع ، نيةٌ خالصة لوجه الله تعالى فى الإفادة ، وهذا أيضاً مفقود عندى ، ولا يد من الإنصاف . الخامس ، قصدُ بقاء الذِّكْر . وهذا خيال ضعيف بعيد (٣) عنى . السادس ، الشفقة على شيء ابتدئ ، [وسعى فى] (٤) تحصيل مبادئه ، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق ، وهذا السادس ، هو الذى فى نفسى منه شيء ، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت ، وما أخذت ، ويكون إن شاء الله

(١) هذا العنوان وارد فقط فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هاتين الكلمتين ليستقيم السياق . ووردت مكانهما فى المخطوطات الثلاثة (الى) وهى لا تكنى لربط المعنى .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بعد) . والتصويب أرجح .

(٤) وردت فى «ج» (ونعوى) وفى «الزيتونة» (ونعى فى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

إبراز^(١) [إذا] ^(٢) الصَّحْف نُشِرَتْ . وأكْثَرُ زَمَانِي يَنْهَبُ فِي كَيْفِيَةِ الْخُرُوجِ عَمَّا أَنَا فِيهِ . فَإِذَا يَنْظُرُ إِلَى الْعَاقِلِ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ ، لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا الشَّفَقَةَ عَلَى . وَالرَّحْمَةَ لِي . فَلَمَّا يَرَى رَجُلًا مُطَرِّقًا أَكْثَرَ نَهَارِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى مَأَلِهِ ، فَلَا يَنْشَغُرُ إِلَى إِصْلَاحِهِ . وَهُوَ سَابِعُ^(٣) وَلَا يَلْبَسُ بِالْعِبَادَةِ . وَهُوَ فِي زَمَانِهَا الْمُقَابِلِ لِقَوْتِ ، وَلَا يَنْهَضُ إِلَى إِقَامَةِ حَقِّ كَمَا يَنْبَغِي لِعَدَمِ الْمُعِينِ . وَلَا يُمْنَحُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ رَاحَاتِ الدُّنْيَا ، وَيَشَاهِدُ مِنْ عُلُومِ الْبَاطِلِ^(٤) الَّذِي لَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى رَفْعِهِ . مَا يُضَيِّقُ صَدْرَ الْحَرِّ [يَقْضِي] ^(٥) نِصْفَ النَّهَارِ ، مُحْتَمِلًا^(٦) فِي مَكَانٍ غَيْرِ حَسَنٍ تَارَةً يُفَكِّرُ ، وَتَارَةً يَكْتُبُ مَا هُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ أَنَّهُ كَذَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ . وَيُصِفُ النَّهَارَ يَقَعْدُ لِلنَّاسِ ، تَارَةً يَرَى مَا يَكْرَهُ ، وَتَارَةً يَسْمَعُ مَا يَكْرَهُ ، لَا صَدِيقَ يُذَكِّرُهُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلَا صَدِيقَ يُسْلِيهِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، يَكْفِينِي مِنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ^(٧) . اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْمَشْكِيُّ يَا مَنْ بِيَدِهِ الْخَلْقُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

شعره

مِنْ مَطْوَلَاتِهِ فِي النِّزْعَةِ الْغَرِيبَةِ [الَّتِي] ^(٧) أَنْفَرْدَ بِهَا ، مَنْقُولًا مِنْ دِيْوَانِهِ . قَالَ . وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ بِسَبْتَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ طَامِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فِي وَصْفِ حَالِي ، وَأَخَذَهَا عَنْ الْأَسَازِ بِسَبْتَةِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي ، وَالْأَدِيبُ الْبَارِعُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسِينِي ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَزْبِ اللَّهِ ، وَسَوَاهِمُ . وَلَمَّا أَنْفَصَلْتُ مِنْ

(١) أَضَفْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيَسْتَقِيمَ الْمَعْنَى وَالسِّيَاقُ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَبِمَا كَانَتْ هُنَا لِلتَّرْقِيمِ ، أَيْ سَابِعِ الْأُمُورِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ .

(٤) أَضَفْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيَسْتَقِيمَ السِّيَاقُ .

(٥) وَرَدَتْ (مَحْتَمِلًا) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . فَلَزِمَ التَّصْوِيبُ .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ وَرَبَّمَا كَانَتْ (الْقَذَارَةُ) .

(٧) أَضَفْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيَسْتَقِيمَ السِّيَاقُ .

سبّمة إلى بلاد الريف^(١) زدت عليها إبياتاً في أولها وكثر ذلك بوادي لو^(٢) من بلاد الريف وهي :

تأسفتُ لا كن حين عزّ التأسف ورام سكوتاً وهو في رجل طائر
أراقب قلبي مرة بعد مرة سقيم ولا كن لا يحسّ بدايه
وجاذب^(٣) قلباً ليس يأوى لمألف وأعجب ما فيه استواء صفاته
إذا حلت الضراء لم ينفع لها مذاهبه لم تبذ غايه أمره
فما أنا من قوم قصارى همومهم ولا لي بالإسراف فكر محدث
ولا أنا ممن لهوّه جلّ شأنه ولا أنا ممن أنسه غايه المني
ولا أنا ممن تزدّهيه مصانع ولا أنا ممن همّه بجمعها فإن
على أن دهوى لم تدع لي دُروفه وكفمكت دمعاً حين لا عين تذرف
ونادى بأُس والمنازل تعنف فالفيه ذيك الذي أنا أعرف
سوى من له في مازق الموت موقوف وعالج نفساً داؤها يتضاعف
إذ الهم يشقيه أو السر ينزف^(٤) وإن حلت السراء لم يتكفف
فؤاد لعمرى لا يرى منه أطرف بنوهم وأهلهم وثوب وأرغ
سيغدو حبيدي أو سيشعر مطرف بروض أنيق أو غزال مهفّف
بصوت رخيم أو نديم وفرقت ويُسبه بستان ويليه تحرف
تراعت يثب^(٥) بسعي لما وهو مرجف من المال إلا مسحة أو مجلف

(١) بلاد الريف هي المنطقة التي تقع بالمغرب الأقصى جنوبي الطرف الأخير من البحر المتوسط قبل امتداده شمالاً إلى ثغر سبّمة ، وتسكنها قبائل غمارة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وادي آش) وهو تحريف اصح لأن وادي آش من مدن الأندلس .

(٣) في «الزيتونة» (وجواب) .

(٤) وردت في «ج» يترف . والتصويب من «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (ثبت) . والتصويب من «الملكية» .

ولا أنا من هذه الدار هـ
ولا أنا من للسؤال قد انبرى
ولا أنا من نبح الله سعيهم
فلا في هوى أضى إلى الله وقيداً
أحرب دهرى في تقيض طباعه
وأظره شرداً بأصلف ناظر
وأضبطه ضبط الحدث صحفه
ويأخذ منى كل ما عزّ نيـله
أدور له في كل وجه لعلنى
ولما يسنا منه تهنأ ضرورة
تكأفت قطع الأرض أطلب مآلوه
وخاطرت بالنفس العزيزة مقدماً
وصرفت نفسى في شئون كثيرة
وخضت لأنواع المعارف أبحراً
ولم أحل من تلك المعاني بظايل
وقد مر من عمرى الألد وها أنا
وإنى على ما قد بقى منه لمن بقى
أعد ليالى العمر والفرض صومها^(١)

وقد غره منها جمال وزخرف
ولا أنا من صان عنه التعطف
فهمتهم فيها مصلى ومصحف
ولا فى تقي أمسى إلى الله يزلف
وحرّبك من يقضى عليك تعجرف
فيعرض عني وهو أرهى وأصلف
فيخرج فى التوقيع أنت المصحف
ويبدو بجلى منه فى الأخذ تحف^(٢)
سأنتبه وهو الذى ظل يحذف
فلم تبق لى فيها عليه^(٣) تشوف
لنفسى فما أجدى بتلك التكاف
إذا ما تخطى النصل قصد مرهف
لحظى فلم يظفر بذاك التعرف
ففى الحين ما استعجرتها وهى تترف^(٤)
وإن كان أهـلها أطالوا وأسرفوا
على ماضى من عهده أتلف
لحرمة ما قد ضاع لى آخوف
وحسبك من فرض الحال تعف

(١) هكذا فى «الملكية». وفى «ج» (يحذف). وفى «الزيتونة» (يحذف) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» و «الملكية» (عليها) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة». وفى «الملكية» (تترف) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «الملكية» و «ج» (طولها) .

تعارض آمالاً عليها يُنْفِ (٢)
تُبَدِّلُ فِي تَحْدِيثِهَا وَتُحَرِّفُ
وَبَعْدُ يَحْتُمِلُ الزَّهْدُ لِي وَالتَّعْشِفُ
أَفِي قَرْنِي الضَّادِينَ يَبْقَى التَّكَلُّفُ
وَلَكِنْ لَمْ يَحَالِ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُفْ
يَغْضُ وَبَعْضُ يُرَى نَمَّ يَصْـدُفُ
وَبَعْضُ بِمَا قَدْ رَأَيْتَهُ (٦) يَتَوَقَّفُ
مُقْتَضَى الْعَقْلِ الَّذِي عَنْهُ يَتَوَقَّفُ (٧)
عَلَى غَيْرِ مَا تَحْدُوهُ يَحْدُو وَيَخْصِفُ
وَلَا هُوَ يُرَى لِي وَلَا هُوَ يَعْنِفُ
عَرَفْنَا وَكُلُّ مَنْهُمْ لَيْسَ يَعْرِفُ
[وَحَطُّوا الدَّيْنَةَ مِنْ عَلِيلٍ وَأُنْصَفُ] (٩)
وَلَمْ يَعْرِفُوا أَغْوَارَهَا وَهِيَ تَتَلَفُ
وَمِثْلِي عَنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ يَكْشِفُ

عَلَى أَنَّهَا إِنْ سَلَمَتْ جَدَّيَّهِ (١)
تُحْدِثِي الْأَمَالَ وَهِيَ كَدِيدُهَا (٢)
بَاقِي فِي الدُّنْيَا سَاقِضٍ مَآرِبِي
وَتِلْكَ أَمَانٌ [لَا حَقِيقَةُ] (٤) عِنْدَهَا
وَرَبِّ أَخِلَاءٍ (٥) شَكُوتُ إِلَيْهِمْ
فَبَعْضُهُمْ يُزِيدُ عَلَى وَبَعْضُهُمْ
وَبَعْضُهُمْ يَوْمِي إِلَى تَعْجَبًا
[وَبَعْضُهُمْ يُبَلِّغِي جَوَابَهُ عَلَى
يَسْرَةٍ اسْتِمَاعًا ثُمَّ يَغْشَى إِجَابَةً
[وَلَا هُوَ يَبْدِي لِي عَلَى تَعْقُلًا] (٨)
رَمَا أَمَرْنَا إِلَّا سِوَاهُ وَإِنَّمَا
فَلَوْ قَدْ فَرَعْنَا مِنْ عِلَاجِ نَفْسِنَا
أَمَّا هُمْ مِنْ عِلَّةٍ أَرَمَتْ بِهِمْ
وَحُضْنَاهُمْ فِي الْكَتَبِ (١٠) عَنْ كُنْهٍ أَمْرِهِمْ

-
- (١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» و «الملكية» (جد ليلة).
(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (تنيف).
(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (كرينها).
(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (حقيقة).
(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحلا). والتصويب من «الملكية».
(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وربما كانت (رأيه).
(٧) هذا البيت وارد في «ج» و «الزيتونة» وساقط في الملكية.
(٨) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية». وردت في «ج» و «الزيتونة» (فلا هو يبدى عن تعقل على).
(٩) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة مع تحريفات يسيرة في كل منها..
(١٠) هكذا وردت في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (الكتاب).

فجاء كما يهوى الغريب المصنف
فإن يحجبوا عن مثل ذلك وحرف^(١)
إذا ما مثلناه أزهى وأسخف
أينهم عن كنف الجبان المصنف
فديتكم أي المحام^(٢) أكشف
إذا ما وفى المقذور فالرأى يخلف
به قلم الأقدار والقلب يرجف
على رمحك الشرعى من لك يعكف
رأيت المنمايا وهى لى تتخطف
لأشهرها إن فوقت متهدف
تخيل لى طول المدى فأسوف
ووقتك فى الدنيا جليس مخفف
إذا لاح شمس فالنفس تسكن
ولم أودعهم وانحضر ريان ينسف
وولى شبابى هل يباح التشوف
وتلك على عصر الشباب توظف
وبى بعد حسا فالندار تنسف
إذا مادنا التديس هان التنطف

وصنفت فى الآفات كل غريبة
وليس عجيباً من تركب جهلهم
إذا جاءنا بالشخف من نزو عقله
فما جاءنا إلا بأمر مناسب
ولا كن عجيب الأمر علمى وغفلتى
إلا أنها الأقدار يظلم سرها
أيارب إن ألب طاش بما جرى
وإننا لندعوم ونخشى وإنما
أقول وفى أثناء ما أنا قائل
وإنى مع الساعات كيف تقلبت
وما جر ذا التسويف إلا شيبتى
إذا جاء يوم قلت هو الذى يلى
أقدم رجلاً عند تأخير أختها
[كائن لى المراقدة منهم]^(٣)
وهبنى أعيش هل إذا شاب مفرق
وكيف يستدعى الباريق رياضة
متى يقبل التوبىم غير عطوفة
ولو لم يكن إلا ظهورة^(٤) سره

(١) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا فى «ج» و «الزيتونة» . وفى «الملكية» (الخجائين) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى «الملكية» (كان لى المراقدة منهم)

وهذا لا يستقيم مع الوزن .

(٤) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (ظهره) .

أَمْرًا لِي الْأَسَارَى أَنْتِ أَوْلَى بِمَعْنَاهُمْ
قَدْ قَدْ بَلَغَ الْبَحْرَ وَالْقَيْدُ أَخَذَ
وَفِي السَّكُونِ مِنْ سِرِّ الوجودِ عَجَائِبُ
وَكَمَتِ (١) عَلَيْهِمْ نَكْثَةُ (٢) فَتَأَخَّرُوا
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَحْطَّ رِقَابِنَا
فَهَذَا سَبِيلٌ لَيْسَ لِلْعَبْدِ غَيْرُهَا
وَقَالَ ، وَضَمْنَهَا مَحَاوِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَقَيْدُهَا عَنْهُ زَوَالُ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ
التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ لِحَرَمِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ (٣) وَسَبْعِمِائَةٍ ، بِرَابِطَةِ الْعُقَابِ (٤) ، مُتَعَبِدِ
الشَّيْخِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَهِيَ :

يَأْبَى شَجُونُ حَدِيثِي الْإِفْصَاحِ إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأُلُوحُ
قَالَتْ صَفِيَّةُ [إِذْ مَرَّتْ] (٥) بِهَا أَفْلا تَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحُ
فَأَجَبَتْهَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ (٦) لِي مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغُدُوِّ رَوَاحُ (٧)

- (١) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (ركعت) .
(٢) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (نكتة) .
(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (خمس وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، لأن هذا التاريخ المتأخر يوافق أواخر أيام ابن الخطيب بالمرغرب قبيل مصرعه بوقت يسير .
(٤) رابطة العقاب كانت إحدى الروابط التي تخصص للعبادة ، وكانت تقع على مقربة من غرناطة . وأبو إسحاق الإليري هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإليري ، وهو فقيه ورع وشاعر غرناطي توفي في أواخر سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بقصيدته في التحريض على البطش باليهود أيام باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم ، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وفلك باليهود وذلك في صفر سنة ٤٥٩ هـ (راجع كتابي دول انطوائف (الطبعة الثانية) ص ١٣٥ و ١٣٦) .
(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (عند ما مرت) ، وهو لا يستقيم مع وزن الشعر . فلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية» . مع إضافة كلمة إلى . ووردت بحرفة في «ج»
(فاجبت لولا أن الرقيب لكان لي) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (رباح) .

قالت وهل في الحى حى غَيْرنا
فأجبتها إن الرقيب هو الذى
وهو الشهيد على موارد عبده
قالت وأين يكون وجود الله إذ
فأفرح بإذن الله جل جلاله
وانهج على ذم الرجال ولا تخف
وانزل على حكم السرور ولا تبيل
واخلع عذارك فى الخلاعة يا أخى
وانظر إلى هذا النهار فسينه
أنواره ضحكك وأترع كأسه
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمة
فأجبتها لو كنت تعلم ما الذى
ما كان معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرت من الأمر الذى
لعدرتنى وعامت أنى طالب
فاترك صفيك^(٢) قارعا باب الرضى
يا حى حى على الفلاح وخلنى
وقيدت من خطه فى جملة ما كتب إلى ماله :
ومما نظمته بفرناطة ، وبعضه ببرجة^(٤) ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتبها
لك ، وهو غريب المنزع ، وإنه السكا قال :

(١) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٤) سبق التعريف بها .

خُذْهَا عَلَى رِغْمِ الْفَقِيهِ سُلَافَةٍ
أَبْدَى أَطْبَاءِ انْقِلَابٍ لِأَهْلِهَا
وَإِذَا امْرُؤٌ^(٢) قَالَ فِي نَشْوَانِهَا
يَا قُوَّةُ^(٤) دَارَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا
مُزِجَتْ فِغَارَ الشَّيْخِ مِنْ تَرَكِيهَا
فَبَدَتْ فِغَارَ الشَّيْخِ مِنْ إِظْهَارِهَا
لَا تَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى مُسْتَرْفِدٍ
وَكُنَّا لَا تَعْتَبُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
سَكْرَانٌ^(٦) يَعْتَرُ فِي ذِيُولِ لِسَانِهِ
كَمْ أَلْهَى حَرْبُ بَعْضٍ وَبَعْضٍ
لَا تُخَشِينُ عَلَى الْعَدَالَةِ هَاتِفًا
الْحَبُّ خَرُّ الْعَارِفِينَ وَقَدْ ضَفَّتْ
فَاشْطَحَ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ وَأَهْلُهُ
كَبُرُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مَوْتَى عَلَى
وَاهِزْ بِهِمْ فَمَتَّى يَقُلْ لُصْحَاؤُهُمْ
وَإِذَا أَرَبِيهِمْ^(٨) اسْتَخَفَّ فَقُلْ لَهُ

تُجَلِّي بِهَا^(١) الْأَقْمَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى
مِنْهَا شَرَابًا لِلنَّفُوسِ مُبَرِّحًا
[قُلْ أَنْتَ^(٣)] بِالْإِخْلَاصِ فَيَجْنِ قَدَمُهَا
فَاهْتَرَّتِ الْأَقْدَامُ مِنْهَا وَاللُّحَا
فَلِذَاكَ جَرَّدَهَا وَصَاحَ وَسَرَّحَا
فَاشْتَدَّ يَبْتَدِرُ الْحِجَابَ مُلَوِّحَا
قَدْ غَارَ مِنْ أَسْرَارِهَا^(٥) أَنْ يُفْضَحَا
لَمْ يَدْرِ مَا الْإِيضَاحُ لَمَّا أَوْضَحَا
كُفْرًا وَيَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ سَبَّحَا
ضَاقَ ذَرْعًا بِالْغَمِّ رَامَ فَبَرَّحَا
نَفَرُ^(٧) أَرْتِيَاكِ الْعَاشِقِينَ لَجْرَحَا
حَمًا عَلَى مَنْ ذَاقَهَا أَنْ يَشْطَحَا
عَجَبًا فَلَيْسَ بِرَاجِحٍ مِنْ رَجَبَحَا
غَيْرِ الشَّهَادَةِ مَا أَعْرَّ وَأَقْبَحَا
أَهْجُ فَقُلْ حَتَّى أَلَاقَى مُفْلَحَا
بِاللَّهِ يَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دَعُ جِحَا

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (به).

(٢) وردت في «ج» (المراي). وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المرة). والتصويب أرجح.

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (ما أنت).

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (يا قوّة). وبالتصويب يستقيم الوزن والمعنى.

اللاحق.

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي الزيتونة (استارها).

(٦) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (بسكران).

(٧) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (نفر).

(٨) وردت في «ج» وفي «الملكية» (زرم).

أَبْنَى سُلَيْمٍ قَدْ نَجَا مَجْنُونَكُمْ مَجْنُونٌ إِلَى الْعَارِفِينَ بِهِ قَدْ مَحَا
 هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَمْ يُبْرِحْ بِحَبِيبِهِ مَعَ مَنْ يَذُرُ كَرَّ حَبِيبِهِ قَدْ أَفْضَحَا
 فَافْرَحَ وَطِبُّ وَابْهَجَ وَقَلَّ مَا شِئْتَ مَا أَمْلَحَ الْفُقَرَاءُ يَامَا^(١) أَمْلَحَا
 وَمَنْ مَقْدُوعَاتِهِ الَّتِي هِيَ آيَاتُ الْعَجَائِبِ ، وَطَرَرُ حَالِ الْبِدَائِعِ فِي شَقَى الْأَغْرَاضِ
 وَالْمَقَاصِدِ ، قَوْلُهُ يَعْتَذِرُ لِبَعْضِ الدُّلْبَةِ ، وَقَدْ اسْتَدْبَرَهُ^(٢) يَبْعُضُ حُلُقِ الْعِلْمِ بِسَبْتَةِ :
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ بِصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهُمَا
 لَا غَرَوُ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْكُمْ فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِلَّا سَانَهَا
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي غَرَضِ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ :

يَلُومُونِي بَعْدَ الْعِدَارِ عَلَى^(٣) الْهَوَى وَمِثْلِي فِي وَجْدِي لَهُ^(٤) لَا يَفْنَدُ
 يَقُولُونَ لِي أَمْسِكْ عَنْهُ قَدْ ذَهَبَ الصَّبَا وَكَيْفَ يُرَى الْإِمْسَاكُ وَالْخَيْطُ أَسْوَدُ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَجَنِّنَاتِ^(٥) ، وَهُوَ مِنَ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ :

وَصُفْرَةُ الْخَلْدِينَ مَطْوِيَّةُ الْحَشَا عَلَى الْجُبْنِ وَالْمُصْفَرُّ يُوْذَنُ بِالْخَوْفِ
 لَهَا هَيْئَةٌ^(٦) كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَسْكَهَا فِي الْحَيْنِ تَقَرُّبُ فِي الْجَوْفِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي النَّصْحِ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ :

لَا تَبْدُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلْقَى لِبَدَلِ النَّصْحِ مِنْهُ قَبُولًا
 فَالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُلُولًا

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» وَ «الْمَلَكِيَّةِ» (مَا) .
 (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلَكِيَّةِ» وَ «الزَيْتُونَةِ» (اسْتَدْرَكَه) .
 (٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَفِي النَّفْحِ .
 (٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ . وَوَرَدَتْ فِي «ج» (بِه) .
 (٥) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النَّفْحِ . وَفِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (الْمَجَنِّنَاتِ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ حَسْبَ مَا يَبْدُو
 مِنْ سِيَاقِ الْبَيْتِ التَّالِي .
 (٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ «الْمَلَكِيَّةِ» . وَوَرَدَتْ فِي النَّفْحِ (بِهَجَّة) .

ومنها في الحكم :

ما رأيت الهموم تَدْخُلُ الا من دروب العيون والآذان
غُضَّ طَرْفًا وَسُدَّ سَمْعًا وَمَهْمَا تَنَاقَى هَمًّا فَلَا تَمُقُ بَضَامَ

ومنها قوله ، وهو من المعاني المبشكرات :

حَزُنْتُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ يَا مُعْنَى الْهَوَى فَاَلدَّمَعُ مِنْهَا بَعْدَ بُعْدِكَ مَا رَقَا
وَلِذَاكَ [قَدْ صُبِغَتْ] ^(١) بِلَوْنِ أَزْرَقٍ أَوْ مَا تَرَى ثَوْبَ الْمَاتَمِ أَزْرَقَا

ومنها قوله في المعاني الغريبة . قال ، ومما نظمته في عام أربعة وأربعين
في التفكير في المعاني ، مُعْلَقُ الْعَيْنَيْنِ :

أُبْحَثُ فِيهَا أَنَا حَصَلَتُهُ عِنْدَ انْفِصَالِ الْعَيْنِ فِي جَفَتِهَا
أَحْسِبُنِي كَالشَّاةِ مَجْتَرَّةً تَمَضُّعٌ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا

وقال ، ومما نظمته بين أندرش وبرجة ^(٢) عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب
مسافر ، وهو مما يُعْجِبُنِي ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنِّي يُعْجِبُنِي . قُلْتُ وَبِحَقِّ
أَنْ يَعْجِبَهُ :

تَطَالِبُنِي نَفْسِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ يَدَّانِ فَأَعْطَاهَا الْأَمَانَ ^(٣) فَتَقَبَّلَ
عَجِبْتُ لَخَصْمٍ لَجَّ فِي طَلِبَاتِهِ يَصَالِحُ عَنْهَا بِالْحَالِ فَيَفْصَلُ

[قَالَ وَمَا نَظَّمْتَهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ ذَمِّ النِّسَاءِ :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي النسخ (ما ظهرت) .

(٢) نمود هنا إلى الإشارة إلى برجة لورودها مع أندرش . فبرجة وأندرش كلتاها من مقاطعة أدرية ، تقع الأولى شرق النهر الأخضر . وتقع الثانية غربية على مقربة من مصبه . وما هو جدير بالذكر أن أندرش هي البلد التي أقام فيها أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس بعد سقوط غرناطة في سنة ١٤٩٢ ، ومكث بها نحو عامين ، ثم غادرها إلى منفاه في المغرب .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأماني) .

ما رأيت النساء يَصْلُحْنَ إلا للذى يَصْلُحُ السكينيف من أجله
فعلى هذه الشريعة صَالِحُهُنَّ لا تَعُدُّ بِأمرى عن محلّه^(١)
قال . ومما نظمته فى السنة المذكورة :

قد هجرتُ النساءَ دهرًا فلم أَبْلُغْ آذَانِي^(٢) صفهاتهنَّ الذميمة
ماعسى أن يُقال فى هجو من قد خصَّه المصطفى بأقبح شيمة
أو يسقى لنا قِصْرَ العقل والدين إذا عُدَّتْ المثالب قيمة
وقال ، وما نظمته فى تاريخ لا أذكره الآن . هذان البيتان ، ولم أر معناها
لمن مضى . ولو وحل رجل إلى خراسان ، ولم يأت إلا بهما ، كان ممن لم يخفق
سمعه ، ولا أجذب مرعاه ، يَنْفَتِحُ بهما للقلب باب من الراحة فسيح ، إذا أجهد
ما يكابد من المضاضة . ونَقُضَ اليهود ، واختلاف الوعود . وهذه الحنة من
شر ما ابتلى به بنو آدم ، شَدَّ شَنَّةَ نعرفها من أمرهم . ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فذسى :

دعى الله إخوان الخيالة إنهم كفؤنا مؤونات البقا على العهد
فلوقد وفؤا كئنا أسارى^(٣) - حقوقهم تراوح بين الذسيئة والنقد
وقال يُدَاعِبُنِي ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، واتمذ لقيت^(٤) ، رجلا ببلاد
الهند يعرف بأبى البركات ابن الحاج ، وكان بَرِد^(٥) فى بستان كان له ، فقلت
أهجووه عام أربعة وأربعين وسبعمائة :

-
- (١) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» .
(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» «الملكية» (أذى) .
(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (أسرى) . ولتمتقد أن الوزن يستقيم بالتصويب .
(٤) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (رأيت) .
(٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» و «الملكية» (بردا) .

قالوا أبو البركات جَمَّ (١) ماؤه فغدا أبو البركات لا أبا البركات
قلنا لأن يُكفى بموجوداته أولى من أن يكفى بمعدومات
ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة :

قد كنتُ معذورا بعلَى وما أبثُ من وعظي بين البشر
من حيث قد أملتُ إصلاحهم بالوعظ والعلم فخان النظر
فلم أجد أوْعظَ للناس من أصوات وعَظا جلود البقر
ومما نظمته بمرسى تلهى . من بلد هُتَيْن (٢) ، عام ثلاثة وخمسين ، وقد
أصابني هَوَسٌ في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأى به هَوَسٌ جديد لا الذي تدَّويه من هوس قديم فيه
قد حلَّ ما أبدىه من هذا كما قد حلَّ من ذاك الذي أخفيه
ومن الملح قوله ، قال ، وبِثَّ بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة
الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفرداً ، فطُفِي [المصباح] (٣) ، وبقيت
مُفَكِّراً ، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجنَّ [في] (٤) الأرواح والحمامات ،
وعدم إقدام كافة الناس إلّا ما شدَّ عند دخولها منفردين بالليل : لا سيما
في الظلام ، واستشعرتُ قوة في نفسي عند ذلك ، أعراضٌ وأوهام ، فقلت
مرتجلاً ، رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها إن عُرِضت للبيع غير ثمين

-
- (١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (هم) . وفي «الملكية» (ضم) . وهو تحريف
(٢) هُتَيْن أو مرسى هُتَيْن هو ثغر صغير يقع غربى وهران ، وشمال تلسان على شاطئ
البحر المتوسط .
(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .
(٤) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

أن الرّحا معمورة بالجن والحمائم عندهم [كذا]^(١) ييقين
 إن كان ماقلوه حقاً فاحضروا للحرب هذا اليوم من صفيين
 فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة يأتي مصارع قيس المجنون
 قال ، ودخلت رياضا يوما . فوجدت كساء منشوراً للشمس لم أعرفه
 من حوايجي ، ولا من حوايج حارسة البستان ، فسألها فقالت ، هو
 لجارتى فقلت :

من منصفى من جارتى^(٢) جارت على مالى كأتى كنت من أعدائها
 عدت إلى الشمس التي انتشرت^(٣) على أروى وأمت فيه [بيس كسائها]^(٤)
 لولا غيوم يوم تيبس الكسا سرت لحجب الشحب جل ضياءها
 لقضيت منهم الخسار لأننى أصبحت موزوراً على بخلائها
 قلت ، وصرت إلى معنى^(٥) بحمة بجانة^(٦) وسارهمى كلب كان يحرس
 رياضى اسمه قطمير ، وهو فيما يذكر كلب أهل الكهف ، فى بعض الأقوال ،
 فتبينى من ألمرية إلى الحمة ، ثم من الحمة إلى ألمرية ، فقلت :

رحلت وقطمير كلبى رفيقى يونس قلبى بطول الطريق
 فلما أنخت أناخ حذائى يلاحظنى لحظ خل شفيق
 ويرعى أذمة رفقى كما يتعنى الصديق الصدوق

-
- (١) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم وزن الشعر .
 (٢) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . ووردت فى «الزيتونة» (جاريق) .
 (٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى «الملكية» (انتشرت) .
 (٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الملكية» .
 (٥) وردت فى «ج» (مالى) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٦) بجانة ، وبالإسبانية Pechina بلدة تقع على نهر أندرش ، على مقربة من شمال شرق
 ألمرية .

على حين قومي بني آدم بلؤمهم لم يوفؤوا حقوق
ولا فرق بين الأبايد منهم وبين أخ مستحب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقه هوى اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولي حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يفضل كلباً عليهم فياويلهم من رفيق
ألا من يرق لشيوخ غريب أبي البركات القى البلقيق

وقال ؛ ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وأيّن الخير من ^(١) زمانى وأهله على أنى للشّر أولّ سابق
لحا الله دهرآ قد تقدّمت أهله فتلك لعمر الله إحدى البوايق

ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله فى الزّهاد إنهم لم يتركوا عرّض الدنيا لفضلمهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياه فلم يُصايروها فملّوا ثقل حملهم
وعظّم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة التّرك ^(٢) فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زاداً وأعلى الناس طراً فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا التّرجيح دونهم لاشيأ أبين ^(٣) من ترجيح فضلمهم
فالمال والجود والراحات ^(٤) غاية ما يحكى لنا الزهد فى ذا عن ^(٥) أجائهم

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عن) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة ..

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى نص (أحسن) .

(٤) وردت فى «ج» (الراحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «الملكية» (فى ذاك) وفى «ج» (فيه) وفى «الزيتونة» (فى) . وبالتصويب

يستقيم السياق .

والزاهدون براحت^(١) القلوب مع الأبدان سُروا وعزُّوا بعد ذلهم
فكل ما فرَّقوا قد حصلوا غرضاً^(٢) منه وزادوا ثناء الناس كلهم
قال ، ومما نظمته عام أربعين في ذم الحر من جهة الدنيا ، لامن جهة الدين ،
إذ ليس بغريب :

لقد ذمَّ بعضَ الحرِّ قومٌ لأنها	تُكرِّه على دين القتي بفساد
وقد سلَّموا قول الذي قال إنها	تحلُّ من الدنيا بأعظم ناد
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى	لُدُّمنها من طارفٍ وتلاد
فيُمسَى كريماً سيِّداً ثم يفتدى	سفيناً حليف الغنى بعد رشاد
وقالوا تسلى وهو عاوية لها	وإلا فلم يأتوا لذاك بشاد
وصلةٌ ونور ^(٣) وحسناء طفلة	ومرأى به للطريف سير جواد
وهل يُداوى من مرارتها التي	أواخرها مقرونةٌ بمهاد
ولو أشرب الإنسان مهلاً بهذه	لأصبح مسروراً بأطيب زاد
ومن حُسن حال الشاوين يقيُّونها ^(٤)	بالرغم [من] برقي وساد
ومن حُسن ذا المحروم أن مُدامه	إذا غلبت تكسوه ثوب رقاد
فيختلف النَّدمان طراً لروحه	ويحدوهم نحو المروءة حادي
ومن حُسنه بين الورى ضربُ ظهره	فيُمسَى بالاحرب وهين جلال
بجائزين في الأوهام قد ضلَّ سعيهم	يخففون بيعاً بحسن غواد ^(٥)

(١) وردت في «ج» (براحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (عوضاً) والأولى

أرجح .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (نوار) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وغاد) .

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ، واستبعماد وجوه المذالب في جنسه ، مما
نظمته يوم عرفة عام خمسين : وأنا مُتَزَوٍّ في غارٍ (١) ببعض جبال ألمرية :

زعموا أن في الجبال قوماً (٢) صالحين قالوا من الأبدال
وادَّعوا أن كل من ساح فيها فسَيَلَمُ —اعم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال —اراراً بِنِعَالٍ طَوْرًا ودون نعال
مارأينا فيها سوى الأفاعى وشبا عقر ب كمثل النبال
وسباعاً (٣) يخترون بالليل عَدَواً لا تُسَلِّى [عنهم] يَتَلَكُ الْغِيَالُ (٤)
ولو كُنَّا لَدَى الْعُدُوَّةِ الْآخَرِى رأينا نواجهُ الرُّيَالِ
وإذا أَظْلَمَ الدُّجَى جاء إبليس إلينا يزور طَيْفَ الْخِيَالِ
هو كان الأئيس فيها ولولا ه أَصِيبَتْ عَقُولُنَا بِالْخَبَالِ
خَلَّ عَنْكَ الْحَالُ يَأْمَنُ تَعَفِّي ليس تَلْقَى الرُّجَالُ غَيْرُ الرُّجَالِ

قال ، ومن المنازع الغربية ذمُّ الأصحاب [ومدح] (٥) الأعداء ، فن
ذلك قولى :

جزى الله بالخير [أعداءنا] (٦) فورد هم أُنْسَى (٧) المصدر
هم حَمَلُونَا عَلَى الْهَرَفِ كَرْهًا وهم حَرَفُونَا عَنِ الْمُنْكَرِ
وهم أَعْمَدُونَا بِمَجْلِسِ حُكْمٍ وهم يُوْثُونَا ذُرَى الْمُنْشَرِّ

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) في النسخ (رجالاً) .

(٣) هكذا وردت في «المذكاة» . وفي «ج» و «الزيتونة» (وسباع) . والأول أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «المذكاة» . وفي النسخ (الغِيَالُ) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخم) . والتصويب يقصده الساق ، ووردت في

الآيات .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإليه لازم لفصل المعنى والسياق .

(٧) كذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «المذكاة» (أن)

وهم صَيَّرُونَا أَعْدَاءَ عِلْمٍ وَدِينٍ وَحَسْبُكَ مَنْ مَفْخَرٍ
 عَدُوِّي بِأَوَّلِ فِدَى مَاتُمْ وَإِنْ جِئْتُ بِالْإِثْمِ لَمْ يَمْدُرْ
 وَأَنْتَ تَرَى تَمَيِّصَ مَنْ يَغْدِلُ [بَيْنَ الْمُسِيءِ وَبَيْنَ الْبَرِّ] (١)
 وَلَا زَوْدَ اللَّهِ أَصْحَابُنَا بِزَادَتْنِي وَلَا خَيْرٍ
 هُمْ جَرَّوْنَا عَلَى كُلِّ إِثْمٍ وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُمْ بِالْمُخْبِرِ (٢)
 وَعَدُوا مِنْ إِكْبَارِ آثَامِنَا فَكَانُوا أَضْرًا مِنَ الْفَاتِرِ (٣)
 أَطَارَنِي الْقَوْمُ ثَوْبَ التُّقَى وَإِنِّي مِمَّا أَطَارُونِي بَرَى
 إِذَا خَدَعُونِي وَلَمْ يَنْصَحُوا وَإِنِّي بِالنُّصْحِ مِنْهُمْ حَرَى
 فَمَنْ كَانَ يَكْذِبُ حَالَ الرُّضَى يَصْدُقُ فِي غَضَبٍ يَفْتَرِ (٤)
 كَلَى سَوْفَ تَلْقَى لَدَى الْحَالَتَيْنِ يَحْكُمُ النَّفْسَ هَوَى الْفَرَى
 فَيَاوُبُ أَبْقِ عَلَيْنَا عَقُولَنَا (٥)
 قَالَ ، وَمَا رَأَيْتُ هَذَا الْمَعْنَى قَطُّ لِأَحَدٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ مَا مَعْنَاهُ :
 عُدَاتِي لَمْ فَضَّلْ عَلَى وَرِيثَةٍ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
 هُمْ يَحْتَوُوا عَنْ زُلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبْتُ (٦) الْمَعَالِيَا
 فَوْقَ حَافِرِي (٧) عَلَى سَاقٍ هَذَا . [قَالَ] وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ ، مَتَخَيَّلًا (٨) أَنِّي
 سَابِقٌ مَعْنَاهُ :

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (يمادل بين المسيء والبر) .

(٢) وردت في «ج» (بالخبر) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (الفتن) . والأولى أصلح للسياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها هنا (يفترى) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الملكية (عقولا) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فارتكبت) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (حافى) .

(٨) وردت في «ج» (مختلا) . والتصويب من «الزيتونة» .

خَلَسْنَا لِيَاةٍ مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَنِينٌ (١) بِالْإِيَالِ الطَّيِّبَاتِ
سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَقْلِ فِيهَا مَسَالِكَ قَدْ جُلِينَ عَنِ الشُّتَاتِ
قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَّفْسِ فِيهَا وَحَقَّ اللَّهُ مَرَعَى الثُّبَاتِ (٢)
فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا بَدَّتْ حَسَنَاتُهُ فِي السَّيِّئَاتِ

ثم وأيت بعد ذلك [على هذا] (٣) .

لَا وَلِيَالٍ عَلَى الْمُصَلَّى تَسْرِقُ فِي نُسْكَهَا الذُّنُوبُ
فَوْقَتِ سَاقِي عَلَى حَافِرِ هَذَا الْمَحْرُومِ ، إِلَّا أَنِي جَرَّدْتُ ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى ،
وَأَوْضَحْتُهُ ، وَجَلَوْتُهُ عَلَى كُرْسَى التَّقْعِيدِ وَالتَّنْجِيدِ ، فَلَوْلَا التَّارِيخُ لَعَادَ سَارِقُ
الْبَرْقِ .

نثره

وَأَمَّا نَثْرُهُ فَنَمِطٌ مَرْتَفِعٌ عَنْ مُعْتَادِ عَصْرِهِ ، اسْتِنْفَارٌ وَبَلَاغَةٌ ، وَاسْتِرْسَالٌ
وَحُلَاوَةٌ ، قَلَمًا يُعَرِّجُ عَلَى السُّجْعِ ، أَوْ يَأْمُرُ عَلَى التَّكْثِيفِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِحَيْثُ
لَا يَتَعَيْنُ عَيْوَنُهُ ، وَلَسْكَنَ نُلْمَعٌ مِنْهُ نُبْدَةٌ ، وَتَجَلَّبَ مِنْهُ يَسِيرًا . كَتَبَ إِلَى عِنْدِ
إِبَابِي مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ ، مَتَمَثِّلًا بِيَمِينِ مَنْ قَبْلَهُ ، صَدَّرَ بِهِمَا :

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي فُخْبُهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
إِيَّاسَى التَّوْبَةِ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ

بَلْ مَحَلُّكَ (٤) ، أُمَثِّلُ مِنَ التَّمَثِيلِ بِالشَّمْسِ ، فَلَوْ كَانَ طُلُوعُكَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْطَارِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظنين) وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الاهمات) .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (نجلك) . والتصويب من «الملكية» .

شخصاً ، لأصبح [جلها لك] (١) عبّاد . ولو كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور
تُراباً دميناً . ولولا معرفتنا معشر إخوان (٢) الصفا ، بأقرار (٣) أنفسنا ، لحكنا بأن
قلوبنا تمانيم لأصدقائنا ، ولكن سبقت عيون السعادة ، بالسلالات (٤) فلو تضادف
بالرضى محلاً ، لأن تحصيل الحاصل محال ، لا زلت محروساً ، بعين الذى لا تأخذ
سنة ولا نوم [مكنوفة ببركة الذى يرومه رايح] (٥) والسلام .

وكتب إلى عندما تقلدت من رياسة الإنشاء ما تقلدت : تخصم يا محل الإبن
الأرضى ولادة ، والأخ الصادق إخلاصاً ووداً ، خصصكم الله من السعادة بأعلاها
مرقى ، وأفضلها عقبى ، وأحمدها غنى ، وأكرمها مسعى ، تحية اللهفان (٦) إلى
أيام لقائك ، المسلى (٧) عنها بتأمل العود إليها ، المزجى أوقاته بترداد الفكر فيها ،
محمد بن الحاج ، أبقاه الله ، عن شوق ، والذى لا إله إلا هو ، لم أجد قط مثله إلى
ولئى حميم . والله على ما نتول وكيل ، معرفاً أننى بملاقه (٨) ، وتضايى عن كسره
مجامعه (٩) ، لما اعتنى به من توقيلكم بالرتبة ، التى ما زال أحبباًكم (١٠) بها تمطولى
بره . على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية ، والمكانة

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ومكانها فى «ج» (اللقايك) . وفى «الملكية» (حلها بك) .

(٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة (إخواننا) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وهى جمع قرارة . ومعناها هنا الأعماق . وقد
تكون تحريفاً لكلمة (بأسرار) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . ووردت فى «الزيتونة» (إسماع) ونعتقد أن

الأول أرجح .

(٧) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (المتسل) .

(٨) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٩) وردت فى «ج» و «الملكية» (مجاهه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(١٠) وردت فى «ج» (أحببواها) والتصويب من «الزيتونة» وهو أكثر تمشيئاً مع السياق .

العَلِيَّةُ ، إلا عند الأطفال والأغفال ، والمحلقين من النساء والرجال ، لا كن
أفرعنا هذه المخاطبة المخطيئة (١) في قالب الجمهور ، ولم ندر فيها ، على الأصح ،
لا كن على الجمهور . ولو كانت مصارف الوجود بيدي ، لوافتك من الوجود ،
منازلُ أَسْمَايَه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ،
وأحللتك أرفعه معقلاً ، وأقبستك بُدْرَه (٢) مصباحاً ، وأهدتك (٣) أسرارُه تحفّاً .
وقد تبلغ المقاصدُ مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نُضمره لتلك الجملة
الجليلة الفاضلة ، مما الله رقيبٌ عليه ، ومحيطٌ بدقايقه . ولو كانت لهذا العبد
الغافل ، المأسور في قيد نفسه ، المحزون على انتهاب الأيام ، رأس (٤) عمره في غير
شيء ، دعوةٌ يساعدها الوجدُ حتى يغلبَ على ظنّه ، أن العليم بذات الصدور ،
ولآها من قبوله بارقةً ، لخصك بها ، والله شهيد على ما تكسبه الأفئدة ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

والفضلُ جمٌّ ، والحاسنُ عديدة ، فلنقتصر اضطراراً ، ونكف (٥) امتثالاً
للرسم ، وانقياداً ، أمتنع الله به .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المخطيئة) .

(٢) وردت في «ج» (بدوره) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأهديتك) . والتصويب يستقيم أنسيق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (ونكف) .

محمد بن عبد الله^(١) بن منظور القيسى

من أهل مالقة - يكنى أبا بكر

أوليته

أصله من إشبيلية ، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم ، والأصلة ، تشهد بذلك جملة أوضاع ، منها «الروض المحظور»^(٢) فى أوصاف بنى منظور . وغيره

حاله

من كتاب «عائد الصلة» . كان حجم التواضع والتخلق ، كثير البر ، مفرط^(٣) الهشة ، مبدول البشر ، عظيم المشاركة ، سريع اللسان إلى الثناء ، مسترسلا فى باب الإطراء ، درباً على الحكم ، كثير الحنكة ، قديم العالة ، بصيراً بالشروط . ولى القضاء بمجبات كثيرة ، وتقدم بمالقة ، بلده^(٤) فشكرت سيرته ، وحمدت مدارته ، وكان سريع العبارة ، كثير الحشية ، حسن الاعتقاد ، معروف الإيثار والصدقة ، شائع الإقراء^(٥) لمن ألم بصقمه ، واجتاز على محل ولايته ، جاوريا على سنن سلفه ، ينظم وينثر ، فلا يقصر .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبى محمد بن أبى السداد الباهلى ، ولازمه وانتفع به ، وسمع

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عيا الله) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (المنثور) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» و «الملكية» (مفوض) والأولى أرجح .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بلده) . والتصويب أكثر تمشياً مع السياق .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (القراء) وهو تحريف .

على غيره من الأعلام ، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والعدل الراوية
المسنُّ أبي عبد الله بن الأديب ، والمسن أبي الحكم مالك بن المرحل ، وعلى
الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد^(١) الأفشري الفاسي ، ولبس عنه
خرقة التصوف ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد ، وعن الشيخ القاضي
أبي المجد بن الأحوص ، وعلى ابن مجاهد الرندي المعروف بالسَّمار ، والخطيب
أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء ، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله
السلال . وكتب إليه بالإجازة ، أبو عبد الله بن الزبير ، والفتية أبو الحسن
ابن عقيل الرندي ، والوزير المعمر أبو عمر^(٢) الطنجي ، وأبو الحكم بن منظور
ابن عم أبيه ، والأستاذ أبو عبد الله بن السكاد . نقلت ذلك من خطه .

توالياه

أخبرني أنه ألف « نفحات المسوك » ، و« عيون التبر المسبوك »^(٣) في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب « السحب الواكفة والظلال الوارفة » ، في
الرد على ما تضمنه المضمون^(٤) به على غير أهله من اعتقاد^(٥) الفلاسفة . وكتاب
الصَّيْب الهتان الواكفة بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من
الأحاديث الصحيحة النبوية وسُور القرآن . وكتاب « البرهان والدليل في خواص
سور التنزيل » ، [وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل]^(٦) . وكتاب يشتمل

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة بهذا الاسم كلمة (أمين) وهو اسم آخر لم تجر العادة
بوروده على هذا النحو .

(٢) هكذا وردت في « ج » وفي « الملكية » . ووردت في « الزيتونة » (أبو علي) .

(٣) هكذا وردت في « الزيتونة » . وفي « ج » (المسكوك) . وفي « الملكية » (المسوك) .

والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « الملكية » (المظنون) .

(٥) وردت في « ج » (الاعتقاد) . والتصويب من « الزيتونة » .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

على أربعين حديثاً في الرقاق . موصولة الأسانيد . وكتاب « تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ، وما اشتملت ^(١) [عليه] ^(٢) من الأسرار » . وكتاب « الفعل المبرور ، والسعي المشكور ، فيما وصل إليه - أو تحصل لديه من نوازل القاضى أبى عمر بن منظور »

شعره

ومن شعره قوله :

ما لِلْعُطَّاسِ [ولاً] ^(٣) لِفَالٍ من أثرٍ فثق فديك بالرحمن واصطبر
وسلم الأمر فالأحكامُ ماضيةً تجرى على السنِّ المربوط بالقدر

محمد بن على بن الخضر بن هارون النسائي

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله : ويعرف بابن عسكر

حاله

من كتاب « الذيل والتكملة » ^(٤) . كان مغرباً ^(٥) مجوّداً ، نحويّاً ، متوقِّداً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (اشتمل) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن والسياق .

(٤) هو كتاب «الذيل والتكملة» لكتابي الموصول والصلة» للعلامة المغربي الثقة ابن عبد الملك المراكشي المتوفى في سنة ٧٠٣ هـ . وهو معجم نفيس للتراجم ، يتضمن تراجم بجمهرة كبيرة من أعلام المغرب والأندلس حتى القرن السابع الهجري . ويقع في أربعة مجلدات كبيرة . ومنه أجزاء مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية والمتحف البريطاني ومكتبة الإسكوريال ودار الكتب المصرية . وقد نشرت منه الأسفار الأول والثاني والرابع والخامس ببيروت (سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (مغربياً) وفي «الزيتونة» (مغربياً) .

والأولى أرجح .

الذهن ، متفتِّناً في جملة معارف . ذا حظ صالح من رواية الحديث ، تاريخياً ، حافظاً ، فهِمّاً ، مشاوراً ، دؤوباً في الفتوى ، متيناً في الدين ، تامّ المروءة ، سنياً فاضلاً ، معظماً عند الخاصة والعامة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، رحيب الصدر ، مسارعاً إلى قضاء الحوائج ، شديد الإجمال ، محسناً إلى من أساء إليه ، نفاعاً مجاهه ، سمحاً بذات يده ، متقدماً في عقد الوثائق ، بصيراً بمعانيها ، سريع البديهة في النظم والنثر ، مع البلاغة ، والإحسان في الفنّين

وُلِيَ قضاء مالقة نائياً عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ، ثم وُلِيَ مستقبلاً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر^(١) ، يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان [عام] ^(٢) خمس وثلاثين . وأشفق من ذلك وامتنع منه [وخطبه مُستعفياً] ، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطبة تورعاً منه ^(٣) فلم يُسغه . فتقلدها ، وسار فيها أحسن سيرة ، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها ، ونفّذ الأحكام .

وكان ماضى العزيمة ، مقداماً ، مهيئاً ، جزلاً في قضائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، واستمر على ذلك بقية عمره

مشيخته

روى عن أبي إسحاق الزّوالى^(٤) ، وأبي بكر بن عتيق بن منزل ، وأبي جعفر الجيان ، وأبي حسن الشّقُورى ، وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الخطّاب بن واجب ، وأبي زكريا الإصْبِهانيّ مقيم^(٥) غرناطة

(١) هو الأمير محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة . وقد حكم من سنة ٦٣٥-٦٧١ هـ

(٢) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) هكذا في «الملكية» . ووردت في «ج» (الزوالى) . ومكانها بياض في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمعنى المقصود هنا هو (المقيم بغرناطة) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن خيس ابن أخته ، وأبو العون ، وأبو عبد الله ابن بكر الإليبري . وحدث عنه بالإجازة ، أبو عبد الله الأبار ، وأبو القاسم ابن مهران ، وكتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوا من أهل الأندلس . حسبما تقدم في رسم أبي بكر بن هشام ، وضمنها نظماً ونثراً اعترف له بالإجادة فيهما .

تصانيفه

صنّف كتباً كثيرة ، أجاد فيها وأفاد . منها المشرع الروى في الزيادة على المروى . ومنها أربعون حديثاً التزم فيها موافقة اسم شيخه ، اسم الصابي ، وما أراه سبق إلى ذلك ، وهو شاهدٌ بكثرة شيوخه ، وسعة روايته . ومنها نزّهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر . ومنها الخبر المختصر ، في السلوى عن ذهاب البصر ، ألفه لأبي محمد بن أبي الأحوص الضرير الواعظ . ومنها رسالة في ادّخار الصبر ، وافتخار القصر والفقر . ومنها الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة السكرام . وله اسم آخر . وهو مطلع الأنوار ونزّهة الأبصار ، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخبار ، وتقيّد من المناقب والآثار . واختار منه المنية عن إتمامه فتولى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خيس المذكور ، وقد نقلت منه في هذا الكتاب .

شعره

ومن شعره . وقد نعت إليه ^(١) نفسه [قبل] ^(٢) أن تغرب من سماء معارفه شمسه :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (إلى) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

ولما انتفى إحدى وخسون حجة كأنى منها بعد كرب^(١) أحلم
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها مدى الحثف منى على منه أسلم
إذا هو قد أدنت إليه كأنما ترقيت | فيه نجوة^(٢) وهو سلم
وقال فى أحب :

وأحبدُ تحسب فى ظهره جابه فى نهر عايمة
مُثلث الخِلقة لا كمنه فى ظهره زاوية قائمة

ومن أمثال نظمته قوله ، وقد استدعيت منه إجازة :

أجبتك لآتى لما رُمته أهلٌ ولا كن ما أجبت مُحتمل سهل
[وما العلم إلا بحرٌ طال مدانه]^(٣) ومالى تحم^(٤) فى الورد ولا نهل
فكيف أوانى أهل ذاك وقد آتى على المختبان^(٥) البطالة والجهل
وأسأل ربى العفو عنى فإنه لما يرتجيه العبد من فضل أهل
مولده : [تخميناً]^(٦) فى نحو أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته : ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة ، عام ستة
وثلاثين وستماية .

(١) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (بكر) .

(٢) وردت بحرفة فى المخطوطات الثلاثة . «ج» (فيها نحوه) . وفى «الزيتونة» و «الملكية»
(فيه نحوه) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (وما العلم البحر طاب مذاقه) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (ممثل) .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٦) هذا الكلمة واردة فى «ج» وستتمة فى «الزيتونة» .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي

يكفى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بكر ، من ذرية بلج بن يحيى بن خالد بن
عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بردة . واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى . واسمه
عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن حزم^(١) في جملة
من دخل الأندلس من العرب^(٢) .

حاله

من «عائد الصلة» . كان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء ، سذاجة
ونزاهة ومعرفة وتفنتاً . فسيحّ الدرس ، أصيل النظر ، واضح المذهب ، مؤثراً
للإنصاف ، عارفاً بالأحكام والقراءات ، مبرزاً في الحديث ، تاريخاً وإسناداً ،
وتعديلاً وتبريحاً ، حافظاً للأنسب والأسماء والكُنى ، قائماً على العربية ،
مشاركاً في الأصول والفروع ، واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض
الجناس ، حسن التخلق عظمواً على الطلبة . محباً في العلم والعلماء ، مجلاً لأهله ،
مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس ، بادی الظاهر عزيز النفس ، نافذ الحكم ،
صوّالة . معروف بنصرة [من أزر إليه]^(٣) . تقدم للشيخ ببلده مالقة ، ناظراً
في أمور العقّد والحل ، ومصالح الكفاة . ثم وُلّي القضاء بها ، فأعزّ الخلة ، وترك

(١) في كتابه (جمهرة أنساب العرب) .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (المغرب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

الموادة ، [وإنفاذ الحق]^(١) ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً للأوقات ، حريصاً على الإفادة .

ثم وثى القضاء والخطابة بعُرناطة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعماية ، فقام بالوظائف ، وصدع بالحق ، وجرح الشهود فزيف منهم ما ينيف على السبعين عدداً ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضلة ، خاض تبجحها ، وصادم تيارها ، غير مبال بالمغبة ، ولا حافل بالتبعية ، فناله لذلك من المشقة ، والكيد العظيم ، مانال مثله . حتى كان يمشى إلى الصلاة ليلاً في مسألة . لا يطأثن على حاله . جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أرواده الله . وعزم عليه الأمير في بعض من الخطبة ، ليرده إلى العدالة ، فلم يجد في قناته مغمزاً ، ولا في عوده مغمباً ، وتصدر لبث العلم بالحضرة ، يقرى^(٢) فنوناً منهجّة ، فنفع وخرج ، ودرس العربية والفقه والأصول ، وأقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث ، شرحاً وسماعاً ، على سبيل^(٣) من انشراح الصدر ، وحسن التجمل ، وخفض الجناح .

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ، فقال ، وأما شيخنا ، وقريننا مصاهرةً ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، فصاحب عزم ومضاء ، وحكم صادق وقضاء . كان له رحمه الله ، مع كل قولة ، صولة ، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة ، فأحرق قلوب الحسدة والشب ، وأعز الخطبة ، بما أزال عنها من الشوائب ، وذهب وفضض^(٤)

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها ترك أهدار الحق ، أو بعبارة أخرى الحرص على إقامته .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (يقراً) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (سبل) .

(٤) ذهب وفضض ، أى جعلها ناصعة كالذهب والفضة .

كواكب الحق بمعارفه ، ونفذ في المشكلات ، وثبت في المذهلات ، واحتج
وبكت ، وثقف ونسكت ^(١) .

توقيعه

قال ، وحدنا صاحبنا ، أبو جعفر الشقوري ، قال كنت قاعداً في مجلس
حكيم ، فرفعت إليه امرأة رُقعة ، مضمونها أنها مُحبة في مُطلَقها ، وتبتغي من
يُسْتَشْفَع ^(٢) لها في ردّها ، فتناول الرُقعة ، ووقع في ظهرها للحين من [غير] ^(٣)
مُهلة : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب ^(٤) ، فليصنع لسماعه إصاغة مُغيث ،
وليُسْتَشْفَع للمرأة عند زوجها ، تأسيساً بشفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لبرّرة في
مُغيث . والله يُسلم لنا العقل والدين ، ويسلك بنا مسالك المهتدين . والسلام يعتمد
على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها ، ورحمة الله . قال صاحبنا ، فقال لي
بعض الأصحاب ، هلاً كان هو الشفيع لها . فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي
أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره

ولم يُسمع له شعر إلا بيتين في وصف قوس عربي الذئب في شعر من لا شعر
له ، وهما :

هَامُ الْفَوَادِ فِي بَنَاتِ النَّبَعِ وَالنَّشْمِ [زوراً تُزرى بعطت البان والصنم] ^(٥)
قَوَامُ قَامَتِهَا تَمَامُ مَعْنَاهَا من يلقى مقتلها تُصميه أو تُصم

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة مرة أخرى (وبكت) . ونعتقد أن التعديل أرجح وأكثر
شمياً مع مقتضيات البيان والسجع .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» ، وفي «ج» (يشفع) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) بالقلوب هنا يقصد بها ما يظهر الورقة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (زورا ترى
بعطت البان والصنم) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ المتفتن الخطيب أبي محمد بن أبي الشداد الباهلي القرآن العظيم
 جَمْعاً وإفراداً ، وأخذ عنه العربية [والفقه] ^(١) والحديث . ولازمه ، وتأدب به .
 وعلى الشيخ [الراوية] ^(٢) الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخَزْجِي القرطبي ،
 قرأ عليه كثيراً من كُتُب الحديث ، منها كتاب صحيح مُسلم ، وسمع عليه
 جميعه إلا دولة واحدة . ومن أشيائه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن
 السَّكُوت . والفقيه [المُشاور] ^(٣) ، الصَّدر الكبير ، أبو عبد الله بن ربيع ،
 والخطيب ^(٤) القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطَّنْجَالِي ، والشيخ القاضي
 أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصاد ، والأستاذ خاتمة المقرئين
 أبو جعفر بن الزُّبَيْر ، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشَيْد . والخطيب الولي
 الصالح أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن بن اللَّباد المَشْرِفِي ^(٥) . والشيخ
 الأستاذ أبو عبد الله بن الكَماذ السَّطِّي اللَّبْلِسِي . وأجازه من أهل سبته شيخ الشُّرَفَا
 أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع ، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن
 الهواري ، وأبو إسحاق التَّدَسَانِي . والحاج [العدل] ^(٦) الراوية أبو عبد الله بن
 الحَصَّار ، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القَيْسِي ، والأستاذ أبو بكر
 ابن عُبيدة ، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري .
 ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون ، وأبو العباس أحمد

(١) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (والفقيه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المسرفي) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

ابن محمد الأشعري المالقي [نزىل تونس]^(١) ومحمد بن محمد بن سيّد الناس اليغمري،
وعثمان بن عبد القوي البلوي . ومن أهل مصر النسيابة شرف الدين عبد المؤمن
ابن خلف الدشمياطي . والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق ، وجماعة غيرهم
من المصريين والشاميين والحجازيين .

مولده

في أواخر ذى حجة من عام أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

فقد في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف^(٢) شهيداً [محرّضاً]^(٣) ،
زعموا أن بغلة كان عليها [كبت به]^(٤) ، وأفاق وابط الجاش ، مجتمع القوي .
وأشاد عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال أنصرف هذا يوم
الفرج ، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ،
وذلك صبحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية .

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) موقعة طريف هي الموقعة العظيمة التي نشبت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو
الحادى عشر ملك قشتالة ، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ومعه قوات
الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة ، على مقربة من ثغر طريف ، وعلى سفاف
نهر سالادو الصغير ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون
هزيمة شديدة . وكانت محنة عظيمة بالنسبة للمغرب والاندلس .

(٣) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد
ابن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حُيُون بن القاسم
ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[رضي الله تعالى عنه] (١)

حسبنا نقل من خطه :

أولَّيَّتِهِ معروفة [كان وليَّتَهُ مثله] (٢) .

حالُه

هذا الفاضل جُمْلَةٌ من بُجَلِّ الكمال ، غريب في الوقار والحصافة ، وبلوغ
المدى ، واستولى على الأمم جُلْمًا وأناة ، وبُعْدًا عن الريب (٣) ، وتمسكًا بعُرى
النزاهة ، واستمسكًا مع الاسترسال ، وانبساطًا مع المُداخلة ، معتدلُ الدريقة ،
حسن الإدارة ، مالكًا أزمَّة الموى ، شديد الشفقة ، كثير المواساة ، مغار حَبْل
الصبر ، جميل العشرة ، كفيف سِرِّ الحيا ، قوى النفس ، رابط الجأش ، رقيق
الحاشية ، مُتَمِّعُ المجالسة ، متوقد الذهن (٤) ، أصيل الإدراك ، بارعًا بأعمال (٥) المشيخة ،
إلى جلال المُنتَمَى ، وكرم المنصب ، ونزاهة النفس ، وملاحة الشَّيْبَةِ (٦) . وحمل راية
البلاغة ، والإعلام في ميادين البيان ، رُحْلَةَ الوقت في التبريز بعلوم اللسان . حَافِ

(١) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» . و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (المريب) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (الزهد) وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (بإغفال) ، ونعتقد أن التصويب يتمشى مع السياق

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

الخصل [والفضل] (١) في ميدانها، غريمة غريزة الحفظ، مقنعة الشاهد، مستبحرة النظر، أصيلة التوجيه، برية عن الذوك والغفلة، مرهفة باللغة والغريب، والخبر والتاريخ والبيان، وصناعة البديع، وميزان العروض، وعلم القافية وتقدماً في الفقه، ودرساً له، وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والعبر، والدؤوب عليه، بارع التصنيف، حاضر الذهن، فصيح اللسان [مفخرة من مفاخر أهل بيته] (٢).

ولايتـــــــــــــــــه

قديم على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر (٣)، كما استجمع شبابه، يفهم علماً باللسان، ومعرفة بمواقع البيان، وينطق بالمعذب الزلال من الشعر، فسئل له كنف البر، ونظم في قلادة كتاب الإنشاء، وهو إذ ذاك ثمينة (٤) الخيرات، محكمة الرصف (٥) [فشاع] (٦) فضله، وذاع رجله (٧). [ثم تقدم] (٨)، فنقل من طور الحكم، إلى أن قلده [الكتابة] (٩) والقضاء والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها [التي أعقبها ولاية مالقة] (١٠) في الرابع من شهر ربيع الآخر

(١) واردة في «الزيتونة» و«الملكية». وساقطة في «ج».

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في «ج»، وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (مفخر أهل بيته).

(٣) الخامس من ملوك بني نصر، ملوك غرناطة، هو السلطان أبو الوليد إسماعيل، وقد حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٧٢٥ هـ (١٣١٤ - ١٣٢٥ م).

(٤) وردت بحرف في المخطوطات الثلاثة (ج - ثنية. الزيتونة - تمية. الملكية - ثمنية).

(٥) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة». وفي الملكية (وصف). والأولى أرجح.

(٦) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» و«الملكية» (أرجله).

(٨) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٩) الزيادة من «الزيتونة».

(١٠) هذه العبارة وازدة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

عام سبع وثلاثين وسبعماية . فاضطلع بالأحكام . وطبق مفصل الفضل [ماضى
 الصريعة ، وحى الإجماع] (١) . نافذ الأمر . عظيم الهيبة . قليل النقاد ، مُطعم
 التوفيق ، يصدع فى مواقف الخُطْباء بكل بليغ من القول . مما يُرِيق ديباجته ، ويشف
 حِقْله ، وتبرأ من كلال الخطباء جوانبه وأطرافه . واستعمل فى السفارة للعدو
 ناجح المسعى ، ميمون النقيبة . جزيل الحياء والكرامة . إلى أن عُزل عن القضاء
 فى شعبان من عام سبعة وأربعين وسبع مائة . من غير زلة تخفيض (٢) ، ولا هنة
 تؤثر ، فتحيز إلى التحليق لتدريس العلم ، وتفرغ لإقراء العربية والفقه ، ولم يذنب
 أُميرُه المنطوى على الهاجس . المغرى بمثله ، أن قدّمه قاضياً بوادى آش ، بنت
 حضرة ، معززة بسندها الكبير الخطّة . فانتقل إليه بجملته ، وكانت بينه وبين
 شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب . صداقة صادقة . ومودة مستحكمة ، فجرت بينهما
 أثناء هذه النقلة . بدائع . منها قوله . يوس عنه . خطة القضاء التى اخترعها . ويوليا
 خطة الملامة :

لا مرحباً بالناشز الفـأرك إن جُهِلت رفعة مـقـدارك
 لو أنها قد أوتيت رُشـدها ما برحت تعشـو إلى نارك
 أقسمتُ بالنـور المبين الذى منه بدت مشـكاة أنوارك
 ومَظْهر الحكم الحكيم الذى يتلو عليه طيّب أخبـارك
 ما لقيت مثلك كفـواً لها ولا أوت أكرم (٣) من دارك

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة ، فولياها واستمرت حاله وولايته على متقدّم
 ممّته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة ، إلى أن

(١) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (تحفظ) . والأولى أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (الكريم) . وبالتصويب يستقيم الشعر والمعنى .

هلك السلطان مُسْتَعْضِيَةٌ مَأْمُومًا بِهِ . مُقْتَدِيًا بِسُجْدَتِهِ . يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ . خَمْسَةَ
وخمسين وسبعماية . وولى الأمر ولده الأسعد . فجدد ولايته . وأكّد تجلّته . ورفع
رتبته . واستدعى مجالسته

• شَيْخَتُهُ •

قرأ ببلاده سَبْتَةً عَلَى أَبِيهِ الشَّرِيفِ الْمَطَاهِرِ . نَسِيحَ وَحْدِهِ [فِي الْقِيَامِ] (١) .
وعلى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي [وَبِهِ جُلٌّ] (٢) انْتِفَاعَهُ ؛ وَعَلَيْهِ جُلٌّ اسْتِفَادَتُهُ . وَأَخَذَ
عَنِ الْإِمَامِ شَيْخِ الْمَشِيخَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ . وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْعُمَارِيِّ ، وَالْخَطِيبِ الْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ . وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْقُرْطَبِيِّ ، وَالْفَقِيهِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُرَيْثٍ . وَأَخَذَ عَنِ الْأُسْتَاذِ النَّظَارِ
أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِئِ وَغَيْرِهِ .

• مُحَنَّتُهُ •

دَارَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ مَهْلِكِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ [رَحَى الْوَقِيعَةِ] (٣) ، فَمَرَّكَتَهُ بِالنُّقَالِ ،
وَتَخَلَّصَ مِنْ شِرَارِهَا هَوَلًا (٤) ، لَسَطَّارِحِ الْأَمِيرِ الْمُتَوَكِّلِ (٥) أَمَامَ الْمَرْيَةِ عَلَيْهِ .
خَاتَمًا فِي السَّجْدَةِ . وَدَرَسَ الْحَمَاءَ إِيَّاهُ عِنْدَ الدَّجَلَةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ لِحُلِّ الْوَطْأَةِ .
وَلَا افْتِقَادَ (٦) لِحُلِّ (٧) صَلَاةِ تِلْكَ الْأُمَّةِ . فغَشِيَهُ مِنَ الْأَرْجُلِ ، رَجُلُ الرَّبِّي كَثِيرَةً .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) كذا في «ج» . وفي «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (المتب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (إبتغاء) .

(٧) إلى هنا تمت المراجعة على مخطوط «الإحاطة» المحفوظ بخزانة الرباط الملكية ، إلى جانب
مخطوط الزيتونة . وهو ينتهي حسبنا ذكرنا في المقدمة بالترجمة الحالية . وستجرى المراجعة منذ
الآن فصاعدا على مخطوط «الزيتونة» وحده .

والتفت عليه مُرسل طيلسانه . ساداً مجرى النفس إلى قلبه . فعالج الحمام وقتاً .
إلى أن نفس الله عنه . فالتفت من الردى . وانتبذ من مطرح ذلك الوعى . وبُودر
بالفصاد ، وقد أشفى . فسكانت عثرة لقيت لها ومتاعاً . فسمح له المدى آخر من
يوثق به . من محل البث . وودعات السر من حظيات الملك . أن السلطان
عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم . كونه في محراب مسجده . مع قاضيه المترجم
به . وقد أقدم عليه كلب . أصابه بثوبه ، ولطخ ثوبه بدمه . فأهمله رؤياه . وطرقت
به الظنون مطارقها . وهم بعزل القاضى ، انقياداً لبواعث الفكر ، وسدلاً لأبواب
التوقيعات . وقد تأذن الله بإرجاء العزم . وتصديق الحلم . وإمضاء الحكم . جل
وجهه . وعزت قدرته . فكان من الأمر ما تقرر في محله .

تصانيفه

وتصانيفه بارعة ، منها ، رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة^(١) ، شرح
فيها مقصورة الأديب أبى الحسن حازم بما تنقطع الأطلاع فيه . ومنها رياضة الأبي
في قصيدة الخزرجى ، أبدع في ذلك بما يدل على الإطلاع وسداد الفهم . وقيد على
كتاب التسهيل لأبى عبد الله بن مالك تقييداً جليلاً ، وشرحاً بديعاً ، قارب
التمام . وشرح في تقييد على الخبر المسمى ، بدور السمط في خبر السبط . ومحاسنه
جمة ، وأغراضه بديعة .

شعره

وإما الشعر فله فيه القدح والمعلّى ، والحظ الأوفى ، والدرجة العليا . طبقة وقته ،

(١) «المقصورة» المشار إليها هنا هي القصيدة الطويلة التي وضعها أديب المغرب الكبير الإمام
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأندلسي في مدح الخليفة الحفصي أبى عبد الله محمد المستنصر
بالله ، والشرح الذي وضعه لها أبو القاسم محمد بن أحمد الحسنى السبكي هو شرح كبير يقع في مجلدين
ومنه نسخ مخطوطة في الخزائن المغربية رغيرها . وقد طبعت المقصورة وشرحها بالقاهرة (سنة ١٣٤٤هـ)

ودرجة عصره، وحجة زمانه . كَلَامُهُ مُتَكَافٍ فِي الْفِظِ وَالْمَعْنَى ، صَرِيحُ الدَّلَالَةِ ،
كَرِيمُ الْخَلْقِ ، مُتَعَصِّدُ الْحَبْلِ . خَالِصُ السَّبْكِ . وَأَنَا أَثْبَتُ مِنْهُ جُزْأً ، خَصْنِي (١) بِهِ ،
سَمَاءَ جَهْدِ الْمَقْلِ . اسْتَعْمَلَ مِنْ حَرِّ السَّكَّامِ ، عَلَى مَا لَا كِفَاءَ (٢) لَهُ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ تَرْدُدُهُ أُخْرَى إِلَيَّ . فَهُوَ الْمَسْنُولُ أَنْ يَعِصِمَنَا مِنَ الزَّلَلِ (٣) ، زَلَلِ
الْقَوْلِ . وَزَلَلِ الْأَعْمَالِ . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْإِرْسَالِ . هَذِهِ أَوْرَاقُ
ضَمْنَتِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنَاتِ فَسْكَرَى . وَقَطْعاً مِمَّا يُجِيشُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ صَدْرِي ،
وَلَوْ حَزَمْتُ (٤) لَا تُضْرِبَ عَنْ كَتَبِهَا كُلِّ الْإِضْرَابِ ، وَلَزِمْتُ فِي دَفْنِهَا وَإِخْفَائِهَا
دِينَ الْأَعْرَابِ . لَا كُنِّي (٥) آثَرْتُ عَلَى الْحَوِ الْإِثْبَاتِ ، وَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِمْ (٦) [إِنْ
خَيْرٌ مَا] (٧) أَوْ تَيَسَّرَتْ الْعَرَبُ الْأَثِيَّاتِ . وَإِذَا هِيَ عَرُضَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْدِ ، وَسَأَلَهَا
كَيْفَ نَجَتْ مِنَ الْوَادِ . فَقَدْ أَوْتَيْتُهَا مِنْ حُرْمِكُمْ (٨) إِلَى ظِلِّ ظَالِيلِ . وَأَحْلَلْتُهَا مِنْ
بَنَائِكُمْ ، مُعَرَّساً وَمَقِيلَ ، وَأَهْدَيْتُهَا عِلْماً بِأَنْ كَرَمِكُمْ ، بِالْإِغْضَاءِ عَنْ عِيوبِهَا جَدُّ
كَفِيلِ ، فَاعْتَمِ قَلَّةَ التَّهْدِيَةِ مِنِّي ، إِنْ جَهْدُ الْمَقْلِ غَيْرُ قَلِيلِ ، فَحَسْبُهَا شَرْفاً أَنْ
تَبَوَّأَتْ فِي جَنَابِكِ كَفْفاً ، وَكَفَاهَا مَجْداً وَفَخْراً . أَنْ عَقَدْتُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَسْكَرَ
عَقْداً وَجَوَاراً ، [وَمَا قَلْتُ فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ] (٩) .

م ——— ولده

بِسَبْتَةِ فِي السَّادِسَ لِشَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَتَسْعِينَ وَسِتْمِائَةٍ .

-
- (١) وَرَدَتْ فِي «ج» (أَخْصَنِي) . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .
 - (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (كَفَوُ) .
 - (٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي «الزَيْتُونَةِ» وَحْدَهُ ، وَوَرَدَتْ مُحَرَّفَةً (الزَّلَالِ) .
 - (٤) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (حَرَمْتُ) .
 - (٥) هَكَذَا فِي «ج» وَفِي «الزَيْتُونَةِ» (لَا كُنِّي) .
 - (٦) وَرَدَتْ فِي «ج» (بِقَوْلِهِ) . وَالتَّعْدِيلُ أَنْسَبُ لِلْسِّيَاقِ .
 - (٧) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي «ج» . وَوَرَدَتْ فِي «الزَيْتُونَةِ» (إِنْ مِنْ أَحْسَنِ مَا) .
 - (٨) وَرَدَتْ فِي «ج» (كَرَمِكُمْ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «الزَيْتُونَةِ» .
 - (٩) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَلَمْ يَلِهَا شَيْءٌ .

وفاته

وفي قاضياً بقرنطرة في أوائل شعبان من عام ستين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي^(١)

قاضي الجماعة ببيضة الإسلام فاس : يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل له أبوة صالحة ، وأصالة زاكية ، قديم الطلب ، ظاهر التخصص ، مفرط في الوقار [نابه البرّة والركبة ، كثير التّهمة ، يؤم به الفار]^(٢) ، وصدر الصّور في الوثيقة والأدب ، فاضل النفس ، ممحّوض النصح ، جميل العشرة لإخوانه ، مجرى الصّدّاقة [نصحاً ، ومشاركة ، وتنفيقا ، على سجيّة الأشراف وسنن الحسباء]^(٣) ، مديد^(٤) الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، عارف بالتحسين والتّجريح ، من أدركه ، أدرك علماً من أعلام المشيخة . قدّمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس ، قاضياً بحضرته ، واختصّه ، واشتمل عليه ، فاتصل بعده سمعده^(٥) ، وعرف حقه . وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه ، فداع فضله ، وعلم قدره . ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النّبوة^(٦) التي أصابت

(١) نسبة إلى قشتالة وهي إحدى القبائل الجبلية التي تقطن في تلمال مدينة فاس .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) هذا أيضاً وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (مديم) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في «ج» وكذا في «الزيتونة» (استماله) . ونعتقد أن هذا التصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بحو النبوة) . والنبوة هنا تمي السقطة أو

الدولة ، بَلَوْتُ من فضله ونصحته وتأييده ، ما أكد الغبطة ، وأوجب الثناء ،
وخاطبته بما نصه :

من ذا يَعُدُّ فضائل الفِشْتَالِي والدهر كاتب آيها والتَّالِي
عَلِمَ إِذَا التَّمَسَّوا الفنون بعلمه مرعى المَشِيح^(١) ونُجْمَةُ المُكْتَالِ
نال الذى لا فوقها من رفعة ما أملتُها حيلةُ المحتالِ
وقضى قياس تراثه عن جدِّه إن المُقَدِّم فيه عين التالى

قاضى الجماعة ، بماذا أثنى على خلاصك المُرْتَضَاة^(٢) ، أيقديك الموجب
لتقديك ، أم بحديثك الداعى لتحمل حديثك ، وكلاهما غاية بعد مرماها ،
وتحامي المتصور حماها ، والضالع لا يسام سبباً ، والمنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهراً
أبقى . وما الظن بأصالة تعترف [بها]^(٣) الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة ؛ كانت
في غير ذات الحق تزهده ، وفي نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد
الحق وتمهد ، وتهزم الشبه إذا تشهد . وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر على
جوار ، ولا حث من غصني ورقاً ولا نواراً^(٤) . هذا وقد زار على أسدٍ وحمل
نوراً^(٥) . فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها ، وأظهر
خلوص إبريزه معيارها ، تحت كنف وعز مؤتمن ، وجوار أبي دلف ، وعلى
ثقة من الله بحسن^(٦) خلف . وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إلا رحلة ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المهم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المرضاة) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (نورا) ونعتقد أنه بالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (نورا) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» (بحس) . وفي «الزيتونة» (تجس) . وبالتصويب يستقيم السياق .

لم يَبْرُكْ بعدَ حَمَلِهَا ، وَلَا قَرَّ عَمَلِهَا ، وَأَوْحَالَ خَالَ بِنَى وَبَيْنَ مُسَوِّرِ الْبَلَدِ الْقَدِيمِ^(١) مَهْلَهَا . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَاغْتَبَطَتِ الزَّائِدُ^(٢) ، وَاقْتَنَيْتِ الْفَوَايِدَ ، وَاللَّهِ يَطِيلُ بَقَاؤُهَا ، حَتَّى تَتَأَكَّدَ الْقَرْيَةُ ، الَّتِي تُنْسَى^(٣) بِهَا الْغُرْبَةُ ، وَتَعْظُمُ الْوَسِيلَةُ ، الَّتِي لَا تُدْكَرُ مَعَهَا الْفَضِيلَةُ . وَأَمَّا مَا أَشَارَ بِهِ مِنْ تَقْيِيدِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي نَفَقَ سَوْقُهَا اسْتِحْسَانَهُ ، وَأَنْسَ بِاسْتِظْرَافِهَا إِحْسَانَهُ ، فَقَدْ أَعْمَلَ وَمَا أَمْهَلَ ، وَالْقَصُورُ بَادٍ إِذَا تَأَمَّلَ ، وَالْإِفْضَاءُ أَوْلَى مَا أَمَّلَ ، فَإِنَّمَا هِيَ فِكْرَةٌ ، قَدْ أَخَذَتْ نَارَهَا الْأَيَّامَ ، وَغَيَّرَتْ آثَارَهَا الْآلِيَامَ . وَقَدْ كَانَ الْحَقُّ إِجْلَالَ مِطَالَعَةِ سِنْدِي مِنْ خَلَّهَا ، وَتَنْزِيهِ رَجُلِهِ عَنْ تَقْبِيلِ مُرْتَجِلِهَا . لَا كَنْ أَمْرَهُ مُمَثَّلٌ ، وَآتَى مِنَ الْمَجْدِ أَمْرًا لَا مَرْدَ لَهُ مِثْلٌ . وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِي مِنْ مُعْظَمِ قَدْرِهِ ، وَمُمْتَازِمْ بَرِّهِ ، ابْنِ الْخَطِيبِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَكُتِبَ إِلَى مَرَاجِعَا ، وَهُوَ الْمَلِيُّ بِالْإِحْسَانِ :

وَأَفْتِ يَجْرُ الزَّهْوُ فَضْلَةً بُرْدَهَا حَسَنَاءُ قَدْ أَضْحَتْ لَسِيحَةً وَحْدَهَا
لِلَّهِ أَيْ قَصِيدَةً أَهْدَيْتَ لَوْ يَهْتَدِي الْمُعَارِضُ نَحْوَ غَايَةِ قَصِيدِهَا
لَاِبْنَ الْخَطِيبِ بِهَا مُحَاسِنُ جَمَّةٍ قَارَعَتْ عَنْهُ الْخُطُوبُ فَفَلَّتْ مِنْ حَدِّهَا
سِرُّ الْبَلَاغَةِ عَنْهُ أَوْذَعَ حَافِظًا قَدْ صَانَهُ حَتَّى فَشَى مِنْ عِنْدِهَا
فِي غَيْرِ عَقْدٍ نَفَثَتْهُ^(٤) بِسَحَرِهَا فَلَذَا أُنَى سَلَسًا مَنْظُمَ عَقْدِهَا
لَمْ أَدْرِمَا فِيهَا وَقْتًا مُعَاوَنًا^(٥) مِنْ طَرَسِهَا أَوْ مُعَلِّمًا مِنْ بُرْدِهَا

(١) يقصد مدينة فاس القديمة أو فاس البالي ، وذلك تمييزاً لها عن «البلد الجديد» وهو ضاحيتها الذي به مقر الملك والبلاط .

(٢) وردت في «ج» (الرايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطين (تنسى) . وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت في «ج» (نفثت) . وفي «الزيتونة» (نبشت) . والتصويب رجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

حتى دفعتُ بها لأبعد غاية باعاً نَقَصُرُ في البلوغ بِمَحْدَها
 حدان^(١) من نظم وثر إن من يلقاها منها بِذِلَّةٍ عَيْبِها
 أولى يداً^(٢) بيضاء موليها فسا لى مزية أن أقوم بِمَحْمَدِها
 ورفضت تكذيب المني متشيعاً لعلى مرآها يُصادق وعَدَها
 فبذلتُ شمري رافعاً من يرُها وهزرتُ عَطْفِي رافلاً من بُرْها

خُذْها أعزَّ الله جنابك، وأدال للأنس على الوحشة اغترابك، كغفبة^(٣) الطائر
 المتجمد، ونهبة النابر المستوفز، ومقمة^(٤) اللحظ، قليلة اللفظ، قد جمعت من
 سوامها وانقحامها، بين نظم قيد، وصلود زند، ونوعت، فعلى إقدامها وانحجامها^(٥)
 إلى قاصرو معتد، وليتنى إذا جاحت سحابة ذلك الخاطر الماطر الدوق، وانجباب^(٦)
 العاني عن مُزنة فكرتي، بتقاضى الجواب، انجياب^(٧) الدوق، وأيقنتُ أنى قد
 سدَّ على باب القول وأرتحج، وقلت هذه السالفة السكلية فمَدت لها الداعة من
 تكلم الإمرة [ولم أفه، إذ أعوزت المرأة بالخلوة]^(٨)، لا كنى قلت، وجدُّ المُسكتر
 كجهد المُقل، والواجب قد يقل الامثال فيه بالأقل. فبعثت بها على علائها،
 وأبلغتها عذرها. في أن كسَّبت عن شوقها ببلغاتها، وهى لا تعدم من سيدى
 فى إغضاء كرم وإرضاء سليم. والله عز وجل يصل بالتائيس الخبل، ويجمع الشمل.

(١) وردت فى «ج» (خوان). والتصويب من «الزيتونة».

(٢) وردت فى المخطوطين (يد). ولزم التصويب.

(٣) وردت فى المخطوطين (كتفة). وبالتصويب يستقيم السياق. والغبة هى البلغة البسيرة.

(٤) هكذا فى المخطوطين. ويقصد بها هنا اللحظ الضعيف أو الفاتر.

(٥) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (وانجامها).

(٦) وردت فى المخطوطين (وانجاية). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٧) وردت فى «ج» (انجباب) فلزم التصويب.

(٨) هذه العبارة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة».

والسلام الكريم يخص تلك السيادة . ورحمة الله وبركاته . من محمد بن أحمد
الغشتالي .

وهو الآن قاض بفاس المذكورة ، محمود السيرة . أبقاه . وأمتع به .

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن

أبي بكر بن علي [بن داود] ^(١) القرشي المقرئ

يكنى أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان .

أوليته

نقلت من خطه ، قال ، وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن
قبله مراراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ ، صاحب أبي مدين ^(٢) ، الذي
دعا له ولذريته ، بما ظهر فيهم من قبول وتبين . وهو أبي الخامس [فأنا محمد بن
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن] ^(٣) ، وكان هذا الشيخ
عزوى الصلاة ، حتى أنه [ربما] ^(٤) امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،

(١) الزيادة من «الزيتونة» . وهي غير واردة في نفع الطيب .

(٢) الشيخ أبو مدين هو ولي المغرب الكبير . وضريحه بضاحية تلمسان المسماة «العباد» . وهو
في الأصل العلامة الأندلسي شبيب بن الحسين الأنصاري ، ويكنى أبا مدين . ولد سنة ٥٢٠ هـ
بقتلانة من أعمال إشبيلية ودرس حيناً بالأندلس ، ثم عبر البحر إلى المغرب . ودرس في سبتة
وفاس ومراكش . ثم مال إلى التصوف ، واعتنق طرائقه ، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج .
ثم عاد إلى المغرب ، ونزل بطنجة بجاية . وكان حجة لا يبارى في الشريعة والحديث وعلوم الدين .
واشتهر أبو مدين أثناء حياته بكراماته . وسمع به الخليفة الوحدي يعقوب المنصور ، وبما يتمتع به من
راسع الشهرة والنفوذ ، فأمر باستدعائه إلى مراكش ، فأخذ إلى الخليفة ، ولكنه توفي في طريقه على
مقربة من تلمسان وذلك في ربيع الأول سنة ٥٩٩ هـ . ودفن برباطة العباد ضاحيتها . وما زال ضريحه
لى اليوم مزاراً يقصده الألوف من الزوار من سائر أنحاء المغرب .

(٣) الزيادة من نفع الطيب (ج ٣ ص ١١٢) . (٤) الزيادة من نفع الطيب .

ولا استشعر منه شعور^(١). ويقال إن هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار. وتأمين التجار. واتخذوا طبل الرحيل، وراية التقدم عند المسير. وكان ولد^(٢) يحيى. الذى كان أحدهم أبو بكر. خمسة رجال. فعقدوا الشراكة بينهم فيما ملكوه، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال. وكان أبو بكر ومحمد. وهما أرومتا نسي من جميع جهات [الأم والأب]^(٣) يتامسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد^(٤) وعلى. وهما شقيقا ثم الصغيران. بأى والاتن^(٥) فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار. فترجوا [النساء]^(٦). واستولدوا الإمام. وكان التماسنى يبعث إلى الصحراوى^(٧) [بما يرسم له من السلع. ويبعث إليه الصحراوى بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماضى كلسان الميزان]^(٨) يعرفهما بقدر الرّحمان والخسران، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت فى الفخامة أحوالهم، ولما افتتح التسكرور [كورة]^(٩) أى والاتن وأعمالها، أصيبت أموالهم، فيما أصيب من أموالها، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال، ونصب [دون ماله]^(١٠) القتال. ثم اتصل بملسكهم فأكرم مشواه، ومكّنه

(١) وردت فى المخطوطين (شهور) والتصويب من النفح.

(٢) هكذا فى «ج» والنفح. وفى «الزيتونة» (أولاد).

(٣) فى النفح (أبى وأمى).

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (عبد الرحمن) والتصويب من النفح.

(٥) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة». وأى والاتن موضع بالصحراء.

(٦) الزيادة من النفح.

(٧) فى «ج» (الصحراء). والتصويب من النفح.

(٨) ما ورد بين الحاصرتين كله ساقط فى «ج» و «الزيتونة» ووارد فى النفح.

(٩) الزيادة من النفح.

(١٠) هكذا وردت فى «ج». وفى النفح (دونها دف مالم).

من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصدیق الأحب ، والخلصة الأقرب . ثم صار يكتب مَنْ بتلمسان ، يَسْتَقْضِي منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندي من [كُتِبَهِ] ^(١) وَكُتِبَ الملوك بالمغرب ، ما ينبغي عن ذلك . فلما استوثقوا ^(٢) من الملوك ، تدلّت ^(٣) لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحد ، وكادت تفوق الحصر والعَدَّ ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر ^(٤) [كانت تجلب لها من المغرب] ^(٥) ما لا بال له من السلع ، فيعَاوض عنه [بما له بال من الثمن] ^(٦) . [ثم قال أبو مدين] ^(٧) « الدنيا ضم جنب أبي حمو ، وشمل ثوباه . كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ، ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يُغَيِّر من العوايد ، ويجرُّ السفهاء إلى المفاسد » ^(٨) .

ولما هلك هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم [ولم يقوموا] ^(٩)

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) وردت في «ج» (است تقوى) وفي «الزيتونة» (استأنوى) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (ذلت) .

(٤) إن الإشارة إلى أهل مصر هنا ما يستوقف النظر ، ويحمل على الاعتقاد بأن التجار المصريين ، كانوا في ذلك العصر (القرن الرابع عشر الميلادي) يؤمون هذه الأقطار (ممالك السودان الغربى) بكثرة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النسخ (كان يجلب إليها من المغرب) .

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (بمال وما من الثمن) . وفي «الزيتونة» (بمال من التمر) . والتصويب من النسخ .

(٧) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في النسخ .

(٨) وردت هذه الفقرة التي بين الشولتين في المخطوطين وفي نسخ الطيب ، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ . ولم نفهم حكمة نسبتها هنا إلى الشيخ أبي مدين . وهى على العموم ظاهرة الإضطراب .

(٩) وردت في المخطوطين (ويقولوا) . والتصويب من النسخ .

بأمر التثمير قيامهم ، وصادفوا توالى القتن ، ولم يَسلموا من جور السلطان^(١) . فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان | فيها أنا ذالم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة . ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرّضا وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن^(٢)]

حاله

هذا الرجل مشار إليه بالعدوة المغربية^(٣) اجتهدا ، ودؤوبا ، وحفظاً وعناية ، وإطلاعا^(٤) ، وثقلاً ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، ظاهر السداجة ، ذاهب أقصى ، مذاهب التخلص ، محافظ على العمل ، منابر على الانقطاع ، حريص على العبادة ، مضايق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يُغافض الوقت فيها ، ويوقعها دُفعة متبعا إياها زعقة التكبير ، برجة ، ينمو عنها سمع من لم يكن تأنس بها عادة ، بما هو دليل على [حسن^(٥)] المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة ، متصل الخيرية ، مكب على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر الذراع عند المباحثة ، راحب عن الصدر في وطيس المناقشة ، غير [مختار^(٦)] للقرن ، ولا ضان

(١) في النفح (السلطين) .

(٢) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين لم ترد في المخطوطين ، ونقلناها عن النفح .

(٣) وردت في المخطوطين (الغربية) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (اضطراعا) .

(٥) هذه الزيادة من النفح .

(٦) هذه الزيادة من النفح .

بالفايدة . كثير الالتفاف ، متقلب الحديقة^(١) . جبير بالحجة ، بعيد عن
المراء والمباهة ، قائل^(٢) بفضل أولى الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على
العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتجبر^(٣) . يحفظ الأخبار والتاريخ
والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصليين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر
مصيباً في ذلك [غرض الإجابة]^(٤) . ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب
المغال ، ويعتني بالتدوين^(٥) فيها . شرق وحج ، ولقي جملة ، واضطرب^(٦) رحلة
مفيدة ، ثم آب إلى بلده ، فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم . فلما ولي ملك المغرب
السلطان ، محالف الصنع ونشيدة الملك ، [وأثير الله من بين القرابة والإخوة]^(٧)
أمير المسلمين أبو عنان فارس ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه
قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقل بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحكم^(٨) ،
وألان [الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكل ، وخفض الجناح ، فحسنت
عنه القالة ، وأحبته]^(٩) الخاصة والعمامة . حضرت بعض مجالسه للحكم ،
فرايت من صبره [على اللد ، وتأتيه للحجيج]^(١٠) ورقة بالخصوم ، ما قضيت
منه العجب .

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحدائق) ، والتصويب من النفع .

(٢) وردت في «ج» (قائد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يتحين) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه الزيادة من النفع .

(٥) وردت في «ج» (بالزريق) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٦) وردت في «ج» (واضطرب) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي النفع (الحق) .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط في «ج» و «الزيتونة» . ووارد في النفع .

(١٠) هذا وارد في «ج» والنفع ، وساقط في «الزيتونة» .

دخوله غر ناطة

ثم لما أُخِّرَ عن القضاء، استعمل بعد لأى فى الرسالة : فوصل الأندلس ،
 أوائل جمادى الثانية من عام ست وخمسين وسبعمائة . فلما قَضَى غرض الرسالة ،
 وأبْرَمَ عَقْدَ وَجْهَتِهِ . واحتلَّ مَالَقَةَ فى مُنْصَرَفِهِ ، بَدَأَ لَهُ فى نَبَذِ السَّكُوفَةِ : واضطَّرَّ رَاحُ
 وظيفة الخدمة ، وحلَّ التَّقِيدَ ، إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد ، وشهر غرضه ،
 وبِتَّ فى الانتقال ، طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلَّى بينه وبين همه .
 وترك وما انتحلّه ^(١) من الانقطاع إلى ربِّه . وطار الخبر إلى مُرْسَلِهِ ، فأنف من
 تخصيص إيلائه بالمجرة ، والعدول عنها ، بقصد التَّخْلِ والعبادة ، وأنكر ما نَحَلَّه ^(٢)
 غاية الإنكار ، من إبطال عمل الرسالة ، والانقباض قبل الخروج عن العهدة ، فوَعَّرَ
 صدره على صاحب الأمر : ولم يُبْعِدْ نَحْلَهُ على الظَّنَّةِ والمواطأة على النِّفَرَةِ ، وتجهزَّتْ ^(٣)
 جملة من الخدام المُجَلِّين ^(٤) فى مَازِقِ الشُّبْهَةِ : المضطَّلمين بإقامة ^(٥) الحجَّةِ ، مؤلِّين
 خِطَّةَ الملام [مُخَيَّرِينَ بين سحايب عاد من الإسلام] ^(٦) . مَظَنَّةَ إِغْلَاقِ النِّعَةِ ^(٧) ،
 وإيقاع المُثْلَةِ ، والإساءة ^(٨) بسبب القطيعة والمُنَابَذَةِ . وقد كان المترجمُ به لحق
 بغير ناطة فتدَمَّعَ بمسجدها ، وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوَعَّدَ من يُجِيرُهُ ، بنكسر
 من يُجِيرُ ولا يُجَارِ عليه [سبحانه] ^(٩) فَأَهَمَّ أَمْرَهُ ، وشغلت القلوب آبدته ، وأمسك

-
- (١) هكذا وردت فى النسخ . ووردت فى «ج» و «الزيتونة» (انتحل) .
 (٢) هكذا وردت فى «ج» . و «الزيتونة» . وفى النسخ (ما حقه) .
 (٣) وردت فى «ج» (تجهز) . والتصوب من النسخ .
 (٤) هكذا وردت فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (المجبلين) .
 (٥) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (لاقالة) . والتصويب من النسخ .
 (٦) هذه العبارة وردت بحرفة فى «ج» و «الزيتونة» . واقبعنا فيها نص النسخ .
 (٧) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (النقمة) والأولى أرجح .
 (٨) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (الإشادة) والأولى أرجح .
 (٩) الزيادة من النسخ .

الرسول بخلال ما صدرت شفاعته [اقتضت له دفع التبعة] ^(١) ، وتركه إلى تلك الوجهة .

ولما تحصل ما يتيسر من ذلك ، انصرف محفوفاً بعالمى ^(٢) القطر ، قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المترجم به قبّله ، والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج ، مُستهلين ^(٣) لوروده ، مُشافهين للشفاعة فى غرضه ، فأقشعت العُمة ، وتنفست الكُربة . [وجرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة ، ما تضمنه الكتاب المسمى « بكُناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ^(٤) ما صورته ^(٥) :

« المقام الذى يجب الشّفاعه ، ويرعى الوسيلة ، ويُنجز العُدة ، ويتم الفضيلة ، ويُضفى بحدّه المنّ الجزيلة ، ويُعيّى حمدّه المادح العريضة الطويلة . مقام محلّ والدنا الذى كرمُ بحدّه ، ووضح سعدّه ، وصحّ فى الله تعالى عقدّه ، وخلّص فى الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمدّه ، السلطان الكذا ^(٦) ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرمُ مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطّبع الكريم إذا دعاها ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (اقتضى فيها دفع التبعة) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و النسخ . ووردت فى «ج» (يعلمى) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (مسلمين) والأولى أرجح .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) إن الرسالة التالية لم ترد فى المخطوطين . وقد أوردتها المقرئ فى نصح الطيب مباشرة ضمن ترجمة جده ، وهى التى نقلها بلا ريب عن مخطوط أكمل من «الإحاطة» . ومن ثم فقد رأينا من الواجب إكمال الترجمة بإيراد هذه الرسالة ، معتمدين فى ذلك على نصّها الذى أوردته المقرئ ، وكذلك على نصّها الأصل الوارد بكتّاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) . (راجع نصح الطيب ج ٣ ص ١١٣ و ١١٤ وكناسة الدكان - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٧) .

(٦) المقصود بالسلطان الكذا هنا ، هو السلطان فارس أبو عتّان المرىنى ابن السلطان

أبى الحسن الكبير ، ملك المغرب المتوفى فى أواخر سنة ٨٧٥٩ .

مُعْظَمُ سُلْطَانِهِ الْكَبِيرِ ، وَمُمَجِّدُ مَقَامِهِ الشَّهِيرِ ، الْمُتَشَيِّعُ لِأَبُوْتِهِ الرَّفِيعَةِ ، قَوْلًا
بِالْأَسَانِ ، وَاعْتِقَادًا بِالضَّمِيرِ ، الْمُعْتَمِدُ مِنْهُ بَعْدَ اللَّهِ عَلَى الْمُلْجَأِ الْأَنْحَى ، وَالْوَلِيُّ
النَّصِيرِ . فَلَانٌ ^(١) . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طَيِّبٌ بَرٌّ عَمِيمٌ ، يَخْصُ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ،
وَأَبُوْتَكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ . الَّذِي جَعَلَ الْخُلُقَ الْخَمِيدَ دَلِيلًا عَلَى عَنَانِيهِ بَيْنَ حَالِهِ خُلَاهَا ،
وَمَيَّزَ بِهَا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ ، الَّتِي اخْتَصَمَهَا بِكَرَامَتِهِ وَتَوَلَّاهَا ، حَمْدًا يَكُونُ كُفْوًا لِلنِّعَمِ الَّتِي
الَّتِي أَوْلَاهَا ، وَأَعَادَهَا وَوَالَاهَا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ ، الْمُتَرَقِّىٍّ مِنْ دَرَجَاتِ الْإِخْتِصَاصِ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، الْمُمْتَازِ مِنْ أَنْوَارِ
الْهُدَايَةِ بِأَوْضَحِهَا وَأَجْلَاهَا ، مُطْلِعِ آيَاتِ السَّعَادَةِ يَرُوقُ مُجْتَنِّلَاهَا . وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ خَبَرَ صَدَقَ ضَمَائِرُهُمْ لَمَّا ابْتَلَاهَا ، وَعَسَلَ ذِكْرُهُمْ فِي الْأَفْوَاهِ فَمَا أُعْذِبَ أَوْصَافُهُمْ
عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَحْلَاهَا . وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِ أَبُوْتِكُمْ ، حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى عُلاَهَا ، بِالسَّعَادَةِ
الَّتِي يَقُولُ الْفَتْحُ أَنَا طَلَّاعُ الثَّنَايَا وَابْنُ جَلَّالَهَا ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي تَخْتَرِقُ الْمَفَاوِزَ بِرُكَّائِهَا
الْمُبَشِّرَاتِ فَتَفْعَلِي فَلَاهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عَزَّةً مَشِيدَةً
الْبِنَاءِ ، وَحَشَدَ عَلَى أَعْلَامِ صَنَائِعِكُمُ الْكَرَامِ جِيُوشَ الثَّنَاءِ ، وَقَلَّدَكُمْ قَلَائِدَ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، مَا يَشْهَدُ لِدَانِكُمْ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْإِعْتِنَاءِ . مِنْ خِرَاءِ غَرَنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ،
وَالْوُدِّ بِأَهْرِ السَّنَاءِ ، يُجَدُّ عَلَى الْأَنَاءِ ، وَالْتَشْيِيعُ رَحْبُ الدَّسِيعَةِ وَالْفَنَاءِ .

وَإِلَى هَذَا ، وَصَلَّ اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مُجْدَكُمْ ، فَإِنَّا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ
السَّكْرِيمَ ، فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْقَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ ، خَارِ اللَّهِ تَعَالَى
لَنَا وَلَهُ . وَبَلَّغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ مِنْ مَثَابِعِكُمْ فِيهِ ، مِنْ
الْإِشَارَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ ، وَالْمَأْرَبِ الْمُعْمَلَةِ . وَالْقَضَايَا غَيْرَ الْمَهْمَلَةِ . نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي

(١) هُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِاللهِ مَالِكُ غَرَنَاطَةِ (الْأَنْدَلُسِ) الَّذِي حَكَمَ مِنْهُ سَنَةُ ٧٥٥ هـ ،
وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٣ هـ ، وَالَّذِي يُخَصِّمُهُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي بَدَايَةِ الْحِجَلِ بِرَجْعَةِ مُسْتَفِيزَةٍ .

مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّآهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَجْلَى وَلَا تُصَدُّ ، حَسْبَاسَنَّهُ
 الْأَبُ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ . وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضُحُّ مِنْهُ فِي الْمَسْكَوْمِ . الرَّسْمُ وَالْحَدُّ .
 وَلَمْ نَصْدِرِ الْخَطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صَدَقُ الْمُخَيَّلَةِ . وَتَبْلُجُ صَبِيحُ الزَّهَادَةِ
 وَالْفَضِيلَةِ ، وَجُودُ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى الْبَخِيلَةِ . وَظَهَرَ تَخَلُّيهِ عَنْ
 هَذِهِ الدَّارِ . وَاخْتِلَاطِهِ بِاللَّيْفِ وَالْغَمَارِ ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى مَا يُعْنَى مِنْهُ مِنْ صَلَةِ الْأَوْرَادِ ،
 وَمَدَاوِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالِقَةِ هَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَرَهُ ،
 وَالْفَضْلِ الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ ، أَمَرْنَا أَنْ يُعْتَنَى بِأَحْوَالِهِ . وَيُؤْمَنَ عَلَى فِرَاقِ
 بَالِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ سَيْبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَعْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا
 أَمَّا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٌ مُسْتَنْدٌ صَحِيحٌ لِاسْتِدْلَالِهِ ، فَفَرَّ مِنْ مَالِقَةٍ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا
 لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعَدَ بِحَضْرَتِنَا مُسْتَوْرِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَسَبِ ، وَسَكَنَ بِالْمَدْرَسَةِ بَعْضَ
 الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَّةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ ، وَالْمُحْتَرِفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِحَيْثُ
 لَمْ يُتَعَرَّفْ وَرُودُهُ وَوَصُولُهُ إِلَّا مِنْ لَا يُؤْبَهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ زَوَائِدُهُ وَأَصُولُهُ
 لِقَلَّةِ تَصْرِيفِهِ . ثُمَّ تَلَا حَقَّ إِرْسَالِكُمْ الْجِلَّةِ ، فَوَجِبَتْ حَيْثُئِذِ الشَّفَاعَةُ ، وَعُرِضَتْ
 عَلَى سَوَاقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْإِسْتِطَافِ وَالْإِسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ ، وَقَرَرْنَا
 مَا تَحَقَّقْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَاتَّقَبَّاضَهُ عَنْ زَيْدِ الْخَلْقِ وَعُومَرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْوُجْهَةَ الَّتِي مِنْ
 وَلِيٍّ وَجْهَهُ شَطْرَهَا فَقَدْ آثَرَ أَثِيرًا ، وَمِنْ ابْتِنَاعِهَا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَالَ فَضْلًا كَبِيرًا ،
 وَخَيْرًا كَثِيرًا ، وَسَأَلْنَا مِنْكُمْ أَنْ تَبِيحُوهُ ذَلِكَ الْغَرَضَ الَّذِي رَمَاهُ بِعَزْمِهِ ، وَقَصَّرَ
 عَلَيْهِ أَقْصَى هِمَّةٍ . فَمَا أَخْلَقَ مَقَامَكُمْ أَنْ يَفُوزَ مِنْهُ طَالِبُ الدُّنْيَا بِسَهْمِهِ ، وَيَحْصُلَ مِنْهُ
 طَالِبُ الْآخِرَةِ عَلَى حِظِّهِ الْبَاقِي وَقِسْمِهِ ، وَيَتَوَسَّلَ الزَّاهِدُ بِزَهْدِهِ وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ ، وَيَعُوَّلُ
 الْبَرِيءُ عَلَى فَضْلِهِ . وَيَثِقُ الْمَذْنُوبُ بِحِلْمِهِ . فَوَصَلَ الْجَوَابَ الْكَرِيمَ بِمَجْرَدِ الْأَمَانِ ،
 وَهُوَ أَرَبٌ مِنْ آرَابٍ ، وَفَائِدَةٌ مِنْ جِرَابٍ ، وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ إِعْرَابٍ ، فَرَأَيْنَا
 أَنَّ الْمَطْلَ بَعْدَ جَفَاءٍ ، وَالْإِعَادَةَ لَيْسَ يَنْثَقِلُهَا خِفَاءٌ ، وَلِلْمَجْدِ بِمَا ضَمَّنَا عَنْهُ وَفَاءٌ ،

وبادونا الآن إلى العزم عليه ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله . وأن يقتضى له ثمرة المقصد . ويبلغ طيئة الإسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله . من مثلكم حاصل ، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبنا كيمياء السعادة بإعانتكم واصل . ولما مدت اليد في تسوين حالة هديكم عليها أبدأ بخرص ، وعلمكم يصرح بمنزيتها ولا يمرض ، فكلوا أبقاكم الله ما لم نسمعنا فيه مشاحة الكتاب ، وألقوا بالأصل حديث هذه الإباحة ، فهو أصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلصوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشهير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذي تعلق به ، أعلق الله به يديكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكتملة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب ، ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الرُّكَّاب بسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تؤون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الشناء الجليل ، ويُرْجى على التأميل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل . وهو سبحانه يبيدكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرفد الجزيل . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابستكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته . في الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة [والله ينفع بقصده ، ويسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله] (١)

مشيخته

قال : فَمِمَّنْ أَخَذْتُ عَنْهُ ، واستفدت منه علمها (٢) [يعنى تلمسان] (٣)

(١) هذه القائمة واردة في المخطوطين دون الرسالة .

(٢) وردت في «ج» (علمها) . وفي «الزيتونة» (علمها) . والتصويب من تفح الطيب .

(٣) الزيادة من تفح الطيب . وهي لازمة لاستقامة السياق .

الشاخن ، وعالمها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ،
 إبننا محمد بن عبد الله بن الإمام ، وحافظها ومدرسها ومفتيها أبو موسى عمران بن
 موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين ، أبي علي ناصر الدين علي إبنته ،
 ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها] ^(١) يضيء ولو لم تمسسه نار ، الأستاذ أبو إسحاق
 إبراهيم بن حكيم الكيناني السلوي رحمه الله . ومنهم القاضي أبو عبد الله
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن ^(٢)
 البرثوني ، وأبو عمران موسى بومر المصودى الشهير بالبخارى . قال سمعت
 البرثوني يقول : كان الشيخ أبو عمران يدرس البخارى ، ورفيق له يدرس صحيح
 مسلم ، وكانا يعرفان بالبخارى ومسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهود عليه
 بالإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران أتمكّنه من الإعذار في الصحيحين ، البخارى
 ومسلم ، فضحك القاضى ، وأصلح بين الخصمين . ثم قال ، ومن شيوخى الصلحاء
 الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي
 الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيّار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني ، وكان
 بصيراً بتفسير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه ، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف
 ابن عبد الحق [مع من] ^(٣) كان فيه ، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى
 أبا جمعة على التلّاسى الجرايحي منهم ، كأنه قائم على ساقية دايرة ، وجميع أقداحها
 وأقواسها تصب [في] ^(٤) نقيير في وسطها ، فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا
 فيه فرث ودم ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل
 إلى خاصّة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، [وهو النهار] ^(٥) ، فأخبره ، فقال

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (زيتها يكاد) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (الحسين) .

(٣) وردت في المخطوطين (من) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (من) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

إن صدقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف . قال
الساقية الزمان ، والتّيمير السلطان ، وأنت جراحى . تدخل يدك فى جوفه فيناولها
الفرث والدم ، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل] ^(١) . فأخرج ، فوجد السلطان
مطعوناً بمنجبر ، فأدخل يده فى جوفه ، فناله الفرث والدم ، فغاط جراحته وخرج ،
فرأى خاصّة ماء ، فغسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفى ، وسرّحوا من
كان فى سجنه . ومن أشياخه الإمام نسيج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
ابن أحمد الأبلّ التلمسانى ، وهو رُحلة الوقت فى القيام على الفنون العقلية ،
وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قدّم على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى ،
عُرف بن المُسفر . رسولاً من صاحب بجاية . وزاره الطلبة ، فكان مما ^(٢) حدّثهم
أنهم [كانوا] ^(٣) على زمان ناصر الدين ، يستشكلون كلاماً وقع [فى] ^(٤)
تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكله الشيخ معهم . وهذا نصه :
ثبّت فى بعض العلوم العقلية ، أن المركّب مثل البسيط فى الجنس ، والبسيط مثل
المركّب فى الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الأبلّ
لما رجعوا إليه ، فتأمّله ثم قال ، هذا كلام مُصحّف ، وأصله أن المركّب قبل
البسيط فى الجنس ، والبسيط قبل المركّب فى العقل ، وأن الجنس أقوى من العقل ،
فأخبروا ابن المُسفر ، فابج : فقال لهم الشيخ ، التمسوا النسخ ، فوجدوا فى لفظ
بعضها كما قال الشيخ .

(١) أضفنا هذه العبارة لاستقامة المعنى والسياق .

(٢) وردت فى «ج» (معن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

رحلته

وحل إلى بجاية مُسَرِّقاً ، فلقى بها جلَّة ، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المُسَفَّر . ومنهم قاضيا أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزَّوَاوي ، فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو علي حسن بن حسن إمام المَعْقُولَات بعد ناصر الدين . وبتونس قاضي الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام ، وحضر دروسه ، وقاضي المناكح أبو محمد اللخمي ، وهو حافظُ فقهاها في وقته ، والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول . ثم حجَّ فلقى بمكة إمام الوقت ^(١) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزْرِي المعروف بجليل ، وإمام المقام أبا العباس رضي الدين الشافعي ، وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد . ثم دخل الشام ، فلقى بدمشق ، شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية ، وصدو الدين الغماري ^(٢) المالكي ، وأبا القاسم بن محمد الياني الشافعي وغيرهم . وببيت القدس أبا عبد الله بن مُنْبِت ^(٣) ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان ، وغيرهم .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمَّها كل أصيل من الرأى والمباحثة . ودوّن في التَّصَوُّف ، إقامة المرید ، ورحلة المُتَبَتِّل ، وكتاب الحقائق والرقائق ، وغير ذلك .

شعره

نقلتُ من ذلك قوله . هذه لحة العارض لتكملة [ألفية] ^(٤) ابن الفارض ،

(١) وردت هذه الكلمة في «ج» (الموقف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطين (الغازي) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت هكذا في «ج» والنسخ . ووردت محرفة في «الزيتونة» (منبت) .

(٤) الزيادة من النسخ .

سَكَبَ الدهر من فرايدها^(١) مائة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على رُدِّها بحول الله المعين .

من فصل الإقبال

رفضتُ السَّوى^(٢) وهو الطَّهارة عندما تَلَفَّعتُ في مرط الهوى وهوزينتى^(٣)
وجئتُ إلخى وهو المصلى مُيسماً بوجهة قلبى وجهها وهو قبلتى
وقتُ وما استفتحت إلا بذكرها وأحرمتُ إحراماً لغير ثجلة
فدينى إن لاحت ركوعٌ وإن دنت سجودٌ وإن لاهت قيامٌ بحسرة
على أننا فى القرب والبعد واحدٌ تألَّنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً إليها وديجور طويت برحلة
وفىها لقيت الموت أحرَّ والعدا مُزَّرَّقة أسنان الرِّماح وحدة
ويبنى وبين العذل فيها منازلٌ تُنسبك أيام الفجار وموثة
ولما اقتسمنا خطَّتنا فحامل فجارٌ بلا أجر وحاملُ برّة
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته فعاد ختامُ الأمر أصل القضية
وكم لى على حُكم الهوى من تجلُّدٍ دليلٌ على أن الهوى من سَجِّيتى
يقول تميرى والأسا سالم الأسى ولا توضع الأوزار إلا لِحِنة
لو أنَّ بجوساً بتَّ موقد نارها لما ظلَّ إلا منهلًا ذا شريعة
ولو كنتُ بَحْرًا لم يكن فيه نضحة لعين إذا نارُ الغرام استعحرت

(١) هكذا فى النسخ . وفى «ج» (فرايدها) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى المخطوطين (الهوى) .

(٣) ورد فى المخطوطين هذا البيت فقط من القصيدة ، وهى فى خمسة وثلاثين بيتاً . وقد أوردها المقرئ كاملة فى نفع الطيب ، وذكر خلال حديثه عن جده ، أنه نساها عن «الإحاطة» . وكذا نقل بعدها من «الإحاطة» أربع قصائد طويلة أخرى من نظم جده . وقد رأينا نحن تكملة النص الأصل ، أن ننقل هذه القصائد كلها (نفع الطيب ج ٣ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

ولا هَدمُ إلّاك شَيْدُ بقوّة
علام مزاجٍ رَكِبْتَ أو طَبِيعَة
وإلا فأنْتَ الدهرُ صاحب قِعدة
أم النارُ أم دَماسُ عِرْق الأُمومة
وحال أقوى القامئين بِحُجّة
وما شاكَه مِشارُ بعض شَكِيتي
ولم أنسها إلا احترقتُ بلوغة
جَوّاي وأخفى الوجد صبر المودة
أحبُّ أفلَى ذَكرها وفَضِيحَتِي
بالأَمْس وَسَلُّ حُرِّ الجُفون الغزيرة
كما شاءت الحسنة يوم الهزيمة
وأغدو وما يعدُّو النَجْعَ خِطَتي
مساءتها في طيِّ طَيبِ المسرة
وحسبك أن لم يُخَبِر الحب روثي
أوام بلا رى دمٌ لا بقيمة
وإن تَرَضَ منها الصَّبْرُ فهو بُغْيَتِي
رِكاب ملامى فهو أولُ مُحَنَى
وخلوا سبيل ما استطعتم ولو عني
ولكن رأت ذاك الجمال فَجُنَّتِ
ورُشدى غاوي والعميات عَمَّتِ
وراجعتُ أبصارى له وبصيرتى

فلا رَدَمُ من نَقِيبِ المعاولِ آمَنُ
فم تقول الأسفِطسات منك أو
فإن قام لم يَثْبُتْ له منك قاعدُ
فما أنت يا هذا الهوى ما أو هوا
ولمى على صبرى كما أنت واصفُ
أقل الضنى إن عَجَّ من جسمى الضنى
وأيسرُ شوقى أننى ما ذَكرُها
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى
وأسهل ما ألقى من العَذْل أننى
وأزجُ حظوظى اليوم منها حُضِيضُها
وأوجز أمرى إن دهرى كله
أروحُ وما يلقى التأسفُ راحتي
وكالبِيضِ بيضُ الدهر والسُّرُ سوده
وشأنُ الهوى ما قد عَرَفْتَ ولا تسل
سقامٌ بلا بُره ضلالٌ بلا هَدْيٍ
ولا عَتَبَ فالأيام ليس لها رِضا
ألا أيها اللّوام عنى قَوِّضُوا
ولا تَعْدِلُونى فى البكاء ولا البُكى
فما سَكَلْتَ بالدمع عيني إن جَنَّتِ
تجلى وأرجاء الرّجاء حَوَالِكُ
فلم يَسْتَبِنْ حتى كفى كاسفُ

ومن فصل الاتصال

وكم موقف لي في الهوى خُضت دونه
 فجاوزت في حُدِّي مجاهدتي له
 وحلَّ جمالي في الجلال فلا أرى
 وغبت عن الأغيار في تيه حالتي
 وكأنتُ ناسوتي بأمانة الهوى
 وعلمُ يقيني صار عيناً حقيقة
 وبدلت بالتلون تمكين عزّة
 وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفي
 وكم جُلّت في سَمِّ الخياط وضاق بي
 وما اخترت إلا دنَّ بقراط زاهدا
 وفقرى مع الصبر اصطفت على الغنى
 وأكتم حبي ما كنى عنه أهله
 وإني في جنسى ومنه لواحد
 تسببت في دعوى التوكل ذاهباً
 وآخر حَرَفٍ صار مني أولاً
 تعرّفت يوم اوقف منزلَ قومها
 فأصبحت أفضى النفس منها مني الهوى
 فبايعتها بالنفس داراً سكنتها
 فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى
 فيا نفسُ لا ترجع تقطّع بيننا

عُباب الردى بين الغلبا والأسنة
 مُشاهدتي لما سَمت بي همتي
 سوى صورة التّزيه في كل صورة
 فلم أنبته حتى امتحى اسمي وكُنيتي
 وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
 ولم يبق دوني حاجبٌ غير هَيْبتي
 ومن كل أحوالى مقامات رِفعة
 مع المحو والإثبات عند تثبتي
 لبسطي وقبضي بسطوجه البسيطة
 وفي ملكوت النفس أكبر عبرة
 مع الشكر إذ لم يحظ فيه مشوّبي
 وأكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
 كنوع ففصل النوع علّة حصّتي
 إلى أن أجدى حيلتي ترك حيلتي
 مريداً وحرف في مقام العبودة
 فبتُ بجمع سدّ خرق النشئت
 وأقضى على قلبي برعى الرعية
 وبالقلب منه منزلاً فيه حلّت
 وأوجب الاسترقاق تسليم شُعبة
 ويا قلبُ لا تجزع ظفرت بوحدة

ومن فصل الإدلال

تبدب لعيني من جالك لحة
ومرت بسمي من حديثك ملحة
ملاي ابن عذري استبين وجددي استعن
فمن شاهدي سُخط ومن قاتلي رضا
مرامى إشارات مراعى تعكر
وفي موقفي والدّار أقوت رسومها
معانى إمارات مغاني تذكر
وبث غرام والحبيب بحضرة
ومطلع بذر في قضيب على نقا
ومكن سحر بايلي له بما
ومنت مسك من شقيق ابن منذر
ورصف اللآلى في اليواقيت كلما
سل السلسبيل العنب عن طعم ريقه
ورمان كافور عليه طوابع
ولطف هواء بين خفق وبانة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه
وأنت وإن لم تبق منى صباية
وكل فصيح منك يسرى لمسمى
تهون على النفس فيك وإنها
فإن تنظرني بالرضا تشف علقى

أبادت فؤادى من سناها بلفحة
تبدت لها فيك القرآن وقرت
سماعى أعين حالى ابن قاتلى أصمت
وتلوين أحوالى وتمكين رُتبتى
مراقى نهايات مراسى تذبّت
تقرب أشواقى تبعد حسرتى
مبانى بدايات مشانى تلفت
وردد سلام والرقيب بغفلة
فويق محلّ عاطل دون دجية
حوت أضاعى فعل القنا السمرية
على سوسن غص بجنة وجنة
تل بصرف الراح فى كل سحرة
ونكته يخبرك عن علم خبرة
من الندم لم تحمل به بنت مزنة
ورقة ماء فى قوارير فضة
سراقة لحظ منك للمتلقت
منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل مليح منك يبدو لمقلّى
لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
وإن تُظفرنى باللقا تطف غلقى

وإن تذكريني والحياة بقيدها
 وإن تذكريني بعد ما أسكنُ الثرى
 صليني وإلاَّ جددى الوعدُ تدركى
 فما أمُّ بؤها لك بتسـوـوفة
 فلما رأته لا ينـسـازع خلفها
 بكـتـ كما راحت عليه وأنها
 بأكثر منى لوعةً غير أنى
 فرحتُ كما أهـدو إذا ما ذكرتها
 أهوْن ما ألقاه إلاَّ من القلى
 أخوض الصلى أطنى العلا والعلا لا
 ألا قاتل الله الحماة غـدوة
 وقاتل مـفـناها وموقف شـجـوها
 فنـفـت غـناء أعجمياً فهـيـجت
 فأوسـكت الأجفان سُجُبا وأوقدت
 نظرت بصحراء البريقين نظرة
 فيالهما قابلاً شـحـياً ونظـرة
 وواعجباً للقلب كيف اعترأفه
 وللعين لما سـوـملت كيف أخبرت
 وكنا سـلـكـنا فى صعود من الهوى
 إلى مستوى ما فوقه مستوى
 وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
 مؤكدة بالندى أيام عـمـده

عدلتُ لأمنى مُنيتى بمنيتى
 تجلّت دُجَاه عند ذاك وولتِ
 صُباة نفس أيقنت بتغلّت
 أقيم لها خلف الحلاب فدرّت
 إذا هى لم ترسل عليه وضنت
 إذا ذكرته آخر الليل حنت
 رأيت وقار الصبر أحسن حلية
 أطمأن أحشائى على ما أجنّت
 هوى ونوى نيل الرضامك بغيى
 أصل السلا أوعى الخلى بين عبرى
 لقد أصلت الأحشاء نيران لوعة
 على الغصن ماذا هيّجت حين غنت
 غرامى من ذكرى عهد تولت
 جـوـاى الذى كانت ضلوعى أكنّت
 وصلتُ بها قلبى فصلّ وصلت
 حجازيةً لوجنّ طرف لُجنت
 وكيف بدت أسراوه خلف سيرة
 وللنفس لما وطئت كيف دلّت
 يُسمى بأعلام العلا كلّ رتبة
 فلما توافيننا بثبّ وزات
 على نحر قربان لدى قُبـر شـيـبة
 فلما توائمتنا اشتدّت وحلت

ومن فصل الاحتمال

أزور اعتماراً أرضها بتدشك
وفي لثاني الأخرى ظهرت بماعلت
ولولا خفاء الرمز لاولن ولم
ولو لم يجدد عهدنا عقد خلة
بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأيت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما
فيالك من نور لو أن التفاتة
تحدث أنفاس الصبا أن طيها
وتنبي أصل الربيع عن الرضا
وتنخير أصوات البلابل أنها
فهذا جمالي منك في بُعد حشرتي
تبدي وما زال الحجاب ولادنا
له كل غير في تجلية مظهر
تجلى دليلى واحتجاب تنزيه
فما شئت من شيء وآليت أنه
وفي كل خلق منه كل عجيبة
وفي كل خاف منه مكن حكمة
أراه يقلب القلب واللفز كامناً
وفي طي أوقاف الحساب وسرماً
وفي نفثات السحر في العقد التي

وأقصد حجباً بيتهما بتحالة
له لثاني الأولى على كل فطرة
تجدها لشملي مسلكاً بتشتت
قضيت ولم يقض المني صدق توبه
على قدم عيناى منه فكفت
جفالشام من نور الصفات الكريمة
تعارض منه بالنفوس النفيسة
بما تحمله من حرقاة حرقاة
وأشجاره إن قد تجلّت فجلّت
تغنّت بترجيى على كل أئكة
فكيف به إن قربتنى بخلة
وغاب ولم يفقده شاهد حضرتى
ولا غير إلا ما تحت كف غير
وإثبات عرفان ومحو تثبت
هو الشيء لم تحمد فجار أليتي
وفي كل خلق منه كل لطيفة
وفي كل باد منه مظهر جولة
وفي الزجر والقال الصحيح الأدلة
يتم من الأعداد فابداً بسمة
تطوع لها كل الطباع الأبية

يصور شكلاً مثل شكل ويعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 وفي كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفي التثويم تجلى لرؤية
 وفي خضرة الكهون تزجي شرابه مواعيد عرقوب على أثر صفرة
 وفي شجر قد خوفت قطع أصلها فبان بها خصل لأقرب مدة
 وفي النخل في تلقحه واعتبر بما أتى فيه عن خير البرية واسكت
 وفي الطابع السبقي في الأحرف التي يبين منها النظم كل خفية
 وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
 وفي جزر أقسام المؤدب محرز وحزب أصيل الشاذلي وبكرة
 وفي سيمياء الحائمي ومنهـب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدءة
 وفي المثل الأولى وفي النحل الألى بها أو هموا لما تساموا بسنة
 وفي كل مافي الكون من عجب وما حوى الكون إلا ناطقاً بعجوبة
 فلا سر إلا وهو فيه سريرة ولا جهر إلا وهو فيه كحلية
 سل الذكور عن أنصاف أصناف ما باتى عليه الكلام من حروف سليمة
 وعن وضعها في بعضها وبلوغها أتت فيه أمضى مدتها وتذبت
 فلا بد من رمز السكون والذى الحجا ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
 ولولا سلام ساق للأمن خيفتي لعاجل مس البرد خوفي لميتني
 ولو لم تدأوكنى ولكن بعدلها درجت رجائي أن نعني خيبي
 ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولم قضى العتب مني بغية بعد وحشي
 ونعم أقامت أمر ملكي بشكرها كما هونت بالبصر كل بليّة

ومن فصل الاعتقال

سرت بفؤادي إذ سرت فيه فظرتي وسارت ولم تنن العنان بعطفة

مُحْيَا ابْنَةَ الْحَيِّينَ فِي خَيْرِ لَيْلَةٍ
لَمَّا أَبْعَثْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا كَمِيتٍ
لِكُلِّ نَجَاشِيٍّ بِهَا حِصْنُ ذِمَّةٍ
سِوَى وَقْفَةِ التَّوْدِيْعِ حَتَّى اسْتَقْلَمْتَ
مِهَاطَى الْهَوَى وَالْهَوْنِ جِدًّا تَقَلَّتْ
قَضَاءُ قَضَاءِ الْحُسْنِ قِدَمًا فَصَدَّتْ
وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لَغَيْرِ تَعْلَلَةٍ
وَبَاطِلٍ أَوْصَافِي وَحَقِّ حَقِيقَتِي
وَنَوْعِي وَشَخْصِي وَالْمَوَاضِي وَصُورَتِي
وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّتِي الْقُدْسِيَّةِ
وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِلْوَعْدِ
وَأَمْرِي أَمْرِي وَالْوَرَى تَحْتَ قَبْضَتِي
وَلَا وَقْتُ لِي إِلَّا مَشَاهِدُ غَيْبَةٍ
مَنَاطُ الثَّرْيَا مِنْ مَدَارِكِ رُؤْيَى
يُلَقِّنُ سَمْعِي مَا تُوسَّوسُ مُهْجَتِي
كَأَنَّكَ نَوْرٌ فِي سِرَادِ سَرِيرَتِي
كَأَنَّكَ فِي أَفْقِي كَوَاكِبُ زِينَةٍ
وَأَنْتَ الَّذِي أَبْدَيْتَنِي فِي حِينِ شَهْرَتِي
وَمُرَّ أَمْتِثَلٍ وَأَمْلِلْ أَمِلْ وَارْمِ اثْبُتْ
لَعَنَتِي فِيهِ الدَّهْرُ مَوْقِعُ نُسْكُنَةٍ
فَلَا تَنْتَمِي إِلَّا إِلَيْكَ بِمَقَرِّ
أَرَى ذُونَهُ مَا لَا يَنْالُ بِحِيلَةٍ

وَذَلِكَ لَمَّا أَطْلَعَ الشَّمْسُ فِي الدُّجَى
يَمَانِيَّةً لَوْ أَنْجَدْتَ حِينَ أَنْجَدْتَ
لَأَصْحَمَةٌ فِي نَصْحِهَا قَدِمَ نَبِيٌّ
أَلَيْتَ فُحِطَتْ رَحْلُهَا نَمَ لَمْ يَكُنْ
فَلَوْ مَحَمَّتْ لِي بِالتَّيْفَاتِ وَحُلْ مِنْ
وَلَكِنَّا هَمَّتْ بِنَا فَتَذَكَّرْتُ
أَجَلْتُ خِيَالًا إِنِّي لَا أَجِلُّهُ
عَلَى أَنِّي كُلِّي وَبَعْضِي حَقِيقُهُ
وَجِنْسِي وَفَضْلِي وَالْعَوَارِضُ كُلُّهَا
وَجِسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ
وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مِثْلٌ لِمَسْمُومِي
وَدَهْرِي بِهِ عَيْدٌ لِيَوْمِ عُرُوبَةٍ
وَوَقْتُ شَهُودٍ فِي فِنَاءِ شَهِيدَتِهِ
أَرَاهُ مَعِي حِسًّا وَوَهْمًا وَأَنَّهُ
وَأَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ كَأَنَّهُ
لَا تُبَازِرُ الْحَبِيبَةَ بَاطِنِي
وَجَلَّيْتُ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءَ ظَاهِرِي
فَأَنْتَ الَّذِي أَخْفَيْتَنِي عِنْدَ تَسْتَرِي
فَنَهْ أَحْتَمِلُ وَأَقْطَعُ أَصْلَ وَأَعْلَى اسْتَفْلٍ
فَقَلْبِي إِنْ عَاتَبْتَنِي فَيْكَ لَمْ أَجِدْ
وَنَفْسِي تَنْبِئُ عَنْ سِوَاكَ نَفَاسَةً
تَعَلَّقْتُ الْأَمَالَ مِنْكَ بِفَوْقِ مَا

وحامت حوالها وما وافقت حى
فلو فانتى منك الرضى ولحقنى
ولو كنت فى أهل اليمين منما
وكم من مقام قت عنك مسائل
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم
ولم يدر ما قولى ابن سيناء سائلا
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرئجى
لقد ضاع لولا أن تدار كنى حى
فقيض لى نهجا إلى الحق سالكا
فخصنت أنظار الجند جنيدها
وكسرت عن رجل ابن آدم أذما
وعدت على حلاج سكرى بصلبه
فقولى مشكور ورأى ناجح
رضيت يعرفانى فاعليت للعلا
فعمشت ولا ضيرا أخاف ولا قلى
فها أنا ذا أسمى وأصبح بينهم

سحائب يسى أمطرت ماء عبرتى
بعفو بكيت الدهر قوت فضيلة
بكيت على ما كان من سبقيية
أرى كل حى كل حى وميت
أجد عنده علما يبرد غلغلى
فقل كيف أرجو عنده برء غلغلى
وفى ابن طفيل لاحتثاث مخطتى
من الله سعى بينهم طول مدنى
وأيقظنى من نوم جهلى وغفلتى
بترك قلى من رغبة ربح وهبة
وأنقذه من أسر حب الأسرة
وأليت باعام التفانى بهوة
وفعلى محمود بكل محلة
وأجلىسى بعد الرضا فيه جلى
وصرت حبيبا فى ديار أجبتى
مبلغ نفى منهم ما تملت^(١)

وأنشدنى قوله فى جال قبض وقيدتها عنه :

إليك بسيت السكف أستنزل الفضلا
وها أنا ذا قد قدمت يقدمى الرجا

ومنى قبضت الطرف أستشعر الذلا
ويحجمنى^(٢) الخوف الذى خامر العقلا

(١) وإلى هنا انتهى ما نقلته عن نفع الطيب من شعر جد المقرئ الذى ورد فى «الإحاطة»
وأغفل المخطوطان .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة فى «ج» وفى «ريود» (حججى) وفى نفع عبيب (ويحججى) .

أَقْدَمُ رَجُلًا إِنْ يَغْنَى^(١) بَرَقُ مَطْمَعٍ^(٢) وَتَظَلُّمٌ أُرْجَائِي فَلَا أُنْقِلُ الرَّجُلَا
وَلِي عَثَرَاتٍ لَسْتُ أَمَلُ أَنْ هَوَتْ بِنَفْسِي أَلَّا أُسْتَقِلُّ وَأَنْ أُصَلِّي^(٣)
[فَإِنْ تَذَكَّرْنِي رَحْمَةً أَنْتَعَشَ بِهَا وَإِنْ تَسْكُنِ الْآخَرَى فَأَوْلِي بِي الْأَوَّلَى]^(٤)

قال ، ومما نظمته من الشعر :

وَجَدْتُ^(٥) تَسْعُرُهُ الضُّلُوعُ عَ وَمَا تُبَرِّدُهُ الْمَدَامِعُ
هُمْ تَحْرِكُهُ الصُّبُوحُ بَةِ وَالْمَهَابَةُ لَا تُطَاوِعُ^(٦)
أَمَلِي إِذَا وَصَلَ الرَّجَا أَسْبَابُهُ فَلَمُوتُ^(٧) قَاطِعُ
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْمَهْمُومُ مَا أَنْتَ بِالْعُشَّاقِ صَانِعُ

قال ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء :

نَحْنُ إِنْ تَسَأَلَ بِنَاسٍ مَعِشَرُ أَهْلُ مَاءِ فَجَرَّتْهُ الْمَهْمُ
عَرَبٌ مِنْ يَبِضُهُمْ أَرْزَاقُهُمْ وَمَنْ السُّمْرِ الْبَطُولُ الْغَنِيمُ
هَرَضَتْ أَحْسَابُهُمْ أَرْوَاحُهُمْ دُونَ نَيْلِ الْعَرِضِ وَهِيَ الْكِرْمُ
أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى أَتْنَا تَرْتَفِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَحِمُ
مَا لَنَا فِي النَّاسِ مِنْ ذَنْبٍ سِوَى أَنَّنَا نَلْوِي إِذَا مَا اقْتَحَمُوا^(٨)

قال ، ومما قلته مديلاً به قول القاضى أبى بكر بن العربى :

- (١) وردت فى المخطوطين (يقضى) والتصويب من النفع .
- (٢) وردت فى المخطوطين (مظهر) والتصويب من النفع .
- (٣) وردت فى المخطوطين (أصلاً) والتصويب من النفع .
- (٤) هذا البيت وارد فى النفع وساقط فى المخطوطين .
- (٥) وردت فى «ج» (وحوث) . وفى «الزيتونة» (وحرة) . والتصويب من النفع .
- (٦) وردت فى «ج» (تطلع) وفى «الزيتونة» (تطامع) . والتصويب من النفع .
- (٧) وردت فى «ج» (خوف) . والتصويب من النفع .
- (٨) هذه الأبيات وردت فى النفع نقلاً عن «الإحاطة» . وهى ساقطة فى المخطوطين .

أما والمسجدُ الأقصى وما يتلى به نصّاً
لقد رقصت بنات الشو ق بين جوانحي رقصاً

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحاً عزّمه قصّاً
أقلّ القلبَ واستمدى على الجئان فاستعوى
فقمّت أجول بينهما فلا أدنى ولا أقصى^(١)

قال ، ومما قلته في التروية بشأن راوى المدونة :

لا تعجبين لظي^(٢) قد دها أسداً قد دها أسداً من قبل سُحُنون
قال ، ومما قلته من الشعر :

أُنبتُ هوداً بنمء بدأتُ بها فضلاً وألبستها بعد اللحي الورقا
فظلّ مُستشعراً مُستندراً أوجاً وبتان ذابّهجة يستوقف الحدقا
فلا تُشبهه بمكروه الجفَى فليكم عودته من جميل من لدُنْ خلُقنا
وأنف القدى عنه وأثر الدهر منبته وغدّه برجاء واسمه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء وما طرَقاً^(٣)

ومما قيدتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة ، وقد أجرى ذكر أبي زيد
ابن الإمام ، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن
ابن أبي حمّو ، ذكر فيه أبو زيد المذكور ، أن ابن القاسم مُقيّد بالنظر
بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي ، وادّعى أنه
مُطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبالغه عنه

(١) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي النسخ . وفي «الزيتونة» (اصبى) .

(٣) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن الإحاطة . وهي ساقطة في المخطوطين .

لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة . قال فلو تقيّد بمذهبه ، لم يخالفه لغيره . فاستظهر أبو زيد بنص^١ لشرف الدين بن التلساني . ومثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم ، بالنظر إلى منذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي . فقال أبو موسى عمران ، هذا مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح به أبو زيد [ابن الإمام]^(١) وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر تسكلم [فقال]^(٢) لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم [أنه]^(٣) لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي مُحقق ، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السنن ، ما أنصفهما الرجل ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك يؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثم جاء ما قال هذا الشيخ ، أعنى ابن أبي عمران . وكيف لا وهذا سيئويه يقول ، وهذا مثال ولا يُتسكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً ، فلا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل [لفساده]^(٤) فهذان القولان من أصل واحد .

وقال ، شهدتُ مجلساً آخر عند هذا السلطان ، قرئ فيه على أبي زيد [ابن الإمام]^(٥) حديث : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، من صحيح مسلم . فقال له الأستاذ أبو إسحاق [بن حكم السلوي]^(٦) هذا الملقن مُحْتَضَر حقيقة ، ميت مجازاً فما وجه [ترك]^(٧) مُحْتَضَرِكُمْ إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه . وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هذا وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) هذا وارد في «ج» . وساقط في الزيتونة .

(٧) الزيادة من النسخ .

زعم القرافي أن المشتق [إنما] ^(١) يكون حقيقة في الحال . مجازاً في الاستقبال .
مختلفاً فيه في الماضي . إذا كان محكوماً به . وأما إذا كان متعلق الحكم
كما هنا ، فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً . وعلى هذا التقرير ، لا مجاز ولا سؤال .
ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول إنه نقل الإجماع ،
وهو أحد الأربعة ، التي لا يُطالب عنها ^(٢) بالدليل ، كما ذكر أيضاً . بل نقول
إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج
على وجوب الطهارة ونحوها . بل هذا أشنع لكونه مما علم كونه من الدين
ضرورة . ثم إننا لو سلمنا في الإجماع ، فلنا أن نقول إن ذلك [إشارة إلى] ^(٣)
ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقيته قبل ذلك ، إن لم يدesh ، فقد
يُوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقتلوا [من] ^(٤) تحكون بأنه ميت .
أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإيهام ^(٥) . ألا ترى اختلافهم فيه ،
هل هو أخذ من حضور الملائكة [أو حضور الأجل ، أو حضور الجلّاس] ^(٦) .
ولا شك أن هذه حالة خفية ^(٧) يُحتاج [في نصها إلى دلائل الحكمة] ^(٨) أو ^(٩)
إلى وصفٍ ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو

(١) وردت في المخطوطين (لا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (مدعيها) .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (الأنهام) .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٧) وردت في «ج» (خفيفة) . وفي «الزيتونة» (حقيقة) والتصويب من النسخ .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مقابلها في النسخ ما يأتي (في نصها

دليلاً على الحكم) .

(٩) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

[أيضاً] ^(١) مما لا يُعرّف بنفسه ، بل بالعلامات . فلما وجب اعتبارها ^(٢) . وجب كون تلك التسمية إشارة إليها . والله أعلم .

وقال ؛ وكان أبو زيد يقول ^(٣) . فيما جاء من الأحاديث : ما معنى قول ، ابن أبي زيد . وإذا سلم الإمام ^(٤) ، فلا يلبث بعد سلامه ولينصرف ، وذلك بعد أن ينتظر من يُسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد : وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة .

وقلت ، وهذا من مُلحّ الفقيه ^(٥) . وقال كان أبو زيد يعنى الإمام ، يُصحّف قول الخوارجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها ، فيقول ، والمفارقات ^(٦) ، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه :

وغرّرتني وزعمت أنك لابن في الصّيف تأمر

فقال :

وغرّرتني وزعمت أنك لا تني بالصّيف تأمر

فقال ، أنت في تصحيفك أشهر من الخطيئة ، أو كما يُحكى عن الشافعي أنه لما صلى في رمضان بالخليفة ، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر في المصحف ، وقرأ الآية « صنعة الله أصيب بها من أسماء . إنما المشركون نحس .

(١) ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) وردت في المخطوطين (اعتبارها) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (الفقه) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (والمقاربات) والتصويب من النسخ .

(٧) وردت في المخطوطين (وعورتني . وعوزتني) والتصويب من النسخ .

وعدها إياه ؛ تقية لكم خير لكم . هذا أن دعوا للرحمان ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وقال ، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً ، أنه سُئل بالمشرق عن هاتين الشريعتين : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتوَلَّوْا وهم معرضون» فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتوَلَّوْا وهم معرضون» [وهو] ^(١) محال . ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكيم ^(٢) ؛ قال الخوئجي ، والإهمال بإطلاق لفظه . لو وأن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهمة في قوة الجزئية ^(٣) ، ولا قياس على جزئيتين . فلما اجتمعت بيجاية بأبي علي حسين بن حسين ، أخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزعفراني وغيره ، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار ^(٤) الوسط . [فقال لي الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط] ^(٥) . وأخبرت بذلك [شيخنا] ^(٦) أبا عبد الله الآبلي ، فقال إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن [لا] ^(٧) يكون من جزئيتين ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط . فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما يبنى عليه الوسط وغيره ، وإلا فلا مانع] ^(٨) لما قاله ابن حسين . قال الآبلي ؛ وأجبتُ بجواب السَّوى ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الزيتونة (ابن الحكم) .

(٣) وردت في «ج» (الخيرية) وفي «الزيتونة» (الخيرية) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تكرير) . والأولى أنفساً .

(٥) ما بين الخاصرتين واردة في «ج» والنسخ . وساقط في الزيتونة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» والنسخ .

(٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٨) ما بين الخاصرتين واردة في «ج» والنسخ . وساقط في «الزيتونة» .

لوجوب كون مهملات القرآن كلبية ، لأن الشرطية لا تنتج جزئية . فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » . أما في مثل هذا فلا قلت . وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن له تولى سبب تأخر ، حسبما تبين في مسألة ، لو لم يطع الله ، فليُنظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله .

وقال ، لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون ، نزيل طيبة ، على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

وأنت قر السماء فأذكرتني ليالى وصلينا بالزمتين
كلانا ناظر قرأ ولكن رأيت بعينها وأت بعين

[ففسر ثم قال] (١) لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهي تنظر إلى قر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة . فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة . وأيضاً وهو ينظر إلى قر مجازاً ، وهو لإفراطه استحسانها (٢) يرى أن قر السماء هو المجاز ، فقد رأيت بعينه لأنها ناظرة المجاز . قلت ، ومن هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى « فأذكروني أذكركم » والفاء فأذكرتني [بمثابة قولك أذكركتني] (٣) ، فتأمل ، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ، ينشده « وأذكرتني » . فالفاء في البيت الأول ، منبهة على الثانى ، وهذا النحو يسمى « الإيذان في علم البيان »

وقال ، سألتني ابن حكم عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :
ومنهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل الحب حرام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في المخطوطين (فقال) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» . وفي «الزيتونة» (استحسانه إيها) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

ففكرت ثم قلت له ، أراه تميمياً لإلغائه « ما » النافية . فاستحسنه مني
[لصغر سني يؤمئذ]^(١) . وسأل [ابن فرحون]^(٢) ابن حكم يوماً ، هل تجد
في التنزيل ست فاعات مُرتبة ترتبها في هذا البيت :

رأى^(٣) فحب فرام الوصل فامتنعت فسك صبراً فأعيا نيله فقضى
ففكر ابن حكم ، ثم قال نعم قوله عز وجل « فطاف عليها طائف من ربك
وم نائمون ، فاصبحت كالضريم ، فتنادوا إلى آخرها » ، فمعت له البناء في
[فتنادوا] . فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره ، فقال نعم ، قوله عز وجل
« فقال لهم رسول الله ، ناقة الله وسقياها إلى آخرها » فنع لهم بناء الآخرة
لقراءة الواو . فقلت له امنع [ولا تُسند]^(٤) ، فيقال إن المعاني قد تختلف
باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع [الكلام]^(٥) عليه . وأكثر
ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ،
كقول نوح عليه السلام « فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم » . وكقول
امرئ القيس « غشيت ديار الحى بالبكرات ، البيتين » لا يقال قوله ، فالحب
سابع ، لأننا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة أنها أول
الأعداد الثمانية ، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها . وشأن اللسان
عجيب .

(١) هذه الإضافة من النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفع .

(٣) وردت في « ج » (واني) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه العبارة واردة في « ج » وساقطة في « الزيتونة » .

(٥) الزيادة من النفع .

وقال ، سمعت ابن حكيم يقول ، كتب^(١) [بعض]^(٢) أدباء [فاس]^(٣)
إلى صاحب له :

إبعث إلى بشيء مدار فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشير إليه

فبعث [إليه]^(٤) ببطّة من مَرَى شُرِب [يشير بذلك إلى]^(٥) الرياء
وحدث أن قاضيها^(٦) أبا محمد عبد الله [بن أحمد بن الملقوم دعى]^(٧)
إلى وليمة ، وكان كثير البكغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر
غُضّاراً من اللوز المطبوخ بالمرى ، لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عرّض له
بالرياء . وكان ابن الأشقر يذكر بالوقوع في الناس ، فقدم له القاضي غُضاراً مَقْرُوضاً ،
فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاهدي [دخلت
عليه بالعتيقه أبي عبد الله السطحي في أيام عيد . فقدم لنا طعاماً ، فقالت لو أكلت
معنا ، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث . « من أكل مع مغفور له ، غُفر له »
فتبسّم ، وقال لي ، دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالأسكندرية . فقدم لنا
طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث ، فقال وقع في نفسي شيء ، فرأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام ، فسألته عنه . فقال لم أقله ، وأرجو أن يكون كذلك ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النفح (بعث) .

(٢) الزيادة من النفح .

(٣) الزيادة من النفح .

(٤) الزيادة من النفح .

(٥) الزيادة من النفح .

(٦) ورد في المخطوطين (قاصيد والتصويبات النفح) .

(٧) ما بين الحاصرتين ورد في النفح . وساقط في المخطوطين .

وصالحته بمصالحته الشيخ أبا عبد الله زيان . بمصالحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي ، بمصالحته أبا العباس أحمد الملقب ، بمصالحته الممزر ، بمصالحته رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي ، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان يخصه لدينه وعقله ، بالنداء باسمه ، وإنما كان ينطق بماليكه [ياساق] [٢] ، يا طباخ ، يا مزين . فناداه ذات يوم ، يا قرّاش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه . فلم ير أثر ذلك ، وتصورت له به خلوة . فسأله عن مخالفته لعادته ، فقال له لا عليك . كنت يومئذ جُنْبًا ، فكهرت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الحالة . وقال أنشدني المجاصي ، قال أنشدني [الإمام] [٣] نجم الدين الواسطي ، قال أنشدني شرف الدين الدمياطي ، قال أنشدني تاج الدين الآمدي ، مؤلف الخاصل ، قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام المقول عقل وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دنيانا أذى ودبال
ولم استغنى من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال
وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علمت شرفاتها [٤] رجال فماتوا والجبال جبال

وقال ، وقد مر من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف [بن يحيى] [٤] الحسيني في عداد شيوخه [وقال] [٥] حدثني أبو العباس الرندي ، عن القاضي أبي العباس

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الخاصرتين كلها ساقطة في المخطوطين . وواردة في نفع الطيب .

(٢) الزيادة من النفع . (٣) الزيادة من « نزيثونة » .

(٤) هكذا وردت في « الزيثونة » ونفع . وفي « ج » (شروفا) .

(٥) الزيادة من النفع . (٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

ابن الغمّاز . [قال لما قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية ، نزل بجاية ،
فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً ، وعليه بُرّس
أبيض ، وقد حُكّت شارته ، وكُتبت هيئته ، فلما نظر إليه ابن الغمّاز أنشده :

لبس البرّس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها
لو زليخا رأته حين تبدّى لتنته أن يكون فتأها

وقال أيضاً [إن ابن الغمّاز] ^(١) جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة ^(٢) ، فنزل
الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهّلوه . وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهله ،
فردم معه ، فأوراهم إياه ، فقال ما أشبه الليلة بالبواحة ، وقد وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع بن سالم ^(٣) ، فأشدنا فيه :

تواري هلال الأفق عن أعين الورى وأزخى حجاب الغيم دون حياه
فلما تصدّى لارتقاب شقيقه تبدّى له دون الأنام فحيّاه
وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار ، الشيخ التعلّمي ^(٤) ، من أهل تلمسا ،
فقال ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يُحرّم من النساء بالقراية ، وهي [أصول

(١) ما بين الحاصرتين كله ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٢) جامع الزيتونة ، هو جامع تونس الأعظم ، ومن أقدم الجوامع في العالم الإسلامي . أنشأه
حسان بن النعمان في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وأعيد بناؤه مراراً . وما زالت توجد به أجزاء
من بناء القرنين الثالث والرابع .

(٣) هو الحافظ أبو الربيع سلجان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي من أهل
بلنسية . ولد سنة ٥٦٥ هـ . وكان عمدة المحدثين والرواة في عصره . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب
«الإكتفاء في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء» ، وكتاب في تاريخ الصحابة والتابعين . وقد
توفي مجاهداً شهيداً في موقعة أنيشة التي نشبت بين المسلمين والنصارى على مقربة من بلنسية في
شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (التعلّمي) .

وفصول [١] . أول أصوله ، وأول فصل من كل [أصل] (٢) وإن علا ، فقال إن تركب لفظ التسمية العرفية (٣) من الضرفين حلت وإلا حرمت . فتأملته . فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة . التركيب من الضرفين . كابن العم [وابنة العم] (٤) . مقابلته كالآب والبنت . والتركيب من قبيل الرجل . كإبنة الأخ والعم مقابلته كابن الأخت والخالة .

وذكر الشيخ الرئيس أبا محمد [عبد المهيمن بن محمد] الحضرمي . وقال . كان يُنكر إضافة الحول إلى الله [عز وجل] (٥) ، فلا يجوز أن يقال «بحول الله وقوته» ، قال ، لأنه لم يُرد إطلاقه ، والمعنى يقتضى امتناعه لأن الحول كالحيلة ، أو قريب منها .

وحكى عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي . عن القاضي أبي زيد [عبد الرحمن بن علي] (٦) الدكالي ، أنه اختصم عنده رجلان في شاة . ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه [فأوجب اليمين على المودع أنها ضاعت] (٧) من غير تضييع . فقال كيف أضيع . وقد شغلتنى . حراستها عن الصلاة . حتى خرج وقتها ، فحكم عليه بالغرم . فقيل له في ذلك ، فقال تأولت قول عمر [ومن ضيعها] (٨) فهو لما سواها أضيع .

وحكى عن الشيخ الفقيه رحمة الوقت أبي عبد الله الأبلج . حكاية في باب الضرب ،

(١) وردت في المخطوطين (أصوله وفصوله) وتصويب من نفح .

(٢) وردت في المخطوطين (فصل) وتصويب من نفح .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (العربية) وهو عريب .

(٤) الزيادة من النفح .

(٥) الزيادة من النفح .

(٦) الزيادة من النفح .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين ووارد في نفح .

(٨) ساقطة في المخطوطين وواردة في النفح .

وقوة الإدراك ، قال . كنت [يوماً^(١)] مع القاسم بن محمد الصنهاجي ، فوردت عليه . طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبدولة ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لي ما مطلقه ، فقلت « نارنج » . ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب أبو عبد الله الدبّاع الملقب ، فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر : « نتم حبيب قلماً ينصف » فأخذته وكتبته ، ثم قلبته وصحفته فإذا به قصبتنا مِلَفٌ شحى .

وقال ، قال شيخنا الأبي ، لما نزلت تازة^(٢) مع أبي الحسن بن برى ، وأبي عبد الله الترجالي^(٣) ، فاحتجت إلى النوم ، وكهرت قتلهم إلى الكلام ، فاستكشفتُ منهما عن [معنى^(٤)] هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

لجملنا يفكران فيه ، فنمت حتى أصبحنا ولم يجدها ، وسألوني عنه ، فقلت معناه « أقول لعبد الله لما ، وهي سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم لنا برقا » .

قلت ، [وفيه نظر^(٥)] ، وإن استقصينا مثل هذا ، خرجنا عن الغرض .

(١) هذه الكلمة واردة في المخطوط بعد عبارة (فوردت عليه) . وهذا مكانها وفقاً للنسخ ، وهو أنسب .

(٢) وردت في المخطولين (تازا - تاز) . والأصح أنها تازة أو تازي ، وهي من مدن المغرب الأوسط .

(٣) نسبة إلى «ترجاله» وبالإسبانية Trujillo . وهي مدينة أندلسية تقع على مقربة من جنوب نهر التاجه ، وشمال شرق بطليوس .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت في المخطولين . ووردت في النسخ كالأق (وفي جواز مثل هذا نظر) .

مولده

نقلت من خطه ، كان مولدى بتمهسان ، أيام أبى حو موسى بن عثمان بن
يغبرامين بن زيان . وقد وقفت على تاريخ ذلك ، ورأيت الصّفح عنه ، لأن
أبا الحسن بن موسى ، سأل أبا الطاهر السّلّقى عن سنّه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
فإنى سألت أبا الفتح بن زيان بن مسعدة عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى
سألت محمد بن على بن محمد اللّبان عن سنه فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت
[حمزة بن يوسف السهمى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت أبا بكر
محمد بن على الثّغزى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك]^(١) ، فإنى سألت بعض
أصحاب الشافعى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت أبا إسماعيل
الترمذى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإنى سألت الشافعى عن سنه ، فقال
أقبل على شأنك ، فإنى سألت مالك^(٢) بن أنس عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
ليس من اللروعة إخبار الرجل عن سنه .

وفاته

توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة^(٣) وأراه
توفى فى ذى حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرمها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى

من أهل سبّنة ، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل [عياض]^(٤) ، يكنى أبا عبد الله .

(١) هذا كله ساقط فى الزيتونة .

(٢) وردت فى «ج» (السايب) وهو تحريف ، وحكمة التصريب واضحة .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الزيتونة (عام تسعة وسبعمائة) وهو تحريف .

(٤) ساقطة فى «ج» . واردة فى «الزيتونة» .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . كان من عُدُول القضاة . وجَلَّة سرائرهم . وأهل النزاهة فيهم . شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط . صابراً على الضعيف فيهم والمملوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوى السُّطوة . فاضلاً . وقوراً . حسن السمّة ^(١) . يُمرُّهُ كلامه أبداً . ويزينه ذلك لكثرة وقاره ، محبباً في العلم وأهله ، مُقَرَّباً لأصاغر الطلبة ، ومُكْرِّماً لهم ، ومُعْنِياً بهم ، مُعْمِلاً جَهْدَهُ في الدَّفْع عنهم ، لما عسى أن يسوءهم . ليحبَّب إليهم العِلْم [وأهله] ^(٢) . ما رأينا بعده [في هذا مثله] ^(٣) . سكن مالمعة مع أبيه ، عند انتقال أبيه إليها ، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وسماية .

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب . [وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه] ^(٤) . قال دخلت على القاضي المذكور ، فسأل أحدنا عن أبيه ، فقال ابن فلان ؛ وذكر معرفةً مشتركة بين تَجَاوُفَاس . فقال أيهما الذي ينحت في الخشب ، والذي يعمل في السلاح ، فما فطن لقصده لسذاجته . وحدثني عن ذكر جَزَالته . أنها كانت تقع له مع السلطان مُسْتَقْضِيه . مع كونه مرهوباً ، شديد السُّطوة ، وقابع تُذْنِي عن تصميحه ، وبُعْده عن الموادة . منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس ، كان قد سجنه . فأُنْقَذَ بين يدي السلطان الأمر للسَّجَان [بحبسه] ^(٥) ، وتوعَّده إن أطلقه . ومنها إذاعة ثبوت العيد ، في أخريات يوم ، كان قد أمل السلطان البرُّوز إلى العيد في صباحه ، فنزل عن القلعة ينادي ، عبد الله يا ميمون ، إخبار الناس عن عيدهم اليوم ، وأمثال ذلك .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (السمّة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه لعبارة وردت في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) من الحاصرين . ووردت في «ج» . وساقطت في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

مشيخته

قرأ بسكته، وأسند بها. فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره، ورحل إلى الجزيرة الخضراء. فأخذ بها كتاب سيويو وغيره تفقيهاً^(١) على النحوى الجليل أبي القاسم عبد الرحمن، ابن القاسم القاضى المتقن. وأخذ بها أيضاً [كتاب]^(٢) «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مفرور، وأخذ بإشبيلية وغيرها عن آخرين. وقرأ على القاضى أبي القاسم بن بَقي بن ناختة. وأجاز له. وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة، منهم أبو جعفر محمد ابن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصَّيدلانى، وأجاز له بإصبهان^(٣)، وهو سبط حسن ابن مَنذة، أجاز له في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. وتحمل عن أبي على الحداد، شيخ السلكى الحافظ عن محمود الصيرفى ونظايرها، وجماعة من إصبهان كثيرة كتبوا [له]^(٤) بالإجازة. وكتب له من غيرها من البلاد [نيف^(٥) وثمانون] رجلا، منهم أحد وستون رجلا كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس الغربى، والقاضى أبي عبد الله الأزدى، [وقد نصح على جميعهم فى برنامجهما، واستوفى أبو العباس الغربى نصوص الإسترعات، وفيها اسم القاضى أبو عبد الله بن عياض]^(٦).

من روى عنه

قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله، أجاز لى مرتين اثنين. وقال حدثنى

(١) هكذا وردت فى المخطوطين. وربما كانت (تفقها).

(٢) أضيفت هذه الكلمة إيضاحاً للسياق.

(٣) وردت فى المخطوطين (أصبهان). وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

(٤) أضيفت هذه الكلمة لاستقامة السياق.

(٥) هكذا فى «ج». وفى «الزيتونة» (ما ينيف على الثمانين) والمؤدى واحد.

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة».

أبو عبد الله مشافهة بالإذن ، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابة من دمشق ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الخطاب بالحاء المهمل ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط ، أخبرنا موسى ابن محمد بن عرفة السمسار ببغداد ، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل التّفّري ، أخبرنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا^(١) عمر بن شاكر عن أئس بن مالك ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتى عَلَى الناس زمان : الصّابر^(٢) منهم عَلَى دينه ، كالقايض على الجُر .

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا ، ممن مولده بعد الستمائة ، وإسماعيل بن موسى من شيوخ التّرمذى ، قد خرّج عنه الحديث المذكور ، لم يقع له في مُصنّفه ثلاثى غيره .

مولده

بسبّعة سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته

توفى بفريانة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة .

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر

ابن موسى بن عياض اليحصبي

من أهل سبّعة ولد الإمام أبي الفضل ، يكنى أبا عبد الله .

(١) واردة في المخطوطين (نا) فقط .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي نص (القايض) .

حاله

كان فقيهاً جليلاً ، أديباً ، كاملاً . دخل الأندلس ، وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلوة ، وولى قضاء غرناطة ، قال ابن الزبير ، وقفت على جزء ألفه [في شيء] ^(١) من أخبار أبيه ، وحاله في أخذه وعلمه ، وما يرجع إلى هذا ، أوقفني عليه حفدته بمالقة .

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير [بن محمد] ^(٢) بن سعيد
ابن جبير بن محمد [بن مروان] ^(٣) بن عبد السلام [بن مروان]
ابن عبد السلام بن جبير [بن جبير] ^(٣) الكسنانى

الواصل إلى الأندلس .

أوليته

دخل جدّه عبد السلام بن جبير في طالعة بلّج بن بشر بن عياض القشيري في محرم ثلاث وعشرين ومائة . وكان نزوله بكورة شدونة . وهو من ولد ضمرة

(١) هذه العبارة وارادة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٣) هذه الزيادات في النسبة من كتاب «الذيل والتكلة» لابن عبد الملك (السفر الرابع -

مخطوط المتحف البريطاني لوحة ١٣٠) .

ابن كِنانة بن بكر بن عبدمناف بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس [بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]^(١) . بَلَغَ الأَصْل ، ثم غَرَّ ناطى الاستيطان . شَرَّقَ ، وَغَرَّبَ ، وعاد إلى غرناطة .

حالُه

كان أديباً بارِعاً^(٢) ، شاعراً مجيداً ، سَنِيّاً فاضلاً ، نزيه المِهمّة ، سَرى النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة [فى الخط]^(٣) . كَتَبَ بِسَنَةِ عن أبى سعيد عثمان ابن عبد المؤمن ، وبغرناطة عن غيره من ذوى قرابته ، وله فيهم أمداح كثيرة . ثم نزع عن ذلك ، وتوجّه إلى المشرق ، وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره ، مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته . ونظّمه فايق ، ونثره بديع . وكلامه المُرسَل ، سهل حسن ، وأغراضه جليّة ، ومحاسنه ضخمة ، وذِكْرُه شهير ، ورحلته لسيعة وحديها ، طارت كل مطار ، رحمه الله .

رحلته

قال من عُنِيَ بخبره ، رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق ، وحبّج فى كل واحدة منها . فَصَلَ [عن غرناطة]^(٤) أول ساعة ، من يوم الخميس لثمان خلون من شوال ، ثمان وسبعين وخمسائة ، صحبة أبى جعفر بن حسان ، ثم عاد إلى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم واحد وثمانين . ولقى فيها أعلاماً يأتى التعريف^(٥) بهم فى مشيخته ، وصنّف الرحلة المشهورة ، وذكر [مناقله]^(٦) فيها [وما شاهده]^(٧)

(١) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة» — المخطوط السابق الذكر .

(٢) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الذيل والتكملة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) وردت فى «ج» (التعريف) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت فى «ج» وفى «الذيل والتكملة» . وفى الزيتونة (ما نقله) .

(٧) وردت فى «ج» (مشاهده) والتصويب من الزيتونة والذيل والتكملة .

من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدايع الصنائع، وهو كتاب مؤنس ممتع،
مثير سواكن النفوس إلى [الرَّفادة على] ^(١) تلك المعالم [المكرمة والمشاهد العظيمة] ^(٢)
ولما شاع الخبرُ المبهج بفتح [بيت] ^(٣) المقدس على يد السلطان الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ^(٤)، قَوِيَ عزْمُهُ على عمل ^(٥) الرحلة
الثانية، فتمحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من
سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت
من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سَبْتَةَ، ثم فاس، منقذاً
إلى إسماع الحديث والتصوف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، وزرعُه يتحقق،
وأعماله الصالحة تَزْكُو ^(٦). ثم وحل الثالثة من سبته، بعد موت زوجته عاتكة
أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي، وكان كافلاً بها، فعظم وجدُّه عليها. فوصل
مكة، وجاور بها طويلاً، ثم بيت المقدس، ثم تجوّل بعصر الإسكندرية، فأقام
يُحدث، ويُؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته

روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي
عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن
يسعون. وبسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبكي. وأجاز له أبو الوليد
ابن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التولسي، وأبو حفص عمر بن

(١) الزيادة من «الذيل والتكلة».

(٢) أضفنا هذه الكلمة تكلة لاسم المدينة.

(٣) وردت (ابن بوري) في «ج»، وفي «الذيل والتكلة». ووردت في «الزيتونة»
(ابن بوري).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (إعمال).

(٥) وردت في المخطوطين (تذكر). والتصويب من «الذيل والتكلة».

عبد المجيد بن عمر القرشي الميمني^(١) ، نزيلا مكة ، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنسكي ، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي ، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بإصبهان . وبيفداد العالم الحافظ^(٢) المتبحر [نادرة الفلك]^(٣) أبو الفرج ، وكناه أبو الفضل ابن الجوزي . وحضر بعض مجالسه الوعظية [وقال فيه]^(٤) « فشهدنا رجلا ليس بعمر ولا زيد^(٥) ، وفي جوف الفراكل الصيد » . وبدشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوازي . وأبو سعيد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون ، وأبو الطاهر بركات الخشوعي ، وسمع عليه ، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الإصمهي من أئمة الكتاب ، وأخذ عنه بعض كلامه ، وغيره ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر ، وسمع عليه ، وأبو الوليد إسماعيل [بن علي]^(٦) بن إبراهيم [والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرعي . وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ، وأجازوا له ، وبحرّان الصوفي العارف أبو البركات حيّان بن عبد العزيز ، وابنه الحاذي حذوه]^(٧) .

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك ، أخذ عنه أبو إسحاق بن مهيّب ، وابن الواعظ ، وأبو تمام

-
- (١) وردت في «ج» (المبايحي) . والتصويب من «الزيتونة» .
 - (٢) وردت هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (الواعظ) . والأولى أرجح حسبا يبدو بعد في السياق .
 - (٣) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة» .
 - (٤) الزيادة من «الذيل والتكلمة» .
 - (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ليس من عمرو ولا زيد) .
 - (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
 - (٧) ما بين الخاصرتين ساقط كله في «الزيتونة» .

ابن إسماعيل، وأبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن [بن علي] ^(١) الشاذي. وأبو سليمان بن حوط الله. وأبو زكريا. وأبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغصن ^(٢)، وأبو عبد الله بن حسن بن مجير. وأبو العباس بن عبد المؤمن البغائي، وأبو محمد بن حسن اللواتي ^(٣) وابن تامين، وابن محمد المؤزوري، وأبو عمر بن سالم، وثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التولسي.

ومن [أخذ عنه] ^(٤) بالإسكندرية، رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله، وبمصر رشيد الدين بن العطار ^(٥). ونفخ القضاة بن الجياب، وابنه جمال القضاة.

تصانيفه

منها نظم. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد [متوسط] ^(٦) يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» في براني زوجه أم المجد. ومنه جزء سماه «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان». وله ترسيل بديع، وحكم مستجادة ^(٧)، وكتاب رحلته. «وكان أبو الحسن الشاذي، يقول إنها ليست من تصانيفه، وإنما قيد معاني ما تضمنته، فتولى ترتيبها، وتنضيد معانيها بعض الأخذين عنه، على ما تلقاه منه» ^(٧). والله أعلم.

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في المخطوطين.

(٣) وردت في المخطوطين (اللواتي). والتصويب من «الذيل والتكلة».

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (روى عنه).

(٥) وردت في المخطوطين (عطار). والتصويب، أو نسخ.

(٦) هذه الزيادة من «الذيل والتكلة».

(٧) هاتان الفقرتان نقلهما ابن الخطيب عن «الذيل والتكلة» مع تغييرات يسيرة.

شـمـره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها ، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة ،
على ساكنها من الله أفضل الصلوات ، وأزكى التسليم :

أقول وآتستُ بالليل نادا لعل سراج الهدى قد أنادا
ولاً فما بالُ أفق الدجى كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حنّس فما باله قد تجلّى نهّارا
وهذا النسيم شذا المسك قد أغير أم المسك منه استعارا
وكانت رواحِلُنّا تشتكي وجاها فقد سابقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء الشرى فعِدنا نُبادى سِراع المهادا
أظن النفوس قد استشعرت بلوغ هوى تحذّته شهادا
بشار صبح الشرى آذنت بأن الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكرُ طيبة ما بيننا فلا قلبَ في الركب إلا وطارا
حينئذ إلى أحمد المصطفى وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أحدٌ مُشرقاً بنور من الشهداء استعارا
فمن أجل ذلك ظلّ الدجى يحل عقود النجوم انتثارا
ومن طرب الركب حتّ^(١) الخطا إليها ونادى البدار البدارا
ولما حللنا فناء الرسول نزلنا بأكرم مجرّ جوارا
وحين دنونا لفرض السلام قصّرنا الخطا وزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ إلا اختلاسا ولا نرجع الطرف إلا الكسارا
ولا نظهر الوجد إلا اكتنما ولا نلفظ القول إلا سرادا

(١) وردت في المخطوطين (خط) . والتصويب من الذيل والتكملة .

سوى أنسلم نطق أعيناً بأدمها غلبتنا انفجارا
 وقفنا بروضة دار السلام نُعيد السلام عليها مراداً
 [ولولا مهابته] ^(١) في النفوس لثنا الثرى والترنما الجدارا
 قضينا بزورته حبنا وبالعمرتين ختمنا اعتماواً
 إليك إليك نبي الهدى وكبت البحار وجبت القفارا
 وفارقت أهلك ولا منة ورب كلام يجر اعتذارا
 وكيف نمن على من به نُؤمل للسيئات اغتفارا
 دعاني إليك هوى كامن أثار من الشوق ما قد أثارا
 فناديتك لبك داعي الهوى وما كنت عنك أطيق اضطراباً
 [ووطنت نفسى بحكم الهوى على وقلت رضى اختياراً] ^(٢)
 أخوض الدجى وأروض السرى ولا أطمع ^(٣) النوم إلا غراباً
 ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرب ولو لم أصادف مطاراً
 [وأجدُر من نال منك الرضى محب ثراك على البعد زاراً] ^(٤)
 عسى لحظة منك لى فى غدٍ نُمهد لى فى الجنان القوارا
 فاضل من بمسراك ^(٥) اهتدى ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من من الله عليه لحج بيته ، وزيارة قبره صلى الله عليه

وسلم يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها

(١) هكذا فى «ج» و«الذيل والتكملة» . وفى الزيتونة (ومن إيمانه) .

(٢) فى «الزيتونة» أدمج هذا البيت الذى قبله فى بيت واحد :

فناديت لبيك داعى الهوى على وقلت رضى اختياراً

(٣) هكذا وردت فى «ج» و«الذيل والتكملة» . وفى «الزيتونة» (أطمع) .

(٤) هذا البيت ساقط فى «الزيتونة» . (٥) فى «الذيل والتكملة» (بهذاك) .

وإن السعادة مضمونة لمن حجَّ طيبةً أوزارها
وفي مثل ذلك يقول :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله
وإن زار قبر نبي الهدي فقد أكل الله ما أمله
وفي تفضيل المشرق :

لا يستوى شرقُ البلاد وغربها الشرقُ حاز الفضل باستحقاق
أنظر [إلى جمال الشمس] ^(١) عند طلوعها زهراء تعجب بهجة الإشراف
والنظر إليها عند الغروب كنيبة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم ^(٢) فراق
وقال في الوصايا :

عليك بكمكان المصائب واضطرب عليها فما أبقى الزمان شفيقا
كفالك بالشكوى إلى الناس أنها تسرُّ عدواً أو تُسيء صديقا
وقال :

وصانع ^(٣) المعروف فلتة عاقل إن لم تضعها في محل عاقل
كالنفس في شهواتها إن لم تكن وفقاً لها عادت بضرراً عاجل

نثره

من حكمه قوله : إن شرف الإنسان ، فشرف ^(٤) وإحسان . وإن طاق

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي نص (تري الشمس) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بشوك) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فصانع) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «الذيل والتكملة» (فضل) .

فَتَفَضَّلُ وَإِرْفَاقُ^(١) . يَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ . كَمَا يَحْفَظُ الْجَفْنُ لِنَسَانِهِ .
فَرَبُّ كَلِمَةٍ تَقَالُ . تُحَدِّثُ عَثْرَةً لَا تُقَالُ . كَمْ كَسَتْ فَلَائِتَاتِ الْأَلْسِنَةِ الْحِدَادَ ،
مِنْ وَرَائِهَا مَلَابِسُ حِدَادٍ^(٢) . نَحْنُ فِي زَمَنِ لَا يَحْظَى^(٣) فِيهِ بِنْفَاقٍ إِلَّا مَنْ عَامِلٌ
بِنْفَاقٍ . شَعْلُ النَّاسِ عَنْ | طَرِيقِ الْآخِرَةِ |^(٤) بِزَخَارِفِ الْأَعْرَاضِ . | فَلَجُوا فِي |^(٥)
الْصَّدُودِ عَنْهَا وَالْإِعْرَاضِ . آثَرُوا دُنْيَا هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَكَمْ هَفَّتْ فِي حَبِهَا مِنْ
أَحْلَامٍ ، أَطَالُوا فِيهَا آمَالَهُمْ^(٦) ، وَقَصَّروا أَعْمَالَهُمْ . مَا بِالْهَمِّ ، لَمْ يَتَفَرَّغْ لِفَعْلِهَا بِالْهَمِّ ،
مَا لَمْ يَفْعَلْ فِي غَيْرِ مِيدَانِهَا اسْتِبْقَى ، وَلَا (يَسُوَى هَوَاهَا)^(٧) اسْتِبْقَى . تَاللَّهِ
لَوْ كُشِفَتِ الْأَسْرَارُ ، لَمَا كَانَ هَذَا الْإِصْرَارُ ، وَلَسَهَرَتِ الْعُيُونُ^(٨) ، وَتَفَجَّرَتِ مِنْ
شَتُونِهَا الْجُمُحُونَ^(٩) . فَلَوْ أَنَّ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ مِنْ سِنِّهَا هَابَةٌ ، لَرَأَتْ جَمِيعَ مَا فِي الدُّنْيَا
وَيَحَا هَابَةٌ [وَلَكِنْ اسْتَوَى الْعَمَى عَلَى الْبَصَائِرِ]^(١٠) وَلَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا إِلَيْهِ
صَائِرٌ . أَسْأَلُ اللَّهَ هِدَايَةَ سَبِيلِهِ ، وَرَحْمَةً تُورِدُ لِسِمِّ الْفَرْدُوسِ وَسَلْسَبِيلِهِ ،
إِنَّهُ الْحَنَّانُ الْمُنَّانُ لَا رَبَّ سِوَاهُ^(١١) .

ومنها: فَلَائِتَاتِ الْهَبَاتِ ، أَشْبَهَ شَيْءٌ بِفَلَائِتَاتِ الشُّهُوَاتِ . مِنْهَا نَافِعٌ لَا يَمُقَّبُ
نَدْمًا ، وَمِنْهَا ضَارٌّ يَبْقَى فِي النَّفْسِ أَلَمًا . فَضَرَرُ الْهَبَةِ وَقَوْعُهَا عِنْدَ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ

-
- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وإفراق) . وفي «التكلمة» (واتفاق) .
 - (٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «التكلمة» (الحداد) .
 - (٣) وردت في المخطوطين (بعضي) . والتصويب من «التخله» .
 - (٤) وردت في المخطوطين (الطريق) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .
 - (٥) وردت في المخطوطين (فلجوا) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .
 - (٦) وردت في المخطوطين (للمهم) . والتصويب من «التكلمة» .
 - (٧) وردت في «ج» (سوى هداها) والتصويب من «التكلمة» .
 - (٨) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» (العين الجفن) .
 - (٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت محذوفة في «ج» كالآتي : (ولكن
استولى على العمى ريح البصائر) وكلمة ريح هنا حشو لا معنى له .
 - (١٠) رجعتنا في بعض «التكلمة» في تصويب كثير من عبار - هذه نقره .

لحقتها أداء ، وربما أثرت عنده اعتداء . وضرر الشهوة أن لا توافق ابتداء ، فتصير لتبعها^(١) داء ، مثاها كمثل السكر يلتذ صاحبه^(٢) بحلاوة جنانه ، فإذا صحا يعرف قدوما جنانه . عكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

مولده

بمئسرية سنة تسع وثلاثين [وخمماية]^(٣) وقيل بشاطبة [سنة أربعين وخمماية]^(٤)

وفاته

توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستماية

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين^(٥)

يكنى أبا بكر ، شيخنا الفقيه القاضى المؤرخ الكاتب البارع رحمه الله عليه

أولته

أصله من إشبيلية ، من حصن شلب من كورة باجة ، من غربي صقها ، يعرفون فيها ببني شبرين^(٥) ، معرفة قديمة . ولى جدّه القضاء بإشبيلية ، وكان من

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لستمها) . وفي الدليل والتكملة

(لستمها) .

(٢) وزدت في المخطوطين (صاحبها) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت مكان هذا التاريخ في «الزيتونة» (في هذا التاريخ) .

(٥) وردت في «ج» في الموضعين (ابن شبرين) . والتصويب في الموضعين من «الزيتونة» .

كبار أهل العلم (تشهد بذلك الصلاة)^(١) . وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وسماية ، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة . ثم انتقل إلى سَكْنَى سَبْتَة ، وبها وُلِدَ شيخنا أبو بكر ، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة ، فارتسم بالكتابة السلطانية ، وولى القضاء بعدة جهات ، وتأثّل مألّاً وشهرة ، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها .

حاله

كان فريد دهره ، واسعج وحده في حُسْن السَمْتِ^(٢) والِرَّوَاء ، وكَمال الظَّرْفِ وجمال الشَّارة ، وبراعة الخطِّ ، وطيب المجالسة . خاصياً ، وقورا ، تام الخُلُق ، عظيم الأبهة ، عذب التَّلَاوة لكتاب الله ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، تاريخياً ، مقيّداً ، طُلعة اختيار [أصحابه]^(٣) محققاً لما ينقله ، فكها مع وقاره ، غزلاً ، لوذعيّاً ، على شأن الكتابة ، جميل المشرة ، أشد الناس على الشعر ، ثم على المحافظة ، ما يحفظه من الآيات من غير اعتياف ولا تنقيح ، يُناغى للملكين في إثباتها ، مَرْدودة التواريخ ، حتى عظم حجم ديوانه ، [تفرّدت أشعاره بما أبرّ على المكثرين]^(٤) مليح الكتابة ، سهلها ، صانعاً ، سابقاً في ميدانها ، وأجحا كفةً للمنثور . وكانت له رحلة إلى تونس ، اتسع بها نطاق روايته . وتقلّب بين الكتابة والقضاء ، منحوس الحظ في الاستعمال ، مُضيقاً فيه ، وإن كان وافر الجَدِّ ، مُوسّعاً عليه .

سوهو الاسم الصحيح . وابن شيرين . بن شيوخ ابن الخطيب الأثيرين ، وقد ذكره فضلا عن هذه الترجمة في مواضع كثيرة من الإحاطة ، راجع المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٩٧ ، و ٤٤٣ ، و ٥٤٩ ، ٥٤١ .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» دون حكمة واضحة من إيرادها في هذا المكان .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (السنة) .

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في «ج» .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى»^(١) بما نصه :

خاتمةُ المحسنين ، وبقيةُ الفُصحاء اللّسنين ، ملأُ العيون هدياً ومُتمناً ، وسلك من الوقار طريقة ؛ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ماشئت من فضل ذات ، وبراعة أدوات . إن خطاً ، نزل ابن مُقلّة عن درجته [وإن خطاً]^(٢) . وإن نظم أو نثر ، تبيعت الباغاء ذلك الأثر . وإن تكلم أنصت الحفلُ لاستماعه . وشرع^(٣) لدُرره النفيسة صديق أسماعه . وفد على الأندلس عند كائنة سبّنة ، وقد طرحت النوى برحاله ، وظنّ عن ربّعه بتوالى إمحاله ، [ومُتصرّف بلاده]^(٤) ، والمستولى على طارفها وتالدها ، أبو عبد الله بن الحكيم ، قدّس الله صده ، وسقى مُنْتداه ، فاهتزّ لندومه اهتزاز الصّارم . وتلقاه تلقى الأكارم ، وانتهض إلى لقاءه آماله ، وألقى^(٥) له قبل الوسادة ماله ، ونظّمه في مخط الكُتاب ، وأسلاه عن أعمال الاقتاد ، ونزل ذمامه تأكداً في هذه الدول ، وقوفى له الآتية منها على الأول ، فتصرّف في القضاء بجهاتها ، ونادته السيادة هاك وهاتها ، فجدّد عهد حُكّامه العدول من سلفه وقضاتها . وله الأدب الذى تحلّت بقلايده اللّبات والنُحور ، وقصّرت عن جواهره البُحور . وسيجر من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرّعه ، ويخبر بكرم عُنصره ، وطيب نبعه^(٦) .

(١) هو كتاب «التاج المحلى فى مساجلة القدح المملّى» ، وهو أحد كتب ابن الخطيب التاريخية ، ويتضمن مختصراً لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها فى القرن الثامن الهجرى . وقد سبق التعريف به فى مقدمة المجلد الأول .

(٢) واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وسمى) والأول أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وأمنى) .

(٦) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (نعمه) والأول أرجح .

مشيخته

قرأ على جدّه لأئمّه الأستاذ الإمام ، أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي ، وسمع على الرئيس أبي حاتم ، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الفافقي ، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، وعلى الإمام أبي عبد الله بن حريث . وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري . وسمع بمحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، [وعلى العدل أبي الحسن بن مستنور]^(١) وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد . وبمالة على الخطيب ولي الله تعالى ، أبي عبد الله الطنجالي ، وعلى الوزير الصدر أبي عبد الله ابن ربيع ، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن برطال . وببجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي العباس الغبريني . وبتونس على أبي علي بن علوان ، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّفيع ، وسمع على الخطيب الصوفي ولي الله تعالى ، أبي جعفر الزيات ، والصوفي أبي عبد الله بن برطال ، وعلى الصدر أبي القاسم محمد بن قايد الكلاعي . [وأجازوه عالم]^(٢) كثير من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره متعدّد الأسفار ، كثير الأغراض . وفي الإكثار مجال الاختيار ، [فنه قوله]^(٣) :

(١) هذا الاسم ساقط في «الزيتونة» . وقد ورد اللقب محرفاً في «ج» (مغمسوز) . والتصويب من كتاب قضاة الأندلس للنباهي .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (وأجازوه علماء) .

(٣) أضفنا هذه العبارة تكملة للسياق .

أَخَذَتْ بِكَلِمِ الرُّوحِ يَا سَاعَةَ النُّوَى
فَمَنْ تُخْبِرِي يَا لَيْتَ شَعْرِي مَتَى اللَّقَا
سَلَا كُلُّ مُشْتَاقٍ وَأَكْثَرُ وَجْدُهُ
وَلِي نَيْتَةٍ مَا عَشْتُ فِي حِفْظِ عَمْدِهِمْ

وقال :

بَانُوا فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا يَبْكُ
[فَمِنْ ظُهُورِ الرُّكَّابِ مَعْمَلَةٌ
تَصْدَعُ الشَّمْلُ مِثْلَمَا انْحَدَرَتْ
كُنْ بِالَّذِي حَدَّثُوا عَلَى ثِقَةٍ
مِنَ النَّوَى قَبْلُ لَمْ أَزَلْ حَذِرًا

وقال :

يَا أَيُّهَا الْمُعْرِضُ اللَّاهِي
[فِيَا لَيْتَ شَعْرِي كَمْ أَدَى فَيْكِ
وَيَحْيِي مَغِيرِي إِلَى بَاخِلٍ وَاهٍ
مَنْ يُرِدُ اللَّهَ فِيهِ فِتْنَةً
يَا غَصْنَ الْبَانِ أَلَا عَطْفَةً
أَوْسَعَنِي بِعَدِكَ ذُلًّا وَقَدْرًا

يَسُوءُنِي فَجْرُكَ وَاللَّهِ
لَا أَفْكَ عَنْ وَبِهِ وَعِزَاهُ
مَنْ ذَا الَّذِي رَأَاهُ [١]
يُسْغِلُهُ فِي الدُّنْيَا بَتِيَاهُ
عَلَى مُعْنَى جِسْمِهِ وَاهٍ
يُنْثَى عِنْدَكَ ذَا جَاهٍ [٢]

(١) أَكَلْنَا هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . وَقَدْ أَوْرَدَهَا ابْنُ الْخَطِيبِ فِي مِغْنَمَتِهِ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَى مَلِيكِهِ الْغَنِيِّ بَالِقَ حِينَمَا غَادَرَ الْأَنْدَلُسَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَخْرَجَ مَرَّةً (رَاجِعِ الْجُلْدَ الْأَوَّلَ مِنْ «الْإِحَاطَةِ» ص ٣٣) .

(٢) أَوْرَدَ كُلَّ مِنَ الْخَطُوطَيْنِ نَصُوصًا مُضْطَرِبَةً هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . وَقَدْ حَاولْنَا جَهْدَ الْإِسْطَاعَةِ أَنْ نَخْرِجَ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ الْمُضْطَرِبَةِ أَفْضَلَ صِيغَةٍ مُمَكَّنَةٍ . يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ لَيْسَتْ وَاضِحَةً كُلَّ الْوَضُوحِ .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ وَارِدٌ فِي «ج» وَسَاقَطٌ فِي «الزَيْتُونَةِ» .

ذ كرك لا ينفك عن خاطري وأنت عني غافل ساه
يكفيك يا عثمان من جفوني لو كان ذنبي ذنب جهجاه
هيهات لا معرض^(١) لي على حُكْمك أنت الأمر النّاه

قلت جهجاه المشار إليه رجل من غُفّار [قيل]^(٢) إنه تناول عصا الخطبة من
يد عثمان ورضى الله عنه ، فسكسرها على ركبته ، ف وقعت فيها الأكلة فهلاك .
وقال :

يا من أعاد صباحي فقدمه حلّكا قتلّت^(٣) عبدك لكن لم تخف دركا
مصيبتى ليست كالمصاب لا ولا بُكائي عليها مثل كلِّ بُكا
فن أطلب في شرع الهوى بدى لحظى ولحظك في قتلى قد اشتركا

وقال ، وقد سبقه إليه الرّصافي ؛ وهو ظريف :

أشكو إلى الله فرطاً بلدالي ولوعة لا تزال تدّكي لي
بمهجتي حايك شغلت به حلّو المعاني طرازه على
سألته أنم خاله فأبي ومن ذا نخوة وإذلال
وقال حالي يصون خالي يدني فويحي بالحال والحال
يقربني الآل من مواعده وأثقي منه سطورة الآل
أسكن على ظلمه وقسوته فلمست عنه الزمان بالسألى

وقال أيضاً مضمناً :

لى همة كلما حاولت أمسكهم على المدلة في أرجاء^(٤) أرضيها

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (متعرض) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (أملت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أرجال) .

قالت ألم تكن أرض الله واسعةً حتى يهاجر عبده مؤمن فيها
وقال مُسترجعاً من ذنبه ، ومُستوحشاً من شَيْبِهِ :

قد كان عيبي من قبل في غَيْبٍ فذ بدا شَيْبِي بدا عَيْبِي
لا عُذْر اليوم ولا حُجَّة فَضَحَّتَنِي والله يا شَيْبِي

وقال :

أثْقَلَتْنِي الذنوب ويحي وويسى ليتنى كنت زاهداً كأويس

وَجَرَتْ بينه وبين السلطان ثالث الأمراء من بني نصر^(١) ، بعد خلعهِ من
مُلْكِهِ ، وانتِشارِ سُلْكِهِ ، واستقرارهِ بقِصبة المُنْكَب ، غريباً من قومه ، مُعَوَّضاً
بالسهاد من نومه ، قد فلَّ الدهر سباته ، وتركه يندب مافاتهِ ، والقاضي المترجم به
يومئذ ، مُدَبِّرُ أحكامها ، وعَلَمُ أعلامها ، ومتولى نقضها وإيرامها ، فارتاح يوماً إلى
إيناسِهِ ، واجتلاب أدبه والتماسه ، وطلب منه أن يعبر عن حالهِ بِدِيانهِ ، وينوب
في بَشِّهِ عن لسانهِ ، فكتب إليه :

قفا نَفْسًا فَاتْلُخُوبٍ فيها يسون ولا تَعْجَلَا إن الحديث شعجون
عَلِمْنَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ صَرَفِ دَهْرِنَا وَلِسْنَا [على]^(٢) عِلْمٍ بِمَا سَيَكُونُ
ذَكَرْنَا نَعِيماً قَدْ تَقْضَى نَعِيمُهُ فَأَقْلَقْنَا شَوْقٌ لَهُ وَحَنِينُ
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا كَيْفَ شِئْنَا وَاللَّهُ شَأْنُ^(٣) حِرَاكِ عَلَى أَحْكَامِنَا وَسُكُونُ

(١) هو أبو عبد الله محمد المخلوع ، محمد بن محمد بن الأحمر ، وقد حكم مملكة غرناطة من سنة ٧٠١ هـ إلى سنة ٧٠٨ هـ . ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر ، واضطربت ضده الثورة في عيد الفطر سنة ٧٠٨ هـ ، وأرغم على التنازل عن العرش ، ثم اعتقل بحصن المنكب ، ولبث فيه حتى توفى في سنة ٧١٢ هـ .

(٢) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة الوزن والمعنى . وهكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . وفي لزيثونة « (ولا نعلموا بهذا الذي سيكون) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وللنينا) .

وإذا بابتنا مشوى الفزاد ونحونا
فَنَغْصُ من ذاك السرود مَهْنًا
ونبا عن الأوطان بين ضرورة
أيا معهد الإسعاد^(٢) خِيَّيتَ معهداً
تريد الليالى أن تُهين مكاننا
فإن تكن الأيام قد لَمِيت بنا
فمن عادة الأيام ذل كرامها
لئن خاننا الدهر الذى كان عَبدنا
وما غَضَّ منا مَحْزَرى غير أنه
تُمدُّ رقاب أو تُشير عيون
وكَدَرُ من ذاك النعيم مَعِين
وقد يَقْرُب^(١) الإنسان ثم يَبِين
وجادك من سَكَب الغمام هُتُون
رُويدك إن الخير ليس يَهُون
ودارت علينا لِلْخُطوب فنون
ولكن سَبِيل الصابرين مُبِين
فلا عجب إنَّ العَبِيد تَحُون
تضاعف إيمانٌ وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود ، وهو شاهد المواريث بهذه الدعابة التى
تستخف الوقور ، وتلج السمع الموقور :

أطال الله بقاء أخى وسيدى ، لأهل الفرائض ، يُحسِن الاحتياط فى مُداراتهم ،
وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط فى أمواتهم ، ودامت أعلامه مُشرعة
لِعِزِّم الأجل المُدَّسَّ ، مُعدَّة لتحليل هذا الصَّنْف المُدَّسَّ من الصَّلصال والحمأ . فمن
مَيِّتٍ يُغسل وآخر يُقبر ، ومن أَجَلٍ يُطوى ، وكَفَنٍ يُنشر ، ومن رَمْسٍ يُفتح ،
وباب يُغلق . ومن عاصبٍ يُحبَس ، ونعشٍ يُطلق . فكما خُرِبَت ساحة ، نشأت
فى الحانوت راحة . وكما قامت فى شَعْبٍ مناحة ، اتسعت للرزق مساحة . فبها كر
سيدى الحانوت ، وقد اخلسى مَرَقَنه ، وسهل عَنَقَته ، فبرى الصَّعْبَة بالمناصب
شَطْرًا . فيلاحظ هذا برفق ، وينظر إلى هذا شَرَرًا . ويأمر بشق الجيوب تارة ،
والبَحْث عن الأوساط أخرى . ثم يأخذ القلم أخذًا رَفِيقًا . ويقول وقد خَلمَرَه

(١) هكذا وردت فى «ح» . ووردت فى «الزيتونة» (يفرب) .

(٢) هكذا دت فى «ح» . ووردت فى «الزيتونة» (الإسعاد) وهو تحريف .

السرور، رَحِمَ اللهُ فلانا، لقد كان لنا صديقاً، وربما أذِبرَه^(١) بالانزعاج الحثيث، وقال مستريحٌ منه كما جاء في الحديث. وتختلف عند ذلك المراتب، وتتبين الأصدقاء والأجانب، فيَنصَرِفُ هذا، وحظه التَّيِّب، والنظر الحديد، وينفصل هذا، وبين يديه المُنذِرُ الصَّيِّت، والنعش الجديد. ثم يَفْشَى دار الميت ويسلُ عن الكَيْتِ والسكِت، ويقول علىَّ بما في البَيْت. أين دماء الشَّاعِية والرائِية. أين عقود الأملاك بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذُكر في الأسماء^(٢) الخمسة [فَقِيلَ] ^(٣) ذو مال. وعيون الأعوان تَرَوْنَ من علي^(٤)، وأعناقهم تشربُ إلى خلف السِّكَلِ، وأُزْجَلُهم تدبُّ إلى الأسفاط دَيْبِ الصَّقُور^(٥) إلى الحَجَل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر المَوروث والمَكسُوب. وقُدِّدَ المَطْعوم والمشروب. وعُدَّتْ الصحاح. ووُزِنَتْ ^(٦) الأُرطال، وكِيلَتْ الأقداح. والشُّهود يُنْظَرون على الورثة في الأليَّة [ويصونهم بالبتات] ^(٧) في النشأة الأولى. والروائح حين تُفْعَم الأرض طيباً، وتُهدى الأرواح شدةً يفعل في إزعاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدلائل يقول هذا مُفْتاح الباب. والسَّمسار يصيح قام النَّدَا فما تنتظرون بالنبات. والشَّاهد يصيح فَتَعَلَوْ صبيحته، والمُشرف يشرب فتسقط سِمْجَتَه. والمحتضر يهسُّ ألا حَيٌّ فلا تسمعون [ويباهي لون العباء عليه] ^(٨) الجواب رب أرجعون. ما هذا النُّشِيج والضَّجِيج. مُتٌ كلام لم أمت.

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (أدره).

(٢) وردت في «ج» (أسماء) والتصويب من الزيتونة.

(٣) وردت في المخطوطين (فقال). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) وردت في «ج» (من خل). والتصويب أرجح.

(٥) وردت هكذا في «ح». وفي «الزيتونة» (الصقور).

(٦) وردت محرفة في «ج». و «الزيتونة» (وزيت). وزينت.

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين. وهي بحالها لا تدل بمعنى واضح.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

ومن حجّ له الحجاج . فترتفع له الأصوات ، كي لا يفسح فيه الملمات . ويُبقر بطنه برغمه ، ويُحفر له بجانب أبيه وبهذا أمّه . ثم يشرع في نفسه الفرض ، ولو أكتفيت السموات على الأرض . ويقال لأهل السهام ، أحسنوا ، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام . وقد نصّ ابن القاسم على أجرة القسام . وسوّغه أصمّغ وسُحنون ، ولم يختلف فيه مطّرف وابن الماجشون . إن قيل إيصال الحقائق إلى أَرْجائها ، حسن فجزء الإحسان إحسان . وقيل إخراج النسب والكسور كفايه ، [فللكاهنين حلوان]^(١) . اللهم غفراً ، ولستَ قِيلَ الله من أنيساط يجرّ غداً ، ولسلّ الله حمداً يوجب المزيد من نعمائه وشكرآ . ولولا أن أغفل^(٢) عن الخضم ، وأثقل رَحْلَ البقيّة أبي النجم ، لاسْتَغْلَنَ المجلس شَرْحا^(٣) ، ولسكان لنا في بحر المباشطة سبّح ، ولا فضا في ذكر الوادث والوراث^(٤) . وبيننا العلة في أقسام الشهود ، مع المُستغَلِّ بدسبة الذكور مع الأنث . والله يصل عزّ أخى ومجده ، ويهب له قوة تخصّه بالفائدة ، وجده^(٥) ، ويزيده بصيرة يتبّع بها الحقوق إلى أقصاها ، وبصرآ لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ودام يُحصي الخرايب والفلوس والأطوار ، ويلا الطوامر بأقلامه البديعة الصنعة ، [ويصل]^(٦) الطوامر بالطوامر والسلام .

والشيء بالشيء يذكر ، قلت ، ومن أطرف ما وقعت عليه في هذا المعنى .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» . ولم تنضح لنا حكمة لإيرادها على هذا النحو .

(٢) وردت في «ج» (الخغل) . وقد آثرنا نص «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (شرح) .

(٤) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

قال بعض كتاب الدولة الحكمية^(١) بمنورة ، وقد ولاه خطة الموارث ، وكتب إليه راعباً في الإعفاء :

وما نلت من شغل الموارث رقة [سوى شرح]^(٢) نقش كلامات ميت
وأكتب للأموات صكاً كأنهم يخاف عليهم في الجباب التفتت
كأنى لعزوائيل صرت منقضا بما هو محوكل يوم وأثبت^(٣)
وقال ، فاستأمرها الرئيس أبو عثمان بن حكم^(٤) وأعفاء .
مولده : في أواخر أربعة وسبعين وستمائة .

وفاته

قال في العايد^(٥) ، ومضى لسبيله ، شهاباً من شهب هذا الأفق ، وبقيّة من بقايا حلبة السبق ، رحمه الله ، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعماية ، وتخلّف وقرأ لم يشتمل على شيء من الكتب ، لإيثاره اقتناء الفقدين ، وعين جارية لمن يتلو كتاب الله على قبره [على حد من التمزرة والمحافظة على الإتيان]^(٦) . ودفن بباب البيرة^(٧) في دار اتخذها لذلك .

(١) الدولة الحكمية هي دولة سعيد بن حكم الأموي حاكم منورة . وسيجى التعريف به أدناه .

(٢) ورد مكان هاتين الكلمتين في «ج» (غير أن أشرح) . وفي «الزيتونة» (سوى أن أشرح) فلزم التصويب لاستقامة الشعر .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي ، وقد حكم جزيرة «منورة» ثانية الجزائر الشرقية وقتاً ، بعد سقوط جزيرة ميورة في أيدي الأرجونيين . واستمر على حكمها حتى توفى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وخلفه في حكمها لبضعة أعوام أخرى ، ولده أبو عمر حكم بن سعيد (راجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) ص ٤٠٨ و ٤٠٩) .

(٥) المرجح أنه يشير إلى كتاب «عايد الصلة» الذي سبق التعريف به .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) باب البيرة هو أحد الأبواب البانية من أبواب غرناطة الإسلامية . وهو يقع شمال غربى المدينة على مقربة من ساحة الثيران الحديثة . وما يزال يحتفظ بهيكله الإسلامى كاملاً . وإلى جانبه قطعة من سور غرناطة القديم .

محمد بن أحمد بن قُطبة الدَّوسى

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

مجموع خلال بارعة ، وأوصاف كاملة ، حسن الخط ، ذا كُرِّ للتاريخ والأخبار ، مستول على خصال حميدة من (١) [حُسن رواء] (٢) وسلامة صدر ، إلى نزاهة الهمة ، وإرسال السَّجِّية ، والبُعد عن المصانعة ، والنحلى بالوقار والحِشمة ، شاعر ، كاتب . ومناقِبُه يَقْصُرُ عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفروسية ، والتجند (٣) ، والبسالة (٤) ، والرماية ، والسباحة ، والشطرنج ، [متحمداً بِمَحَلِّ القَنَا] (٥) ، مع البراعة ، مديم (٦) على المروءة ، مؤاس للمحاويج من معارفه . ارتسم في الديوان فظهر غِنَاؤُه ، وانتقل إلى الكتابة ، ممرزة بالخطط التَّيْمِيَّة العِلْمِيَّة ، وحاله الموصوفة متصلة إلى هذا العهد ، وهو معدود من حَسَنَات قطره .

وُثِّبَتْ فِي « التاج المحلى » بما نصه : « سابق ركنُض المَحَلَّى ، آتى من أدواته بالعجائب ، وأصبح صدراً في السُّكَّاب ، وشهناً في السكتايب . وكان أبوه رحمه الله ، بهذه البلدة ، قُطِبَ أَفلاكها ، وواسطة أسلاكها ، ومُؤْتَمِن دوسايها وأملأكها ، وصدرَ وجالها ، وولَّى أرباب بجالها ، قد نثَلَ ابنه (٧)

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها الانخراط في سلك الجندية .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ومكانها في «ج» (الثقافة) ، والأولى أرجح وأكثر اتِّفاناً مع السياق .

(٥) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (مدح) والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (بينه) والتصويب من «الزيتونة» .

سهاً ، فخير عدالة وبراعة وفهماً . وألقاه ^(١) بينهم قاضياً شهماً ، فظهر منه
نجياً ، ودعاه إلى الجهاد سميماً مجيئاً ^(٢) . فصحب السرايا الغربية المغيرة ،
وخضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وعلى مصاحبة البعوث ،
وجوب السهول والوعوث ، فما رفض البراعة الباتر ، ولا ترك الدفاتر
للزمان الفاتر .

شعره

وله أدب باوع المقاصد قاعد للإجادة بالمراسد ، وقال من الرؤضيات
وما في معناها :

دعيني ومطلول الرياض فإنني أنادم في بطحايتها ^(٣) الآس والوردا
أعمل هذا بخضرة شارب وأحكي بهذا في تورده الخدا
وأزهر غصن البان رايد لسة ذكرت به لين المعاطف والقدا

وقال :

وليل أدوناها سلافاً كأنها على كف ساقها تُضرم نارا
غُنينا ^(٤) عن المصباح في جفح ليلها بخد مدير لا بكأس عقاو

وقال :

يومنا يوم سرور فلتقم تصدع الهم بكاسات المدام
إنما الدنيا منام فلتسكن مغرماً فيها بأحلى المنام

(١) وردت في المخطوطين (والفاهم) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين (بطحايتها) . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وغنينا) .

وقال :

وبى منك ما لو كان للشرب ماصحاً وبالهيثم ماروت صداها المناهل
أحبك ما هبت من الروض نسة وماهتز غصن في الحديقة مايل
فإن شئت أن تهجر وإن شئت فلتقيل فإنى لما حملتنى اليوم حامل

وقال :

كم قلت للبدر المنير إذا بدا هيات وجهه فلانة تحكى لنا
فأجاني بلسان حال واعتنى لا الشمس تحكيها فأحكيها أنا
وصرفت وجهى نحو غصن أملد قد رام يشبه قدّها لما اثنتا
فضحكت هزماً عند هز قوامها إذا رام أن يحكى قواماً كالقنا (١)

وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات :

جوانحنا نحو اللقاء جوانح ومقدار ما بين الذيار قريب
ونمضى الليالى والتزاور معوز على الرغم منّا وإن ذا لغريب
فديتك عجلها لعين زيارة ولو مثل ماود اللحاظ مريب
وإن لقائى جل عن ضرب موعد لأكرم ما يهدى الأريب أريب
فراجعى بقوله ، والتجنى شيمة :

لعمرك ما يومى إذا كنت حاضراً سوى [يوم صب] (٢) من عدها يغيب
أزور فلا ألقى لديك بشاشة فيبعد منى (٣) الخطأ وهو قريب
فلا ذنب للأيام فى البعد بيننا فإنى لداعى القرب منك مجيب
وإن لقاء جاء من غير موعد ليحسن لا كن مرة ويطيب

(١) وردت في المخطوطين (كالمتن) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت مكانها في المخطوطين (منه) .

(٣) وردت مكانها في «ج» (منه) .

وإجسانة كثير . وفيما ثبت كفاية ليلا نخرج [عن غرض الاختصار]^(١) .

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدؤسي

يكنى محمد أبا بكر ، أخو الذي قبله .

حاله

تَلَوَّه في الفضل والسراوة ، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف]^(٢) مُرَبِّ عليه بمزيد من البشاشة والتزُّل ، وبَذَل التَّوَدُّد . والتبريز في ميدان الانقطاع . متأخر عنه في بعض خلال غير هذا . ذكى الذهن ، مليح الكتابة . سهلها ، جيد العبارة [متأثري اليراع]^(٣) ، معلق اليد ، حسن الخط ، سريع بديهة المنشور ، معم ، مخول في التخصُّص والعدالة . كتب الشروط بين يدي أبيه ، ونسخ كثيرا من أمهات الفقه ، واستظهر كتباً ، من ذلك « المقامات الحريية » . وكتب بالدار السلطانية ، واختص بالمراجعة عنَّ بها ، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها . حميد السيرة ، حسن الوساطة ، نجيدي الجاه ، مشكور التصرف ، خفيف الوطأة . وولى الخطابة العلوية . مع الاستمسك بالكتابة . ولم يؤثر عنه الشعر ، ولا عول عليه .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدؤسي

يكنى أبا بكر ، وقد ذكرنا أباه وعمه ، ويأتي ذكر جدّه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ومكانها في «الزيتونة» (عن الغرض) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي ، مشغول به ، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر مطبوع مسكّن]^(١) انقاد له مرّ كِبِ النظم ، في سن المراهقة ، واشتهر بالإجادة ، وأشد السلطان ، وأخذ الصلّة ، وارتسم لهذا العهد في الكتابة . وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره .

شعره

ومما خاطب به أحد^(٢) أصحابه :
 إذا شئت من نحو الحصى في الدجا برّقا
 أبي الدّمعُ إلا أن يسيل ولا يرقى
 ومهما تذكرت الزمان الذي مضى
 تقطعت الأحشاء من حرّ ما ألقى
 خليلي لا تجزع لمحل فأدمعي
 تبادر سقيّا في الهوى لمن استسقى
 وما ضرّ من أصبحت ملك يمينه
 إذا رقت^(٣) لي يوما وقد حازني رقا
 فنيّت به عشقا وإن قال حاسد
 أضلّ الوردى من مات في هاجر شقا
 تلهّب قلبي من تلهّب خـدّه
 فيا نيم^(٤) ذاك اخلد فاض بأن أشقى
 ومنها
 وكـم من صديق كنت أحسب أنه إذا كذبت أوهامنا رفع الصدّقا

[محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدّوسي

ابن عم المذكورين قبله ، يكنى أبا القاسم .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (شاعرا مطبوعا مكسرا) .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعض) .

(٣) وردت في المخطوطين (راق) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٤) وردت في «ج» (فتم) . والتصويب من «الزيتونة» .

حاله

حسن الصورة ، لازم القراءة على شيوخ بلده ، ونظم الشعر على الحدائث ،
وترشح للكتبة بالدار السلطانية مع الجماعة ، ممن هو في نظمه .
ومن شعره . كتب إلى بما نصه :

أحسب وحده يوم رأسك ربما تهبطي السلامة في الصراع سلماً^(١)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور

حاله

شاب حسن فاضل ، دمث ، متخلق ، جميل الصورة ، حسن الشكل ، أحمر
الوجنتين^(٢) . حفظ كتباً من المبادئ النحوية ، وكتب خطأ حسناً ، وارتسم
في ديوان الجند مثل والده ، وهو الآن بحاله الموصوفة .

شعره

قيد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه ، قوله :

حلفت بمن^(٣) زاد عني الكرى وأمهز جفني ليلاً طويلاً
وألبس جسمي ثياب النحول وعذب بالهجر قلبي العليلاً
ما^(٤) حلت عن وده ساعة ولا اعتضت منه سواه بديلاً

(١) هذه الترجمة الموجزة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الوجنة) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (لمن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (لما) . وحكمة التصويب واضحة .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يكنى أبا عبد الله .

أولّيته

تُنظر^(١) في اسم أبيه في ترجمة المقرّبين والعلماء .

حاله

من أعلام الشهرة على الفتاوة^(٢) . وانتشار الذكر على الحداثة . تبريراً في
الأدب ، واضطلاماً بمعاينة الشعر ، وإتقان الخط ، وإيضاحاً للأحاجي والمفردات .
نشأ بغرناطة في كنف والده رحمه الله . مقصود التدريب عليه ، مشاوراً إليه
في ثُوب الذهن ، وسعة الحفظ ، ينطوى على نبل لا يظهر أثره [على التفاتة ،
وإدراك ، تُعطي شملتة مخيلة غير صادقة ، من تغافله . ثم جاش طبعه ، وفهق حوضه ،
وتفجرت ينابيعه ، وتوقد إحسانه]^(٣) .

ولما فقد والده ، رحمه الله ، ارتسم في الكتابة . فبذل جلة الشعراء ، إكثاراً
واقتراراً ، ووفور مادة ، بحبها في الأمداح . عجبياً في الأوضاع ، صدقاً^(٤) ،
في النسيب ، مطبوعاً في المقامات . معتدلاً في الكتابة ، نشيط البنان ، جليلاً
على العمل ، سيئال المجاز^(٥) ، جعّوح عنان الدُّعابة ، غزلاً ، مؤثراً للفكاهة ،

(١) وردت في المخطوطين (تنظم) ، فلزم التصويب .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفتاوى) وهو تحريف ، والمقصود بها هنا (الفتوة) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المزاج) . والأولى أرجح .

انتقل إلى المغرب لشُقُوف خَصْلَه ، على ما قد قَسَمَ^(١) الحظوظ . سبَّحانه من رَزَقه
بهذه البلاد . فاستقرَّ بباب مَلِكِه . مرَّعى الجناح ، أثير الرتبة . مطلق الجراية ،
مقرَّر^(٢) السَّهام . مُعْتَبَا وطنه | راضيا عن جيرته . دَيْدَنُ من يستند إلى قديم ،
ويتحَيَّزُ إلى أصالة^(٣) .

تواليفه

أخبرني عند لقايه أياى بمدينة فاس في غرض الرسالة ، عام خمس وخمسين
وسبعمائة ، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ، ذاهبا هذا المذهب ، الذى انتدبت
إليه ، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعِه ، وقيدَ بخطه من الأجزاء الحديثة^(٤)
والفوائد والأشعار ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد . وجرى ذكره في « التاج »
بما نصه :

« شمسٌ في البلاغة بازغة^(٥) ، وحجةٌ على بقاء الفِطْرة الغريزية^(٦) في هذه
البلاد المغربية بالغة ، وفريدةٌ وقت أصاب من فيها نادوة أو نابغة ، من جذع
ابن على القادح ، وجرى من المعرفة كل بارح ، لو تعلقت الغوامض بالترىّا
لناهما ، وقال أنا لها . وربما غلبت^(٧) الغفلة على ظاهره ، وتنطفي أكمامها
على أزهاره ، حتى إذا قدح في الأدب رَنَدَه ، تقدّم المواكب بَنَدَه ، إلى خط^(٨)

(١) وردت في المخطوطين (قاسم) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطين هكذا (مقدر مقرر) . وقد آثرنا الكلمة الثانية .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها فيما يبدو ، الحديثة وقت كتابة هذا التاريخ .

(٥) وردت في المخطوطين (بارعة) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أنسب لصفة الفطرة .

(٧) و : د ب في «ج» (وبلغت) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٨) و : د ب في خطوطيين (حظ) . والتصويب أرجح .

بارع^(١) ، يَعْتُو^(٢) طَوَالَ الطَوِيلِ مِنْهُ [إلى سرٍّ وبراعة ، كما ترضى المسك
والكافور عن طَرَسٍ وحبر^(٣) .

شعره

فمن غرامياته وما في معناها [قوله]^(٤)

متى يتلاقى شايق ومشـوق	ويُصبح عيرُ الحبِّ وهو طليق
أما أنها أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نيلُها	ومَرَمَى لعمري في الرِّجَا سحيق
ولكني خدعتُ قلبي تَعَلَّةً	أخافُ انصداع القلب فهو رقيق
وقد يُرزق الإنسان من بعد يأسه	وروضُ الربِّ بعد الذبول يروق
تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً	أهل فؤادي من جَوَاهِ يَفِيق
ورمتُ شفاء الداء بالداء مِثْلَهُ	وإني بالآ أَشْتَفِي لِحَقِيق
وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحةٌ	على كل حال إنه لَمَشُوق
وياربُّ قد ضاقت عليَّ مَسالكي	فها أنا في بَحْر الغرام غريق
ولا سُلوةٌ تُرجي ولا صبرٌ ممكن	وليس إلى وصل الحبيب طريق
ولا الحبُّ عن تعذيب قلبي يَنْثَنِي	ولا القلبُ للتَّعْذِيبِ ^(٥) منه يُطِيق
شجونٌ يضيق الصِّدو عن زَفَرَاتِها	وشوقٌ يُطاق الصبر عنه يضيق
نثرتُ عقود الدَّمعِ ثم نظمتُها	[قريضاً فذا دُرٌّ وذاك عَقِيق] ^(٦)

(١) وردت في «ج» (براعة) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (يرنو) .

(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بالتعذيب) والأولى أكثر تماشياً مع المعنى .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالآتي : (قريف فصار

لون ذلك عقيق) .

بكيتُ أسى^(١) حتى بكى حاسد [ى معنى]^(٢) كأنَّ عذُولى عاد وهو صديق
ولو أن عند الناس بعض محببى
أيا عين كفى الدمع ما بقى السكرى
إذا منعوك النوم سوف تذوق
ويانايمًا عن ناظرى أما ترى
لشمسك من^(٣) بعد الغروب شروق
رويدك رفقًا بالفؤاد فإنه
نقضت عهدى ظالما بعد عقدها
كتمتكم حُبى يعلم الله مدّة
إلا إن عهدى كيف كنت وثيق
فمازلت بى حتى فُضحت فإن أكن
وبين ضلوعى من هواك حريق
صبرت بعد اليوم لست أطيع
وقال :

وهوَّرد الوجنات معسول اللّوى
فتأك بلحظ العين فى عشاقه
الجر بين لثماته والزهر فى
وجناته والسحر فى أحداقه
ينادى غصنُ البان فى أثوابه
ويلوح بدرُ الّثم فى أطواقه
من للهلاك بشقره أو خدّه
هَبْ أنه يُحكىه فى إشراقه
ولقد تشبّهت الطُّلبا بشبهة
من خلقه وعجزن عن أخلاقه
نادمته وسينًا محيّا الشمس قد
ألقي على الآفاق فضل رواقه
فى روضة ضحكت ثغورُ أقاحها
وأمال فيها المُرّن من آماقه
أسقيه كأس سُلافة كالمسك فى
نفحاته والشهد عند مذاقه
صفراء لم يُدرِ القى أكواسها
إلا تداعى همُّ لفراقه

(١) هذه الكلمة ساقطة فى «الزيتونة» .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط فى «ج» ووراد فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (ما) .

(٤) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

ولقد تَلَيْن الصَّخْرَ^(١) من سَطَوَاتِه
وأظْلُ أَوْشَف من سُلَافَةٍ^(٢) تُغْرِه
ولربما عَطَفْتَه عَندى نَشْوَةٍ
أَرْجُو نِدَاه إِذَا تَبَسَّم ضَاحِكَا
أَشْكُو القِسَاوَةَ من هَوَاى وَقَلْبِه
يَاهِل لَعَهْدٍ قَدْ مَضَى من عَوْدَةٍ
يَالَيْتَ شَعْرَى لَو كَانَتْ لَذَلِكَ حَيْلَةٌ
فَلَقَدْ يَرُوقُ الغُصْنُ بَعْدَ ذُبُولِه
وبما اشتهر عنه فى هذا الغرض :

ذَهَبَتْ حَشَاشَةُ قَلْبِى الصَّدُوعُ
مَا أَنْصَفَ الْأَحْبَابُ يَوْمَ ودَاعِهِمْ
أُنَجِّدُ بِغَيْثِكَ يَا غَمَامَ فَإِنِى
مَنْ كَانَ يَبْكِي الظَّاعِنِينَ بِأَدْمَعِ
إِلَيْهِ وَبَيْنَ الصَّدْرِ مَنَى وَالْحَشَا
هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
عِنْدَى شَجُونَ فِى التَّى جَنَّتِ النَّوَى
مَنْ وَصَلَى الْمَوْقُوفَ أَوْ مِنْ سُهْدَى الْمَوْصُولِ^(٤) أَوْ مِنْ نَوْمَى الْمُقْطُوعِ
لَيْتَ الَّذِى يَبْنَى وَبَيْنَ صَبَابَتِى بَعْدَ الَّذِى يَبْنَى وَبَيْنَ هُجُوعِ

(١) وردت فى المخطوطين (الخبر) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت فى المخطوطين (أفاح) . وبهذا التعديل يستقيم المعنى والسياق .

(٣) وردت فى المخطوطين (فعل) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» الموصوف . والأولى أنسب للمعنى

يا قلب لا تجزع لما فعل النوى
أبعد ما غودرت في أشراكه
ومهففت مهما هبت ربح الصبا
جمع المحاسن وهو منفرد بها
والشمس لولا إذنه ما آذنت
ما زلت أسقى خده من أدمعي
إن كان يرئو عن^(١) نواظر شادين
عجبا لذاك الشعر زاد بفرقه
منع الكرمي ظله وقد منع الضنا
جردت ثوب العز عن طائعا
لم أنفع لبسا من الملبوس في
بجماله استشفقت في إجماله
يا خادعي عن سلوتي وتصبري
أوسعتني بعد الوصال تفرقا
أسرعت فيما ترتضي^(٢) فجزيني
أشرعت رُحما من قوامك دايلا
خذ من حديث تولمي وتولهي
يرويه^(٣) خدي مسندا عن أدمعي

فالحر ليس لحادث يجزوع
تبغى التزوع ولات حين نزوع
أبدت له عطفاه عطف مطيع
فاعجب لحسن مفرد مجموع
خجلا وإجلالا له مطلوع
حتى تفتح عن رياض ربيع
فلرب ضرغام بهن صريع
حسنا كحسن الشعر بالتصريع
فشقيت بالمنوح والمنوع
[أترأه يعطفه على خضوع]^(٤)
حبي ولا يعادى الخـلوع
ليحوز أجر منعم^(٥) وشفيع
لولا الهوى ما كنت بالخضوع
وأثبتني سوءا لحسن ضنيع
بطويل هجران إلى سريع
فمنعت من ماء الرضاب شروعي
خبرا صحيحا ليس بالمصنوع
عن مقلتي عن قلبي المصدوع

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (عل).

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطين. وفي نص آخر: (أترأه يولي عطفه لخضوعي)

(٣) هكذا في المخطوطين. وفي نص (مشفع).

(٤) ... في ... (نص). ... التصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (برؤ) وهو تحريف.

كم من ليالٍ في هواك قطعتها وأنا لذكراهن في تقطيع
 لا والذي طبع السكرام على الهوى وبر^(١) سوا أن الهوى المطبوع
 ما غيرتني الحادثات ولم أكن بمذيع سر^٢ للعمود مضيع
 لا خير في الدنيا وساكينها معا إن كان قلبي منك غير جميع
 وقال في غير ذلك [في غرض]^(٣) يظهر من الأبيات :

وقالوا عداك البخت والحزم عندما غدوت غريب الدار منذ لك الفتى
 ألم يعلموا أن اغترابي حُرمة وأن ارتحالي عن دارهم هو البخت
 نعم لست أوضى عن زمانى أو أرى تهادى السفن المواخر والبخت
 لقد سيمت نفسى المقام ببلدة بها العيشة الكراء^(٣) والمكسب السحت
 يُذل بها الحر الشريف لعمده ويجفوه بين السم^(٤) من سنة ست
 إذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها أذى ويرى فيه أذاً يبت
 ولست كقوم في تعصبهم عتوا يقولون بغداد لغرناطة أخت
 رغبْتُ بنفسى أن أساكن معشراً مقالهم زورٌ ووُدُّهم مقت
 يدسون في لين الكلام دواهيأ هى السم يالآل المشود لها لث
 فلا دُرٌّ دُرُّ القوم إلا عصبية إلى بإخلاص المودة قد متوا
 وآثرتُ أقواماً حمدتُ جوارهم مقالهم صدقٌ ووُدُّهم بخت
 لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت تعام وعن ما ليس يعينهم صمت
 فما أَلِفوا لهوا ولا عَرَفوا خيَّ ولا علموا أن الكروم لها ينث
 به كل مُرتاح إلى الضيف والوَغى إذا ما أتاها منهما النبأ البغت

(١) هكذا وردت في «ج». وفى «الزيتونة» (ومن) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «ج». وفى «الزيتونة» (الكداء) .

(٤) وردت في «ج» (الستين) . والتصويب من «الزيتونة» .

وأشعث ذى طمرين أغناه زهده
صبور على الإيذاء بغيض على العدا
ولى صاحب مولى يمان جعلته
وأجرّد جرّار الأعنة فارح
تسامت به الأعراق^(١) فى آل أعوج
وحسبى لعنات النوائب مُنجداً
قطعت زمانى خبرةً وبلوته
ومارست أبناء الزمان مباحنا
وذى صلف يمشى الهويناً ترفقاً
إذا غبت فهو المروة القوم عندهم
وإن ضمّنى يوماً وإياه مشهد
فحسبى عداًتى أن طويت ما ربى
وقلت لديّاهم إذا شئت فاغربى
وأغضيت عن زلاتهم غير عاجز
وقال :

لا تُعدّ ضيفك إن ذهب لصاحب
أوما ترى الأشجار مهمار كبت
ومنه فى الملقوعات :

وشادن تيمنى حبسه
مورد الخدين حلو اللّمسى
حطّلى منه الدهر هجرانه
أحر مضى الطرف وسنانه

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الأعذار) .

(٢) وردت فى «ج» (وأنفق) ، والتصويب أرجح .

لم تنطو الأغصان في الروض بل
يا أيها الطّبي الذي قلبه
هل عطفةٌ ترجى لصبّ شبح
يود أن لو زُرته في الكرى
قد وام أن يكتب ما نابّه
فأفضيت أسراره واستوى
ضلت له تسجد أغصانه
تُضرم في القلب^(١) نيرانه
ليس يرجى عنك سلوانه
لو متّعت بالنوم أجفانه
والحب لا يمكن كتمانه
إسراره الآن وإعلانه

وقال :

نهار وجهه وليل شعـر
قد طلبا بالهوى فؤادى
وكيف يُبغى النجاة شيء
بينهما الشوق يُستثار
فأين لى عنهما الفـرار
يطلبه الليل والنهار

وقال في الثّوبيت :

زارت ليلا وأظلمت فجرها
لما بصرت بالشمس قالت يافى
صُبْحاً جَمَعَت بين صبح وظلام
[جمعُ الإنسان بين^(٢) الأختين حرام

وقال في غرض الثّوبية :

أريج لى [فى]^(٣) رياض المحاسن نظرة
وبالله لا تبخل على بعطفة
إلى وود ذاك الخد أروى به الصدى
فإني رأيت الرّوض يوصف بالندا

وقال :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» «قلبي» .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «-» . ووردت في «الزيتونة» (الجمع بين الأختين) .
(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

وعاشقٌ صلى ومحـرابه
قالوا تعبـد فقلت^(١) نعم
وجهُ غزال ظلّ يـهـواه
تعبداً يفهم معناه
وقال وهو مليح جداً :

وصديق شكى بما سمّـلوه
قلتُ فاردّدْ ما سمّـلوك عليهم
من قضاء^(٢) يقضى بطول العناء
قال من يستطع ردّ القضاء
لسانان هجياً^(٣) من خاصماه
[إذا لم تحزّ واحداً منها
فلمست أرى لك أن تنطقاً]^(٤)
وقال :

تلك الذّوا به ذُبت من شوقى لها
يا قلبُ فانجح لا إخالك ناجياً^(٥)
واللّـحظ يحميها بأى سلاح
من فتنة الجمـدى والسفاح
[وإحسانه كثير . ويدل بعضُ الشيء على كـله . ويحجّرُ طلّ الغيث على
وبله]^(٦) .

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته بفاس مَبْطُوناً في أوائل ثمانية وخمسين وسبعماية . ثم
بَحَقَّتْ [أن ذلك]^(٧) [في آخر شوال من العام قبله]^(٨)

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قلنا) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قضى) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (هجياً) .

(٤) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ناجياً) . والأولى أرجح لاستقامة المعنى .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم السياق .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وورد مكانها في «الزيتونة» العبارة الآتية (ثم تحققت

أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام) . والكلام عليه علامة الشطط ابتداءً من كلمة (في أوائل) .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم
ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي
يكفى أبا القاسم .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : فرع دوحة الأصالة والخصوصية ، والعلم والدين ،
والمسكاة والجلالة ، [جُفِي يته] ^(١) . ومجدد مآثره [براً ، ومجاملة وخيرية] ^(٢) .
نشأ بأطراف جملته من الفنون ، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة ، إلى
خط حسن ، وأدب تكلفه ^(٣) ، حتى انقاد له أو كاد . أعبط ^(٤) في وقية الطاعون
قاصياً ببعض الجهات . وكتباً للدار السلطانية ، فكانت فيه الفجعة عظيمة .

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه : « من فروع مجده وجلالة ، وورث
الفضل لآعن كلاله . أشرف ^(٥) ، مجيد ، معظم ، مُحَوَّل في العشيرة ^(٦) ، وصل
لباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة ، وأصبح طرفاً ^(٧) في الخير والعفاف ، واتصف
من العدالة بأحسن اتصاف ، وسلك من سُنن سلفه ، أثر هذا ، لا يزال يُرشد
ويُدله ، ويسدده فيما يعقده أو يحله ، واتسم بميسم الحيا ، والحيا خير كله ، إلى
نزاهة لا ترضى بالدون ، ونجابة تهالك في صون ^(٨) الفنون . وطمح في هذا العهد

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلفه) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت بحرف في «ج» (اغبط) . وأعبط أى هلك .

(٤) وردت في «ج» (يشرب) . وينسب من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العشيرة) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . والطرف ، أى القوى .

(٧) وردت في المخطوطين (هون) . وبالنسبة يستقيم المعنى .

إلى تَمَطُّ في البلاغة رفيع، وَجَنَحَ إلى مساجلة [ما يستحسنه ^(١) من مُخْتَرَع وبديع،
وصدوت منه طُرَفٌ تُسْتَمَلَح، وتُسْتَحْلَى إذا استحلى . ونحن نورد ما أمكن
من آياته، ونجلى بعض غُرَرِهِ وشيآته .

شعره

ومن مقطوعات آياته :

وهبت فهِزَّتْ عند ما رأت به الطَّلَامُثلَ الطفل يرضع في المهْدِ
والرَّوض حياه المَزْن خالعة برقة وباتت رُبَاه من حِيناه على وعد
يحدثناعن كَرَمِها ^(٢) ما من مُزْنِها ^(٢) فتُبْدَى ابتسام الزَّهر في لَئمة الخلدِ
عَجِبنا لما رأينا من بَرِّها بدور حُباب السكَّاس تلعب بالنزد

وقال :

شَرِبنا وزَنجى الدِّياجى مُوقِدٌ مصابيحَ من زهر النجوم الطَّوالعِ
عقلاؤا وأنه حين أقبل حالكا فجاءت بِمُضْفَرٍّ من اللون فاقِعِ
عجبت ^(٣) لها ترتاع منه وإنها لنى الفرقد قوت لِدَمِ المدامع ^(٤)

وقال :

لاح في الدُّرِّ العقيق فحِيّا أم مزاج ^(٥) أذاه صرف الحِيّا

(١) وردت في «الزيتونة» (من يستحسنه) . ووردت في «ج» (من يقتبسه) والأول أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردتا في «الزيتونة» (كرمه . قريه) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (عجبا) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراضع) ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (زجاج) . والتصويب من «الزيتونة» .

من بنات الكروم والروم بكرا
خلتها والجلاب يطفو عليها
قهوة كالعروس في الكأس تُجلى
أقبلت ترتدى حياءً يهباً
شفقاً فوقه نجوم الثريا
صاغ من لؤلئها المزج حلياً

وقال :

ويوم أنس صقيل الجؤ ذى نظر
مازلت فيه لشمس الطست^(٢) مضطجياً
صفراء كالعسجد المسبوك إن
[كذلك الشمس في أخرى عشيتها
كأنه من وميض البرق^(١) قد خلقت
وبالنجوم وبالأكواس مغتبتاً
شربت تبتدى احمراراً على الخدين مؤتلقاً
إذا توارت أثار ت بعدها شفقاً^(٣)

وقال :

بنفسى حبيب صال^(٤) عامل قدّه
ويا عجباً منه متى صار ذا بلا
وأعجب من ذا أن سيف لحاظه
على ولما ينمطف وهو كالنصن
ونضرت له منار عن حوطة اللدن
يمزق أفلاذ الحشى وهو فى الجفن

وقال :

يأبى وغير أبى غزال نافس
قر تلالاً واستنار حبيب به
لم يرض غير القلب منزلة فهل
وما نسب لنفسه وألشدنيه :
بين الجوانح يفتدى ويروح
غارت^(٥) به بين الكواكب بوح
يا ليت شعري بالذراع يلوح

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (الروض) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) وردت فى «ج» (الطلب) . وتصوب من «الزيتونة» .

(٣) هذا البيت وارد فى «الزيتونة» وساقط فى «ج» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (بحال) والأولى أنسب للمعنى .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» وفى «ج» (عادت) .

ليلُ الشَّبابِ انْجَابَ أَوَّلُ وَهْلَةٍ عَنْ صُبْحِ شَيْبٍ لَسْتُ عَنْهُ بَرِاضٍ
 إِنْ سَرَّني يَوْمًا سَوَادُ خِضَابِهِ فَتُصُولُهُ عَنْ سَاقِ بِيضِاضٍ
 هَلَّا اخْتَفَى فَهُوَ الَّذِي سَرَقَ الصُّبَا وَالْقَطْعُ فِي السَّرَقَاتِ [أَمْرَاضٍ] ^(١)
 فَعَلِيهِ مَا اسْتَطَاعَ الظُّهُورُ بَلَمَّتِي وَعَلَى أَنْ أَلْقَاهُ بِالْمَرِاضِ

وفاته

توفي رحمه الله بغرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة ،
 في وقعة الطاعون ، ودفن بباب البيرة [رحمة الله عليه] ^(٢) .

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي] ^(٣)

ابن محمد اللوشى اليحصبي

يكنى أبا عبد الله ويعرف باللوشى

أوليته

من لوشة . وقرأ العلم بها ، وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير
 الملك [له] ^(٤) وتقدم عنده . تضمن ذكره الكتاب المسمى « بطرقة العصر

(١) وردت في المخطوطين (أرماس) . وهو تعريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» .

في أخبار بني نصر»^(١) ، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشى ، كاتب الدولة النصرية رحمه الله .

حاله

من كتاب « عايد الصلة » . كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة ، شاعراً ، مداحاً . نشأ مُدَلَّلاً في حُجُور الدولة النصرية ، خفيفاً على أبوابها ، مُفَضَّلاً على مُدَّاحها . ثم تَجَنَّى بآخرة ، ولزم طَوْراً من الخمول في غير تَشَكُّ ، أَعْرَضَ به عن أرباب الدنيا ، وأَعْرَضَ عنه ، واقتصر على تبليغ من علالة مُؤَمِّل كان له خارج [غرناطة]^(٢) غير مُسَاد من ثَلَمه ، ولا مُصْلِح في خَلَّه ، أخذ نفسه بالثَّشْف ، وسوء المسكن ، والتهاون بالملبَس ، حملاً عليها في غير أبواب الرياضة ، مجانباً أرباب الخَطَط ، وفيما لمن لحقته من السلطان مَوْجِدَة ، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرَّات ، من إعراض عنه ، وقَبُول عليه ، ولصوق به ، كل ذلك عن سلامة ، وتهيب نفس . مليح الدُّعابة ، ذا كرا لِفَنُون من الأناشيد ، حسن الجِدِّ ، متجافياً عن الأعراض .

وجرى ذكره في « الناج » بما نصه : « شاعر مُفْلِق ، وشهابٌ في أفق البلاغة متألِّق ، طبَّق مفاصل الكلام بحُسام لسانه ، وقَلَّد نُحُور الكلام ، ما يُزِرِّي بجواهر الملوك من إحسانه . ونشأ في حُجُور الدولة النصرية مُدَلَّلاً بِمَتَاتِهِ ، متقلِّباً من العزِّ في أفانينه وأشتاته ، إذ لسَلَفَه الذُّمام الذي صَفَّتْ^(٣) منه الحياض

(١) هو مؤلف وضعه ابن الخطيب في تاريخ الدولة النصرية منذ قيامها حتى عصره ، وهو غير كتاب «اللمحة البدرية» الذي يتناول نفس الموضوع . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الخطيب التاريخية (راجع كتابنا لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٠ ، والمجلد الأول من الإحاطة الطبعة الثانية - ص ٥٨) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (بعث) . والتصويب من «الزيتونة» .

والحام، والورد الذي قصرت عنه الأنداد . والسابقة التي أزرى بخبرها العيان،
وشهدت بها أرجونة^(١) وجيان ، محيّر ثمره الطيب . وله همة [عالية]^(٢) ،
بعيدة المرمى ، كريمة المنتمى . كحلمته بأخرة على الانتقباض والازدراء ، والزهد
في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاعتصار، فعمّط على انتجاع غلته، والتزام
محلمته ، ومباشرة فلاحه صان بها وجهه ، ووفّاه الدهر حقه ونجمه ، واحتجبت
عقائيل بيانه لهذا العهد وتقنعت . وراودتها النفس فتمنعت ، وله فسكاهة، وأنس
الزمان ، مناجاة القينات ، عند البيات ، وأعذب من معاطاة^(٣) الراح
في الأقداح .

شعره

قال ، [وله أدبٌ بلغ في الإجابة الغاية]^(٤) ، ورفع للجبين من السنن
الرأية . ومن مقطوعاته يودع^(٥) شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجاج :

وأورنى وقد أغرقت في عَبراتي وأحرقْتُ في نارِى لدى زَفَراتي
فقالوا سلّوه تعلّوا كُنْه حاله فقلتُ سلّوا عني أبا البركات
فمن قال إني بالرحيل مُحدث روت عنه أجفاني غريب ثبات
ونادى فؤادى رَكْبَه فأجابه ترحّل وكُن في القوم بعض عُدات

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية :

سيخطب قس العزم في منبر السرى وهل في الدنيا^(٦) يوم المسير أطلق

(١) هي موطن بنى نصر ملوك غرناطة، وقد سبق التعريف بها . (٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (معاطب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالتالي : (وله أدب بليغ

في الإجابة بلغ الغاية) .

(٥) وردت في المخطوطين (يردد) والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الدنيا) ، وبالتصويب يستقيم الوزن .

وأقطع زَند المَجَرَّ والقَطْع حَقَّهُ فما زال طيبُ العمر عني يَسْتَرِقْ

مولده : في حدود ثمانية وسبعين وستائه

وفاته

في الموفى عشرين من شهر ربيع الثانی من عام اثنين وخمسين وسبعماية

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
يكنى أبا بكر

أوليته

[مرت]^(١) في اسم ذى الوزارتين .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : «كان صدر أبناء أصحاب النعم ، وبقية
أعلام البيوت ، ترف نشأة ، وعز تربية ، وكرم نفس ، وطيب مجالسة ،
وإمتاع محاضرة ، وصحة وفاء ، وشياع مشاركة في جملة فاضلة ، محدثا تاريخيا ،
كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، مليح الدعابة ، ظريف التوقيع ، متقدم الحيلة^(٢)
في باب التحسين والتنقيح : يقرض الشعر ، ويفك المعنى ، ويقوم على مجل
الكتاب العزيز . حفظاً وتجويداً . وإتقاناً ، ويسرد نيف التاريخ . وعيون
الأخبار ، إلى حسن الخلق ، وكمال الأبهة . وحلاوة الساطة ، واحتمال المناشة .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الحيلة) . وفي «الزيتونة» (الحيلة) . وادلتصوب يستقيم اسمى .

والمناظرة على حفظ المودة . والاستقالة من المهنة . والتمسك بالاستعانة والمهنة .
كتب بالدار السلطانية أكثر عمره . وتصدر بعد في قيادة المواضع النبوية ،
[محارباً ذا قدرة في ذلك]^(١) . ومع ذلك فشايح المعروف ، ذابح المشاركة . قيد
الكثير . ودون وصنف ، وحمل عن الجلة ممن يشق إحصاؤهم ، وكان
غرة من غرر هذا القطر ، وموكبا من مواكب هذا الأفق . لم يتخلف
بعده مثله .

وجرى ذكره في « التاج المحلى » بما نصه : « ماجد أقام رسم المجد بعد
عفايه ، فوق الفضل حق وفاقه . بيته في رعدة ، أشهر في الأصالة من بيت امرئ
القيس ، وأرسى في بحبوحة الفخر »^(٢) ، من قواعد الرضوى وأبي قيس . استولى
على الجود [البديع]^(٣) البعيد المدا ، وحجبت إليه من كل فج طلاب النداء ،
وعشت إلى ضوء ناره ، فوجدت على النار الثقي والهدي . ولّى الوزارة النصرية ،
التي اعتصر منها طريقاً بتالد ، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد^(٤) .
ولما أدار عليها الدهر كأس النوايب ، وحلص إليها سهمه [الصايب]^(٥) بين
صحائف الكتب وصفائح الكتاب ، تطلعت من خلالها الراية لباب الوجود ،
وبكتها بسيل أجفانها عين الباس والجود ، وطلعت على أعقاب هذه الفضائل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في « الزيتونة » . ووردت في « ج » كالاتي : (محارباً مقدوراً
عليه) . والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في « ج » . ووردت في « الزيتونة » (الفضل) .

(٣) الزيادة من « الزيتونة » .

(٤) هو يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد . وأحد أعلام أسرة البرمكية الشهيرة ،
التي أسست على السلطة في الدولة العباسية ، واضطر الرشيد إلى نكبتها (سنة ٢٨٧ هـ) حرصاً على
سلطانه ، وتحرراً من قبضتها .

(٥) هذه الكلمة واردة في « ج » . وساقطة في « الزيتونة » .

[مُحَلَّى من صفحاتها] (١)، وأعاد لوساعده الدهر من لمحاتها ، وارتقى من الكتابة إلى المحل النبوية ، واستحقها من بعض ميراث أبيه ، [وَبْنَى] (٢) وشيّد ، ودوّن فيها وقيد وشهر في كتب الحديث وروايته ، وجنّى ثمرة رحلة أبيه ، وهو في جبر ذوابته (٣) . وأنشأ الفهارس ، وأحيى الأثر الدارس ، وألف كتابه المسمى « بالموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة » ، فسرح (٤) الطّرف ، وروضه طيّب الجنى والعرف ، وله شعر أنيق الحلية ، حاز في نمط العلية . وبين وبين هذا الفاضل وداد صافي الحياض (٥) ، وفكاهة كدّع الرّياض ، ودُعاة سحبت الدّالة أذيالها ، وأدارت الثقة والمقة جريالها . وسيمر في هذا الديوان كل رايق الحيا ، عاطر الرّيا .

مشيخته

قرأ على [الأستاذ] (٦) أبي جعفر الحريري ، والأستاذ أبي الحسن القيبحاطي ، والأستاذ إسحق بن أبي العاصي . وأخذ عن الطّم والرّم ، من مشايخ المشرق والمغرب . فثمهم الولي الصالح فضل بن فضيلة الماعفري ، إلى العدد الكثير من أهل الأندلس ، كأطباء الصلحاء أبي عبد الله الطنجالي ، وأبي جعفر الزياتي ، وأبي عبد الله بن السكّاد ، وغيرهم من الرّنديين والمالقيين والعَرْنَاطيين ، حسبما تضمنه برنامجهم .

تواليفه

ألف الكتاب المسمى ، « الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة » (٧) . وكل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت بحرفه في «ج» كالآتي : (يحل من صباحها) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (دابته) . والنص : «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فسمع) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الحياطلة) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) سبق أن ورد عنوان هذا الكتاب فيما تقدم كالآتي : «الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة» .

التاريخ المسعى « بيزان العمل » لابن رَشِيق . ودوّن كتاباً في عبارة الرؤيا سماه « بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب » و « الأخبار المذّبة » و « الإشارة الصوفية » والنكت الأدبية . والهودج في الكتب . والإشارة في ألف إنشاده .

شعره وكتابه

قال في التاريخ مانصه : « وتهادته إلى هذا العهد رُتّب السيادة ، واستعمل في نبيات القيادة ، فوجّه إلى معقل قرطمة^(١) من كورة ريه وهو واليه ، وبطاحه في مجرى جياده وصحّر عواليه . وقد حلت مالقة صُحبة الرّكب^(٢) السلطاني في بعض التّوجّهات ، إلى تلك الجهات ، في بعض ما أتخف [من مقعده]^(٣) ، المتصل المستمر ، بهديّة مشتملة على ضروب من البرّ . فخطبته مقما لسوق^(٤) الانبساط ، وغير حايدٍ عن الوداد والاعتباط ، على ما عول [عليه]^(٥) من حل الإفراط ، والانتظام في هذا المعنى والانخراط :

ألام على أخذ القليل وإنما أحاطل أقواماً أقل من الذر
فإن أنا لم آخذ منهم فقدته ولا بد من شيء يُعين على الدهر
سيدي أطلق الله يدك بما تملك ، وفتر عن منحك البخل ليلاً تهلك .

(١) وردت في المجلداتين (قرطبة) وهو تحريف ظاهر ، لأن قرطبة كانت قد سقطت في أيدي النصارى قبل ذلك بنحو قرن ، ولأنها من جهة أخرى ليست واقعة في كورة ريه أو كورة مالقة . والصواب هو «معقل قرطمة» Cartama . وقرطمة هي بلدة حصينة تقع غربي ثغر مالقة وسط كورة ريه .

(٢) هكذا وردت في «ج» ، وفي «الريونة» (الركاب) .

(٣) وردت في «ج» (ما تفقده) ، والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «الريونة» . وفي «ج» (سوق) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

كنت قد هومت^(١)، وحذرتني القلق فنلومت . ولوئني^(٢) كما علمت سيء الخصال ، عزيز الوصال . يطل دُيني، ويعاف طيره وزد عيني . فإذا الباب يدق بججر ، فأنبأني عن ضجر ، وجارُ الجنب يُؤخذ بالذنب . فقامت مُبادراً وجِزعت . وإن كان الجزع مني نادراً . واستفهمت من وراء^(٣) العلق ، عن سبب هذا القلق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابعةُ الفزاديا قوم ، رسول خير ، وناثق طير ، وقرعُ إذلال لا فرعُ إذلال . حطوا شعار الحرب والحرب ، فقد ظفرتهم ببلوغ الأرب ، فتأخرت عن الإقدام . وأنهدتُ إليه ، فخن^(٤) عمر بن أبي ربيعة عن كان بالدار من الخدام . فأسفرت الواقعة عن سلام وسلم ، ولم يزن أحد منا بكلم . ونظرتُ إلى رجل قرطبي الطلعة والأخلاق ، خاو على الإطلاق . تنهد قبل أن يُسلم ، وارتعض^(٥) لما ذهب من الشبهة وتالم . شئشنة معروفة . وعين^(٦) تلك الجهات معاذ الله مصروفة . وقد حملته سيادتكم من المبرة ضروباً شتى . وتجاوزت في المسرات غاية حتى . ولم تضع عضواً من جسده ، فضلاً عن منسكبه ويده ، إلا علقته وعاء ثقيلاً ، وناطت به زنبيل . واستلقى كاللي إذا ترك المعترك . وعالت حوله تلك الأثقال . وتماوروا الانتقال^(٧) [وكثر بالزقاق القليل والقال . فلما تخلصت إلى الدار^(٨) ، وستررت معرقها بالجدار ، وتناولها

-
- (١) وردت في «ج» (هرمت) والتصويب من «الزيتونة» .
 (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (قوى) والأولى أنسب للدعي والسياق .
 (٣) وردت في «ج» (دار) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٤) وردت في «ج» (نحن) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٥) وردت في «ج» (وارتمط) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٦) وردت في «ج» (وعن) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٧) ما ساقى منذ بداية هذه الحاصرة حتى نهايته عند الحاصرة الحتامية -- كـله ساقط في «ج» .
 وورد في «الزيتونة» وقد اعتمدنا في نقله على مخطوط «الزيتونة» دون سواء .
 (٨) وردت في «الزيتونة» (بالدار) والتصويب أنسب للسياق .

الاختبار الفاضح ، وبأن قصورها الواضح ، فتلاشت ، بعد ما جاشت ، ونظرت
إلى قعب من اللبن المذوق الذى لا يستعمل فى البيوت ، ولا يباع فى الشوق ،
فأذ كرني قول الشاعر :

فى تلك المسكوم لأقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبوالا
أما زبده فرفع ، وأما جبنه فاقيت به وانتفع . وأما من بعته من فضلاء
الخلد فندفع ، وكأنى به قد ألح وضيع ، والتفت إلى قعبه فد خيدت ، وبعنق
ذاك البابس قد نبتت ، رمس^(١) فيها أفراس الحمايم ، وقلعت بجيده^(٢) كما يتقلد
بالتمايم ، وشد حبها بمخنقه ، وألزم منها فى العاجل طائرته فى عنقه ، هذا بعد
ما دبحت ، وأما حشوها فربحت . ولو سلكتم الطريقة المثلثى ، لحفظتم جنتها من
العفن ، كما تحفظ جنة القتلى ، وأظنكم لم تغفلوا هذا الغرض الأدنى ، ولا أهملتم
هذه الهيم الذى غريزة فى المنى . فإنى رميت منها اللهو رعى المختبر ، فكأن من
مرارة الصبر ، ولما أخرجتها من كفن القعب ، واستدعيت لموارثها أهل الثقة ،
تمثلت تمثل اللبيب بقول أبى تمام حبيب :

هـن الحمام فإن كسرت عيافة من حاشن فإنهن حمام
ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها تحيلة سر . لكانت من بقايا مواطن
ديوك بنى مر ، وبعث بها حلألك حلاله . وأهدى منها اجتهاد من أحسن . ولم يكن
بالهدية ما يذكر ، ولا كانت مما ينكر ، أستغفر الله ، فلو لم تكن الشحنة ،
إلا تلك الفكاهة العاطرة والغبامة الماطرة . التى أحسبها الأمل الأقصى ، وتجاوزت
إلا من التى لا تعد ولا تحصى ، للزم الشكر ووجب ، وبرز من حر المدح ما تيسر

(١) وردت فى «الزيتونة» (رمس) ، وهو تحريف اقضى التصويب .

(٢) وردت فى «الزيتونة» (بلبه) . وبالتصويب يستقيم المعنى والحيال .

واحتجب . فالكلام وإن تغيّرت أنسابها ، وجُهل انتسابها . وأدعى إدّتها
واكتسابها . إليكم تنشر يدها ، وتسعى لأقدامها ، ولبيّنتكم تميل بهواذيتها ،
وبساحتكم يسيل واديتها . وعلى أرضكم تسحّ غواذيتها . ومثلى أعزكم الله ، لا يُغفى
من قدر مُحفكم الحافلة ، ولا يقدر من شكرها على فريضة ولا نافلة ، ولكنها
دُعابة معتادة ، وفكاهة أصدرتها ودادة . ولا شك أنكم بما جُبلتم عليه قديماً
وحديثاً ، تغتفرون^(١) جفائي ، الذى سِيرتموه مكرّاً وحديثاً ، فى جنب وفاى ،
وتغضون وتحملون ، وبقول الشاعر تتمثلون ، وأسمع من الألفاظ اللغوية التى
يُسر بها شمتى ، وإن ضمنت شتمى ووصفى :

بعثت بشيء كالجفاء وإنها	بعثت بعذرى كلدلى إلى غدر
وقلت لنفسى لا تردعى ^(٢) فإنه	كما قيل شيء قد يعين على الدهر
وما كان قدر الودّ والمجد مثله	فخذه على قدر الحوادث أو قدورى
وإن كنت لم أحسن صنيعى فإننى	سأحسن فى حُسن القبول له شكرى
وقدرك قدر النيل عندى وإننى	لدى قدرك العالى أدق من الذر
قنعت وحظى من زمانى وودى كم	هباء ومثلى ليس يقنع بالذر
أتانى كتاب منك باهٍ مبارك	لقيت به الآمال باهية ^(٣) الشمر
جلا من بنات الفسكر بكرّاً وزفها	إلى ناظرى تختال فى حبر الخبر
فألفاظها كالزهر والزهر يانع	وقدرك المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معانٍ فى سماء صحيفة	ولكنها تسرى النجوم ولا تسرى
تضمن من نوع الدعابة ما به	رجوت الذى قد قيل فى أشوة الخمر

(١) وردت فى «الزيتونة» (تعدون) . والتصويوب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

رعى الله مسراها السكريم فجلى ما
لعمري لقد أذكر تنى دوله الصبا
ولما أتت تلك الفكاهة غدوة
ولا سيما إن كان ملهم بردها
نشرت بها ما قد طويت بساطه
ونعم خليل الخير أنت محافظاً
ودونكم تلهو بها وتدورها

جلكنه من البشرى وأبدت من البشرى
وأهديت لى نوع الجلال من السحر
وجدت نشاطاً سائر اليوم فى بشرى
عميد أوى الألباب نادرة العصر
زماناً وبى طى الأمور مع النثر
على سنن الإخلاص فى السر والجهر
سحيرية الأنفاس طيبة النثر (١)

فراجعنى بقوله :

وقد من سيدى الجواب ، محتوياً على العجب العجائب ، فيالك من فكاهة
كوثرية المناهل ، غنبرية المسائل ، ولو لم يكن إلا وصف القرطوبى المستوى (٢)
الطلعة ، الشرطى الصنعة . وأما وصف اللبن وفراخ الحمام ، فقد بسطتم فى المزاح
القول . وامتنعتم فى الكلام الفضل . وذلك شيء يعجز عن مساجلتكم فيه
فيه أبواب البلاغة والبيان ، فكيف يمتثل من له القول المهمل النسيج ، الواهى
البيان . ولا بد من عرض ذلك على سيدى (٣) القطب الكبير الإمام ، وأستاذنا
علم الأعلام ، وكبير أئمة الإسلام . فيحكم بيننا بحكم الفضل . وينصف بما لديه
من الحق والعدل . وقد كنت أريد من مراجعتكم حيدة الجبان . وأميل عن
ذلك مائة الكودن (٤) عن مجازاة السمر الهجان . وأعدل عن مساجلة أدبكم
المتان . عدول الأعزل عن مبارزة جيد السنان . إلى أن وثقت بالصنح .

(١) إلى هنا انتهى ما نقلناه ، منذ الحاصرة الفاتحة من مخطوط «الزيتونة» . وهو ساقط كله فى «ج» .

(٢) وردت فى «ج» (المشوى) . والتصويب أرجح .

(٣) وردت فى «ج» (سبيل) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا فى المخطوطين . والكودن . هو البطىء المتأخر فى مشيته .

وعوّلت على ما لديكم من الإغضاء والسّمح ، ووجهتُ حاملَةَ السرِّ والظروف ،
 كي تنصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . وأستقيل من انبساط يجزُّ عذراً . وأسأله
 سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً . دام سيدي وآاله مساعدة .
 والسكّمة على فضله واحدة .

ومن شعره في النّسك والأجأ إلى الله تعالى :

أيا من له الحكم في خلقه ومن يكرّبي له أشتكى
 تولّ أمورى ولا تُسلمنى وإن أنت أسلمتني أهلك
 تعاليت من مُفضل^(١) منعم ونزّهت من طالب مُدرك
 ومن ذلك وقلمته من خطّه :

تصبر إذا ما أدركتك مُلّة فصنّع إله العالمين عجيب
 وما يدرك الإنسان عارٌ بنسكبة يُنكب فيها صاحب وحيد
 ففي مَنْ مضى للمرء ذى العقل أسوة وعيش كرام الناس ليس يطيّب
 ويوشك أن تهنى سحائب نعمة فيخصّب^[من] (٢) ربع السّرو وجديب
 إلهك يا هذا مجيب لمن دعا وكلّ الذى عند القريب قريب
 مولده : عام خمسة وستين وسبعمائة .

وفاته

من « عائد الصلّة » . قال ، وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتهدّج ،
 والتزام الورد ، وإن كان مُستصحب الخيرية . وحلّ ببلد ولاينهم رُنْدَة ، فسكانت
 بها تربته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فاصل) والأولى أرجح .

(٢) أهدمت هذه الكلمة لاستفابة الشعر والمعنى .

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
ولد المذكور بعد ، الكاتب بالدار السلطانية .

حاله

من كتاب طرفة العصر وغيره ، قال ، [كان]^(١) كاتباً مشهوراً ، بليغاً ،
ذا معرفة ، بارع الخط ، أُوْحِدَ زمانه في ذلك ، وقوراً ، مُعَذَّبٌ^(٢) اللفظ ، منجماً
في هوى نفسه ، مُحَارَفاً^(٣) بحرفة الأدب على جلالة قدره . وكتابه نقيّة ، جانحة
إلى الاختصار .

شعره

وثيق ثقلٌ فيه أرواح المعاني ، كشعر أبيه ، وتوشيح فائق . تولى كتابة
الإشياء لثاني الملوك النصريين^(٤) ، واستمر قيامه^(٥) بها على حَجَرٍ شديد من
السلطان وتحمّل ، لملازمته المُعَاوَرَة وانهما كفي البُعالة ، واستعمال الحر ، حتى زعوا
أنه قام يوماً بين يديه ، فأخّره عنها ، وقدّم الوزير أبا عبد الله بن الحَكِيم .
وفي ذلك يقول :

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أجفأ^(٦) لأن زعموا أني تحسّيتها مِرْفاً
وأقام بقية عمره تحت رِفْدٍ وبرٍّ .

(١) ساقطة في المخطوطين . وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، والمقصود بها (عذب) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين والمقصود بها (محرّفاً) .

(٤) ثاني ملوك بني نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم مكة
غزناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى سنة ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٥) وردت في «ج» (قيامه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (جفا) ، وبالصواب يستقيم السيل .

وفاته

توفي في حدود التسعين وستاية . وكان شيخنا ابن الجباب [قد آثره]^(١) بكتبه . وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله .

محمد بن مالك المري الطغترى^(٢)

من أهل غرناطة ، من ذوى البيتمية^(٣) والحسب فيها . ذكره الأستاذ^(٤) ، في الكتاب المسمى بالصلة ، والغافقي^(٥) ، وغيرها .

حاله

أديب نبيل ، شاعر ، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة . ثم إنه استيقظ من غفلته ، وأقلع عن راحته ، وأجب في توبته . وكان من أهل الفضل والخير والعلم .

من تواليغه كتابه الشهير في الفلاحة ، وهو بديع ، سماه « زهرة البستان ، ونزهة الأذهان » ، عبرة في الظرف . قال ، وجرى له مع سماجة^(٦) ، خليفة

(١) وردت في المخطوطين (فآثره) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) ورد هذا الاسم محرفاً كله في «ج» كالآتي : (محمد بن ملك الميرى الصعري) . وكذا في «الزيتونة» (محمد بن ملك المري الصعري) والاسم الصحيح هو ما أثبتناه . والطغترى نسبة إلى (طغتر) . هي قرية من قرى غرناطة ، وقد سبق التعريف بها .

(٣) وردت في «ج» (البيتمية) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) الأستاذ هنا يقصد بها الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (صلة الصلة) . وقد سبق التعريف به .

(٥) الغافقي يقصد بها هنا ، محمد بن عبد الواحد الغافقي الشهير بالملاحى . وقد سبق التعريف به .

(٦) هو من شيوخ قبيلة صنهاجة البربرية . وقد تولى الوزارة لعبد الله بن بلقين أمير غرناطة . وكان وزيراً حازماً قوى العزم ، شديد السلوة ، فبرم به عبد الله ، وصرفه بالحسن ، فسار في أهله وأمواله إلى المرية ، وعاش في كنف صاحبها ابن صبادج .

عبد الله بن بلقين قصة . إذ فاجأه سماجة مع إخوان له ، ولم يشعروا به ، فأنشده ابن مالك أوتجلا ، وقد أخذ بلجام دابته :

بينما نحن في المصلى نساقي (١) وجناح العشي فيه جنوح
إذا أتانا سماجة يتلألأ ردى الشمس من تجليله يوح
فطقتنا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبوح

قال ، فتكلم الوزير سماجة [باللسان البربرى] (٢) مع عبيده ، فرجموا مسرعين ، ووقف سماجة مع الوزير ابن مالك ، إلى أن أتاه عبيده ، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم ، تليف على الثلاثمائة دينار . فقال ادفعوها إليه ، وانصرف . وأتاهم العبيد مع الدراهم ، بطعام وشراب . قال ابن مالك ، وذلك (٣) أول مال (٤) تأثلمته (٥) .

شعره

[ومنه (٦)]

صب على قلبي هوى لالعج ودب في جسمي ضنا دارج
في شادن أحر مستأنس لسان تذاكري (٧) به لاهج
قدر نعان إذا ما مشى وما عسى يفعله عاج

(١) وردت في المخطوطين (نسق) . وبالتصويب يستقيم الوزن والسياق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (باللسان الغريب) .

(٣) وردت في «ج» (بذلك) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (ما) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (تأثله) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تذاكري) .

فقدته من رقصة ميسر وردفه من ثقله ماسج^(١)
 عنوان ما في ثوبه وجهه^(٢) تشابه الداخل والخارج
 فلا تقيسوه بيدو الدجى ذا معلّم الوجه وذا ساذج
 وقد لسبها بعض الناس لغيره

وفاته

قال الأستاذ ، كان حيّاً [سنة] ثمانين وأربعمائة . وأمر أن يكتب
 على قبره :

يا خليلي عرج على قبري تجد من أكلة الثرب بين جنبي ضريح
 خافت الصوت إن نقت ولكن أى نطق إن اعتبرت فصيح
 أبصرت عيني العجايب لكن لما فرّق الموت بين جسمي وروح^(٣)

محمد بن علي بن محمد [بن عبد الله]^(٤) بن عبد الملك الأوسى^(٥)
 المدعو بالمعرب ، من إقليم الآش^(٦)

حاله

كان حسن النظم والنثر ، ذكياً من أهل المعرفة بالعربية والأدب . موصوفاً
 بجودة القريحة ، والنبيل والفطنة .

-
- (١) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (مارج) والأولى أنسب السياق .
 (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» ((جسمه) والأولى أنسب للسياق .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الروح) .
 (٤) الزيادة في النسبة من «الزيتونة» .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأسدى) .
 (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (لاش) . ولا يوجد في الجغرافية الأندلسية
 إقليم بهذا الاسم . ولعل المقصود هنا هو إقليم وادي آش . وقد أورد اسمه على سبيل الإحصاء .

أدبه وشعره

ذكره الملاحى، وقال حدثني قاضى الأحكام بفرناطة، أبو القاسم الحسن بن قاسم، الهلالي صاحبنا. قال، كان الأسناد أبو عبد الله العقرب جازنا، قد وقع بينه وبين زوجه، زهرة بنت صاحب الأحكام أبي الحسن على بن محمد تنازع، فرفعته إلى القاضى بفرناطة، أبي عبد الله بن السماك العاملى، وكنت يومئذ كاتباً له، فرأى القاضى قوته وقدرته على الكلام وضعفها، وإخفاق^(١) نظمها، وشفق لحالها. وكان يرى أن النساء ضعاف، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمين. وكان كثيراً ما يقول فى مجلسه: رؤيدك، رفقا بالقوادرير. وحين رأى، [ما صدر عن القاضى من الجمل^(٢)]، فقلت له وأين حلاوة شعرك، والقاضى أديب، يهتز إليه ويرتاح، فطلب منى قرطاساً، وجلس غير بعيد. ثم كتب على البديهة بما نصه:

لله حى يا أميم حواك وسحابم فوق الفصون حواك
غذبن حتى خلتهن عفتينى بغنائهن فمضحت [فى]^(٣) مغناك
ذكرتنى ما كنت قد أنسيت بخواب هذا الدهر من ذكراك
أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى صرّف الزمان إلى الزمان فشاكى
يا ابن السماك المستظل^(٤) برمحه والعزل ترهب ذا السلاح الشاكى
راع الجوار فيبيننا فى جونا حق السرى والسير فى الأفلاك

(١) وردت فى الخطوطين (اتفاق). وبالصواب يسغيم المعنى.

(٢) هكذا وردت هذه الجملة فى الزيتونة. ووردت محرفة فى «ج» كالأق: (إن القاسم من الحمل).

(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة».

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» (المستقل). والأول أرجح.

وابسط إلى الخلق المنوب ببسطة ظرف السكرام بعقة الشاك
وأنا ذا كر إن لم يفت من لم يمت فدارك ثم دارك ثم^(١) ذلك
ثم دفعها إلى القاضي ، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة : لبيك ، لبيك .
[ثم أرسلني]^(٢) أصلح بين العقر وزوجه ، فإن وصل صاحبهما إلى خمسين
دينارا ، فأنا أؤديها عنه من مالى ، فجمعت بينهما ، وأصلحت بينهما عن تراض
منهما ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن على بن عبد الله بن على القيسى العرادي^(٣)

من أهل غرناطة

حاله

كان فى حسن السمّت ، ظاهر السكون ، بادی التصوّث والعفة ، دميث
الأخلاق ، قليل الكلام ، كثير الحياء ، مليح الخط ، ظريفه ، بادی النجابة .
أبوه وجده من تجار سوق العطر ، نُبهاء السوق . نظم الشعر ، فُجاء منه بعجب ،
استرسالا وسهولة ، واقتداراً ، ونفوذاً في المطوّلات ، فأُنِفَتْ^(٤) له من الإغفال ،
وجذبته إلى الدار السلطانية ، واشتدّت براعته ، فسكاد يستولى على الأمر .
لولا أن المنيّة اخترمته شاباً ، فسكّل منه الشعر ، قريعُ إجادة ، وبارعُ ثنية
شهرة ، لو انفسح له الأمد .

(١) هذه الكلمة ساقطة في «الر» و«نه» .

(٢) وردت في «ج» «ثم أرسل عني» . وبالتصوير يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات وقد تكون من عرودا أى قوى واشتهر .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات .

مولده : في ذى الحجة عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي مبعوثاً على أيام قريبة من إسماعه بغرناطة ، عن سن قريبة من العشرين ، في عام خمسة وخمسين وسبعمائة . وأبوه أمين العطارين .

محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة فاس .

حاله

من خطِّ القاضي أبي جعفر بن مسعدة ، علّم كتاب دار الإمارة النصرية الغالبية ، الذي ينوره يستصحبون ، وسراجهم الذي بإشرافه وبهجته ، ونهج تحديته يهتدون . رفع لواء الحمد ، وارتدى^(١) بالفهم والعلم والحلم . كان رحمه الله إماماً في الكتابة ، والأدب ، واللغة ، والإعراب ، والتاريخ والفرائض والحساب ، والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق] ^(٢) أربى على الموثقين من الفحول ، المبرزين في حفظ الشعر ونظمه ، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً . درس الحديث ، وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي ، ونسخ الدواوين السكبار ، وضبط كتب اللغة . وقيد على كتب الحديث ، واختصر التفسير للزخشري ، وأزال عنه الاعتزال ، لم يفتر^(٣) قط من قراءة أو درس أو نسخ أو معاملة ، ليلة ونهاره .

(١) وردت في الخطوط (وارند) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» . وقد وردت في «ج» بحرفة كالآتي (عارف والسجلات والتوثيق) .

(٣) وردت في «ج» (يفتر) . والتصويب من «الزيتونة» .

لم يكن في وقته ^(١) مثله .

مشيخته

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي ، وأبي عبد الله بن البيوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالي ، وغيرهم .

شعره

ومنه قوله :

طرقت تتيه على الصبح الأبلج حسناء تحتل اختيال تبرج
في ليلة قد ألّبت بظلامها [نضفاض بُردٍ بالنجوم مدّج] ^(٢)
وشعره مدون كثير .

وفاته

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة [في ذى القعدة منه] ^(٣) .

محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأردزي الإليري الغرناطي
من أهل قرية سُكون ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالأندلسي ، وكانها
تفرقة بينه وبين الحسكي أبي نواس .

(١) وردت في «ج» (وقته) ، والنصوب من «الزبونة»

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الريتونة» كالآتي : (نضفاض البجوم مدّج) .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «ر» «رئونة» .

أوليتيه

قال غير واحد من المؤرخين ، هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة^(١) بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد [أخيه]^(٢) رُوح بن حاتم .

حاله

كان من فحول الشعراء ، وأمثال^(٣) النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يُدرك شأوه ، ولا يُشَقُّ غُبَّاره ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فك المعنى . خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة ، فلقى جوهرًا [المعروف بالكاتب مولى المعز بن المنصور العبَّيْدِي صاحب المغرب]^(٤) وامتدحه ، وكان لُيّا ، فأعانه مائتي درهم ، فوجد لذلك ، وقال أها هنا كريمٌ يُقصد ، فليل بلى ، جعفر بن يحيى بن غلى بن فلاح بن أبي مروان ، وأبو علي بن حمدون ، فامتدحهما^(٥) ، ثم اختصَّ بجعفر بن يحيى وأبي علي ، فبالغا^(٦) في إكرامه ، وأفاض عليه من [النعم و]^(٧) الإحسان ما لم يمرَّ بباله ، وسارت أشعاره فيهما ، حتى أنشدت للمعز العبَّيْدِي ، فوجهه جعفر بن علي إليه في جُملة طُرف وتُحف بعث بها إليه ، كان أبو القاسم أفضلها عنده ، فامتدح [المعز لدين الله]^(٨) ، وبلغ المعز من إكرامه الغاية . ثم عاد إلى إفريقية ، ثم توجه إلى مصر ، فتوفي بِرَقَّة .

(١) وردت محرفة في المخطوطين (فيضة . قبطة) . والصواب ما أثبتناه (عن الوفيات) .

(٢) الزيادة من (الوفيات) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا جمع (مثيل) . ومعناها الفاضل .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فامتدحهم) ، فاقتضى التصويب .

(٦) وردت في «ج» (فيلغا) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) الزيادة من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (المعز بانه) . والصواب ما أثبتناه .

وجرى ذكره في «تخليص الذهب»^(١) من تأليفنا بما نصه : « العُقاب الكاسرة ، والصمصامة الباترة ، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي أعجز عنها^(٢) السِّباق » .

«وصمته» : وذكره ابن شَرَف في مقاماته ، قال : وأما ابن هاني محمد ، فهو تَجْدِي الكلام ، سَرْدِي النظام ، إلا أنه إذا ظهرت معانيه ، في جزالة مبانيه ، رمى عن^(٣) منجنيق لا يؤثر في النفيق . وله غزل مَعْرَى^(٤) ، لا عُدْرَى ، لا يقنع بالطيف ، ولا يُصْفَعُ بغير السيف [وقد قدّه به الذات ، وعظم شأنه فاحتمل الثواب]^(٥) ، وكان يَقِف دولته في أعلى منزلته [ناهيك]^(٦) من رجل يستعين على صلاح دنياه ، بفساد أخراه^(٧) ، لرداءة دينه ، وضعف يقينه . ولو عَقِل ما ضاقت عليه معاني الشعر ، حتى يستعين عليه بالكفر .

شعره

كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله :

أَحْبَبَ بَقِيَّكَ الْقَبَسَابَ قَبَابًا لَا بِالْخِدَاةِ وَلَا الرَّكَابَ رَكَابًا
فِيهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَخَالُهَا عَنَّمَا بِأَيْدِي الْبَيْضِ وَالْعَنَابَا
وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة :

أَلَيْلَتُنَا إِذْ أُرْسِلَتْ وَارِدًا وَجِفًا وَبَانَتْ لَنَا الْجُوزَاءُ فِي أَذْنِهَا شَنْفًا

(١) هو كتاب «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات» . وهو من مؤلفات ابن الخطيب التي لم تصل إلينا .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (عندها) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (على) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (آخرته) .

وبات لنا ساقٌ يقوم على الدجى
أغنُ غضيضٌ جَفَّفَ اللين قدّه
ولم يَبْقِ إِرْعاشُ المدام له يداً
نزينُ قضاةَ السُّكر إلا اوتجاجة
يقولون حَقَفَ^(٢) فوقى خَيْرُ رانة
جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا
فمن كَبِدٍ تُدْنِي إلى كَبِدٍ هَوَى
بِمَيْشِكِ نَبِّه كَأْسَهُ وجفونه
وقد فَكَّتِ الظَّلماء بعض قيودنا
وولتْ نَجْمُومٌ للثريا كأنها
ومرَّ على آثارها دُبرانها
وأقبلت الشعري العبور مُلَمَّة^(٧)
وقد قَبَّلَتْها أَخْطَرُها من ورائها
تخاف^(٩) زئير الليث قدَّم نَثْرَةً
كَأَن مُعَلَّلاً قُطِبَها فُلُوسٌ له

بشمعة صُبِحَ لا تَقَطُّ^(١) ولا تُطْفَأُ
وأثْقَلَتْ الصَّهْبَاءُ أَجْفَانَهُ الوَطْأُ
ولم يَبْقِ إِعْنَاتُ^(٢) التَّنْثِي له عَطْفاً
إذا كُلَّ عنها انْخَصِرَ حَمَلُها الرِّدْفُ
أما يعرفون الخَيْرُ رانة والحَقْفُ
وقدَّتْ لنا الظَّلماء من جِلْدِها حُلْفُها
ومن شَفَةِ تُوْحَى^(٤) إلى شَفَةِ رَشْفُها
فقد نَبَّه الإِبْرِيْقُ من بعد ما أَعْفَا
وقد قام جيش الليل للصبح فاضْطَفَا
خواتيم^(٥) تبدو في بَدَنان يَدٍ تَخْفَا
كصاحب وديء كَمَمَتْ^(٦) خَيْلُهُ خَلْفَا
بمرزما^(٨) اليَعْسُوبُ تَجَنَّبَهُ طَرْفَا
لتنخرق من ثُنْيَا بَحْرَتِها سِجْفَا
وبربر في الظَّلماء يَنْسِفُها نَسْفَا
لواء ان مرَّ كوزان قد كَرِهَ الزَّحْفَا

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تقط). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أعبات) وهو تعريف.

(٣) وردت في المخطوطين (خفف). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تزمى) والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (خواتم).

(٦) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (اكت).

(٧) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (مبله).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (بمرزما).

(٩) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تخال).

كَانَ السَّمَاءُ كَيْنَ الَّذِينَ تَظَاهَرَا عَلَى لُبَّتَيْهِ ضَامِنَانِ لَهُ الْخُتْفَا
 فَذَا رَاحَ يُهْوِي إِلَيْهِ سِنَانُهُ وَذَا أَعَزَلُ قَدْ عَضَّ أَنْمَلَهُ لَهْفَا
 [كَانَ قُدَامِي النَّسْرُ وَالنَّسْرُ وَاقِع قُصِصُنْ فَلَمْ تُسَمِّ الْخَوَافِي لَهُ ضَعْفَا]^(١)
 كَانَ أَخَاهُ حَسِينَ دَوْمَ طَايِرَا أَتَى دُونَ يَصِفُ الْبَدْرَ فَاخْتِطَفَ النَّصْفَا
 كَانَ وَقِيبَ اللَّيْلِ أَجْدَلُ مَرْقَب يُقَلِّبُ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي رِيَشِهِ طَرْفَا
 كَانَ بَنَى نَعَشٍ وَنَعَشٍ مُطَافِل بِوَجَرَةٍ قَدْ أَضْلَلْنَا فِي مُهْمِهِ قَشْفَا
 كَانَ سُهَاهَا عَاشِقٌ بَيْنَ عُود فَاوْتَهُ يَسْدُو وَآوَتُهُ يَخْفَا
 كَانَ سُهَيْلَا فِي مَطَالِعِ [أَقْفَه]^(٢) مَفَارِقِ الْفِ لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ الْفَا
 كَانَ الْهَزِيعُ الْأَبْنُوسِيُّ مُوهِنَا سَرَى بِالنَّسِيجِ الْخُسْرَوَانِي مُلْتَفَا
 كَانَ ظِلَامُ اللَّيْلِ إِذْ مَالُ مَيْلَةٍ صَرِيحُ مُدَامِ بَاتِ يَشْرِبُهَا صِرْفَا
 كَانَ نَجُومُ الصُّبْحِ خَافَانِ مَعَشَرِ^(٣) مِنَ التَّرْكِ نَادَى بِالْمُجَاشِي فَاسْتَخْفَا
 كَانَ لَوَاءُ الشَّمْسِ غُرَّةُ جَعْفَر رَأَى الْقِرْنَ فَازدَادَتْ طَلَاقَتُهُ ضِعْفَا
 [وَقَدْ جَاشَتْ الظُّلُمَاءُ بِيضًا صَوْرَامَا]^(٤) وَمَرْكُوزَةُ سَحْرَا وَفِيضَا ضَعْفَا
 وَجَاءَتْ عِثَاقُ الْخَيْلِ تَرْدَى كَانَهَا تَخْطُ لَنَا أَقْلَامُ آذَانِهَا صُحْفَا
 هِنَا لَكَ تَلَقَّى جَعْفَرًا خَيْرَ جَعْفَر وَقَدْ بَدَّلَتْ يُمْنَاهُ مِنْ لَيْنِهَا عُنْفَا
 فَكَأَنَّ^(٥) تَرَاهُ فِي الْكَرِيهَةِ عَاجِلَا عَزِيمَتُهُ بَرَقَا وَصَوْلَتُهُ خُطْفَا

(١) هذا البيت ساقط في «ج». ووارد في «الزيتونة»، وفي شطرته الثانية بعض التحريف والنقص كالآتي (قصص فلم يستطع ضعفا).

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة». وساقطة في «ج».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (مشر) وهو تحريف.

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة». وقد وردت في «ج» كالآتي (وقد جاشت الدنيا بيضا صوارما).

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كأين).

وشعره كثير مدون ، ومقامه شهير . وفيما أوردناه كفاية . وهو من
إلبيرة^(١) الأصيلة^(٢) .

وفاته

قالوا ، لما توجه إلى مصر ، شرب بيرة ومسكر ونام عريانا ، وكان البرد
شديداً فأفلج^(٣) ، وتوفي في سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وهو [ابن]^(٤) اثنين
وأربعين سنة . ولما بلغت المعز وفاته ، تأسف عليه وقال ، هذا رجل كنا
نطعم^(٥) أن نفاخر به أهل المشرق .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم [بن علي]^(٦)
الغساني البرجي [الغرناطي]^(٦)
يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة .

حاله

فاضل مجمع على فضله . صالح الأبوة ، طاهر النشأة ، بادي الصيانة والعفة ،

(١) إن رواية ابن الخطيب عن كون ابن هاني من «إلبيرة الأصيلة» (وكان موقعها بجوار
غرناطة) تخالف الرواية الجارية من كونه قد ولد ، وفقاً لابن خلكان ، بمدينة إشبيلية (الوحدات ج ٢
ص ٥) . ويلاحظ لنا أن رواية ابن خلكان هي الأرجح . لأنها أقدم بكثير من رواية ابن الخطيب ،
وأقرب لعصر الشاعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأصيلة) والمؤددي واحد .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ففلج) . والاولى أفضل .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نريد) .

(٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» . ووردت في هامش «ج» عبارة (ابن يحيى

البرجي) .

طُرِف في الخير والحشمة ، صدر في الأدب . جُمُ المشاركة ، ثاقب الذهن . جميل
العشرة (١) ، مُتَمِّع المجالسة . حسن الخط والشعر والكتابة . فذ في الانطباع .
صَنِيع (٢) اليدين ، يحكم على الكثير من الآلات العلمية . ويجيد تفسير الكتاب .
رحل إلى العُدوة ، [وتوسّل إلى ملكها] (٣) ، يُجَدِّد الرسم ، ومقام الجَلَّة . وعلم
دَسَمَت الشعر والكتابة [أمير المسلمين] (٤) أبي عنان فارس ، فاشتمل عليه ،
ونوّه به ، وملاً بالخير يَدَه ، فاقتنى جِدةً وحَظوةً وشُهرةً ، وذ كراً ، وانقبض
مع استرسال الملك ، وآثر الراحة ، وجَهَد في التماس الرُّحلة (٥) الحجازية ، وبند
الكل ، وسلا الخُطّة ، فأسعفه سلطانه بغرضه ، وجعل حَبْلَه على غاريه . وأصبحه
رسالة إلى النبي الكريم من إنشائه ، متصلة بقصيدة من نظمه ، وكلاهما تَعْلَن (٦)
في الخلفاء بَعْدَ شأوه ، ورسوخ قدم علمه . وعراقة البلاغة ، في نَسَب خَصْلَه ،
حسباً تضمّنه الكتاب المسمى « بِمُاجَلَة الْبَيَان » . ولما هلك ووُلَّى ابنه ،
قدّمه قاضياً بمدينة مُلْسِكَة (٧) ، وضاعف التَّنْوِيه به ، فأجرى الخُطّة ، على سبيل
من السِّداد والنزاهة . ثمّ لما وُلَّى السلطان أبوسالم عمه ، أجراد على الرسم المذكور .
وهو الآن بحاله الموصوفة ، مَفْخَر من مفاخر [ذلك الباب السلطاني على تمثُّدِ

-
- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المعاصرة) .
(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (صبيغ) وهو تحريف . وصنيع أي
ماهر في الصنعة .
(٣) وردت مكانها في المخطوطين هذه العبارة المخرفة (وتوسل إلى ملطف) . والتصويب من
نفع الطيب .
(٤) الزيادة من النسخ .
(٥) وردت في المخطوطين (الراحة) وهو تحريف . والتصويب من النسخ .
(٦) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (تعل) .
(٧) مدينة ملكة ، أي المدينة التي بها مقر ملكه ، وهي مدينة فاس .

مفاخره^(١) [يحظى^(٢) بكل اعتبار .

شعره

[^(٣) ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا ، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر من أنشد ليلئذ من الشعراء مانصه :

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي ، جملة السداجة ، وكرم الخلق ، وطيب النفس ، وخذن العافيه ، وابن الصلاح والعبادة ، ونشأة القرآن ، المتحيز إلى حزب السلامة ، المنقبض عن الغمار ، العزوف عن فضول القول والعمل ، جامع المحاسن ، من عقل رصين ، وطَلَب ممتع ، وأدب نقّادة ، ويدٍ صنّاع ، أبو القاسم ابن أبي زكريا البرّجى ، فأُنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

أصغى إلى الوجد لما جدّ عائبه	صبّ له شغل عن يعاتبه
لم يُعط للصبر من بعد الفراق بدا	فضل من خلّ إرشاداً يخاطبه
لولا اللئوى لم يبت حيران مكتئبا	يغالب الوجد كتما وهو غالبة
يستودع الليل أسرار الغرام وما	نمليه أشجائه فالدمع كاتبة
لله عصرٌ بشرقٍ الجمى سَمَحَتْ	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودّعوا إذ ودّعوا حرّقا	يُصلى بها من صميم القلب ذائبة

(١) م بين الحاصرتين منقول من نفح الطيب . وقد ذكرنا مكانه في المخطوطين (ذلك السلطان) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) أورد ابن المقرئ في «نفح الطيب» ترجمة أبي القاسم البرجى نقلا عن كتاب «الإحاطة» . وقد وردت به بعد كلمه «شعره» البيضة المسطورة . ثم القصيدة الكبيرة التي نظمها البرجى في مديح الرسول . وهي تحتوي على سبع وثلاثين بيتاً وهذا كله ساقط في المخطوطين . ومن ثم فقد اعتمدنا في عملهم على «نفح الطيب» (ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٥) .

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا
ويا أهيل ودادي والنوى قذف
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه
ويا ربوع الحلى لازلت ناعمة
يا من قلب مع الأهواء منعطف
يسمو إلى طلب الباقي بهمة
وفتنة المرء بالمألوف مفضلة
أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي
ولن ترى كالموى أشجاء سالفه
وهمة المرء تغليه وتُرخصه
ما هان كسب المعالي أو تناولها
لولا سرى الفلك السامي لما ظهرت
في ذمة الله ركب للعلا ركبوا
يرمون عرض الفلايا السير عن غرض
كانهم في فؤاد الليل سر هوى
شدوا على لب الرضاء وطأتهم
وكفوا الليل من طول السرى شطاً
حتى إذا أبصروا الأعلام مائلة
بحيث يأمن من مولاه خائفه
فيها وفي طيبة الغراء لي أمل
لم أنس لا أنس أليماً بظلمهما
شوق إليها وإن شط المزار بها

كعهدنا أو يرد القلب ساكبه
والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه
وصادع الشمع يوم الشعب شاعبه
يبكى عهدك مضى الجسم شاعبه
في كل أوب له شوق يجاذبه
والنفس بالليل للفاني تطالبه
والأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه
يال للرجال سبت جدى ملاعبه
ولا كوعد المني أحلاه كاذبه
من عز نفساً لقد عزت مطالبه
بل هان في ذاك ما يلقاه طالبه
آبارؤه ولما لاحت كواكب
ظهر السرى فأجابتهم نجائيه
على السجل إذا ما جد كاتبه
لولا الضرام لما خفت جوائبه
فخاص في لجة الظلماء راسبه
فخلفوه وقد شابت ذوائبه
بجانب الحرم المحصى جانبه
من ذنبه وينال القصد واغبه
يصاحب القلب منه ما يصاحبه
سقى نراه عيم الغيث ساكبه
شوق المقيم وقد سارت جبايه

إِنْ رَدَّهَا الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ مَا عِثِرَتْ
مَعَاهِدُ شَرْفَتْ بِالمُصْطَفَى فَلَهَا
مُحَمَّدُ الْمُجْتَبَى الْهَادِي الشَّفِيعُ إِلَى
أَوْفَى الْوَرَى ذِمًّا أَسْمَامُ هِمًّا
هُوَ الْمُسْكِنُ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ
عَنَاءَةٌ قَبْلَ بَدْءِ الْخَلْقِ سَابِقَةٌ
جَاءَتْ تُبَشِّرُنا الرُّسُلُ الْكَوَامُ بِهِ
أَخْبَارُهُ سِرٌّ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَسُلْ
تَطَابِقُ الْكُونُ فِي الْبُشْرَى بِمَوْلَاهُ
فَالْجَنُّ تَهْتَفُ إِعْلَانًا هَوَاتِفُهُ
وَلَمْ تَزَلْ عَصَةِ التَّائِيدِ تَكْنِفُهُ
سَرَى وَجَنَحْ ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَسْمُو لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنْهُ مَنْفَرْدُ
لَمْ تُنْهَى وَقْفُ الرُّوحِ الْأَمِينِ بِهِ
لَقَبَابُ قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى فَمَا عِلْمَتْ
أَوَاهُ أَسْرَارِ مَا قَدْ كَانَ أَوْدَعَهُ
وَأَبَّ وَالبَدْرُ فِي بَحْرِ الدُّجَى غَرِقُ
فَأَشْرَقَتْ بِسَنَاهُ الْأَرْضُ وَاتَّبَعَتْ
وَأَقْبَلَ الرُّشْدُ وَالتَّاحَتْ زَوَاهِرُهُ
وَجَاءَ بِالذِّكْرِ آيَاتٍ مَفْصَلَةٌ
نُورٌ مِنَ الْحُكْمِ لَا تَخْبُو سِوَا طَعْمِهِ
لَهُ مَقَامُ الرِّضَا الْحَمُودُ شَاهِدُهُ

فِي الشَّمْسِ مَنْ يَدَاهُ لَا نَعَاتِبُهُ
مِنْ فَضْلِهِ شَرْفٌ تَعْلُو مَرَاتِبُهُ
رَبُّ الْعِبَادِ أَمِينُ الْوَحْيِ عَاقِبُهُ
أَعْلَاهُمْ كَرَمًا جَلَّتْ مَنَاقِبُهُ
زَكَتْ حُلَاهُ كَمَا طَابَتْ مَنَاسِبُهُ
مِنْ أَجْلِهَا كَانَ آتِيهِ وَذَاهِبُهُ
كَالْصَبْحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُهُ
بِدَيْرِ تَيْمَامٍ مَا أَبْدَاهُ وَاهِبُهُ
وَطَبَّقَ الْأَرْضَ أَعْلَامًا تَجَاوِبُهُ
وَالْجَنُّ تَقْدِفُ إِحْرَاقًا ثَوَاقِبُهُ
حَتَّى انْجَلَى الْحَقُّ وَانْزَاحَتْ شَوَائِبُهُ
وَالْقَعَمُ لَا يَهْتَدِي فِي الْأَفْقِ سَارِبُهُ
عَنِ الْأَنَامِ وَجِبْرَائِيلُ صَاحِبُهُ
وَامْتَازَ قُرْبًا فَلَا خَلْقُ يُقَارِبُهُ
نَفْسٌ بِمَقْدَارِ مَا أَوْلَاهُ وَاهِبُهُ
فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ بَادِيهِ وَغَائِبُهُ
وَالصَّبْحُ لَمَّا يَوْبُ لِلشَّرْقِ آيِبُهُ
سُبُلُ النِّجَاةِ بِمَا أَبَدَتْ مَنَازِبُهُ
وَأَذْبَرَ الْغَى فَاَنْجَابَتْ غِيَايِبُهُ
يَهْدِي بِهَا مَنْ صِرَاطُ اللَّهِ لِاحِبُهُ
يَخْرُجُ مِنَ الْعِلْمِ لَا تَقْنَى عَجَائِبُهُ
فِي مَوْقِفِ الْحُشْرِ إِذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ

والرُّسل تحت لواء الحمد يُقدِّمُها محمدٌ أحمدُ السامى مراتبه
له الشِّفَاعَاتُ مقبُولاً وسَائِلُهَا إذا دهِى الأمر واشتدت مصاعبه
والخوض يروى الصِّدْقُ من عَذْبٍ مَوْرَدِهِ لا يشتكى غُلَّةَ الظَّمانِ شاربِهِ
محمَّدُ المصطفى لا ينتهى أبداً تَعْدَادُهَا هل يِعُدُّ القَطْرُ حاسبِهِ
فضلٌ تكفل بالدارين يوسِّعُهَا نَعْمَى وَرَحْمَى فلا فضلٌ يناسبِهِ
حسبى التَّوَسُّلُ منها بالذى سَمَحَتْ به القوافى وجَلَّتْهَا غرائبِهِ
حَيَّاهُ من صلوات الله صَوَّبُ حَيَّا تُجَدِّى إلى قبره الزَّاكِي نَجَائِبِهِ
وخلَّد الله مُلْكُ المستعِين به مؤيد الأمر منصوراً كِتَابَتِهِ
إمام عدل بتقوى الله مشتمل فى الأمر والنهى يُرضيه يُراقِبِهِ
مَسَدُّ الحُكْمِ ميسونٌ تَقِيَّتُهُ مُظَفَّرُ العزم صِدْقُ الرأى صَائِبِهِ
مَشَرُّ اللَّتَقَى أَذْيَالُ مَجْتَمَعِهِ جرَّارُ أَذْيَالِ سَحْبِ الجود سَاحِبِهِ
قد أوسَّعت أَمَلُ الرَّاجِى مَكَارِمُهُ وأَحْسَبْتُ رَغْبَةَ العافى رَغَائِبِهِ
وفاز بالأمن محبوباً مسالمة وباء بالخزى مقهوراً مُحَارِبِهِ
كم وافِدِ آمَلٍ معهودَ نائلِهِ أثْنَى وَأَثْنَتُ بما أُولَى حَقَائِبِهِ
ومستجير بـعِزٍّ من مَثَابَتِهِ عَزَّتْ مَرَامِيهِ وَاِنْقَادَتْ مَآرِبِهِ
وجاءه الدهر يَسْتَرْضِيهِ مُعْتَذِراً مُسْتَغْفِراً من وقوع الذنب تَائِبِهِ
لولا الخليفةُ إبراهيمُ لَانْهَبَتْ طرق المَعَالِى ونال الملك غَاصِبُهُ
سَمَتْ لَنِيلُ تَرَاثِ المجد هَمَّتُهُ والملكُ مِيرَاثِ مَجْدٍ وهو عَاصِبُهُ
يُنْمِيهِ لَازِزٌ والعَلَمُيا أبو حَسَنِ سَمَحَ الخِلَافَةُ محمودٌ ضَرَائِبِهِ
من آلِ يَعْقُوبَ حَسْبُ المَلِكِ مُفْتَخِراً بِيَابِ عِزِّهِمُ السامى تَعَاقِبِهِ
أَطْوَادُ حِلْمٍ رَسَا بالأرضِ مُحْتَدُهُ وزاحت مَنَسِكِبُ الجوزِا مَنَاكِبُهُ
تَحْفَهَا من مَرَيْنِ أَهْجَرُ زَخَرَتْ أَمَواجِها وَغَمَامٌ ثَارَ صَائِبِهِ

بكل نجم لدى الهيجاء ملتهبٌ
أَكْفَهُمْ في دياجيبها مطالعة
ياخير من خلّصت لله نيتُهُ
جرّدت والفتنة الشعواء ملهبة
وخضتها غير هيّاب ولا وكي
صبرت نفساً لعقبي الصبر حامدة
فليسكن دين الهدى إذ كنت ناصره
لا زال ملكك والتأييد يخدمه
ودمت في نعم تضيفوا ملابسها
ثم الصلاة على خير البرية ما
ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
وفي نحوّر أعديهم مغاربه
في الملك أو خطب العلياء خاطبه
سيفاً من العزم لا تنبو مضاربه
وقلما أدرك المطلوب هائبه
والصبر مذ كان مخوّد عواقبه
أمن يواليه أو خوف يجالبه
تقضى بخفض مناويه قواضيه
في ظل عزّ علّا تصفو مشاربه
سارت إليه بمشتاق ركائبه^(١)
ومن شعره ما قيّده لي بخذه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة الميرينية^(٢)،
الفقيه الرئيس الصدر المتقن [أبو زيد بن خلدون]^(٣).

صحا القلب عما تعلين فأقلما^(٤)
وأصبح لا يلوى على حدّ منزل
وأضحى من السلوان في حرز معقل
[يرد الجفان الثجل عن شرفاته
وعطلّ من تلك المعاهد أربعا
ولا يتبع الطرف الخلل المؤدعا
بعيداً على الأيام أن يتضعضا
وإن لحظت عن كل أجيد أتلما^(٥)

(١) إلى هنا تم ما نقلناه عن «نفع الطيب» ما نقله بدوره عن «الإحاطة» في ترجمة أبي القاسم
البرجي خاصاً بشعره، وهو كذلك ما دونه ابن الخطيب بكتابه «نفاضة الجواب». وكل ذلك حسبما
قدمنا ساقط في مخطوطي «ج» و«الزيتونة». ونعود بعد ذلك لاستئناف النقل عن المخطولين.

(٢) الحضرة الميرينية أو حاضرة بئى مزين، هي ضحية مدينة فاس المسماة «بالبلد الحديدة».

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «ج». وورد في «الزيتونة» والنفع.

(٤) هكذا في «ج» والنفع. وفي «الزيتونة» (فأقلما).

(٥) هكذا. وهذا البيت في «النفع». وقد ورد محرفاً في المخطولين على النحو الآتي:

(يرى الحيوان الخلل من شرفاته وإن لحظت عن كل أجيد املما - ملعد)

عزيز على داعي الغرام انقياده^(١) وكان إذا ناداه^(١) للوَجْدِ أَهْطَعَا
أهاب به للشَّيْبِ أَنْصَحَ واعْظِ أَصَاخَ له قلباً مُنِيئاً وَمَسْمَعَا
وسافر في أفق التفكير والحجا زواهره لا تبرخ^(٢) الدهر طُلُعَا
لعمري لقد انضيت^(٣) عزمي تطالبا وقضيت^(٤) عُمرى رُقِيَةً وتطلعا
وخضت عُباب البحر أخضر مزبدا ودُست أديم الأرض أغبر أسفعا
ومن شعره حسبما قيده المذكور :

نَهاه النَّهْيَ بعد طول التجارب ولاح له منهج الرُّشد لاجِب
وَخاطبه دهره ناصحاً بالسنة الوعظ من كل جانب
فأضحى إلى نصحه واعياً وألغى حديث الأمانى الكواذب
وأصبح لا تَسْتَبِيه الغواني ولا تَرْدِيه حظوظُ المناصب

وإحسانه كثير في النظم والنثر ، والقصار والمطولات . واستعمل في السفارة
إلى ملك مصر [وملك]^(٥) قَشْتَالَةَ ، وهو الآن قاضي مدينة فاس ، نسيجُ وحده ،
في السلامة والتخصيص ، واجتناب فضول القول والعمل ، كان الله له .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن يوسف [بن محمد]^(٦) الصَّرْمَحِي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زَمْرَك . أصله من شرق الأندلس ، وسكن
سلفه رِبَضَ البِيَّازِين من غرناطة ، وبه^(٧) وَلَدُونشَا ، وهو من مفاخره^(٨) .

(١) وردت في «ج» أنداه . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٢) هكذا وردت في «ج» و «النفع» . وفي «الزيتونة» (يرتجى) .

(٣) هكذا في «الزيتونة» والنفع وفي «ج» أمضيت (٤) هكذا في «ج» و «النفع» وفي «الزيتونة» وقطعت

(٥) الزيادة من النفع : (٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٧) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (وبها) .. والشاهد أن الإحالة هنا على غرناطة .

(٨) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (مفاخرها) . والإحالة هنا على غرناطة .

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نخبائها، مختص، مقبول، هش، خلوب، عذب الفكاهة، حلوا المجالسة، حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعارض، حاضر الجواب، شغلة من شغل الذكاء، تسكاد تحتدم^(١) جوانبه، كثير الرقة، فككه، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفواً، طاهراً، كليلًا بالقراءة، عظيم الثؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أَرْجُهُ^(٢)، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة^(٣) من الفنون، وأصبح [مُتَلَقِّفٌ كُرَّةً]^(٤) البحث، وصارخ الحَلَقَةِ^(٥) وسابق الحَلَبَةِ، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] ^(٦) دَرَج (٧) المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلماً فوق الكرسى [المنصوب]^(٨) وبين الحفل المجمع، مُسْتَظْهِراً بالفنون التي بُعِدَ فيها شأؤه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لُج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقاً مع ذلك، إلى السلوك، مصاحباً للصفوية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، [ثم عانى الأدب، فكان أملك به، وأعمل الرُّحلة

(١) هكذا في «ج» والنفح. وفي «الزيتونة» (تنحرم) وهو تحريف.

(٢) وردت في المخطوطين (رجله) والتصويب من النفح.

(٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي النفح (كثير).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النفح. وقد وردت محرفة في المخطوطين كالاتي (متقلب

من كثرة).

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي النفح. ووردت في «الزيتونة» (الخلقة).

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» والنفح (درجة) والأولى أرجع.

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين. وواردة في النفح.

في طلب العلم^(١) والازدياد ، وترقى إلى الكتابة ، عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف [في] باب الإجابة . ولما جرت الحادثة على السلطان^(٢) صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس به ، وانقطع إليه ، وكرّر صحبة ركابه ، إلى استرجاع حقه ، فأعطى منه محله ، وخصه بكتابة سرّه . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة^(٣) ، فأقرّه^(٤) على رسمه ، معروف الانقطاع والصّافية ، كثير الدالة ، مضطلعا بالخطة ، خطأ وإنشاءً ولسناً ونقداً ، فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته^(٥) ووسيع الناس تخلفه ، وأرضى السلطان محله^(٦) . وامتد في ميدان النثر والنظم باعه ، فصدر عنه [من المنظوم]^(٧) في أمداحه . قصائد [بعيدة الشّأو]^(٨) في مدّى الإجابة ، حسبما يشهد بذلك : ما تضمّنه اسم السلطان أيده الله في أول حرف الميم ، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات ، وغيرها . وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن]^(٩) . أعانه الله وسدده .

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رحلة الوقت^(١٠) في فنها أبي عبد الله بن الفخار [نم]^(١١)

(١) ما ورد بين الحاصرتين ساقطة في المخطوطين . ووارد في النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، واردة في النسخ .

(٣) وردت في المخطوطين (طائفة) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «النسخ» . ووردت في «ج» (فأقر له) وهو تحريف .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . ووردت في «الزيتونة» (واسطته) .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» والنسخ . ووردت في «ج» (رحلة) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ . وساقطة في المخطوطين .

(٨) هذه العبارة واردة في «ج» وفي النسخ . وساقطة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (إلى هذا العهد) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» . وفي النسخ (المغرب) .

(١١) الزيادة من النسخ .

على إمامها القاضي الشريف . إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني ، والفقه والعربية على الأستاذ المفتي^(١) أبي سعيد بن لب ، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق ، فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس وذاكره ، وقرأ الأصول [الفقهية]^(٢) على أبي علي منصور الزواوي ، وروى عن جملة ، منهم القاضي أبو البركات بن الحاج ، والمحدث أبو الحسن بن التلمساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي ، والمقرئ أبو عبد الله بن يبيش . وقرأ بعض الفنون [العقلية]^(٣) بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله [العلوي]^(٤) التلمساني [واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة مران ، وحسكة في الصناعة]^(٥) .

شعره

وشعره مترام إلى نمط^(٦) الإجادة ، خفاجي^(٧) التزعة ، كلف بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصقيلة ، غزير المادة . فمنه في غرض النسيب :

رضيتُ بما تقضى عليّ وتحكمُ أهان فأقصي أم أصفى فأكرم
إذا كان قلبي في يديك قياده فمالي عليك في الهوى أتحكم
على أن رُوحِي في يديك بقاؤه بوصلك يحيي أو يهجرك يُعدم

(١) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» وفي «النسخ» وساقط في «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «النسخ» (هدف) .

(٧) وردت في المخطوطين (خفاجيد) . والتصويب من النسخ .

وَأَنْتِ إِلَى الْمُشْتَاكِ نَارٌ وَجَنَّةٌ
وَلِي كَيْدٍ تَذْدِي إِذَا مَا ذُكِرْتِمْ
وَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْكَ بِالْبَرْقِ مَا سَرَى
أُرَاعِي نَجُومَ الْأَفْقِ فِي اللَّيْلِ مَا دَجَى
وَمَا زِلْتُ أَخْنِي الْحُبَّ عَنْ كُلِّ عَادِلٍ
كَسَانِي الْهَوَى ثَوْبَ السَّقَامِ وَإِنِّهِ
فِي أَمْنٍ لَهُ الْعَقْلُ الْجَمِيلُ سَجِيَّةٌ
وَعَنْهُ يُرَوِّى النَّاسُ كُلُّ غَرِيبَةٍ
إِذَا أَنْتِ لَمْ تَرْحَمْ خُضُوعِي فِي الْهَوَى
وَحَلَمِكَ حِلْمٌ لَا يَلِيْقُ بِمَذْنَبِ
وَوَاللهُ مَا فِي الْحَيِّ حَيٌّ وَلَمْ يَنْلِ
وَمَنْ قَبْلَ مَا طَوَّقْتِي كُلَّ نِعْمَةٍ
وَفَتَحْتَ لِي بَابَ الْقَبُولِ مَعَ الرِّضَى
وَلَوْ كَانَ لِي نَفْسٌ تَخُونُكَ فِي الْهَوَى
وَأَتْرَكَ أَهْلِي فِي رِضَاكَ إِلَى الْأَسَى
أَمَّا وَالَّذِي أَشَقَّى فُؤَادِي فِي الْهَوَى

يُبْعِدُكَ يَشْقَى أَوْ يُقْرِبُكَ يَنْعَمُ
وَقَلْبٌ بَنِيرَانِ الشَّوْقِ ^(١) يَتَضَرَّعُ
وَلَا اسْتَصْحَبَ الْأَنْوَاءَ تَبْكِي وَتَبْسُمُ
وَأَقْرَبُ [مَنْ عَيْنِي لِلنَّوْمِ] ^(٢) أَنْجُمُ
وَتُسْقَى دُمُوعَ الصَّبِّ مَا هُوَ يَكْتُمُ
مَتَى صَحَّ حُبُّ الرَّءْ لَا شَيْءٌ يُسْقَمُ
وَمَنْ جُودَ يَمْنَاهُ الْحَيَا يُتَعَلَّمُ
تُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وَتُرْسَمُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُحْنِي ^(٣) عَلَى وَيَرْحَمُ
فَمَا بَالُ ذَنْبِي عِنْدَ حِلْمِكَ يَعْظُمُ
رِضَاكَ وَعَمَّتْهُ أَيَادٍ وَأَنْعَمُ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سِوَارٌ وَمِعْصَمُ
[يَغْضُ الْحَيُّ طَرَفِي كَأَنِّي مُجْرَمُ] ^(٤)
لِفَارَقَتِهَا طَوْعًا وَمَا كُنْتُ أَنْدَمُ
وَأَسْلَمُ نَفْسِي فِي يَدَيْكَ وَأَسْلَمُ
وَلِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (التشوق).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (من نومي للعين). والأولى أنسب للوزن والسياق.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (يحنو).

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج». ووردت في «الزيتونة» كالتالي: (فما بال ذاك أنياب دوفي مبهمة).

لأنت من قلبي ونزهي خايطي ومورد آمل وإن كنت أحرَم^(١)
 [ومن ذلك ما خاطبني به ، وهي من أول نظمه ، قصيدة مطامها : «أما وانصداع
 النور في مطلع الفجر» وهي طريفة^(٢) . ومن بدائعه التي عَقِمَ عن مثلها قياسُ
 قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتهاؤ الرُّهد بأويس ، ولم يحل بُجاره ومُباريه
 إلا بويح وويس ، قوله في إعنار الأمير ولدِ سلطانه المنوره بمكانه ، وهي
 من الكلام الذي عُثيت الإجادة بتذهيبه وتهذيبه ، وناسب الحسن بين
 مديحه وأسببه :

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا	وأن يُشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعطِ الحبَّ فضل مقادني	ويقضى على الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صَبوة	رَمَتْ بي في شُعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما انبرق أومض موهبا	قدحت به زناداً من الشوق واريأ
خليلي إني يوم طارقة النوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم التفرد يا أم مالك	تخلفت قلبي في حبالك عانيا
وذى أشر عذب الثنايا مخصر	يسقى به ماء النعيم الأفاخيا
أحوم عليه ما دجى الليل ساهرا	وأصبح دون لورد ظمآن ضاريا
يضى ظلام الليل ما بين أضلعي	إذا البارق النجدي وهنا بدا ليا

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» ولم ترد في «نفع الطيب» . ومن جهة أخرى فإن ترجمة ابن زمرك التي ينقلها إلينا المقرئ في نفع «الطيب» من «الإحاطة» تتضمن عدة قصائد طويلة لم ترد في «المخطوطين» . وقد رأينا أن نتتبع نص الترجمة في «نفع الطيب» ، وأن نورد من هذه القصائد أجزاء فقط لأنها من المطولات . ثم نعود بعد ذلك فننتبع نص المخطوطين .

(٢) يقول في هذه القصيدة بعد أبيات :

لك الله فذ الجلالة أوحده تطاوعه الآمال في النهي والأمر

أجبرتنا بالرمل والرمل منزل مضى العيش فيه بالشبية حاليا
ولم أربعا منه أفضى لبانة وأشجى حمامات وأحلى بجانيا
سقت طله الغر الغواذى ونظمت من القطر فى جيد الغصون لاليا
أبشكم أنى على النأى حافظ ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم والحره أوفى بهمه ولن يعدم الخير والأحسان جازيا^(١)

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الأحابيش
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسحى بالزرافة ، فأمر من
يعانى الشعر من الكتّاب بالنظم فى ذلك الغرض ، فقال وهى من بدائعها :

لولا تألق بارق التذكار ما صاب واكف دمعى المدوار
لكنه مهما تعرض خافقا قدحت يد الأشواق زند أوارى
وعلى المسوق إذا تذكر معهدا أن يعرى الأجنان باستعبار
أمدكرى غرناطة حلت بها أيدى السحاب أزرة الثوار
كيف التخلّص للحديث وبيننا عرض الفلاة وطانح زخار
وغريبة قلعت إليك على الونى بيداً تبیدُ بها هوم السارى
تنسيه طيته التى قد أمها والركب فيها ميت الأخبار
يقتادها من كل مُشمّل الدجى وكأنا عيناها جنوة نثار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلّصت منها خلوص البدر بعد سرار
سكّمت بسعدك من غوائل مثلها وكفى بسعدك حامياً للدار
وأنتك ياملك الزمان غريبة قيّد النواظر نزهة الأبصار
موشية الأعطاف رائقة الحلى رقمت بدائعها يد الأقدار

(١) تقع هذه القصيدة فى أربعة وثمانين بيتا . وقد وردت فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٧٥

راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار
 ما بين مبيض وأصفر فاقع سال الأجين به خلال أنصار
 يمحكي حدائق نرجس في شاهق تنساب فيه أرقام الأنهار^(١)
 وأنشد السلطان في ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من
 البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى .

تأمل أطلال الهوى فتألبا وميا الجوى والسقم منها تعلم
 أخو زفرة هاجت له منه ذكره فأنجد في شعب العزام وأتهما
 وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك
 الطراد وأرسلها قوله :

حياك يادار الهوى من دار نوء السماك بديعة مدار
 وأعاد وجه ربك طلقاً مشرقاً متضاحكاً بمباسم النوار
 أمذكري دار الصبابة والهوى حيث الشباب يرف غصن نصار
 عاطيتني عنها الحديث كأنما عاطيتني عنها كؤوس عصار
 إيه وإن أذيت نار صبابي وقدحت زند الشوق بالتذكار
 يا زاجر الأظمان وهي مشوقة أشبهتها في زفرة وأوار
 حنت إلى نجد وليست دارها وصبت إلى هندية والقار
 شاققت به برق الحلى واعتادها طيف السكرى بمزارها المزوار^(٢)
 ومن شعره في غير المطولات :

(١) تقع هذه القصيدة في نحو تسعين بيتاً . وقد وردت مع الاختصار في نفح الطيب ج ٤

ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) تقع هذه القصيدة في أربعة وسبعين بيتاً . وقد وردت في نفح الطيب ج ٤ ص

٢٨٠ - ٢٨٣ . وإلى هنا ينتهي ما أورده نفح الطيب من مطولات ابن زمرك . ومن بعدها تستأنف
 تدوين نص المخطوطين .

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى ذبالٌ بأذيال الظلام قد التفتاً
تشير وراء الليل منه [بمناة^(١)] مُحَضَّبَةٌ والليل قد حجب الكفا^(٢)
تلوح سناناً حين لا تنفخ^(٣) الصبا وتبدو سواراً حين تُثني له العففا
تطمتُ به ليلاً يُطارحنى الجوى فأونةٌ يبدو وأونةٌ يُخفى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه وإن قلت [لا يخبو الصبا إذ لفأ^(٤)]
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى وأهدى نسيم الروض من طيبة عرفا^(٥)
لك الله يا مصباح أشبهت مُهجتي وقد شفى من لوعة الحب ما شفا

[ومما ثبت له في صدر رسالة :

أرور بقلبي معبد الأنس والهوى وأنهبُ من أيدي النسيم وسائلا
ومهما سألتُ البرق يهفون الحُمى يبادره دمعى مجيباً وسائلا
فياليت شـمرى والأمانى تعلَّل أيرعى لى الحى الكرام الوسائلا
وهل جِيرتى الأولى كما قد عهدتهم يوالون بالإحسان من جاء سائلا^(٦)
ومن أبياته للغراميات^(٧) :

قيادى^(٨) قد تملكه الغرام ووَجْدى لا يطباق ولا يُرام

(١) الزيادة من النفخ .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» وفي النفخ . وساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفخ . ووردت في «الزيتونة» (تقى) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفخ كالأق (لا يخفى

الضياء به كفا) .

(٥) هذا البيت وارد في «الزيتونة» وفي النفخ . وساقط في «ج» .

(٦) لم يرد هذا الشعر في المخطوطين ، ونقلناه عن نفح الطيب .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» وفي النفخ . ووردت في «الزيتونة» كالأق (ومنه

مثل ذلك) .

(٨) هكذا وردت في «ج» والنفخ وفي «الزيتونة» (فؤادى) .

ودمى دونه صوب الفوادى وشجوى فوق ما يشدو الحمام
إذا ما الوجد^(١) لم يترح فزادى على الدنيا وساكنها السلام
وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومشتعل بالحسن أخوى مهتف قضى رجع طرقي من محاسنه الواطر
فأبصرت^(٢) أشباه الرياض محاسناً وفى خدّه جرح^(٣) بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الخنجر إنما به وصّب من أسهم الغنيج والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لخطه ومن شأنها تدمى من [الأمح بالبصر]^(٤)
تُخيل للعنين جرحاً وإنما بدا كلف منه على صفحة القمر

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق فى ذلك :

يا لايى^(٥) فى الجود والجود شيمتى جُبلت على آثارها يوم مولدى^(٦)
ذرىنى فلو أنى أخلد بالغنى لكنت ضنيناً بالذى ملكت يدى

ومن مقطوعاته :

لقد علم الله أنى امرؤ أجّر ثوب العفاف الشيب
فكم نغص الدهر أجفانه وفازت قِداحى بوصل الحبيب
وقيل وقبيلك فى غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب

(١) وردت فى المخطوطين (المجد) . والتصويب من النفع .

(٢) وردت فى المخطوطين (فأبصر) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت فى «النفع» . ووردت فى المخطوطين (حسن) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «النفع» ووردت فى المخطوطين (الاحفظ والبصر) والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النفع» (الائمة) .

(٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «النفع» . ووردت فى «ج» (مولود) وهه تعريف .

[وفي مدح كتاب الشفاء^(١) طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع

في شرحه :

وَمَسْرَى رِكَابٍ لِلصَّبَا قَدْ وَنَتْ بِهِ نَجَائِبُ سُحْبٍ لِلتَّرَابِ نَزْوَعُهَا
تَسِيلُ سَيُوفُ الْبَرْقِ أَيْدَى حُدَاتِهَا فَتَنْهَلُ خَوْفًا مِنْ سَطَاهَا دَوْعُهَا
ومنها :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه فَقَدْ بَانَ فِيهِ لِلْعُقُولِ جَمِيعُهَا
بِمِرَّةٍ حُسْنٍ قَدْ جَلَّتْهَا يَدُ النِّهْيِ فَأَوْصَافُهُ يَلْتَأَحُ فِيهِ بَدِيعُهَا
تَجُومُ اهْتِدَاءُ وَالْمَدَادُ يُجْنِبُهَا وَأَسْرَارُ غَيْبٍ وَالْإِرَاعُ تُذِيعُهَا
لَقَدْ حُزْتُ فَضْلًا يَا أَبَا الْفَضْلِ شَامِلًا فَيُجْزِيكَ عَنْ نَصْحِ الْبَرَايَا شَيْعُهَا
وَلِلَّهِ مِنْ قَدْ تَصَدَّى لَشَرْحِهِ فَلَيْبَاهُ مِنْ غُرِّ الْمَعَانِي مَطِيعُهَا
فَكَمْ يُجْمَلُ فَضْلُ مَنْهُ وَحِكْمَةُ إِذَا كَتَمَ الْإِدْمَاجُ مِنْهُ تُشِيعُهَا
مَحَاسِنُ وَالْإِحْسَانُ يَبْدُو خِلَالُهَا كَمَا افْتَرَّ عَنْ زَهْرِ الْبِطَاحِ رِبِيعُهَا
إِذَا مَا أُصُولُ الْمَرْءِ طَابَتْ أَرْوَمُهُ فَلَا عَجَبَ أَنْ أَشْبَهْتَهَا فِرْوَعُهَا
بَقِيَتْ لِأَعْلَامِ الزَّمَانِ تَنْبِيلُهَا هُدًى وَلِأَحْدَاثِ الْخَطُوبِ تَرْوَعُهَا^(٢)

وبما امتزج فيه نثره ونظمه ، وظهر فيه أدبه وعلمه ، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد ، وهم مع مولانا أيده الله بالنسك :

مَالِي بِحَمْلِ الْهَوَى يَدَانِ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا أَعُوذُ التَّدَانِي
أَصْبَحْتُ أَشْكُو مِنْ زَمَانٍ مَا بَتُّ مِنْهُ عَلَى أَمَانٍ

(١) هو كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» وهو أشهر كتب الحافظ الفقيه القاضي عياض بن موسى السبكي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

(٢) تقع هذه القصيدة في عشرين بيتاً . وهي غير واردة في المخطوطتين ، وقد وردت في النسخ (ج ٤ ص ٣٨٤) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «ج» (يداني) .

ما بال عينيك تسبحان والدمع يرفض كالبحران
ناداك والإلف عنك وإن والبعد من بعده كوان
يا شقة النفس من هوان كجج^(١) في أبجر الهوان
لم يثن عن هـواك ثان يا بعية القلوب قد كفان

يا جانحة الأصيل ، أين يذهب قرصك المذهب ، وقد ضاق بالشوق المذهب .
أُمتت شمس [الأنس]^(٢) محجوبة عن عيني ، وقد ضرب البعد الحجاب بينها
وبيني ، وعلى كل حال . من إقامة وأرتحال . فما حلك من قلبي محلا بينها . وما كنت
لأقع من وجهك تخيلا وشيها . ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه وأتقت ، ومن
بعض المواقع والشمس لو قطعت^(٣) . صادق مغذور ، وأنت تتجمل بثوب زور ،
وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزور ، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم ،
ومطالب تتقلب منه في كفه المطالب . ويا برق الغمام من أي حجاب تبسم ، وبأي
صبح ترنسم ، وأي غفل من السحاب تسم . أليست مباسم الثغور لا تنجد بأفقى
ولا تغور . هذا وإن كانت مباسمك مساعدة ، والجو مبلس لها من الموجوم شعورا ،
فلطالما فحكت فأبكت الفوادي ، وعقت الرايح والغادي . أعوذ بواشم البروق ،
بنواسم الطفل والشروق ، ذوات الزايرات المتعددة الطروق ، فهي التي قطعت وهادا
ونجادا ، واهتدت بسيف الصباح من السحاب قرابا . ومن البروق نجادا ، واهتدت
خبر الذين أحبهم مستظرفا مستبجادا ، فعالمها ولعلها . والله يصل في أرض الوجود
نهلها وعلها ، وأن يبل طعين الشوق بنسيمها البليل ، وأن نعوضه من نار الغليل ،
بنار الخليل ، وخير طبيب يداوى الناس وهو عليل . فشكواي إلى الله لا أشكو

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، (يحج) وهو تحريف .

(٢) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نظمت) والأول الأرجح .

إلى أحد . هل هو إلا فرد تَسْطُو رياح الأشواق على دُبالته ، وُعر الشوق قد شبَّ
على الطوق ، ووهب الجمع للفرق . ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذوق . وقلب
تُقسم أحشاؤه الوجد ، وقسم بالله الغور والنجد . وهووم متى وردت قُليب القاب ،
لم تَبْرَح ولم تُعد ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

أستغفر الله ياسيدي الذي يوقد^(١) أفكارى حلوقائه ، وأتسّم أرواح القبول
من تلقايه . وأسأل الله أن يُديم لى آمالى^(٢) بدوام بقاءه . إن بُعد مداه ، قربت
منا يده ، وإن أخطأنا رفدَه أصبنا نداءه . فثمرات آدابه الزهر تجىء إلينا ،
وسحاب بَنانه الغر تُصوّب دوالينا أو علينا ، على شَحَط هواه ، وبُعد منتواه .
ولا كرسالة سيدى الذى هَمَّت فضايله وخَصَّت ، وتلت على أولياء نعمته أنباء
الكمال وقصّت ، وآى^(٣) قضى كل منها عجباً ، ونال من التراح غُرثها واجتلاء
صفحتها أرباباً . فلقد [كُرِّمت عنه]^(٤) بالاشتراك فى بُنوته الكريمة نسباً ،
ووصلت لى بالعناية [منه]^(٥) سبباً . تولى سيدى خيرك من يتولى خير المحسنين ،
ويُجزل شكر المُنعمين . أما ما تحدّث به من الأغراض البعيدة العذبية ، وأخبر
عنه من المعانى الفريدة العجيبة ، والأساليب المطيلة ، فيعجز عن وصفه ، وإحكام
رصفه ، القلم واللسان ، ويعترف لها بالإبداع المستولى على أمد الإحسان البديع
وحسان . ولقد أجهدت جِياد الارتجال ، فى مجال الاستعجال ، فما سمحت القرينة
إلا بتوقع الآجال ، وعادت من الإقدام إلى الكلال . فعلمت أن تلك الرسالة
الكريمة ، من الحق الواجب على مَنْ قرأها وتأملها ، أن لا يجرى فى لجّة من

(١) وردت فى «ج» (ترقدن) . وفى «الزيتونة» (توقدون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت فى المخطوطين (مالى) . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت فى «ج» (والوان) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (لايت عنى) .

(٥) إضافة يقضيها السياق .

ميا دينها ، ويديم يراع سيدى الإحسان كرينها . لا كن على أن يفسح الرياض
للقصى مدى ويقندى بأخلاق سيدى التى هى نور وهدى . فإنه والله يبقيه ، وبقيه
مما يتقيه ، بعد ما أعاد فى شكوى البين وأبدى . وتظلم من البعد واستعدى^(١) ،
ورفع حكم العتاب عن ذوات النسيم والاعتباب ، ورعى وسيلة ذكرها فى مُحكم
الكتاب . وولى فضله ما تولى ، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور^(٢)
السعادة على رأيه ، أيده الله تَجَلَّى ، ونمرة فكره المقدس ، أيده الله تَحَلَّى . شكر الله
له عن جميع نعمه التى أولى ، وحفظ عليه مراتب الكمال التى هو الأحق بها
والأولى . وقد طال الكلام ، وَجَمَحَتِ الأقلام . ولسيدى وبركتى الفضل ، أبى
الله بركنته ، وأعلى فى الدارين دوجته ، والسلام الكريم بخصمكم ، من مملوككم
ابن زمرك ، ورحمة الله وبركاته ، فى الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة
وستين^(٣) .

وخطبى كذلك ، وهو من الكلام المرسل : أبو معارفى ، وولى نعمتى ، ومعيد
جائى ، ومقوم كمالى ، ومورد آمالى ، ممن توالى نعمه على ، ويتوفر قسمه لدى ،
وأبوء له بالعجز ، عن شكر أياديه . التى أحيت الأمل ، وملاّت أ كُفَّ الرغبة ،
وأنطقت الحدايق ، فضلا عن اللسان ، وأياديه البيض وإن تعددت ، ومنته العزيمة ،
وإن تجددت ، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس فى الروض المماور بيانه .
فماذا أقول ، فيمن صار مؤثراً إلى بالتقديم ، [جالياً صورة]^(٤) تشريفى ،

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (استدعا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (سور) .

(٣) وردت فى المخطوطين (وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، متى ذكرنا أن ابن الخطيب
قد توفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت بحرفقة فى «الزيتونة» (جاناسورة) .

بالانتساب إليه في أحسن التقويم . . . (١) وإني ثالث اثنين أشرف بخدمتها ،
وأسحب في أذيال نعمتها .

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمتنى إليه عبيد
الله أوزعنى شكر هذا المنعم ، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر ، وأنهضت
كامل (٢) الحمد ، اللهم أدم بجميع حياته ، وأمتع بدوام بقاياه الإسلام والعباد ، وأمسك
بُيُمن آرائه رَمَق ثغر الجهاد . يا أكرم مسئول ، وأعز ناصر . تفضل سيدى ،
والفضل عادته ، بالتعريف بما يقر عين التطلع (٣) ويقنع غلة التشوف . ولقد كان
المالك لما مشلنا بين يدى مولانا ، أيده الله ، لم يقدم عملا عن السؤال [ولا] (٤) عن الحال ؛
إقامة لرسم الزيارة ، وعملا بالواجب ، فإنى أرى الديار بطرفى ، فعلى أن أرى الديار
بعينى ، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله . وإن سأل سيدى شكر الله احتفاه ،
وأبقى اهتمامه ، عن حال المالك ، من تعب السفر ، وكد الطريق ، فهى بحمد الله دون
ما يظن . فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلاءة ، محزين شرف المساواة ،
لمواكب (٥) المولى ، يمين الله وجهته . وكتب عصمته ، واستقر جميعنا بمحل
القصة ، وتاج أهبتها ، ومهب رياح أجزائها ، تحت النعم الثرة ، والأنس الكامل
الشامل . قرب الله أمد لقاءكم ، وطلع على ما يسر من تلقائكم . ولما بلغنا هذه
الطية ، وأنحنا المطية ، فمنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار ، ورفعنا مخاطبة
المالك على الابتداء . والسلام .

مولده : فى الرابع عشر من شوال ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

[انتهى السفر السادس هنا . والحمد لله رب العالمين]

(١) كلمة غير مقروءة . (٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (كامل) .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المتطلع) . والأولى أرجح وأكثر تمشياً مع السياق .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا فى «ج» . و«الزيتونة» (لمراكب) . والأولى أرجح .

ومن السفر السابع المفتتح بقوله
ومن الطّائرين منهم في هذا الباب *
محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبائي
سكن غرناطة يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، متقدماً في الكتابة والفصاحة،
جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش،
وأبي علي الفسائي وغيرهم. ومحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

توالياه

صنّف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيداً.
توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
من أهل مالقة، وأصله من إستجة^(١)، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى
أبا عبد الله.

(*) هنا يبدأ مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور.

(١) هي بلدة أندلسية متوسطة تقع على ضفة نهر شنيل فرع الوادي الكبير، جنوب لجري غربي
قرطبة وبالإسبانية Ecija.

حاله

كان من جملة^(١) سحمة العلم، والغالب عليه الأدب، وكان من أهل الجلالة، [ومن بيت علم ودين]^(٢). أقرأ ببلده، وقعد بالجامع الكبير منه، يتكلم على صحيح البخاري، وانتقل في آخر عمره إلى غرناطة.

وقال الأستاذ^(٣)، كان من أبرع أهل زمانه في الأدب [نظما ونثرا]^(٤).

شعره

منقولاً من خط الوزير الراوية أبي محمد عبد المنعم بن سحاك، وقد ذكر أشياخه فقال: الشيخ المتفنن الأديب، البارع، الشاعر المقلق، قرأ على أشياخها، وأقرأ وهو دون^(٥) العشرين سنة. وكانت بينه وبين الأستاذ المقرئ الشهير أبي العباس الملقب بالوزعي قرابة، وله قصيدة أولها:

« ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً »

ومنها:

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلعوا عليه رقةً ونحوها

[وكان يقول: كان الأستاذ أبو العباس، يستعيني هذا البيت، ويقول نعم أنت قريب، وقدم على غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة]^(٦).

(١) هذه الكلمة واردة في مخطوط الإسكوريال، وساقطة في المخطوطين.

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال، ووردت في المخطوطين (من بيت أهل العلم والدين).
والأولى أرجح.

(٣) يقصد بها الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الزبير، صاحب كتاب «صلة الصلة»، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال، وفي «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي المخطوطين (بن).

(٦) الفقرة الواردة بين الخاصرتين مطموسة وممحاة في الإسكوريال، وقد نزلناها عن «ج».

محتـه

قال الأستاذ جري له قصة ، نُقل بعض كلامه فيها ، على بعض أحاديث الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها ؛ غالب أدبه . فإطلاق عِنان الكلام ، [وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه ، إدراكات] ^(١) تلك الأفهام . ولكل مقام مقال . ومن الذى يَسلم من قيل وقال . وكان ذلك سبب الانقطاع ، ولم يؤت من قصر باع ، وانتقل إلى غرناطة ، فتوفى فى أثر انقضاءه ^(٢) وانتقاله .

شعره

من ذلك قوله فى غرض يظهر من الأبيات :

قضوا فى رُبى نجد [فى القلب مرساه] ^(٣) وغثوا إن أبصرتم نَمَّ مغناه
أما هذه نجد أما ذلك الحى فهل تحيت عيناه أم صمت ^(٤) أذناه
دعوه يؤفى ذِكْره باتشامه ديون هواه قبل أن يتسوفاه
ولا تسألوه سَلوةً فمن العنا رياضة من قد شاب فى الحب فوداه
أيحسب من أصلى ^(٥) فؤادى بحبه أنى أمْلُو عنه حاشاه حاشاه
متى غدر الصَّبُّ الكريم ^(٦) وفى له وإن أتلِف القلب الحزين تلافاه
وإن حَجَرُوا معناه وصَرَّحُوا به فإن معناه أحقُّ بمعناه
وياسابقاً عيس الغرام سيوفه وكلُّ إذا ينحشاه فى الحب ينحشاه
أرحها فقد ذابت من الوجْد والشرى ولم يبق إلا عظمها أو بقاياها

(١) ما بين الخاصرتين مكانه بياض فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى المخطوطين وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (وفى الحى مراه) . والاولى أبلغ .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال و«ج» (صم) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (أبل) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (الكتيب) .

ويا صاحبي عَجِبْني على الخليف من مُنى
وعرَّج على وادى العقيق لعلنى (١)
وقل لليالى قد سَلَفْن بعيشه
هل العود أوجوه أم العُمر ينقضى
وما التعتي لى من بأتى ألقاه
أسايل عمن كان بالأس مأواه (٢)
وعُمر على رغم العذول قطعناه
فأقضى ولا يُقضى الذى أتمناه
[ومن شعره أيضاً ، قوله ، رحمه الله :

سَرَتْ من رُبى نجد مُعْطَرَة الرِّيا
تمسح أعطاف الأراك بليـلة
ومرتد فى حجر الرياض مريضة
وبشّرت بأنفاس الأحبة سحرة
سقى الله دهرآ ذكره بنعيمه
ملنى مُحَيَّاه الأنيق وحُسنه
وبى رَشآ من أهل غرناطة غدا
رمانى فأصابنى بأول نظيرة
وبدّد جسمى نوره وكأنه
تصوّر لى من عالم الحسن خالصا
وهم بأن يرقى إلى الخور جسمه
إذا ما انتفى أولاح أوجاح أورنا
دعى الله دهرآ كان ينشر وصله
يموت لها قلبى وآونة يحميا
وتنثر كافورا على التربة اللّميا
فتحي بطيب العرف من لم يكن يحيا (٣)
فيسرع دمع العين فى أثرها جريا
فكم لطفوني عند ذكراه من سُقيا
ومن خلُق قد كنت لأحمل النأيا
يجود بتعديى ويسخل باللقيا
فيا عجباً من علم الرّشأ الرّميا
أشعة شمس قابلت جسدى مليا
فمن عجب أن كان من عالم الدنيا
فتقلته كُتُباً وحملته حَلِيا
سبأ القُصْب والأقار والميسك والضيا
برود طواها البين فى صدره طيّا (٤)

- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى المخطوطين (فانئى) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (سكناه) .
(٣) وردت فى المخطوط (فنجيا) وبالتصويب يستقيم السياق .
(٤) هذا الشعر المحصور بين الخاصرتين وارد فقط فى الإسكوريال . وساقط فى المخطوطين .

مشيخته

ومما يشتمل على أسماء شيوخه ، ويدل على تبعثره في الأدب ورسوخه ، إجازته
أبا الوليد إسماعيل بن تير الأيادي ، وعندها يقال ، أتى الوادي .

إن لي عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين
نظرة والتفاتة أتمنى أن تكوني حملت فيما تليينا
ما هذه الأنوار اللامحة ، والنوار الفايحة ، إني لأجد ريح الحكمة ،
ولا مُنْغِد ، وأرد مورد النعمة ولا مُنْكَد^(١) ، أمسك دارين يُنْهب ، أم المندل
الرطب في الغرام الملهب ، أم نَفَحَت أبواب الجنة ففاح نسيمها ، وتوضحت
أسباب المنة ، فلاح وسيمها .

حُيَّاك أم نور الصباح تبسما ورياك أم نور الأفاق تنسما
فن شم من ذا نفحة رق شيمة ومن شام من ذا لمحة راق مبسما
أجل خلق الإنسان من عَجَل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتفهموا
أسرار الحكيم وتعوا ، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، يعني مجالس الذكر ،
ومأس النظر والفكر ، ومطالع المناظرة ، ومواضع المحاضرة ، فهذه بتلك ،
وقد انتظمت الجواهر النبوية في ربالك ، ولها من حصى العظارة^(٢) وطيس ، بين
مسك المداد ، وكافور القراطيس . فيا أيها المعلم^(٣) الأوحى ، والعالم الذي لا تنسك
أمانته ولا تُجحد ، حوت على علم الملوك ، ولزمت بحلم طريق الحكم السلوك ،
فلم تعد أمل الحكماء ، ولم تعد إلا بعمل العلماء ، وقد قال حكيمهم الفاضل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يكند) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (المعاطرة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (العلم) والأول أرجح .

وعظيمهم [الذى لا يُناظر له ولا مُفاضل] (١) ، إذا خدمت الأُمراء ، فسكن بين [استلطاف واستعطاف] (٢) ، تَجَنُّ المعارف والعواف ، دانية القُطاف . فتَعْلَمُهم وكأنك تتعلَّم منهم ، وتُرَوِّهم (٣) ، وكأنك تروى عنهم ، فأجريت الباب ، وامْتَرَيْتَ من العلم اللُّباب ، ثم لم تُبعد ، فقد فعل النحويون ذلك في يَكْرُم ، وَيَعِد ، وَيَعِزُّ (٤) ، ولا غرو أن تقرأ على من هو دونك . وتَسْتَجِيز الإجازة [عن القوم العظام] (٥) ، يقصدونك . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أمره الله بأن يقرأ على أبي [بن كعب] (٦) ، [فهل في حى الخواطر الذكية من حى] (٧) ، فقال له رضى الله عنه ، [الله أمرك] (٨) أن تقرأ على ، والعناية الربانية ، تُنادى إليّ إليّ ، وإذا قال لى من أحبُّ مولاي ، واستعار لزينته حُلَاى :

فما على الحبيب من اعتراض وللطبيب تصرفٌ فى المراض
قد يَرُحِلُ المرءَ لمطلوبه والسبب المطلوب فى الرّاحل

عجبت متواضعاً ، فما أبرمتَ فى معاجك ، ولا ظلمت فى السؤال ، نعتجه إلى نعاك ، فإنه سرُّ الله ، لا يحلُّ فيه الإفشاء ، وحكمةُ الله البالغة ، والله يرقى

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين (ج ، والزيتونة) . ووردت فى الإسكوريال كالتالى (الذى لا يناظر ولا يناضل) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (استعطاف واستلطاف) . والأولى أرجح .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . وفى الإسكوريال مكانها (للاعلام) .

(٦) الزيادة عن المخطوطين .

(٧) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال وفى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين (أمرك) . والأولى أرجح .

الحكمة من يشاء ، وإن لبست من التواضع شعاراً ، ولبست عن الترفع تنبيهاً^(١) على السر المكتوم وإشعاراً . فهذه الثريّا من العجايب إذا ارتفعت في أعلى صعودها ، وأسمى راياتها الخافقه وبشودها . نهاية وجودها الحسنى عدم ، وغاية وصفها الشبهى ، أن تُشبهه بقدم ، فإذا همت بالركوع ، وشمّت في المغرب ويمح الوقوع ، كان لها من السمو القندح المعلنى ، وعادت قرطاً تنزين به الآذان وتحلى .

وفي الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي وسط السماء قدم
هذه آثار التواضع متلوة الشور ، مجلوة الصور ، وكان بعضهم إذا أعلّى الصدقة ، يعطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا تفهم المايل . فإنه لما سمع النبوة تقول ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أراد أن يؤثر المقام^(٢) الأعلى . ولما أعلّى أبو بكر ، رضى الله عنه . ماله كله ، أعطى عمر رضى الله عنه النصف [من المال]^(٣) لا احتياطاً على ماله ، ولسكن ليقيم لأبي بكر في مقام القصور عن كماله ، تفويضاً وتسليماً ، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعلما . وروى الدارقطنى^(٤) [رحمة الله عليه]^(٥) يحبس أباه^(٦) بركابه ، فلا يُنكر عليه ، فقليل له في ذلك ، فقال رأيته يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفته .

فوق السماء وفوق الزهر ما طلبوا وإذا ما أرادوا غايّة نزلا
وإلى هذا وصل الله حفظك ، وأجزل من الخيرات حظك ، فإنه وصلنى
الكراسة المباركة ، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة ، فبينما أنا أتلو الإجازة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (شبهاً) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بالمقام) . والتصويب من «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «ج» .

(٤) هو الحافظ الإمام أبو الحسن على الدارقطنى ، نسبة إلى دارالقطن أو دارقطن وهى بجلة

كانت ببغداد ، وكان من أقطاب الفقه الشافعى ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٥) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (أبوه) ، والتصويب يستقيم السياق .

وأريق صدور البيان وإعجازه ، ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من أبي الوليد ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فخرت ، ووقفت كأنني سحرت ، وقلت ساحران
تظاهرا معا ، وأحدهما قاتلي ، فكيف إذا اجتمعا .

فلو كان رُحماً واحداً لا تقيته^(١) ولا كنهه رُحاً وثان وثالث

[ومن لميت بشيمته المشاني فأخرى أن تطير به المثلث]^(٢)

وطار في الشوق كل مطار ، وقرأت سماء ففكرت سورة الانفطار ، وكنت
أصعد إلى السماء توقداً ، واختلط بالهواء تودداً .

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان^(٣) فالآن صارت بالتحول ثوان^(٤)

ووجدت وراء الحسن وهي كشيعة فوجودهن^(٥) الآن في الأذهان

ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب ، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب ،
وبالحرى لذلك النثر البديع ، الحريري أو البديع ، ولذلك النظم العجيب ، المتنبّي
أو حبيب ، ولذلك النصف الرقيق ، الحارث بن أسد ذي التحقيق . وأما
الحديث ، فمالك تقطع تلك المسالك ، إلا أن العربية^(٦) ليس لأحد معه فيها دليل ،
أستغفر الله إلا للخليل ، لا كن أصول الدين مجرية ، تركت تلك الميادين . هناك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لاستنيته) . وفي «الزيتونة»
(لما التقيته) .

(٢) هذا البيت وارد بمكانه في «ج» و«الزيتونة» . ولكنه وارد في الإسكوريال بمذكرة
(الإنفطار) الواردة في الجملة التالية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (تبيدان) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (فوجودها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

الله يجمع كل منقبة جليلة ، فترى الفضيلة لا ترد فضيلة ، فمر الرديف وقد ركب
غضنفرا ، أو المدعى صفة فضل ، وكل الصيد في جوف الفرا . من يُزحم^(١) البحر
يعرق ، ومن يُطعم الشجر يشرق . وهل يُبارى التوحيد بعمل ، أو يُجارى البراق
بجمل . ذلك انتهى إلى سيرة المنتهى . وهل^(٢) انبرى ليلطم خدّه في الثرى .
لا تقاس الملائكة^(٣) بالحدادين ، ولا حُكماء يونان بالفدادين . أفي طريق
الكواكب يسلك ، وعلى الفلك الأثير يُستملك^(٤) . أين الغد من الأمس ، وظلمة
الغسق من وضح الشمس . ولولا ثقتي بعمام فضلك الصيّب لتمثلت لنفسى^(٥) بقول
أبي الطيب :

إذا شاء أن يلهو بلحمة أحق أواه غبارى ثم قال له الحق
فإن رضيت أيها العلم ، فما لجرح إذا أوضاكم ألم . [تر]^(٦) كيف أجارى
أعوج بمغرب أهوج وأجارى ذا العقال بمحش في عقال . ظهر بهذه الظلمة ، ذلك
الضياء ، وبضدّها تتبين الأشياء . وما يزكو بياض العاج حتى يُضاف إلى سواد
الأنوس . ألفاظ تذوب رقة ، وأغراض تملك حبّ الكريم ورقة الزهر ، والزهر
بين بنان وبيان ، والدرّ طوع^(٧) لسان وإحسان .

وقالوا ذاك سحرٌ بأهلى فقلت وفي مكان الماء باء

(١) وردت في الإسكوريال (يرحم) . ووردت في المخطوطين (يحزم) . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(٢) وردت في الإسكوريال (وهذا) . والتصويب من «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (الملوك)

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (يستغلب) . والأولى أنسب للسياق .

(٥) هذه الكلمة واردة فقط في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بين) .

وأما محاسن أبي الوليد ، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد .
 معان لبسن ثياب الجمال وهزت لها الغانيات القدودا
 كسوت عبيداً ثياب عبيد وأضحى لبيدٌ لديها بليداً
 وكيف أعجب من إجرايك لهذه الجياد ، وأياديك^(١) من إياد . أورثت هذه
 البراعة^(٢) المساعدة ، عن قيس بن ساعدة . أجدك أنت الذي وصف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقال ، كئني أنظر إليه في سوق عكاظ على بجل أوزق ،
 وهو يقول أيها الناس : مطرٌ ونبات ، وآباء وأمهات ، إلى قوله :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر
 لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
 أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر
 إليه بغير تمويه . رجع الحديث الأول إلى ماعليه المعول . سألتني أيها السيد
 الذي يجب إسعافه ، أن أرغم^(٣) أنف القلم حتى يجري رُعافه ، وأن أكتحل جُفون
 الأوراق بمداد الأقلام ، وأن أجمع الطروس والأمدّة ، بين إصباح وإظلام ، وأطرز
 بياض الثوبين بنخضة الآس ، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بني العباس ، فقلت
 مبادراً ممتثلًا ، وجئت في ميدان الموافقة ممتثلًا :

لبنيك لبنيك أضعافاً مضاعفة إني أجيئ ولكن داعي الكرم
 أني من المجد أمرٌ لا مَرَدَّ له أمشي على الرأس فيه لا على القَـمَم^(٤)
 دعاء والله مُجَاب ، ونداء ليس دونه حِجَاب

-
- (١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (وإنه أيك - وإذايك) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في الإسكوريال (أرهف) .
 (٤) وردت في المخطوطين (تهم) . والتصويب من الإسكوريال .

اكتبت ولو أنى أستطيع لإجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملى وكان المداد سواد البصر^(١)

نعم أجزت سيدى الفقيه الأجل ، الخطيب الأكرم ، العالم العلم ، الأوحد
الأكل ، الحبيب الأثقل الأطول ، أبا الوليد بن الفقيه الأجل ، المعظم^(٢) الموقر ،
المكرم المبارك الأظهر ، المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد^(٣) بن قترى الأيادى
القرموفى^(٤) ، وبنيه السادات ، النجباء المباركين ، أبا القاسم أحمد ، وأبا إسحق
إبراهيم ، وأبا الحسين بتزيا^(٥) . ونعمت الأغصان والشجرة ، والأقنان والثمرة ، أقر
الله بهم أعين المجد ، ولازالوا بدورا فى مطالع السعد . ولا برحوا فى مكارم ،
يجنون ثوارها ، ويحتلون أنوارها ، وتفيض عليهم [يد]^(٦) العناية الإلهية ،
نهرها السكونى ونهارها ، جميع مارويته ، قراءة وسما ، وإجازة ومناولة من
العلوم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، بأى وجه رويته ، وعلى أى وصف
تقلدته ودريته ، وكذلك أجزتهم جميع ماقلته وأقوله . من مسطور^(٧)
ومرسوم . ومنثور ومنظوم ، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم ، وقصايدى
المسجلة بالروحانيات ، ومُشرأتى الحبيبات . وما نظمته من الوتريات ،
وشرحى لشعر أبى الطيب المسمى^(٨) « بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز » ،

(١) هكذا ورد هذان البيتان فى الإسكوريال . ووردا فى المخطوطين مرسلين على صفة
المنثور .

(٢) واردة فقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (إسماعيل) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (القرموفى) وفى «ج» (القرموفى)

والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وهى سقطت فى «الزيتونة» .

(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال ، و«الزيتونة» ، وساقطة فى «ج» .

وكتابه المسمى « شمس البيان في لمس البنان » ، والزهرة الفايحة في الزهرة
اللايحة ، ونفح السكيمات في شرح المقامات ، واقتراح المتعلمين في اصطلاح
المُتَكَلِّمِينَ ، وكتاب التَّصَوُّر والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ، ورقم الحُلُل
في نظم الجمل^(١) ، [ومفتاح الإحسان في إصلاح اللسان]^(٢) . وما أنشأته من
السلطانيات نظماً ونثراً ، وخطابة وشعراً . والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه
بمنه وكرمه . فليقل الفقيه الأجل ، وبنوه الأكرمون^(٣) رضى الله عنهم ، [أنبأنا
وأخبرنا وحدثنا]^(٤) أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية ، بعد تحرى الشروط المرعية ،
في الإجازات الشرعية ، وإن ذهبوا حفظ الله كلامهم ، وأدام في الدارين آمالهم ، إلى
تسمية من لى من المشايخ قدس الله أرواحهم ، وزحزح عن النار أشباحهم :

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير ، العالم الفاضل الجليل ، البقية الصالحة ، آخر
الأدبا ، وخاتمة الفضلاء ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبي
الدار ، رضى الله عنه . قرأت عليه بقرطبة ، شعر أبي الطيب ، قراءة فهم لمعانيه ،
وأعراب لألفاظه ؛ وتحقيق للفقه ، وتنقيح عن بديعه . وكذلك قرأت عليه أكثر
شعر أبي تمام . وسمعتُ عليه كتاب السكامل لأبي العباس [المبرد]^(٥) ،
ومقالات التميمي ، كان يرويها عن مُنْشِئِهَا ، وكانت عنده بخط أبي الطاهر . وتفقهت
عليه « تبصرة الضمري » . وكان على شياخته^(٦) رحمه الله ، ثابت الذهن ، مقبل
الخطا ، حافظاً للمعنى .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (الدول) وهو تحريف لأن (رقم الحُلُل
في نظم الدول) هو اسم كتاب لابن الخطيب .

(٢) هكذا ورد اسم هذا الكتاب في الإسكوريال ، وورد في «ج» (مفتاح الإحسان في
اصطلاح الإحسان) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (المبارك) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (أخ. نا أو أنبأنا) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة زيادة في الإيضاح .

يروع رُكَّانَهُ وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا تَدْرِي أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامٌ
نَأْتِيهِ بِمَقَاطِيعِ^(١) الشَّعْرِ فَيُصْلِحُهَا لَنَا ، وَيَقِفُ عَلَى مَا نَسْتَحْسِنُهُ^(٢) مِنْهَا ،
فَنَجِدُهُ أَثْبَتَ مِنَّا ، وَلَقَدْ أُنْشِدْتَهُ يَوْمًا ، فِي فِتْنٍ مَقْقُودِ الْعَيْنِ الْيَسْرَى :

لَمْ تَزُوَ إِحْدَى زَهْرَتَيْهِ وَلَا انْتَنَتْ عَنْ نُورِهَا وَبَدِيعِ مَا تَحْوِيهِ
لَكِنَّهُ قَدْ رَامَ يُغْلِقَ جَفْنَيْهِ لِيَصِيبَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَرْمِيهِ
فَاسْتَفَادَهَا وَحَفَظَهَا . وَلَمْ يَزَلْ رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَعْبِدُهَا مُسْتَحْسِنًا لَهَا ، مَتَى وَقَعَ
ذِكْرُ . وَكَانَ يَرُوي عَنْ الْإِمَامِ الْمَازَرِيِّ بِالْإِجَازَةِ ، وَعَنْ الْقَاضِي أَبِي مَرْوَانَ بْنِ
مَسْرَّةٍ ، وَعَنْ الْأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخُلَّصَالِ .

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ [الْعَالِمُ الْعَدْلُ]^(٣) ، الْحَدِّثُ الْأَكْلُ ، الْمُتَّقِنُ ، الْخَطِيبُ ،
الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَوْطٍ اللَّهُ . سَمِعْتُ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً بِمَالِقَةٍ ، بِقِرَاءَةِ الْفَقِيهِ
الْأَسْتَاذِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ غَالِبٍ ، وَلَقِيْتُهُ بِقَرْطَبَةٍ أَيْضًا ، وَهُوَ قَاضِيهَا . وَحَدَّثَنِي عَنْ
جَدِّي ، وَعَنْ جَمَلَةٍ^(٤) شَيْوُخٍ . وَلَهُ بَرْنَامَجٌ كَبِيرٌ . وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ ، أَبُو سُلَيْمَانَ
أَيْضًا مِنْهُمْ .

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ ، الْعَالِمُ الْعَلَمُ ، الْأَوْحَدُ . النُّحْوِيُّ ، الْأَدِيبُ الْمُتَّقِنُ ، أَبُو عَلِيٍّ عَمْرٍو بْنِ
عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَزْدِيِّ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مُفْرَدَاتٍ ، وَكُتَابَ الْجُمْلِ ، وَالْإِيضَاحِ
وَسِيْبِيُوهُ تَفْقَهُمْ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَارُ السَّتَّةُ تَفْقَهُمْ ، وَمَا زِلْتُ مُوَاطِّبًا لَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى
رَحِمَهُ اللَّهُ . وَكَانَ فَرِيدَ عَصْرِهِ فِي الذِّكَاةِ [وَالزَّكَاةِ]^(٥) ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَلْبَةِ الْأَسْتَاذِ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (بمقطعات) . وفي «ج» (بمقاطيع
والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (نسخناه) وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة الواردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (جملة) ، الأولى أرجح .

(٥) الواردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

أبي زيد السهيلي أنجب منه [على كثرتهم] ^(١) . وقد قال الأستاذ أبو القاسم السهيلي للإمام المنصور رضى الله ، هو أقعدُ لكتاب سيبويه منا . وقال لى يوما ، وقد نظر إلى طالب يُصنئ بكليته إلى ثنان ، فقلت ماذا ، فقال إنَّ حُبَّ الشيء يعنى ويصم ^(٢) ، فقلت له ، ويعيد الصبيح [ليلا] ^(٣) مدأهم ، فاستحسنته .

ومنهم الفقيه الأجل ، الأديب الأريب الكامل ، اللغوى الشهير ، أبو علي ابن كسرى المورى ، قريبي ومُعلِّمى . وكان من طلبة أبي القاسم السهيلي ، ومن نبغ صغيراً . وهو الذى أنشد فى طفولته السيد أبا أسحق الكبير بإشبيلية :

قسما بمحمض وإنه لعظيم فهى المقام وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة ^(٤) الأستاذ أبو القاسم السهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ، فقال لمثل هذا كنت أحسبك الحسا ، [ولمثل هذا] ^(٥) كنت أوصل فى تعليمك الإصباح والإمسا . وقد أنشد هذا الأمير المؤمنين أبى يعقوب رضى الله عنه :

أمعشر أهل الأرض بالطول والعرض بهذا أنادى فى القيامة والعرض
فقد قال الله فىك ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فىك بلا نقض
فياياك يُعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكثنا ليوسف فى الأرض

ومنهم الفقيه الأجل ، العالم المحدث ، الحافظ الفاضل المؤثر ، السيد أبو محمد القرطبي . قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات ، وتفقهت فى الجمل والأشعار ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ريصمى) .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بالحاضرة) .

(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

وأجازني [جميع] ^(١) ما رواه . وكذلك فعل كل واحد من تقدم ذكره . وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق ، وجمال سمّت [وأبهة] ^(٢) ووقار ، وإتقان وضبط ، وجودة وحفظ .

ومنهم الفقيه الأجل ، الحاج الفاضل ، الشهيد في كائنة العقاب ^(٣) ، المحدث الورع ، الزاهد الطاهر ، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصارى ، وعليه كان ابتدأ للقراءة ، وكان مبارك التعليم . حسن التفهيم ، شديد التواضع . ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع ، المحدث ، الحاج المثلّم ، المحجّب الدعوة ، الميمون النقيية الأواب . أبو الحاج بن الشيخ . رضى الله عنه . وهذا الكتاب ^(٤) على الإطالة منى . ولكن القرطاس فيّ ، والسلام الائمّ عليكم ، ورحمة الله وبركاته . قال ذلك ، وكتبه ، العبد المعترف بذنبه ، الراجى رحمة ربه . محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستعجى ، في أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستمائة .

وفاته

من خطّ الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك . قال ، قدّم غزنًاظله ، أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وشكى علّة البطن مدة ثمانية أشهر يدار أبي [رحمه الله] ^(٥) ، مرضاه الثلاثة الأخوة ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بمدفنه ، معنّى الأحب ، بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك .

(١) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) كائنة العقاب هي الموقدة الكبرى التي نشبت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة الموحدي الناصر لدين الله ، والجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، في هضبة سانتا أولينا شمال غرب مدينة أبدة ، وهزم فيها الموحدون هزيمة ساحقة ، وذلك في صفر سنة ٦٠٩ هـ (يوليو ١٢١٢ م) . وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa .

(٤) وردت هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الكتب) . (٥) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن أحمد بن علي الهواري^(١)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر من أهل ألمرية .

حاله

رجل كفيف البصر ، مدلٌّ على الشعر ، عظيم الكفاية والمينة ، على زمانته .
رحل إلى المشرق ، وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صاروا
روحين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين نخسي أسد ، وشمرا السكندرية ، فكان
وظيف الكفيف النظم ، ووظيف البصير الكتّيب ، وانقطع الآن خبرهما . وجرى
ذكره في الإكليل بما نصه : محسوبٌ ، من طلبتها الجلالة ، ومعدود فيمن طلع
بأنفها من الأهلّة ، رحل إلى المشرق ، وقد أصيب ببصره ، واستهان في جذب
الاستفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضرره .

شعره

وشعره كثير ، فنه قوله :

سلا مسرّاً ذاك الخال في صفحة الخلد متى رقوا بالمسك في ناعم الورد
ومن هو غصن القدّ منها لفنتني وأودعه رُمّانتي ذلك النهد
ومزمتي القُصْب اللدان بوصلها إلى أن أعزّز الحسن من ذلك القد
فناة تفتّ القلب مني بمقالة له رقة الغزلان في سطوة الأسد
تمنيت أن تُهدى إلى نهودها فقالت وأيتَ البدر يُهداه أو يُهد
فقلت وللرُمان بدّ من الجنا فتـ هات وقالت باللاوا حظ لا الأيد
فقلت ليس للقلب عندك حاصلٌ وقالت قلوب الناس كلهم عندي

(١) لم ترد هذه الترجمة في «ج» ، ولا في «التوتونة» . ووردت فقط في الإسكودريال .

فقلت كفاني كم لحسنى من عبْد
هوّى ولا تشكى واصبر على ألم الصّد
لأجل الذى تجنّيه من خالص الشهد
لما يكسبُ الإنسان من شرف الحمد
كريمٌ المال فى طلب الحمد

وقلت اجعلينى من عبيدك فى الهوى
إذا شئت أن أروضاك عبداً فمت
ألم تر أن النّحل يُحمل ضرّها
كذلك بذل النّفس سَهْلٌ لذى التّهى
ألست ترى أزجاته طالما أضع
ومن شعره أيضاً قوله :

وأشدّ فديتكَ إن خلّ فؤادى
فاشرح هنالك لوعقى وسُهادى
أرب الأجابة والحمى والوادی
فانزل فديتكَ قد بدا إسماعدى
بان العذيب ونور حسنه سعادى
وكذا الهلال علامة الأعياد

عرج على بان العذيب وناد
وإذا مررت على المنازل بالحا
إيه فديتكَ يا نسيمة خبرى
ياسعد قد بان العذيب وبانه
خذُ فى البشارة مهجتي يوماً إذا
قد صبح عيدي يوم أبصر حسنها

ومما نقلناه من خبر قيده لصاحبنا الفقيه الأستاذ أبى على منصور الزواوى ،
ومما أدعاه لنفسه :

ولى بمدارك المجد اهتمام
وصحبته معشرٌ بالمجد هام
على قمم النجوم لها مقام
كما مالت بشارتها المرام
ليسفر من مرادهم الظلام
فدعزموا الرّحيل فقد أقام

على لكل ذى كرم ذمام
وأحسن مالى لقاء حرّ
ولمّنى حين أنسب من أناس
يميل بهم إلى المجد ارتياح
هم لبسوا أديم القيل بُرداً
هم جعلوا متون العيش أوضاً

فن كلَّ البلاد لنا ارتحال
 وحوَّل موارد العلياء منها
 تصيب سهامنا غرض المعالي
 وليس لنا من المجد اقتناع
 نُنزله عرضنا عن كل لوم
 ونبذل لا نقول العام ماذا
 إذا ما المحلُّ عمَّ بلاد قوم
 وإن حضر الكرام في يدينا
 وفينا المُستشار بكل علم
 فيدان الكلام لنا مداه
 كلا الأمرين ليس له يقوم
 يُريق دم المهادد بكل طرس
 ونكتب بالثقة العوالى
 إذا عَبَسَتْ وجوه الدهر منا
 لقد عَلِمَتْ قلوب الرُّوم أنا
 وليس يُضيرنا أناس قليل
 إذا ما الرّاية الحمراء هُزَّت
 وما أحرَّت سدى بل من دِمًا
 تُظلل من بنى نصر ملوكا
 فكم قطعوا الدُّجى في وصل مجد
 أبا الحجاج لم تات الليالى
 ولا سَحَلت ظهور الخيل أمضى

وفي كل البلاد لنا مقام
 لنا مع كل ذى شرف زحام
 إذا ضلَّت عن الغوص السَّهام
 ولو أن النجوم لنا قيام
 فليس يُشين سُودَدنا ملام
 سواء كان خِصب أو خُطام
 أثبتناها فجاد بنا الغمام
 ملاك أمورهم ولنا الكلام
 ومنا اللَّيث والبطل الهمام
 وميدان الحروب بنا يُقام
 سوانا يوم نازلة تمام
 وليس سوى اليراع لنا سهام
 بحيث الطُّرس لَبات وهام
 إليها فانتنت ولها انتقام
 أناس ليس يُعوزنا مرام
 لَعَمْرُ أَيْك ما كثر السَّكرام
 نعم فهناك للحرب ازدحام
 ليس على جوانبها انسجام
 حلال التَّوم عندهم حرام
 وكم سَهِروا إذا ما الناس نام
 بأكرم منك إن عُدَّ السَّكرام
 وأشجع منه إن هُزَّ الحسام

وأنت جئت من شرق لغرب
وجزبت الملوك وكل شخص
فلم أر مثلك يا آل نصر
ورمت في الزمان كما ترام
تحدث عن مكارمه الأنام
جمال الخلق وأخلق العظام
ومنها:

لأندلس بكم شرف وذكركم
سمى صوب الغمام بلاد قوم
إليك بها مهندبة المعاني
لها بجانب مجدم انتظام
تود بلوغ أذنائه الشمام
هم في كل تجذبة غمام
يرينها ابتسام وانتظام
طواف وفي أركان إلام
نجزت وما كادت ، وقد وطى الإيطاء صروحكم ، وأعيان الإكناو حارثها
وسروجها ، والله ولي التجاوز بفضلته .

محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آثي

يكفى أبا عبد الله

حاله

شاعر مُفلق ، وأديب شهير ، مُشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها ،
في الموسيقى ، مضطلع بفك المسمى . سكن ألمرية ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني
صباح . وقال ابن بسام ، كان أبو عبد الله هذا ، شمس ظهيرة ، وبحر خبر
وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ، وضع في طريق المعارف ، وضوح الصبح
التهلل ، وضرب فيها بمدح ابن مقبل ، إلى جلاله مقطع ، وأصاله متنوع ، ترى
العلم ينم على أشعاره ، ويتبين في منازعه وآثاره .

توالياقه

ديوان شعر كبير معروف . وله في العروض تصنيف ، مزج فيه بين الأنحاء ^(١) للموسيقية ^(٢) . والآراء الجلية .

بعض أخباره

حدث بعض المؤرخين ، مما يدل على ظرفه ، أنه فقد مسكناً ^(٣) عزيزاً عليه ، وأحوجت ^(٤) الحال إلى تكلف سلوة ، فلما حضر الندماء ، وكان قد رصد الخسوف بالقمر ^(٥) ، فلما حقق أنه قد ابتداء ، أخذ العود وغنى :

شقيقك غيب في لحدّه وتشرق يا بَدْرُ من بعده
فهلّا خُفِيتَ وكان الخسوف حداداً لَبِستَ على فقده

وجعل يردّدُها ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضه ^(٦) الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب . قال ، وكان منى في صباه بصبية من الرثوم ، نصرانية ، ذهبت بلبّه وهواه ، تسمى نُويرَة ، افتضح ^(٧) بها ، وكثر نسيبه .

شعره

قال في الغرض المذكور :

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الألحان) .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الذخيرة . وفي المخطوطين (الوصفية) وهو تحريف .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مسكنا) .
- (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ووردت في المخطوطين . (واحتاج) .
- (٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (القمرى) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واستعرضه) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فتعم) .

حديثك ما أحلى [فزيدى وحدتى] ^(١) عن الرّشاش الفرد الجمال المثلث
 [ولا تسمى] ^(٢) ذكر أذالذ كرمؤندى وإن بعت الأشواق من كل مبيعث
 وبالله فاروق خبل نفسى بقوله وفى عقيد [ووجدى] ^(٣) بالإعادة فابعث
 أحقما وقد صرّحت ما بى أنه تبسم [كاللاهم بنا المتعجّث] ^(٤)
 وأقسم بالإنجيل أنى شابق ^(٥) وناهيك دمي ^(٦) من حيق محنت
 ولا بد من قصى على التس قصى عساه مغيث المدنف المتغوث
 ولم يأتهم عيسى بدين قساوة فيةسو على بئى ويلهو بمكرث
 وقلبى من حلى التجلد عاقل هوى فى غزال الوادين المرعث
 سيصبح ^(٧) سرى كالصبح مشهرا ويمنى حديثى عرصة المتحدث ^(٨)
 ويغرى بذكرى بين كأس وروضة ويشدو بشعرى فوق مثنى ومثلث
 ومن شعره فى الأمداح الصّادحية :

لعلك بالوادی المقدس شاطىء وكالعنبر الهندى ما أنت والهى
 وإنى فى ربّاك واجد عرف ريمهم فروح الجوى بين الجوانح ناشىء
 ولى فى السرى من نارهم ومثارهم هداة حدأة والنجوم طوافىء

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين وفى الذخيرة . وفى الإسكوريال (فزيدى وحدت) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت محرفة فى المخطوطين (ولا تسمى من) .

(٣) الزيادة من الذخيرة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة ومكانها بياض فى «ج» . وهذا البيت ساقط

فى « الزينة » .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين وفى الإسكوريال . وفى الذخيرة (لماثن) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت فى المخطوطين (دمى) والأولى أرجح .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والذخيرة . وفى المخطوطين (فيصبح) والأولى أكثر تمثيا مع السياق .

(٨) هكذا فى المخطوطين والذخيرة . وفى الإسكوريال (للتحدث) .

لذلك ما حننت وكأبي وحممت
فهل حاجها ما حاجني أو لعلها
رؤيداً فذا وادي لبيني وإنه
ميادين تهبامي ومسرح ناظري
ولا تحسبوا غيذاً حمتها مقاصر
عراي وأوحى سيرها المتباطيء
إلى الوخذ من نيران وجدى لواحي
لورد لباناتي وإنى لظالمي
فلا شوق غايات لها ومبادئ
فتلك قلوب ضمنتها جأحي

ومنها :

محايلة السلوان مبعث حسنه
فكيف أرفى كلم طرفك في الحشا
ومالى لا أسمع مراداً وهمّة
وما أخرتني عن تناء مبادئ
ولسكنه الدهر المناقض فعله
كأن زمانى إذ رآنى جذيله
فداويت إعتاباً ودارات عاتياً
فألقيت أعباء الزمان وأهله
ولازمت سمت الصمت لأعن مذامه
ولولا علا الملك ابن مهن محمد
لألى إلا أن فكرى غائص
تجاوز حد الوهم والخط والمضى
فكل إلى دين الصبابة صابى
وليس لتمزيق المهتد رافى
وقد كرمت نفس وطابت ضايقى
ولا فقرت بي عن تبا^(١) مناشى
فدوالفضل منقط وذوالنقص نامى
[يلا بسنى منه]^(٢) عدو ممالى
ولم يغنى أنى مدار مدارى
فما أنا إلا بالحق عابى
فلى منطق السمع والقلب صابى
لما برحت أصدافهن الآلى
وعلى [ذوماء]^(٣) ونطقى شاطى
وأعشى الحجا لألاؤه المتألى

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (تناء) مرة أخرى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذخيرة (قلانى فى) والأول أرجح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذخيرة (داماء) .

فتنعكسُ الأبصار وهي حَوَاسِرُ وتقلب الأفسكار^(١) وهي خَوَاسِي^(٢)
وقال من أخرى :

أقبلن في الحَبَرَاتِ يَقْصُرْنَ الْخَطَا وَيُرِينَ حُلُلَ الْوَارِشِينَ الْقَطَا
سَرَبُ الْجَوَى لَا الْجَوُّ عُوْدُ حُسْنِهِ أَنْ يَرْتَمَى حَبُّ الْقُلُوبِ وَيَلْقَطَا
مَالَتْ مَعَاطِفُهُنَّ مِنْ سَكْرِ الصَّبَا مِيلًا يَخِيفُ قُدُودَهَا أَنْ تَسْقَطَا
وَبِمَسْطِطِ الْعَلَمَيْنِ أَوْضَحَ مَعْلَمَ لَمْ يَهْفُفْ مَسْكَنُ الْحَسَا وَالْمُسْتَقَا
مَا أَخْجَلَ الْبَدْرُ الْمُنِيرَ إِذَا مَشَى يَخْتَالُ وَالْخُرُوطُ النَّصِيرَ إِذَا خَطَا
ومنها في المدح .

يا وَا فدى شرق البلاد وغربها أكرمنا خَيْلَ الْوَفَادَةِ فَارِطَا
وَوَاتِنَا مَالِكِ الْبَرِيَّةِ فَاهِنَا وَوَرَدْنَا أَرْضَ الْمَرِيَّةِ فَاحْطَطَا
يَدْمَى نُحُورُ الدَّارَعِينَ إِذَا أَوْتَى وَيُذِلُّ عِزَّ الْعَالَمِينَ إِذَا سَطَا^(٣)
وإحسانه كثير . دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه^(٤) رحمه الله .

محمد بن إبراهيم بن خيرة^(٥)

يكفى أبا القاسم . ويعرف بابن المَوَاعِيظِ ، حرفة أبيه ، من أهل قرطبة .

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (الأبصار) مرة أخرى .

(٢) لم ترد من هذه القصيدة ، التي وردت كلها في الإسكوريال وفي الذخيرة ، في «ج» وفي «الزيتونة» سوى البيتين الأولين .

(٣) ورد هذا الشعر في الإسكوريال . و«يرد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٤) يقصد به مدينة وادي آش ، وهي من أعمال ولاية غرناطة .

(٥) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

واستدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة إليه ، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، إستكتبه أبو حفص ابن عبد المؤمن ، وحظي عنده حظوة عظيمة ، لصهر كان بينهما بوجه ما ، ونال فيه جاهاً عظيماً ، وثروة واسعة . وكان حسن الخط ، وابقه ، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتقن أبى بكر بن خيرة .

مشيخته

روى عن أبى بكر بن عبد العزيز ، وابن العربى ، وأبى الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وأبى عبد الله حفيد مكى ، وابن أبى الخصال ، وابن بلى .

تواليفه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها « ربحان الآداب ، وريحان الشباب » لانتظير له . والوِشاح المُفَضَّل . وكتاب فى الأمثال السائرة . وكتاب فى الأدب ، نحافيه منحنى أبى عمر بن عبد البر فى « بهجة المجالس » .
توفى بمراكش سنة أربع وستين وخمسمائة .

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى^(١)

مُرْسَى الأصل ، غرناطى النشأة ، ما اتقى الإسكان ، يكنى أبا عبد الله .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . و، ترد فى «ج» ولا «الزيتونة» .

حاله

من عايد الصلاة : كان رحمه الله ، كاتباً أديباً ذكياً ، لَوْذَعِيَا ، يجيد الخط ، ويرسل النادرة ، ويقوم على العمل ، ويشارك في الفريضة . وبذ السباق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس . عَمَرَ زمانا من عُمره ، محارفاً للفاقة ، يعالج بالأدب السكدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكنه البخت من امتطاء غاربه ، فأُنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر ، فأثرى ونما ماله ، وعظمت حاله ، وعهد عتد ما شاوف الرحيل ، بجملة تناهز الألف من العين ، لتُصَرَف في وجوه من البر ، فتوم أنها [كانت] ^(١) زكاة امتسك بها .

وجرى ذكره في التاج بما نصه : مديرٌ أكواس البيان المعثّق ، ولعوبٌ بأطراف الكلام المُشَقّق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز دُرّ معانيه من أصدافه ، وجى ثمرة الإبداع حين قطافه . ثم تجاوزه إلى المُعَرَّب وتخطّاه ، فأدار كأسه المُترع وعاطاه ، فأصبح لفنّه جامعا ، وفي فلكيه شهابا لامعا ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تتبلج غروره ، وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق الباقى الوامض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الضمانة يشعره . مُغْلٍ لسعره .

شعره

أخبرني السكاتب أبو عبد الله بن سلمة ، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله ، في رويّه :

أُحَرِّزُ الْخَصْلَ مِنْ بَنِي سَلْمَةَ كَاتِبٌ تَخْدُمُ الظُّبَا قَلَمَهُ
يَحْمِلُ الطَّرْسَ عَنْ أَنْامِلِهِ لِأَثَرِ الطَّرْسِ ^(٢) كَلِمًا رَقَهُ

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال : وفي النسخ (الحسن) والأولى أرجح .

ويعيدُ البيان بفكرته مُرسلاً حيث يمتد ديمه
 خصي متحفاً بخمس إذا بسم الرّوض فغن مُبتسمة
 قلت أهدى زهر الرّبا خضلاً فإذا كل زهرة كلمة
 أقسم الحسن لا يفارقها فأبر انتقاؤها قسمه
 خطّ أسطارها ونمّتها فأت كالعقود مننظمة
 كاسياً من حلاه لي خللاً رسمها من بديع مارسمه
 طالباً عند عاطش نهلاً ولديه الغيوث منسجمة
 يتغنى الشعر من أخى بلكه أخرس العي والقصور فمه
 أيها الفاضل الذي حُمدت^(١) السن المدح والشنا شيمه
 لا تُكَلِّف أخاك مقترحاً نشر عار لديه قد كتبه
 وابق في عزّة وفي دعة صافي العيش وادأ رُشبه
 ما ثى النصف عطفه طرباً وشدا الطير فوق نغمه

مُشِيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر الزبير ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى .
 توفي بمائة في اليوم الثامن والعشرين لمُحرم عام اثنين وخمسين وستائة ،
 وأوصى بعد أن حُفِر قبره ، بين شيوخه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي ،
 وأبي عثمان بن عيسى ، أن يدفن ، وأن يكتب على قبره هذه الأبيات :

ترحم على قبر ابن باقر وحيه فمن حقّ ميّت الحى تسليم حيه
 وقل آمن الرحمن روعة خائف لتفريطه في الواجبات وغيه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (حفظت) .

قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً من الله تخفيفاً بقرب^(١) وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره ويشمل بالمعروف أهل نديه
وإني بفضل الله أوثق واثق وحسبي وإن أذنبْتُ حَبَّ نبيه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري^(٢)
من أهل ألمرية يدعى بالبيو، ويكنى أبا عبد الله

حاله

من الإكليل الزاهر^(٣)، شيخ أخلاقه ليّنة، ونفسه كما قيل هيّئة، ينظم الشعر سهلاً مساقه، مُحْكماً اتّساقه، على فاقة بها من إفاقة. أنشد السلطان بظاهر بلده قوله:

سَرَتْ رِيحٌ تَجِدُ مِنْ رُبِّي أَوْضَ بَابِلَ فَهَاجَتْ إِلَى مَسَرَى سَرَاهَا بِلَابِلَ
وَذَكَّرَنِي عَرَفُ النَّسِيمِ الَّذِي سَرَى مَعَاهِدَ أَحْبَابِ سُرَاةِ أَفَاضِلَ
فَأَصْبَحْتُ مَشْغُوقاً بِذِكْرِ مَنَازِلَ أَلْفَتْ فَوَاشِقَ لَتَلِكِ الْمَنَازِلَ
فِيَارِيحٍ مُّيِّ بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْحَمَامِلَ
وَسِيرِي بِجِسْمِي لَقَى الرُّوحَ عِنْدَهَا فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ
وَقَوْلِي لَهَا عَنِّي مُمْتَنِّكَ بِالْمَهْوَى^(٤) لَهُ شَوْقٌ مَعْبُودٍ وَعَبْرَةٌ ثَائِلِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (يقدر).

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة».

(٣) وعنوانه الكامل «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظير التاج من الخواهر» من كتب ابن الخطيب الصغيرة. وفيه يترجم لبعض أعلام معاصرة. وذلك بإيجاز وأسلوب مسجع. وقد سبق التعريف به عند استعراض كتب ابن الخطيب في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (بالهوى)

فيا بأبي هيفاء كالغصن تَدْنِي بَقْدُ يَقْدُ كَادَ يَنْقَدُ مَايل
فناة براها الله من فِشْنَة فَمِنْ رَأَاهَا وَلَمْ يَفْتَنَ فليس بماعل
لها مَنْظَرٌ كالشمس في رَوْنَقِ الضُّحَا وَلَحْظُ كَحِيلٍ سَاحِرِ الطَّارِفِ بَابِل
بطيب شذأها عَطَّرَتْ كُلَّ عَاطِر كَمَا بِحُلَاهَا زَيَّنَتْ كُلَّ عَاطِل
رَمَتْنِي بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِ جُفُونِهَا فَصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمُ مِنِّي مِقَاتِل
فَطَلِمْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارِ مِنَ الْهَوَى وَمَا الْحُبُّ إِلَّا بَلْجَةٌ دُونَ سَاحِل
فِيَا مَنْ سَبَبَتْ عَقْلِي وَأَفْنَتَ تَحْلُدِي صِلِيْنِي فَإِنَّ الْبُعْدَ لَا شَكَّ قَاتِل
فَلِي كَبَدٌ شَوْقِي إِلَيْكَ تَقَطَّرَتْ وَقَلْبُ بَنْيَرَانِ الْجَوَى فِي مِشَاعِل
وَلِي أَدْمَعٌ تُحْكِي نَدَا كَفِّ يُوسِف أَمِيرِ الْعَالِي الْأَرْضِيِّ الْجَمِيلِ الْفَضَائِل
إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَامِلَ لَمْ تَزَلْ بِمُحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَامِل

ومن شعره قوله من قصيدة :

بَهَرَتْ كَشْمَسٌ فِي غُلَّالَةِ عَسْجَدٍ وَكَبَدٌ رِيَمٌ فِي قَضِيبِ زَبَرْجَدٍ
نَمِ اثْنَتٌ كَالْغَصْنِ هَزَتْهُ الصَّبَا طَرَبًا فَتَزْدِي بِالْغَصُونِ الْمِيدِ
حَوْرَاءُ بَارِعَةِ الْجَمَالِ غَرِيْدَةٌ تَزْهِي فَتَزْدِي بِالْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
إِنْ أَذْبَرْتَ لَمْ تُبْقِ عَقْلٌ مَدْبُرٌ أَوْ أَقْبَلْتَ قَتَلْتَ وَلَكِنْ لَا تَدِرْ

تواليفه

قال شيخنا أبو البركات ، وأبثلى باختصار كتب الناس ، فمن ذلك مختصره
المسمى « بالدُرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجاء المرسومة » ، وكتاب
في حكايات تسمى روضة الجنان ، وغير ذلك .

توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، ودخل غرناطة
غير مرة .

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
من أهل جزيرة شقر^(١) ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن مَرَج الكُحَل

حاله

كان شاعراً مُقلِّداً غزلاً^(٢) ، باوع التَّوليد ، رقيق الغزل . وقال الأستاذ أبو جعفر : كان شاعراً مطبوعاً ، حسن الكفاية ، ذا كراً للأدب ، متصرفاً فيه . قال ابن عبد الملك : وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ، ظهرت فيها إجادته . وكان مُبتَذِل اللباس ، على هيئة^(٣) أهل البادية ، ويقال إنه كان أمياً .

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله بن الأَبَّار ، وابن عسكر ، وابن أبي البقاء ، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن بَرَّطلة ، وأبو الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّةِ نَهْر الغُنْدَاق ، خارج بلدنا لَوْشَة بنت الحَضْرَة ، والمحسوب

(١) هي بلدة من أعمال شرق الأندلس « تقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية ، على نهر شقر El Jucar ، وعلى مقربة من مصبه في بقعة في منتهى الحصب والنفرة ، وقد كان إلى جانبها داخل مصب النهر الجزيرة الشهيرة في الشعر الأندلسي - جزيرة شقر - وهي التي اشتهرت بإنجائها رهطا كبيرا من العلماء . وبالاسبانية Alcira »

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» والإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ . وفي الإسكوريال (أهل) وهو سهو ظاهر في تكرار نفس الكلمة .

من دخلها فقد دخل البيرة ، وقد قيل إن هذا النهر من أحواز بَرْجَة ، وهذا الخلاف داع إلى ذكره .

عَرَّجَ بِمُتَعَرِّجِ السَّكَايِبِ الْأَعْفَرِ بين الفُرات وبين شَطِّ السَّكَايِبِ
وَلَنَغْتَبِقَهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً من راحَتِي أَحْوَى المَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وَعُشِيَّةٌ قَدْ^(١) كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتُهَا سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
[نَلْنَا بِهَا آمَالِنَا]^(٢) فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لَنَا بِشِقْهَا شَمِيمَ الْعَنْبَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ نَدَمٍ يَسْفَهُ رَأْيَهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِغَيْرِ تَكَلُّرِ
وَالوَرَقُ تَسْدُو وَالْأَرَاكُ تُتَلَشَّى وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَيْصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ [مُفَضِّضٍ وَمُذْهَبٍ]^(٣) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَمٍ وَمُدْنَرٍ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى بِمُضْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُضْضَرٍ
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خَضِرَةً شَطَّهَ سَيْفٌ يَسِلُ عَلَى رِبَاسِ أَخْضَرِ
وَكَأَنَّمَا^(٤) ذَاكَ الْحَبَابُ فَرِنْدُهُ مِهَاطِفًا فِي صَفْحَةِ كَالْجَوْهَرِ^(٥)
وَكَأَنَّهُ وَجْهَاتُهُ مُحْفُوفَةٌ بِالْأَسِّ وَالنُّعْمَانِ خَشْدٌ مُعْدَّرُ
نَهْرٍ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَيِّمْ وَيُجِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا أَصْفَرُ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لِفُرْقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ
وَلَا خِفَاءَ بِإِرَاعَةِ هَذَا النَّظْمِ . وَقَالَ أَيْضًا :

-
- (١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال والنسخ (كم) والأولى أنسب للسياق .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . ووردت في النسخ (قلنا بهذا مالنا) ، وهو تعريف .
- (٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي المخطوطين (مذهب ومفضض) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» (وكان من) .
- (٥) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» .

أرأت جفونك مثله من منظر^(١) ظلّ وشمس مثل خدّ مُمَدَّر
وهذا تنمिम عجيب لم يسبق إليه . ثم قال منها :

وقرارة^(٢) كالعشمر بين خميّلة سالت مذانبها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمصنّدل من يانع الأزهار أو بمعضر
أمل بلغناه بهضب حديقة قد طرّزته يد الغمام المَطَر
فكأنه والزهر تاج فوقه مُلك تجلّى في رِساط أخضر^(٣)
راق السواظر منه رايق منظر يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد [خاطر خاطر]^(٤) مُستوفز وكَم استفزّ جماله من مُبصر
[لولا ح لي]^(٥) فيما تقدّم لم أقل عرج بمنعرج السكيب الأعقر

قال ابو الحسن الرعيني ، وانشدني لنفسه :

وعشيّة كانت قنيصة فتيّة ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصّبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوراً
شملتهم آدابهم فتجاذبوا سرّ الشرور محدثاً ومُصيخا
والورق تقرأ سيرة الطرب التي يُنسيك منها ناسخاً منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة فتيّمت من كان فيه مُنيخا
فتخالهم حلل السماء كواكبا قد قارنت بسعودها المريخا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفح . وفي المخطوطين (إذا أجمناك مثله منظر) . وهو تحريف

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح ، وفي المخطوطين (قرارة) .

(٣) هذا البيت ساقط في المخطوطين ، «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي «ج» و «الزيتونة» (كم قاد خاصر مستوفز) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و «الزيتونة» والنفح . وفي «ج» (لولا ذلّي) .

خرق العوائد في السُرور نهارهم فجعلتُ أبياتي لهم ^(١) تاريخاً ^(٢)
ومن أبياته في البديهة :

وعندي من مرآشفها حديث يُخبر أن ريقتها مُدام
وفي أجفانها السُكرى دليل وما دُقنا ولا زعم الهُمام
تعالى الله ما أجرى دموعي إذا غنت لقلتي الخيام
وأشجاني إذا لاحت يروق وأطربني إذا غنت كحمام
ومن قصيدة .

[عذيري من الآمال خابت قصودها ^(٣) ونالت جزيل الخط منها الأخابث
وقالوا ذكّرنا بالغنى فأجبتهُم خولاً وما ذكّر مع البخل ما كثر
يهون علينا أن يبيد أثاثنا وتبقى علينا المكرمات الأثابت
وما صرّ أصلاً طيباً عدمُ الغنى إذا لم يغيره من الدهر حادث ^(٤)
وله يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث :

أبا عمرو متى تُقضى الليالي بقلبيكم وهنّ قصصن ديشي
أبت نفسي هوى إلا شريشاً وما بعد الجزيرة من شريش
وله من قصيدة :

طفّل المساء وللنسيم تضوُّع والأنس يُنظّم ^(٥) شملنا ويجمع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (له) . والأول أنسب للسياق .

(٢) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال والنفع ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النفع . ووردت في الإسكوريال (قصودها) .

(٤) هذه الأبيات واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووردت في النفع (يجمع) .

والزهر يضحك من بكاء غمامة
والنهر من طرب يصفق موجه
فانعم أبا عمران وأله بروضة
ياشادن البان الذي دون النقا
[الشمس يغرب نورها ولربما
إن غاب نور الشمس بتنا^(٢) نتقى
أفلت فذاب سناك عن إشراقها
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل
وقال :

ألا يشرروا بالصبح منى باكياً
ففى الصبح للصب المتيم راحة
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى
ومن بديع مقطوعاته قوله :

مثل الرزق الذى تطلبه
مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبهما
فإذا وليت عنه أثبمك
وقال :

دخلتم فأفسدتم قلوباً بملككم^(٥) فأنتم على ما جاء فى سورة النمل

- (١) هذا البيت ساقط فى المخطوطين وفى الإسكوريال . ووارد فى النسخ .
(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال والنسخ (لسنا) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .
(٣) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين وفى النسخ ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ . ووردت فى المخطوطين (بكا) .
(٥) هكذا وردت فى المخطوطين والإسكوريال . وفى النسخ (بملكها) .

وبالعدل^(١) والإحسان لم تتخلّوا فأنتم على ما جاء في سورة النحل
وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور : رأيت لابن مرج السكحل مرّجاً أحر
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُنْجِب ، فقلت :

يا مرّج كُفّلْ ومن هدى المروج له ما كان أحوج هذا المريج للسكحل
يا مُحرّة الأرض من طيب ومن كرم فلا تسكن طمعاً في رزقها العجّل
فإن من شأنها إخلاف آملها^(٢) فما تفارقها كيفيّة الخجل
فقال بجيباً بما نصه :

يا قائلاً إذ رأى مرّجى ومُحرّته ما كان أحوج هذا المريج للسكحل
هو احمرار دماء الرّوم سيّلها بالبيض من مرّ من آباء الأول
أحببته إن من فُتنت به في مُحرّة الخلد أو إخلافه أمل

وفاته

توفي ببلده يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وسبعمائة ، ودفن في اليوم بعده .

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل مرسية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الجنان

حاله

كان محدثاً راوية ، ضابطاً ، كاتباً بليغاً ، شاعراً بارعاً ، رايق الخط ،

(١) هكذا في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (وبالحود) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي المخطوطين (آملها) .

ديننا فاضلا ، خيرا ، زكيا . استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان
يتبرم من ذلك ، ويقلق^(١) منه . ثم خلّصه الله منه . وكان من أعايب الزمان
في إفراط القماءة^(٢) ، حتى يظن رائيها إذا استدبره ، أنه طفل ابن ثمانية أعوام
أو نحوها . متناسب الخلقة ، لطيف الشايل ، وقورا . خرج من بلده ، حين تمكّن
العدو من بيصته عام أربعين وستمائة ، فاستقر بأوزبولة^(٣) ، إلى أن استدعاه إلى
سبّية ، الرئيس بها ، أبو علي بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل
إفادته ، وحظى عنده حظوة تامة . ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية . وكانت
بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ، ظهرت فيها براعته .

مشيخته

روى ببليده وغيرها عن أبي بكر عزيز بن خطاب^(٤) ، وأبي الحسن بن سهل
ابن مالك ، وابن قطّال ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي
علي الشلوبين ، وغيرهم .

من روى عنه

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل ، وأبو الحسن محمد بن رزّيق .

شعره

[قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وكان له في الزّهد ، ومدح النبي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . وفي «الزيتونة» (يفسّق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القائمة) وهو تحريف .

(٣) أوريوله وبالإسبانية Orihuela من بلاد شرق الأندلس . تقع على نهر شقورة شمال شرق
مرسية . وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دورا هاما ، وسقطت في أيدي الأرجونيين في سنة ٦٦١ هـ

(١٢٦٢ م) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (ابن خطاب) وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم بدايع ، ونظم في المواعظ لذكرين كثيرا^(١) . فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر :

مضى رمضان وكأن بك قد مضى	وغاب سنه بعد ما كان أو مضى
فيا عهد ما كان أكرم مهندا	ويا عصره أعز على أن انقضا
ألم بنا كالعليق في الصيف زائرا	فغيم فينا ساعة ثم قوضا
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى	أيا السخط هنا قد تولى أم الرضا
قضى الحق فينا بالفضيلة جاهدا	فأى فتى فينا له الحق قد قضا ^(٢)
وكم من يد بيضاء أسدى لذي ثقى	بتوبته فيه الصحيف بيضا
وكم حسن قد زاده حسنا وسنى	محاه وبالإحسان والحسن غوضا
فله من شهر كريم تعرضت	مكاهمه إلا أن كان أعرضا
ننى بينه وبين شجوك معلما	وفى إثره ارسل جنونك فيضا
وقف بثنيات ^(٣) الوداع فإنها	تمحس مشتاقا إليها وتمحضا
وإن قضيت قبل التفرق وقمة	فمقضيها من ليلة القدر ما قضا
فيا حسنها من ليلة جل قدرها	وحض عليها الهاشي وحرضا
لعل بقايا الشهر وهى كريمة	تبين سرا للأواخر ^(٤) أغرضا
وقد كان أضفى ورده كي يفيضه	ولا كن تلاحى [من تلاحى] ^(٥) فقيضا
وقال اطلبوها تسعدوا بطلابها	غرك أبواب القلوب وأنهدضا
جزى الله عنا أحمد الجزا على	كرم أضفاه بردا وقضضا

(١) وردت هذه الفقرة التي بين الخاصرتين في المخطوطين . ولم ترد في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (مضى) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بثنيات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (في الاواخر) .

(٥) هكذا وردت الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (إثبات فيها) . وهى ساقطة في «ج»

وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ نَبِيٍّ مَبَارُوكٍ
لَهُ عِزَّةٌ أَعْلَى مِنَ الشَّمْسِ مَنْزِلًا
لَهُ الَّذِي كَرِيهِي فَضَّ مِسْكَ خَتَامِهِ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَهْلُ سَاكِبٍ
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ لِلرَّسَالَةِ مُرْتَضَا
وَعَزَمَتُهُ ^(١) أَمَضَى مِنَ السَّيْفِ مُنْتَضَا
تَأَرَّجَ مِنْ دِيَا فَضَايِلِهِ الْفَضَا
وَذَهَبَ مُوَشَّيَ الرِّيَاضِ وَفَضَضَا

ومن ذلك قصيدة في الحج :

[تَذَاكُرُ الذِّكْرَ وَتُهَيِّجُ اللَّوَاعِجَا
رُكْبَانًا سَرَّتْ بَيْنَ الْعَذِيَّتِ وَبَارِقِ
تَيْمَنٍ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَنْزِلًا
لَهُنَّ مِنَ الْأَشْوَاقِ حَادٍ فَإِنْ
أَلَا بِأَيِّ تِلْكَ الرُّكْبَانِ إِذَا سَرَتْ
بِرَاهِمٍ سَوَاحٍ أَوْ مُرَاهِمٍ فَأَصْبَحُوا
لَهُمْ فِي مُقَى أَسْنَى الْمُنَا وَلَدَى الصِّفَا
سَحَابٍ — طُوفُ بَيْتِ طَامِحٍ
فَأَبْدُوا مِنَ اللَّوَعَاتِ مَا كَانَ كَامِنًا
وَلَمَّا دَنَوْا نَزَدُوا هُنَيًّا وَأَقْبَلُوا
وَقَضَوْا بِتَقْبِيلِ الْجِدَارِ وَلِثَمِهِ
إِذَا اعْتَنَقُوا تِلْكَ الْمَعَالِمَ خِلْتَهُمْ
فَلِلَّهِ رُكْبٌ يَمْشُونَ نَحْوَ مَكَّةَ لَقَدْ
أَنَاخُوا بِأَرْجَاءِ الرَّجَاءِ وَعَرَّسُوا
فَبَشِّرُوا لَهُمْ كَمْ خَوَّلُوا مِنْ كَرَامَةٍ

فَعَالَجَنَ أَشْجَانًا يُكَاثِرُونَ عَالِجَا
نَوَاصِيحَ فِي تِلْكَ الشُّعَابِ نَوَاصِيحَا
يَطْرُنَهَا إِلَّا فِي الْأَرَاكِ مَجَاسِجَا
وَنَتَّ حُدَاهُ يُرْجِعُنَ الْحَزِينَ أَهْزَا
هَوَادِي يَمْلَأَنَّ الْفَلَاةَ هَوَادِجَا
رَسُومًا عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ عَوَاجِجَا
يَرْجُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّفَا الْمُنَاجَا
أَوَامٍ قَبَابًا لِلْعُلَى وَمَعَارِجَا
وَأَذَرُوا دَمُوعًا بَلَّ قُلُوبًا مَنَاجِجَا
إِلَى الرُّكْنِ مِنْ كُلِّ النَّجَاجِ أَدَارِجَا
حَقُوقًا تُقْضَى لِلنَّفُوسِ حَوَاجِجَا
أَسَاوِرَ فِي إِيْمَانِهَا وَجْهَالِجَا
كَرُمُوا قَصْدًا وَحَلُّوا مَنَاسِجَا
فَأَصْبَحَ كُلُّ مَا بَزَّ الْقَدَحِ فَالِجَا
فَكَانَتْ لَمَّا قَدَّمُوهُ نَمَاجَا

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وعزمتنا) والأولى أنسب للسياق .

بفتح بابٍ للقبول والرضا
تميز أهلُ السُّبْق لا كن غيرهم
أيلحق جلسُ للبيوت مداهم
ألا ليت شعري للضرورة هل أرى
له الله من ذى كُرْبَةٍ ليس يُرْتَجَى
قد أَسْمَمَت شقَّ المسالك دونه
يخوض بحار الذنوب ليس يهابها
جبانٌ إذاعنَّ الهدى وإذا الهوى
يتيه ضلالاً في غيابة همه
فواحرزنا لاح الصباح لمبصر
لعلَّ شَفِيعِي أن يكون معاجلاً
فَيْشْرِقُنِي بيتُ الإله نواخاً
فما لي لإماتى سوى حُبِّ أحمد
عليه سلام الله من ذى صِباة
ولو أنصفت أجنانه حقَّ وجده

ووفدُهم أضحي على الباب والجا
غدا همجاً بين الخليفة هاجما
ولم يلعب في تلك المدايح دارجا
إلى الله والبيت المحجَّب خارجا
لمرتجىها يوماً سوى الله فارجا
فلا نَمَجْ يَلْقَى فيه لله ناهجا
ويُصْعَقُ دُغْرًا إن يرى البحر هائجا
يَعْنُ له كان الجريء المهارجا
فلا حجير تهديه لرشدٍ ولا حيجا
وقلبي لم يُبْصِر سوى الليل إذ سجا
لداء ذنوب بالشفاء معالجا
ويُعبق لى قبر النبي نواخجا
وصلت له من قرب قاي وشايجا
حليفت شجاً يكفى من البعد ناشجا
سَفَكْتَ دما للدموع موازجا^(١)

كتابته

وكتابته شهيرة ، تُضرب بذكره فيها الأمثال ، وتطوى عليه الخناصر .
قالوا ، لما عمده^(٢) أمير المسلمين : أبو عبد الله محمد بن يوسف [بن هود]^(٣)
البسمة لابنه الوائق بالإمارة من بعده ، تولى إنشاءها . وجعل الحاء المهملة

(١) وردت هذه القصيدة في الإسكوريال فقط ، ولم ترد في المخطوطين «ح» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (جعل) .

(٣) الزيادة من الاسكوريال .

سَجَّعَهَا مُرْدَفًا إِيَّاهَا بِالْأَلْفِ ، نَحْوُ صَبَاحًا وَصَلَاحًا^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . طَالَ
مَجْمُوعُهَا فَتَاهَزَتْ الْأَرْبَعِينَ . وَطَابَ مَسَمَعُهَا^(٢) ، فَأَحْرَزَتْ بَغِيَّةَ الْمُسْتَعْمِلِينَ :
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ ، وَسَالَتْهُ الشَّهِيرَةُ ، يَدَاعِبُهُ فِي ذَلِكَ . وَهِيَ
الَّتِي أَوْلَاهَا :

« تَحْيِيكَ الْأَقْلَامُ تَحْيِيَّةَ كَيْسَرِي ، وَتَقِفُ دُونَ مَدَاكِ حَسْرِي » . وَمِنْهَا
فِي الْفَرَسِ : « وَمَالِكُ أَمِنَتْ تَغْيِيرَ الْحَالَاتِ^(٣) ، فَشَدَنْتُ غَاوَتَكَ عَلَى الْحَامَاتِ ،
وَنَفَضْتُ عَنْهَا الْمَهَارِقَ : وَبَعَثْتُ فِي طَلَبِهَا السَّوَابِقَ ، وَلَفَظْتُهَا مِنَ الْأَفْوَاهِ ، وَطَلَبْتُهَا
بَيْنَ الشَّفَاهِ ، حَتَّى شَهِدَ أَهْلُ اللِّسَانِ^(٤) ، بِتَرْجُوحِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَسْكَانِ ، وَتَوَارَتْ
بِالْخُلُوقِ . وَلَوْ تَغْلَغَلْتَ إِلَى الْعُرُوقِ ، لَأَتَرْتَهَا جِيَاذَكَ ، وَاقْتَنَصَصَهَا قَلَمَكَ وَمِدَادَكَ »
[وَهِيَ طَوِيلَةٌ]^(٥)

فَرَاغَهُ^(٦) بِقَوْلِهِ : « مَا هَذِهِ النَّحِيَّةُ الْكَيْسَرِيَّةُ ، وَمَا هَذَا الرَّأْيُ ، وَمَا هَذِهِ
الرَّوْيَةُ ، [أُنْشِكَيْتُ مِنَ الْأَقْلَامِ ، أَمْ تَبْسَكَيْتُ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَمْ كَلَا الْأَمْرَيْنِ
تُوجِّهُ الْقَصْدَ إِلَيْهِ]^(٧) وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْأَفْعَادِي بِالْقَلَمِ ،
يَتَسَامَى عَنْ عَكْسِهِ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ بِنَفْسِهِ ، فَتَقَى لَأَنْتَ أَنْيَابِيهِ لِلْعَاجِمِ ،
وَدَانَتْ أَعَارِبُهُ^(٨) بِدِينِ الْأَعَاجِمِ . وَاعْجَبْنَا لَقَدْ اسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ ، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ

(١) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَفَلَاحًا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (مَسْمُوعَهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْحَارَاتِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطِينَ (الشَّانِ) .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَالِ .

(٦) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (فَاجَابَهُ) .

(٧) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارْدٌ فِي «ج» وَالْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقَطَ فِي «الزِّيْتُونَةِ» .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي «ج» . وَفِي «الزِّيْتُونَةِ» (إِعْرَابُهُ) .

والعمل . لأمر ما جَدَعَ أنفه قَصِير ، وارتد على عقبه الأعمى ^(١) أبو بصير . أمْسُ
استَسْقَى من سحابه ، فلا يُسْقِيَنِي ، واستَشْفَى بِأَسْمَايَه فلا يُشْفِيَنِي . واليوم يُحَلِّئِي
محلُّ أنو شروان ، ويشكو مني شكوى اليزيدية من بني مروان ، ويزعم أني
أبطلت سحره ، كما أبطل سحرُ بردوان ، ويخفي في نفسه ما الله مُبْدِيه ،
ويستجدي بالآثر ^(٢) ما عند مُسْتَجْدِيه . فمن أين جاءت هذه الطريقة المُتَّبِعَة ،
والطريقة المُبْتَدَعَة ، أيظن أن مُعَمَّاه لا يُفَكُّ ، وأنه لا يتجلى هذا الشك . هل
هذا ^(٣) منه إلا إحاض النية ، وإحاض تَفَنِّيَة ، ونشوة من خرة الهزل ، ونخوة
من ذى ولاية آمِن العزل . تالله لولا محلُّ من القَسَم ، وفضله في تعليم النَّسَم ،
لأسمعته ما يَمُتَّعُط به صلَّفه ، وأودعته ما يَنْصَدِّع به صدَّفه ، وأشدَّتْ بِشرف
المشرق ومجده ، وأشرتُ إلى تعاليه عن اللعب بجَدَّه . ولكن هو القلم الأول ،
فقوله على أحسن الوجوه يتأول ^(٤) ، وممدود في تهذيبه ، كلُّ ما لسانه يَهْدِي به .
وما أنسانيه ^(٥) إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ^(٦) ، وأما أقول ليت التحية
كانت لي فأشكرها ، ولا عتب إلا على الحاء ، المبرَّحة بالبرحاء ، فهي التي
قيَّمت قيامي في الأندية ، وقامت على قيام المُعْتَدِيَة ، يتظلم وهو عَيْنُ الظالم ،
ويُلِين القول ، وتحمته سُمُّ الأراقم ، ولعمر البراعة وما نصَّعت ، والبراعة وما
صنَّعت ، ما خمرني هواها ، ولا كلَّفت بها دون سواها . ولقد عرَّضت نفسها
على مرادا ، فأعرَّضت عنها أزوواراً ، ودفعتها عنى بكل وجه ، تارة بلطف ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بالأسد) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذلك) .

(٤) وردت في المخطوطين (يتأمل) والتصويب من الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنساني) .

(٦) وردت في المخطوطين (أذكره) والتصويب من الإسكوريال .

وأخرى ينجيه، وخفتُ منها السامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبي جهنم وسوء سلكته. وابن أبي سفيان وصعدكسكته، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة، وأصبح من سيجاح في استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عترتها، واستثقال الاجتماع من عشرتها^(١). وأرى من القن والسفاه^(٢) [أخذها، وترك بنات الأفواه والشفاه]^(٣) إذ هي أيسر مؤنة؛ وأكثر معونة. فغلطى فيها، أن كانت بمنزل تنوارى صونا عن الشمس، ومن لِسوة خفرات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للسكف، والعنان للوكف، والمعنى للإسم، والمعنى للرسم، والظل للشخص، والمستبدل للنص. فمأرفت منها إلا خبرا^(٤) أرضاه [حتى حسبتها]^(٥) من الحافظات للغييب بما حفظ الله، فعجبت لها الآن كيف زلت نعماء، ونشزت فذشرت ما استسكنتمها بعلماء، واضطربت [في رأيها]^(٦) اضطراب المختار أبي عبيد، وضربت في الأرض تسعى على بكل مكرو وكيد، وزعمت أن حرف الجيم خدعها، والآن أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور، فقد جاءت إفكاً وزورا، وكثرت من أمرها شزورا، وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيس والمرادة، قالت ما جزاء، وهي التي قدت القميص، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب

(١) هكذا ورد ترتيب هاتين الكلمتين في المخطوطين. وفي الإسكوريال (عشرتها ... عترتها).

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (والسافة). وفي الإسكوريال (السفه) والأولى أكثر تمثيلاً مع السياق.

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال. وساقط في المخطوطين.

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال (خيرا). والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (وحسبتها).

(٦) هذه العبارة وردة في المخطوطين. وساقطة في الإسكوريال.

ترجم ، ويقال [لقد خُفضت الحياء . بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم]^(١) ، وتنص
لها أختها^(٢) التي خيَّمت بين النرجسة والريحانة ، وختمت السورة باسم جعلت
ثانيه أكرم [نبي على الله سبحانه]^(٣) ، فإن امتعشت هذه المنظومة ، تلك التي
سبقت بكلماتها بشاراة المتكلمة ، فأنا أود بعدها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن
تقضى قضاء مثلها ، وتعمل بمقتضى : فابعدوا حكاماً من أهله ، وحكاماً من أهلها . على أن
هذه التي قد أبدت مئينها ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، أن قال الحكمان منها كان
النشور ، عادت حرورية العجوز ، وقالت التحكم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك
يُخصّص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ،
من دعوة سعيدة حين الدعوى ، ويأويحها أن أرادت [أن تجني على] فجنت لي ،
وأناخت^(٤) [(٤)] لي مَرَكَب^(٥) السعادة ، وما ابتغت إلا ختلي ، فأتى شرها بالخير ،
وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بما يثيره اعوجاجها ، ويتجلى عنه
عجاجها . فقد أفادت عظيم الفوائد ، ونظمت الفرايد ، ونفّست الفخر ، ونفّيس
الذخر^(٦) ، وهي لا تنكر^(٧) أن كانت من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم
الملاحاة والسباب . وإنما يستوجب الشكر جسيماً ، والثناء الذي يتضوع نسيماً ،
الذي شرف إذ أهدى أشرف السحائم^(٨) ، وعرف بما كان من انتحاء تلك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (لقد حفظت الحوار بالحوار) .
وفي الإسكوريال (لقد خفضت بالحوار هذا الجيم) .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وملاحظة في «ج» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (موكب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و «الزيتونة» . وفي «ج» (الدر) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (تشكر) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (السجلات) .

الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن ألم بالفكاهة ، فما أُملي من البدهاء ،
وسُمي بلم السابق الشكيت ، وكان من أمر مداعبته كَيْت وكيت ،
[وتلاعب بالصفات] ^(١) ، تلاعب السَّيل ^(٢) بالصفة ، والصَّبَا بالبانة ، والصَّبَا
بالعاشق ذى اللبانة ، فقد أغرَب بفنونه ، وأغرى القلوب ^(٣) بفنونه ،
ونفث بِجَفَنِهِ ^(٤) الأطراف ، وعَبَث من الكلام المُشَقَّ الأطراف ، وعلم
كيف يُلَخِّص البيان ، ويُخَلِّص العقيان . فمن الحق أن أشكره على أباديه
البيض ، وأن آخذ لفظه من معناه في طَرْف النقيض . تالله أيها الإمام الأكبر ،
والغمام المُستَمطر ، والخبر الذى يُشْفَى سايه ، والبحر الذى لا يُرى ساحله ،
ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصَل النور لهذا الحلك ، وصحَّ أن
يُقاس ، بين الحداد والملك . إنه لتواضع الأعزَّة : [وما يكون للأكلوم عند
المكالم من المزَّة] ^(٥) ^(٦) ، وتحريض الشيخ للتلميذ ؛ فى إجازة الوضوء
بالنبيذ . ولو حضر الذى قُضى له بجانب الغربى أمرُ البلاغة ، وارتضى
ماله فى هذه الصناعة ، من حُسْن السَّبِك لِحليتها والصِّيَاغة ، وأطاعته فيما أطلعت
طاعة القوافى الحسان ، وأتبعته فيما جمعت لَكِن بغير إحسان لأذعن كما أذعنت ،
وظنَّ عن محل دعوى ^(٧) الإجادة ، كما ظنَّت . وأنى يُضاهى الفرات المَعِين ^(٨)
بالنُغْبَة ، ويباهى بالفوس من أوتى من السكنوز ما أن مفايح لنوهُ بالعُصبة ، وأى

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (وتلاعبت الصفات) .

(٢) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (القلب) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (نغفيه) .

(٥) وردت فى الإسكوريال «ج» (الهزة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، «الزيتونة» . وفى «ج» (وما يكون عند

الكرام من الهزة)

(٧) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى «ج» .

حظاً للكلالة في النّسب ، وقد اتصل للورثة عمود النّسب . هيهات والله بُعْدُ^(١)
المطلب : وشتان الدّر والخشب . وقد سيم القلب ، ورجع إلى قيادة السّلب ،
وإن كنا ممن تقدم لشدة الظمأ إلى المنهل . ولكن أقدم إلى عين تبوك بعد النّهي
للعل والنهل^(٢) . فقد ظهرت بذلك المعجزة عياناً ، وملء ما هناك جيناً ، وما
تعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشّرّاب ساقى القوم ، وإن
أسهمنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن اعرقنا فموانا في الحجاز ، فلم
قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطأ في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا
من الفقر في فقر^(٣) . وذلة . ومن لنا بواحدة يُشرق ضياؤها ، ويتخفى للنجوم خجلها
منها وحياتها ، إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كليلة الوصل .
فلوسطع^(٤) نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت
النيران ليوسف ذلك الجلال ، ووجدت نفحات رياها في أعطاف الجنوب والشمال ،
وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجاج يوم النفر ، وسار خبرها^(٥) وسرى ، فصار
حديث المقيمين والسفر . وما أظن تلك السّخرة في تدليها ، إلا السّاحرة بتعجيبها ،
إذ كانت ربيبتها ، بل ربيبتها ، هذه التي سبقتنى لما سقنتني بسينها ، ووجدت
ريحها ، لما فصلت من مصرها غيرها . وحين وصلت ، لم يداني على سابقها^(٦)
إلا عيرها ، وكما وامت أن تستتر عنى بليل خبرها في هذه المغاني . فأغرائي
بهاؤها^(٧) ، وكل مكرم مكرى بيباض صُبّح الألفاظ والمعاني . وهل كان ينفعها

(١) واردة في «الزيتونة» . وساقطة في الإسكوريال و«ج» .

(٢) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (قطع) والأولى أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (حديثها) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (سارها) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (ها) . وساقطة في «الزيتونة» .

تَلْفَحُهَا بِمِرْطِهَا وتَلْفَعُهَا ، إِذْ نَادَتْهَا الْمَوْدَةُ ، فَقَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةَ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى شَمِّ نَشْرِهَا ، وَعَرَفْتُهَا وَلَمْ سَطَرُهَا وَحَرَفُهَا ، وَقَرَيْتُهَا^(١) النَّشَاءَ الْحَافِلَ ، وَقَرَأْتُهَا فَزَيَّنْتُ بِهَا الْحَاضِرَ وَالْحَافِلَ . وَرُمْتُ أَمْرَ الْجَوَابِ ، فَعَرَّضْتُ فِي الْخُطَابِ ، لَكِنْ رَسَمْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الَّتِي هِيَ لَدَيْكُمْ بَعَجَزِي وَاشْيَةِ ، وَإِلَيْكُمْ مِنِّْي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مَاشِيَةٍ ، وَإِنْ رَقَّ وَجْهَهَا فَمَا رَقَّتْ لَهَا حَاشِيَةٌ ، فَتُنُوا بِقَبُولِهَا عَلَى عِلَّائِهَا^(٢) ، وَانْقَعُوا بِمَاءِ سَمَاحَتِكُمْ حَرًّا غُلْمِهَا ، فَإِنَّهَا وَافِدَةٌ مِنْ اسْتَقَرَّ قَلْبُهُ عِنْدَكُمْ وَتَوَّى ، وَأَقْرَبُ بَأَنَّهُ يَلْقُطُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا يُلْقَى لِلْمَسَاكِينِ مِنَ النَّوَى . بِقِيَمٍ ، سَيِّدِي الْأَعْلَى لِلْفَضْلِ وَالْإِعْضَاءِ ، وَدَمْتُمْ غُرَّةً فِي جَبِينِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَاقْتَضَيْتُمُ السَّعَادَةَ الْمُتَّصِلَةَ مَدَّةَ الْإِقْتِضَاءِ ، يَبْتَغِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ . انْتَهَى .

وَحَاسَنُهُ عَدِيدَةٌ ، وَأَمَّا ذِهِ بِعِيدَةٍ .

دخوله غرناطة

دَخَلَهَا مَعَ الْمُتَوَكِّلِ مَخْدُومِهِ ، أَوْ وَجَدَهُ بِهَا .

مَنْ رَوَى عَنْهُ : رَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ .

وفاته

قَالَ الْأَسْتَاذُ فِي الصَّلَةِ : انْتَقَلَ إِلَى بَجَايَةِ فَتَوَفَّى بِهَا فِي عَشْرِ [الْحُسَيْنِ]^(٣) وَسِتِّمَةِ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (وَزُوْدَتَهَا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (عَلَّاهَا) .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَالِ .

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي^(١)

من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله . من وجوه بلده وأعيانه ، نشأ نبيه البيت ،
ساحباً بنفسه وبماله ذيل الخطوة ، متحلياً بخصل من خط وأدب . وزيراً ، متجنداً ،
ظريفاً ، درباً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل . ثم انحط في هواه انحطاطاً ،
أضاع مروءته ، واستهلك عقاره ، وهدّ بيته ، وألجأ أخيراً إلى اللحاق بالعدوة
فهلك بها .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : مجموع شعر وخط ، وذكاء عن درجة
الظرفاء ، غير منحط إلى مجادة أنثيلة البيت ، شهيرة الحى والميت . نشأ في حجر
الترف والنعمة ، محفواً بالمالية الجمّة ، فلما غفل عن ذاته ، وترعرع بين لذاته ،
أجرى خيول لذاته ، فلم يدع منها ربعة إلا أفقره ، ولا عقاراً إلا عقره ، حتى حط
بساحلها ، واستولى بسفر^(٢) الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنه خلص بنفس
طيبة ، وسراوة سماؤها صيبة ، وتمتع ما شاء من زهر وبهم ، وتأثس لا يعطى
القياد لهم . وفي عفو الله سعة ، وليس مع التوكل على الله ضعة .

شعره

من شعره [قوله]^(٣) يمدح السلطان ، وأنشدها إياه بالمضارب من وادي
الغيران عند قدومه من المرية

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ، ولا «الزيتونة» . ويبدو
من لقب هذا الشاعر وهو شلبطور - وبالإسبانية Salvador - أنه ينتمى إلى أصل من المولدين ،
أعنى الإسبان الذين دخلوا في الإسلام ، منذ فتح الأندلس . وينتمى إلى هؤلاء المولدين كثر من أعاد
الأدب والتفكير الأندلسي .

(٢) هكذا وردت في الإ. ، يال ، وفي نصح الطيب (بسنه) .

(٣) الزيادة من النصح .

أَتَعْرُكَ أَمْ سَمِطٌ مِنَ الدَّرِّ يُنْظَمُ
وَوَجْهِكَ أَمْ بَادٍ مِنَ الصُّبْحِ نَيْرٌ
[أَعْلَلُ مِنْكَ النَّفْسَ وَالْوَجْدُ مُتَلَقٍ] (١)
وَأَنْفَعُ مِنْ طَئِيفِ الْخِيَالِ يَزُورُنِي (٢)
سَحَلْتُ الْهَوَى حِينًا فَلَمَّا عَلِمْتَهُ
وَلِي فِي أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّةٌ
بَلَغَتْ الْمُنَى لَمَّا لَشِمْتُ يَمِينَهُ
يَصُوغُ قَوْمِي الشَّعْرَ فِي طَيْبِ ذِكْرِهِ
فَاسْتَمْسَكَ الدِّينَ الْخَنيفَ زَمَانَهُ
لَهُ نَظَرٌ فِي الْمَشْكَلاتِ مُؤَيِّدٌ
وَيَسْتَغْرِقُ طَارِحًا فِيهِ وَابِلَ جُودِهِ
فَلَوْ أَنَّ أَمْلَاكَ الْبَسِيطَةَ أَنْصَفُوا
وَفِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَفِي الْبَأْسِ وَالنَّدَى
وَمِنْهَا:

إِلَيْكَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ اقْتَضَيْتُهَا
تَنَّمُ بِعَرَفِ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا
فَبِأَمْتِكَ سَيَّرْتُ فِي الْمَسَامِعِ ذِكْرَهَا
وَلَوْ أَنَّنِي فِي الْمَدْحِ سَحَابَانِ وَائِلِ
لَمَّا كُنْتُ إِلَّا عَنْ عُثْلَاكَ مُقَصِّرٌ
حَمَائِلِ شُكْرِ طَائِرُهَا مُتَرَنِّمٌ
إِذَا يَفْوَاهُ لِرَاوٍ فِي النَّدَى بِهَا فَمٌ
وَيَغْزِي فِي أَقْعَى الْبِلَادِ وَيُشْمُ
وَأَتَجِدُنِي فِيهِ حَبِيبٌ وَمُسْلِمٌ
وَمِنْ بَعْضِ مَا نَشَدْتُ وَتَوَلَّى وَتَنَعَمُ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأتي (اعلل منك الوجد والليل ملق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مؤلم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بضرورة) .

بَقِيتَ مَلَذًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً
وَمِنْ شَعْرِهِ مَذِيلًا عَلَى الْبَيْتِ الْآخِرِ حَسْبُهَا نُسْبٌ إِلَيْهِ :

نَامَتْ جَفُونُكَ يَا سُؤْلَى وَلَمْ أُنَمْ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بَى مِنْ مَحَبَّتِكُمْ
إِنْ كَانَ سَفْكَ دُمَى أَقْصَى مُرَادِكُمْ
وَمَا نُسْبٌ إِلَيْهِ كَذَلِكَ :

قِفْ بَى وَنَادِ بَيْنَ تِلْكَ الطُّوُلِ
أَيْنَ لِيَا لِيْنَا بِهِمْ وَالْمُنَى
لَا تَحْمَلُوا بَعْضَ الَّذِى حَمَلُوا
إِنْ غِثْتُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَنَى
وَمَا خَاطَبْنِى بِهِ :

تَاللَّهِ مَا أَوْزَى زِنَادَ الْقَلَسِقِ
أَيَقْنَتِ بِالْحَيْنِ فَلَوْلَا نَفْعَةٌ
لَكُنْتُ أَقْصَى بَتَلْطَى زَفْرَةٍ
فَآهَ مِنْ هَوْلِ النَّوَى وَمَا جَنَى
يَا حَاكِى الْغُضَنِ انْشَى مُتَوَجًّا
اللَّهُ فِى نَفْسٍ مُعْنَى أَقْصَدَتْ
سَوَى رِيحٍ (١) لَاحَ لَى بِالْأَبْرِقِ
نَجْدِيَّةٌ مِنْكُمْ تَلَاَفَتْ رَمَقٌ (٢)
وَحَسْرَةٌ بَيْنَ الدَّمُوعِ تَلْتَقُ (٣)
عَلَى الْقُلُوبِ وَقِفِ التَّفَرُّقِ
بِالْبَدْرِ تَحْتَ كَلَمَةٍ مِنْ عَشَقِ
مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ بِمَا لَمْ تُطَقِ

(١) هَكَذَا فِى الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِى النَّفْحِ (وَالسَّقَمِ) .

(٢) هَكَذَا فِى الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِى النَّفْحِ (الْأَلَمِ) .

(٣) هَكَذَا فِى الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِى النَّفْحِ (بَرِيقِ) .

(٤) هَكَذَا فِى الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِى النَّفْحِ (رَمَقِ ، نَلْتَقِ) .

أنى على أكنرها بَرَحَ الأسمى
ولو بالمام خيال فى السكرى
قُرْبَ زورٍ من خيالٍ زائرٍ
شُفِيت من بَرَحِ الأسمى لو أن مَنْ
ففى مُعَانَةِ اللىالى عائق
وفى ضمان ما يعانى المرء من
هذا العَمْرِ مع أنى لم أبت
فقد أخذت من خُطوب غَدَرها (١)
فخر الزاوة الذى ما مثله
ومذ أوانيه زمانو لم أبل
لا سيما مذ حَطَطْتُ فى حِما
أيقنت أنى فى رجائى (٢) لم أخب
نُذْبِله فى كل حُسْنِ آية
فى وجهه مَسْحَةٌ بِشِيرٍ إن بدت
تُعْتَبِرُ الأبصار فى لآلئها (٣)
كالدهر فى استينائه وبطشه
إن يَحُلُ الغيث استهلّت يده
وإن وَشَت صفحة طُرس انجلا

دع ما مضى منها وأدرك ما بقى (١)
إن ساعد الجفن رقيب الأرق
أقر عيني وإن لم يَصْدُق
أصبح رقى فى يديه مُعْتِق (٢)
عن النَّصَابِ وفنون القلق
نوايب الدهر مشيب المَفرق
منها بشكوى رَوْعة أو فرق
بابن الخطيب إلا من مما أُنق (٣)
بدر عَلا فى مغرب أو مشرق
من صَرفه من مُرْعِد أو مُبرق
جواره (٤) الأَمْع رَحْل أَيْنَق
وأن مسعى بَغْيَق لم يَخْفَق
تناسبت فى الخلق أو الخلق
تبهرجت أنوار شمس الأفق
عليه من نور السّماح المشرق
كالسيف فى حُدّ الطّبا والرّونق
بوابل من غيث جود غَدِق
ليل دُجاها عن سقى مُؤْتَلَق

- (١) هكذا وردت كلها فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ كالأق (بق) ، معنق ، اتق ، أَيْنَق .
- (٢) هكذا وردت فى النسخ . ووردت فى الإسكوريال (دهرها) والأولى أنسب للمعنى .
- (٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (مقامه) .
- (٤) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (رجا) .
- (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الألاما) .

بمثلها من حَبَرَات أُخْجِلَتْ حواشي الرُّوضِ خُدُودَ الْمَهْرَقِ
 مَارَاقَ فِي الْأَذَانِ أَشْنَأَفِ سِوَى مَلْتَقِطَاتِ لَفْظِهِ الْمَفْتَرَقِ
 تَوَدُّ أَجِيَادَ الْغَوَانِي أَنْ يُرَى حَلْيُهَا مِنْ دَرٍّ ذَاكَ الْمَنْطَقِ
 فَسَلِّ بِهِ هَلْ آدَهَ الْأَمْرِ الَّذِي كَحَلٍّ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ الْمَوْتَقِ
 إِذَا رَأَى الرَّأْيَ فَلَا يَخْطِئُهُ يُبَيِّنُ اخْتِيَارَ الطَّرِيقِ الْأَوْفَقِ
 أَيُّهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ هَا كَمَا عِزَّاءُ تَحْشُو فِي وَجْهِهِ السَّبَقِ
 خَذَهَا إِلَيْكَ بِكَرٍّ فِكْرٌ يَزْدَرِي لَدَيْكَ بِالْأَعْشَى لَدَى الْخُلُقِ
 لَازَلْتُ مَرْهُوبَ الْجَنَابِ مُرْتَجِي مَوْصُولَ عِزٍّ فِي سُعُودٍ تَرْتَقِي
 مُبْلَغُ الْأَمَالِ فِيهَا تَبْنَعِي مُؤَمِّنُ الْأَغْرَاضِ فِيهَا تَتَقِي
 نَابُ فِي الْقِيَادَةِ الْبَحْرِيَّةِ عَنْ خَالِهِ الْقَائِدِ أَبِي عَلِيٍّ الرَّثْدَاحِيِّ ، وَوُلَى أَسْطُولَ
 الْمَنْكَبِ بَرْهَةً . تَوَفَّى بِمَرَاكَشَ فِي عَامِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمَلِ الْأَسْلَمِيِّ (١)

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالبلياني .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، نَابُ عَنِي فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ بِالْمَرِيَّةِ ، وَخَطَبَ بِنَحَاسٍ
 مِنْ غَرْبِهَا ، ثُمَّ خَطَبَ بِحِجَّةٍ مُرْشَانَةٍ ، وَهُوَ الْآنَ بِهَا ، وَعَقَدَ الشَّرُوطَ قَبْلَ بِالْمَرِيَّةِ .
 عَفِيفٌ طَاهِرُ الدَّلِيلِ ، نَبِيلُ الْأَغْرَاضِ ، مَهْدَبُ الْأَخْلَاقِ ، قِيَمٌ عَلَى الْقَرَاءَاتِ ،

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا في «ب» .

والنحو والأدب ، جَيِّدُ الشعر والكتابة (١) من الضبط ، وإجادة
العبارة عن المعنى المراد .

توالياً

قال ، له رَجَزٌ في علم الكلام جيد ، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب ، عَرِيَّةٌ
عن الحشو ، على تَقَعِيرٍ فيه يُغْتَفَرُ لما جمع من اقتصاؤه ، وله تأليف في الوبا سماه
بإصلاح النِّية في المسئلة الطاعونية .

مشيخته

قال ، أخذ عني وعن أبيه جملة من الدواوين ، وعن غيري من أهل بلده .

شعره

قال ، وما أُنشدني من شعره قوله :

هَما بى من بين المغاني عتيقها	ومن بينه انفضت لعيني عتيقها
ومالت ليلد قبابه وأشرقت	في بالدمع منها شروقها
يهيج أنفاسي غراماً لسيما	وتقدح نار الشوق عندى بروقها
ومن دون واديهما ظلاً خوادل	حكي لحظها ماضى الشفادوقيةها
فلوبرزت الشمس منهن في الضحى	مُخَدَّرَةٌ أضحت كمالاً تفوقها
نسيم الصبأ أن سُيرت نحو الحيمى	فقل تحي الديار النازحات تشوقها
غريب كئيب مُستهام مُشيم	جريح الجفون الساهرات عريقها
فهل عطفة تُرجى وهل أمل يُرى	بعودة أيام تقضى أنيقها
سقى وتعلم من أدمع الصب جودها	من ديم الغيث الملتات ريقها

(١) مكانها بالخطوط كلمات مشومة ومعاة .

قال وأُنشدني أيضاً ، وقال كيفت إجازة هنا البيت الأول من هذه القصيدة ،
إذ ليس لي :

مَنْ عَادَى وَمَنْ نَاصِرِي وَمُنْصَفِي	هذا دمعى سَفَكَتْهُ بِنْتُ الْمُنْصَفِ
أَوْ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَقَدْ أَوْهَى صَحِيحُ	الْجِسْمِ مِنْ لِحْظُ طَرْفٍ مُدْنَفِ
جَفْنُ تَحْيَرٍ وَالْهَوَى يُهْدِيهِ	لِفَزَادِ كُلِّ مَنْ الْهَوَى لَمْ يَأْلَفِ
مُتَنَاعَسُ يَهْدِي الشُّهَادَ وَيَصْرَعُ	الْبَطْلَ الْكَرِيمَ بِلِحْظِهِ الْمُتَضَعِّفِ
تَبْدُو وَتَشْدُو لِلْعَيُونِ وَلِلْمَسَامِعِ	فَهِيَ بَيْنَ مُكَحَّلٍ وَمُشَفِّفِ
مَلَكَتْ بِصَنْعَتِهَا عِنَانِ عِنَانِهَا	وَعَدَّتْ عَلَيْهَا كَأَنَّ لَمْ تُعْرِفِ
تُعْنَى إِذَا غَنَّتْ بِطَيْبِ صَوْتِهَا	عَنْ أَنْ يَزُودَ لِحْنُهَا بِالْمِعْزَفِ
أَمَا تَغَنَّتْ أَوْ تَذَنَّتْ تَهْتَفُ	قُمْرَى نَغَمَتِهَا وَغَضُّ الْمِعْطَفِ
يَأْتِي عَلَى تَكَرُّرِ مَا غَنَّتْ بِهِ صَدَقًا	بِكُلِّ غَرِيبٍ أَوْ مُسْتَطَرَفِ
تُهْدِي لِلنَّفُوسِ عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعِهَا	مَنْ نُبِّلَهَا مَا تَشْتَهَى بِتَلَطُّفِ
كُنَّا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عِنَانِ نَاعِسُ	خَلْفَ سِتْرِ الْأَمَانِ مُسَجِّفِ
حَتَّى وَشَى بِالسَّرِّ دَهْرٌ حَاسِدُ	كَيْفَ بُتَغْفِصِ الْكَرِيمِ الْأَشْرَفِ
وَإِخْجَلْنَا إِنْ لَمْ أَمُتْ يَوْمَ النَّوَى	لَهْفًا وَمَا إِنْ كُنْتُ بَعْدُ بِمُنْصِفِ
لَكُنْنِي مِمَّا نَحَلْتُ وَذُبْتُ لَمْ	يَرْنِي الْجَمَامُ فَكُنْتُ عَنْهُ أُخْتَفِ
كَمْ ذَا أَيْتُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مُسْعِدِ	فِي حَالَتِي غَيْرِ الدَّمُوعِ الذَّرَفِ
يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانُ وَصَرْفُهُ	هَلْ يَسْمَحَانِ بَعُودَةٍ وَتَأْلَفُ
صَبْرًا أَبَا يَغْفُوهُمْ فَهِيَ النَّوَى	لَوْلَا هَمَّتْ شَوْقًا لِلْقَا يَا يُوسُفُ

قال وأُنشدني أيضاً لنفسه ، والبيت الأخير لغيره :

مَالِ الْأَحْيَةِ فِي أَحْكَامِهِمْ جَارُوا نَاوَا جَمِيعًا فَلَا خِلَّ وَلَا جَارَ

كيف البقا وقد بانث قبايهم
 حُداة تمسهم بالقلب قد رحلوا
 جاز الزمان علينا في فراقهم
 ساروا فخيّمت الأشواق بعدهم
 تراك ياربهم ترجو رجوعهم
 ودعت منهم شحوساً ما مطالعها
 أستودع الله من فاز الفراق بهم
 قلت ، ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة ، والله يقبض ويبسط ،
 وشافِعْنا عرضُ الإكثار .
 توفي في آخر أربعة وستين وسبع مائة .

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه .

حاله

دُمْتُ ، متخلق ، سهل الجانب ، كثير الدُّعابة ، خفيف الروح ، له خطٌ حسن
 ووراقة بدیعة ، وإحكام لبعض العملية ، واقتدار على النظم . اتصل بباب السلطان
 ملك المغرب ، وأرْتَسَمَ كاتباً مع الجُمْلَة ، فارتأش ، وحسنت حاله .
 وجري ذكره في الإكليل الزاهر^(١) بما نصه : واقم واشي ، رقيق الجواب
 والحواشي ، تزهى بخيَّته المهارة والطروس ، وتتجلى في حلل بدايعه ، كما تتجلى

(١) هو من كتب ابن الخطيب الصغرى . وقد سبق التعريف به .

العُرُوس ، إلى خُلُق كثير التجمل ، ونفس عظيمة التحمُّل . ودود^(١) سهل الجانب ، عذب المذاذب . لما قُضيت الواقعة بطريف^(٢) ، أقال الله عشارها ، وعجَّل ثارها ، قذف به موج ذلك البحر ، وتغلَّت إفلات الهدى المقرب إلى النحر ، ورمى به إلى رُنْدَة^(٣) القرار ، وقد عرى من أثوابه ، كما عرى الغرار ، فتعرَّف للحين بأديبها المُفلق ، وبارقها المتألق أبي الحجاج المُنتشأ فرى ، فراقه ببشر لقايه ، وتَهَلَّ على الظما في سِقاته ، وكانت بينهما مخاطبات ، أشدنيها بعد إيايه ، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده ، وسلَب ثيابه .

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه : ولما دخلت رُنْدَة الأنيقة البطاح ، المحتوية على الأدب والسَّاح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمَّر رئيس الأدباء ، وقُدوة الفقهاء ، أبا الحجاج المُنتشأ فرى ، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سَمَح لي بِلقايه صرفُ الزمان ، ولم أزل أكلَّفُ بمقطوعاته العجيبة ، وأولع بضرايبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تُزِدُّ بالعمود بهجة ، وتطير لها العقود لمجة . نَظُمُ كما تنفَّس الصبح عن تسنيمه ، ونثر كما تأسس الدُّر بتنظيمه ، فأحاطني منه محلُّ الروح من الجسد ، وشهد لي أني أعزُّ مَنْ عليه وَرْد ، ورائي قد ظهرت على مضاضة الاكتئاب ، لكوني قريبٌ عهدٍ بالإياب ، مهزوماً انهزام الأحزاب ، خالي الوطاب ، نَزَرُ الثياب ، فقال فيم الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأمين الفرع ، فأجبتُه عَجلاً ، وقلت أخاطبه مرتجلاً .

(١) وردت في المخطوط (وود) وبالنصويب يستقيم المعنى .

(٢) سبق أن عرفنا بموقعة طريف ، وهي التي نشبت بين المسلمين والنصارى على ضفاف نهر سالادو على مقربة من طريف في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة (راجع ص ١٨٠) .

(٣) هي من قواعد الأندلس الخالدة ، وتقع في شمال المثلث الإسباني ، غربي مالقة ، وجنوبي نهر وادي لكه . وقد سقطت في أيدي النصارى في سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) .

لا تجزعي نفسى لفقْد معاشرى
ورُندة ها أنتِ خير بلادِه
سَيُريك حُسْن فرايد من نظمه
فأجابنى مرتجلا :

سُراى يا قلبى المشوق وناظرى
روضُ المعارف زهرها الزاهى
ولوادر آسٍ فخر لم يزل
وافى يُشرف رُندة بقدمه
من روضة الأدياء أبدى زهرة
جمع المآثر بالسَّنة والسَّنة
مازلت أسمع من ثناء مآثرآ
حتى رأى بصرى حقائق وصفه
لا زال محبواً بكل مسرة
ثم خاطبه القاضى المنتشافى بعد انصرافه إلى وطنه بقوله :

أبى الدمع بعدك إلا انفجارا
أذاق اللقاء الحلو لم يصل به
دعى الله لمَح ذاك اللقاء وإن
قصاى شكواى طول النوى
سَقَتْ القِداح من بعده
ألا يا صَباً هُبْ من أربعى
ألا خُصَّ من رُبْعها منزلا
لدهر يبعْدك فى الحُكم جارا
لنوى جَرعاتٍ مُرادا
بكُ أشواقنا قد أثارا
وفقدى أناة وصل قصارا
فوادى القريح قد أذكت أوارا
إلى واد آسٍ تُجى الديارا
بأربابه الأكرمين استنارا

وهم إلى حزبِ إلاته الألى تساموا كخاراً وطابوا نجاراً
فأجابه بأبيات منها :
تألقَ بَرَقُ العُلا واستناروا فأججَ إذ لاحَ في القلبِ ناروا
وذكرني وقت أنسٍ مضاً بُرْندة حيث الجلال استشاروا
وكانت لنفسى سناً في حماها طوالاً فأصبحت لديها قصاروا
فأجريت دمع العيون اشتياقاً ففاضت لأجل فراقٍ بحاروا
وقالت لى النفس من لم يجد نصيراً سوى الدمع قل انتصاروا
قطعتُ المنا عندها لحة وودعتها وامتطيت القفاروا
وضيعت تلك المنا غفلة ووافيت أبغى نابس دياروا
ومنها :

أرقتُ لذلك السنا ليلة وما نومها ذقتُ إلا غراروا
وجسى أجلُ الجسوم التهاباً وقلبي أشدُّ القلوب انكساروا
إلى أن تجرعت كناس النوى وقلت زمانى على الشمل جلاوا
وصبرتُ نفسى لفقدانها هنالك بالرغم ليس اختياروا
وقال من قصيدة :

حلتُ لبرق لاح من سرحتى نجد حنين تيهامى تحين إلى نجد
وقلت لعل القلب تبرأ كلومه ومن ذا يصد النار عن شيمة الوعد
إن شاركنتني في المحبة فرقة فيها أنا وفي وجدى وفى كلنى وجد
وهو إلى هذا العهد بالخال الموصوفة .

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (١)
من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عيسى

حاله

كان أديباً ، حسن الخط ، جيد النظم ، متطرقاً ، لودعياً ، مطبوعاً ، مُحطاً
في هواه ، جامعاً في ميدان بطلته ، معاقراً للنبيذ ، على حفظ الرسم ، واضطلاع
بالخدمة ، وإيثار للمروءة ، ومعرفة بمقادير الأمور ، وتشبث بأذيال الخطوة .
كتب للرياسة السعيدية بمالقة ، ونظر على ألقاب جبايتها ، وانتفع الناس بجاهه
وماله ، ووقع الثناء على حسن وساطته . ثم سافر عنها ، وقد سميت بحجادة
السلطان في غرض انتقالها إلى العدوة ، مؤوضة بمدينة سلامن مالقة . وكان
ما كان من معالجة الأمر ، والقبض على الرئيس ، وقيام ولده بالأمر ، فأثبت المذكور
بالعدوة ، وكانت بها وفاته .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه : [عَلمٌ]^(٢) من أعلام هذا الفن ،
ومشعشع راح هذا الدن ، بمجموع أدوات ، وفارس يراعة ، ظريف المنزع ،
أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة ، وأدار فللك إمارتها ، وأتسم باسم
كتابتها ووزاوتها ، ناهضاً بالأعباء ، راقياً^(٣) في درج التقريب والاجتباء ،
مُصانماً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخضب شاحة ، كلما فرغ
من شأن خدمته ، وانصرف عن رب نعمته ، عقد شرباً^(٤) ، وأطلقاً من الاهتمام

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) الزيادة من نفح الطيب .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح صاعداً .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (ترباً) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعيده ، وظرف يديه ويعيده . فلما تقلبت
بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرحال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريياً ،
ويلحظ الدنيا تبعه عليه وتثريباً ، وإن كان لم يعدم من أراها حظوة وتقريباً ،
وما برح ييوح بشجة ، ويرتاح إلى عهود وطنه .

شعره وكتابه

ما كتبه ، وبين فيه أدبه قوله :

يا نازحين ولم أفارق منهم شوقاً تأجج في الضلوع ضرامه
غيبتم عن ناظري وشخصكم حيث اسنقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شلى فشئت نظمه^(١) والبين رام لا تغايش سهامه
وقد اعتدى فينا وجد مبالغا وجرت بحكم جوره أحكامه
أترى الزمان مؤخرأ في مدق حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجديّة النفحات ، وجديّة اللفحات ، يؤدي عن نعمها^(٢) إلى
الأحبة سلاماً ، ويورد عليهم لفتحها برّداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملي ناراً ،
وترسل على الأحبة مني إعصاراً . كلا إذا أهديتهم تحية إيناسي ، وأنسا من
من جانب هبوبك^(٣) نار ضرام أنفاسي ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في
كف مسرى جنوبك ، وتعللوا بها^(٤) تعليلاً ، وأوسعوا آثار مهجك تقبيلاً ،
أوسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلاً . ألم تروني كيف جتكم
بما حملي عليلاً .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شمله) .

(٢) هذه الكلمة وأردت في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (حقوقك) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (بك) .

كذلك تركته مُلقًى بأرض له فيها التعلل بالرياح
إذا هبت إليه صبا إليها وإن جاءته من كل النواح
تساعده الحمايم حين يبكي فما ينفك موصول النباح
يخاطبن مهما طرن شوقاً أما فيكن وإهية الجناح

ولولا تعلقه بالأمانى ، وتحدث نفسه بزمان التّدانى ، لكان قد قضى نَحْبَهُ ،
ولم أَبْلَغْكُمْ إِلَّا نَعْيَهُ أَوْ نَذْبَهُ ، لا كنه يتعلل من الآمال بالوعد المَمْطُول ،
وَيَتَطَارَحُ^(١) باقتراحاته على الزمن المجهول ، ويحدث نفسه ، وقد قنعت من برُوق^(٢)
الآمال بالخُلب ، ووُثِّقت بمواعيد الدهر القُلب ؛ فينأجها بوحى ضميره ، وإيماء
تصويره ، كيف أجِدُّكَ يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلّص من رِبْقَةِ الاغتراب ،
أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب . كَأَنِّي بك وقد استفزك وله السرور ، فصرفك
عن مشاهدة الحضور ، وعاقبتك غشاوة الاستبعاد للاستبشار ، عن اجتلاء محيا
ذلك النهار .

يوم يداوى زماناتى من أزمانى أَذْبر^(٣) تنغيص أحيانى فأحيانى
جعلتُ لله نذراً صومه أبداً أنى به وأوفى شرط إيمانى
إذا ارتفعنا وزال البُعد وانقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطانى
أعدده خير أعياد الزمان إذا أوطأتى السعد فيه تُربّ أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى إلى التذكار ، وانقيادى إلى معاللات توهمات الأفكار ،
كأن البُعد باستغراقها ، قد طويت شقته ، وذهبت غنى مشقته ، وكأَنِّي بالتخيّل
بين تلك الخمايل أنتسم صباها ، وأنسم رباها ، وأجنى أزهارها ، وأجنى

(١) هكذا فى النسخ وفى الإسكوريال (يطارح) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (برق) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (أزان) .

أنوارها ، وأجول في خيالها . وأتغنم بيبكرها وأصايلها ، وأطوف بعمالها ،
وأتنشق أزهار كاليها ، وأصيح بأذن الشون إلى سجع حمايها ، وقد داخلتنى
الأفراح ، ونالت منى نشوة الارتياح . ودنا السرور لتوشم ^(١) ذهاب الأتراح . ^(٢)
فلما أفقت من غمرات سُكرى ، ووثبت من هفوات فكرى ، وجددت مرارة
ما شابه لُبى في استغراق دهرى ، وكأئن من حينئذ عالجت وقفة الفراق . وابتدأت
منازعة الأشواق ، وكأئنا أغمضننى للنوم ، وسمح لى بملك الفكرة الحلم :

ذَكَرَ الدِّيارُ ^(٣) فهاجبه تذكاره وسَرَّتْ به من حينه أنكاره
فاحتلَّ منها حيث كان حُلُولُه بالوهم فيها واستقرَّ قراره
بالقُرب الآمال من هفواته لو أنه قضت بها أوطاره

فإذا جئتها أيها القادم ، والأصيل قد خلع عليها بُرداً مُورساً ، والربيع قد
مدَّ على القيعان منها سُندساً ، اثخنِها فديتك مُعرَّساً . واجرر ذبولك فيها
تبَخُّراً ، وبثَّ فيها من طيب نَفحاتك عذيراً ، وافقْ عليها من نوافح أنفاسك
مِسْكَاً أذفراً ، واعطف بعاطف بانها ، وارقص قُصْب ريحانها ، وصافح صفحات
نهرها ، ونافح نَفحات زهرها . هذه كلها أمارات ، وعن أسرار مقاصدى عبارات ،
هنالك تنتعش بها صُبات ، تعالج صُبات ، تتعلَّل بإقبالك ، وتكسِف على كَنَم
أذيالك ، وتبدولك فى صِفَةِ الغانى المُتهالك ، لاطِفها بلطافة اعتلاك ، وترفُق
بها ترفُق أمثالك ، فإذا أمالت بهم إلى هواك الأشواق ، ولَوُوا إليك الارؤس
والأعناق ، وسألوك عن اضطرابى فى الآفاق . وتقليبي بين الأشام والأعراق ، فقل
لهم عَرَض لَه ^(٤) فى أسفاره ، ما يعرض للبدر فى سَراره ، من سِرِّ السَّرار ، وطاق

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (لتوشم) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الأتراح) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت فى النفع وفى الإسكوريال (عقبى) والأول انس للمعنى .

(٤) هكذا فى النفع وفى الإسكوريال (لم) .

الحق، وقد تركته وهو يُسامر الفرقدين . ويُساير النيرين ، وينشد إذا راعه
البين :

وقد نسكون وما يُخشى ^(١) تفرقنا واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
لم يفارق وعشاء الأسفار ، ولا ألقى من ^(٢) يده عصا التسيار ، يتهداه للغور
والنجد . ويتداوله الأرقال والوخد ، وقد لفحته الرمضاء ، وسيمه الإنضاء . فالجهاث
تلفظه ، والآكام تُبهمه ، تحمل هومته الرواسم ، [وتحنى به التواسم] ^(٣) .
لا يستقر بأرض حين يملؤها ولا له غير حدو العيس إيناس
ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالى ، وتقلي بين حالى ^(٤) حلى وتزحلى ،
وبلغت القلوب منهم الحناجر ، وملأت الدموع المحاجر ، وابتلت ذبولك بمائها ،
لا بل تضرجت بدمائها ، فغيهم عنى تحية مُنفصل ، وودعهم وداع مُرتحل . ثم
اعطف عليهم ركابك ، ومهد لهم جنباك ، [وقل لهم] ^(٥) إذا سألنى عن المنازل
بعد سُكّانها ، والزروع بعد ظنن أظلماتها ، بماذا أجيبه ، وبماذا ^(٦) يسكن
وجيبه ، فسيقولون لك هى البلاقيع المُفترات التى أصبحت نكبات .
مُتصداها وعفى رسمها واستعجمت عن منطق السائل
قل لهم كيف الروض وآسه ، وعمّاذ ^(٧) تتأرجح أنفاسه ، عهدى به والحمّامُ يردد

(١) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (ولا) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (عن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى النسخ (وتحياته البواسم) .
والأولى أكثر تشبيهاً مع المعنى والسياق .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٥) هذه الزيادة من النسخ .

(٦) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (ولماذا) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (ومما) . والأولى أنسب للمعنى .

أسجاعه، والذباب يغنى به هزجاً، فيحك بذراعه ذراعه، وغصونه تمتنق، وأحشاء
جداوله تصطفق، وأسحاره تننسم، وأصاله تغتبق^(١)، كما كانت بقية نضرته،
وكما عهدتها أنية خضرته، وكيف التفاته عن أزرق نهره، وتأثقه في تكليل
أكيله بياض زهره. وهل رق نسيم آصاله، وصفت موارد جداوله، وكيف
انفساح ساحاته، والتفاف دوحاته، وهل تمتد كما كانت مع العشي فيمناته
سرحاته. عهدي بها، المديدة الظلال، المزعفرة السربال، لم تحدق الآن به
عيون ترجمه، ولا مد بساط سندسه. وأين منه مجالس لذاتي، ومعاهد غداواتي
وروحاتي، إذ أباري في الجون لمن أباري، وأسبق إلى اللذات كل من يجاري.
فسيقولون لك دوت أفنائه، وانقصفت أغصانه، وتسكدت غدوانه، وتغير
ريحه وريحانه، وأقترت معالمه، وأخرست كحايه، واستحالت به حلل خياله،
وتغيرت وجوه بؤكره وأصايه، فإن صلصل حنين رعد، فمن قلبي لفراقه خفق،
وإن تلالاً برق، فمن حر حشاي انثلق، وإن سحبت السحب فمساعدة جلفني،
وإن طال بكأوها فني، حياها الله منازل لم تزل بمنظوم الشمل أو اهل. وحين
انتثر نثرت أزهارها أسفاً، ولم تن الریح من أغصانها مطفاً، أعاد الله الشمل
فيها إلى محكم نظامه، وجعل الدهر الذي فرقه يتألق في أحكامه. وهو سبحانه
يجبر الصدع، ويعجل الجمع، إنه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير. إليه بئ
كيف حال من استودعتهم أمانتك، وألزمتهم صونك وصيانتك، والبستهم
نسبك، ومهدت لهم حسبك، الله في حفظهم، فهو اللائق بفعالك، والمناسب
لشرف خيالك، إزع لهم الاغتراب لديك، والانتطاع إليك، فهم أمانة الله

(١) هكذا وردت في الإسكوريال، ووردت في النسخ (توسم). والاول أكثر تشبيهاً مع

[تعالى] (١) في يديك ، وهو سبحانه يحفظك بحفظهم : ويوالى بلحظك أسباب لحظهم ، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال ، فنعم الله بمتدة الظلال ، وخيراته (٢) ضافية (٣) السربال ، لولا الشوق للملازم ، والوجد الذي سكن الحيازم .

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة ، أثبتها وهي :

والورق تشدو وتسهل السواح	ألبرق يبدو تسطير الجوانح
ووجدى للورق الشكالى مطاوح	وقلبى للبرق الخفوق مساعد
فللوجد في زند الصبابة قادح	إذا البرق أوزى في الظلام زنادى
أغاد بها شكوى الجوى وأراوح	وكم وقفة لي حيث مال بي الهوى
ويكثر بئى عندها فأساح	تنازعنى منها للشجون فأشتكى
ويُسعدنى فيما تُبيح التبّاح	أبت شجونى والحمام يُصيح لي
إلى صفحة النهر الثقيل تصافح	وتطرب أغصان الأراك فتشنى
فتهدى إليها عرفها وتنافح	فتبسم الأزهار منها تعجبا
وطرفى أبدي هزة وهو مارح	كذلك حتى ماد عطف شغفى
فقلت أمثلى يشتكى الوجد نايح	فلما التظى وجدى ترثم صاهلا
وقلت له شمر فإننى سايح	صرفت عدوَّ البيد أرخو عنانه
سيلقاك غيظان بها وممايح	تهيا لقطع البيد واعتسف السرى
بمثلى تلقى هذه وتكافح	فخيم لو يستطيع نطقا لقال له
فقام به مستقبلا من يناطح	وحلته عزما تعود مثله
سوى جلد لا يتقى منه فاضح	ويمت يبدأ لم أصحاب الجوها

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (وخير) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وارفة) .

وماضى الغرايين استجبت مضاه
ومندمج صدق الأنايب نافذ به
وميرت فلا التي سوى الوحش نافراً
تحدث نحوى أعيننا لم يلح لها
وقد زارت أسد تقحمت غيلها
وكم طاف بي للخبر من طائف بها
ويعرض لى وجهاً دميماً ومنظراً
فما راعنى منه تلون حاله
فلما اكنت شمس العشى شحوبها
تسر بكت للإدلاج جنح دجنه
فخضت ظلام الليل والنجم شاخص
يرده شزراً إلى كأنما
وراقب من شكلى السماء نظيره
يخط وميض البرق لى منه أسطراً
إذا خطها ما بين عيق لم أزل
ومازلت سراً فى حشى النبل كامناً
وهب لسم الصباح فانهطت له
تجاذب فى كرى أحاديث لم أزل
وملت إلى الثعريس لما اتفق الشرى
ومال الكرى بى ميلة سكنت لها
كم أخذت منه الشمول بناوها
وقربت الأحلام لى كل ممل

إذا جرّدت يوم الجلال الصفايح
عند كرى فى الحروب أفايح
وقد شرّدت فى الظلما السوانح
سناً لك أسنى ولا هو لايج
فقلت تماوت إنها لنوايح
فلم أصنع سمماً نحوها وهو صايح
شنيعاً له تبدو عليه القبايح
بل أيقظ عزمى فأنشئ وهو كالح
ومالت إلى أفق الغروب تنازح
فها أنذا غرسى إلى القصد جانح
إلى بلخط طرفة لى لاح
على له حقد به لا يسامح
خلا لزملكى أعزل وهو راح
على صفحة الظلماء فهى لواح
أكلف دمي نحوها فهو طامح
إلى أن بدا من ناسم الصبح فاتح
قدود غصون قد رقتها صواح
يردّها منى مجد ومازح
أروض له نفسى وعزى جامع
على نصب الوعشاء منى الجوارح
فبات يشقى وهو ريان طافح
فادنته منى وهو فى الحق نازح

أرثني وجوهاً لو بذلتُ لقرْبها حياتي لمنْ بالقُرْب منه يُساح
لقلَّ لها عَمْرَى وما مَلَكَتْ يَدِي وحدَّثتْ نَفْسِي أَنْ تَجْزِي رَاجِ
وما زلتُ أَشْكُو بَيْنَاغُصَصِ النَّوَى وما طَوَّحْتُ بِي فِي الزَّمَانِ الطَّوَايِجِ
فمنْهَا نَفُورُ الشُّرُورِ بِوَأَسْمٍ لُقْبُهُ وَمِنْهَا لِفِرَاقِ نَوَايِجِ
تُقَرِّبُهَا الْأَحْلَامُ مِنِّي وَدُونَهَا مَهَامُهُ فِيهَا لِلْهَجِيرِ لَوَافِحِ
وَبَحْرُ طَمَّتْ أَمْوَاجُهُ وَشَايِبِ وَقَفَرُ بِهِ لِلسَّالِكِينَ جَوَاغِ
قَضَيْتُ حَقُوقَ الشُّوقِ فِي زَوْرَةٍ لِلكَرَى فَإِنَّ زِيَادَاتِ الْكَرَى لِمَوَانِحِ
يُقَرِّنُ آمَالًا تَبَاعَدُ بَيْنَهَا وَتَعَبَّتْ فِيهَا لِلنَّفُوسِ الطَّوَايِجِ
فَلَمَّا تَوَلَّى عَنِ النَّوْمِ أَعْقَبَتْ هُمُومُ أَثَارَتِهَا الشُّجُونُ فَوَادِحِ
وَعُدْتُ إِلَى شَكْوَى الْبَلَاءِ وَلَمْ أَزَلْ أَرْدُّهَا وَالْعُدْرُ مِنْ وَاضِحِ
وَمَا بَلَّغْتُ عَنِ مَشَافَةِ الْكَرَى تُبَلِّغُهَا عَنِ الرِّيَّاحِ اللِّوَاغِ
وَحَسْبُكَ قَلْبٌ فِي أَسَارِ اشْتِيَاقَةٍ وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ فِي يَدَيْهِ الْجَوَانِحِ

وفاته

قال شيخنا أبو بكر بن شبرين ، توفى بسجلماسة في صفر عام
سنة عشر وسبعمائة .

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة ، يكنى أبا بكر .

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

حاله

من كتاب الإكليل : نابغة مالمية ، وخلف وبقية ، ومغربي الوطن أخلاقه
مشرقية . أزمع الرحيل إلى المشرق ، مع اخضرار العود ، وسواد المفرق ، فلما
توسّطت السفينة اللّجج ، وقارعت الشّجج ، مال عليها البحر ، فسقاها كأس الحام ،
وأولدها قبل التّام ، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على نوره
سواؤها ، جملة من الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحسباء ، أصبح كلّ منهم
مطيعاً لداعي الرّدى وسميعاً ، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً ، فأجرّوا الدموع حزناً ،
وأرسلوا العبّرات عليهم مرّناً . وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدّها ،
وأحال هضبة سفينتهم وهديّها ، غار على نفوسهم النفيسة واستردها . والفقير
أبو بكر ، مع إكثاره ، وانقياد نظامه ، ونشأه ، لم أظفر من أدبه إلا بالقليل القافه ،
بعد وداعه وانصرافه .

فن ذلك قوله وقد أبصر فتي عائراً :

ومُهْنَف هافي المعاطف أحوُرُ فضّحت أشعة نوره الأقار
زلّت له قدم فأصبح عائراً بين الأنام لما لِدَاك عشارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشتُ في ذاك للمكان الخلد والأشعارا
وقال متغزّلاً :

أيابنى الرّفاء تُنْفِى ^(١) ظباؤم ^(٢) جُفون ظباؤم والفؤاد كليم
لقد قطع الأحشاء منهم مهْنَفُ له التّبر خدّ واللّجين أديم
يسدّد إذ يرمى قسى حواجب وأسهمها من مقلتيه تسوم
وتسقمى عيناه وهى سقيمة ومن عجب سقم جناه سقيم

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تمفى) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ظباؤم) .

ويذبلُ جسي في هواه صَبَابَةً وفي وَصْله العاشقين نعيم
توفي في حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة غريقاً بأحواز الغبطة
من ساحل المرية .

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي^(١)

ولد الشيخ أبي الطاهر ، من أهل مالقة .

من كتاب الإكليل : نبيلٌ فنان ، متحرك ذهن ، كان أبوه رحمه الله ،
يتبرم بمجداله ، ويخشى مواقع رَشَقِ رِيباله ، وبُشِيمِ بَارِقِ الاعتراض في سؤاله ،
فيُشفق من اختلال خلاله ، إذ طريقه إنما هي أذواق لا تشرح ، وأسرار لا تفضح .
وكان ممن اخترم ، وجُدَّ حبلُ أمله وصرم ، فأقلَّ عقب أبيه ، وكان له أدب
يخوض فيه .

فمن ذلك ، وقد أبصر في وسما على ربحانه :

بدرٌ تجلَّى على غصن من الآس يُبْرِى ويُسْقِمُ فهو الممرض الآسى
عادي المنازل إلا القلب منزلة فماله وجميع الناس من ناس

وقال :

يا عالمًا بالسُّرِّ والجَهْرِ وملاجئ في العُسرِّ واليُسْرِ
جُدْ لي بِمَا أَمِلْتُهُ منك يا مولاي واجبرُ بالرُّضا كُسْرِي
وفاته : في عام خمسة وسبعمائة .

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى^(١)
من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه ، وقد مر ذكر أبيه
في العمال .

حاله

هذا الرجل من أبناء النعم ، وذوى البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل
به ذلك أخيراً للوثة ، لم يستفق منها لطف الله به . حسن الخط ، مطبوع الأدب ،
سبيل الطبع ، معينه . وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر ، يتمنى
أهله وفاته ، والله ولي المعافاة ، بفضله .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أولى الخلال الباردة والخصال ،
خطاً رايقا ، ونظماً بمثله لايقا ، ودُعابة يسترها بحجهم ، وسكوتاً في طيئه إدراك
وتهمهم . عُنى بالرواية والنقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة ثبتت
في السُّرود عروقتها ، وتألقت في سما المجادة بروقها ، وتصرف بين النيابة في الأحكام
الشرعية ، وبين الشهادات العملية المرعية .

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به ، مهنئاً في إعداؤ أولادى أسعدهم الله ، افتتح ذلك
بأن قال .

قال ، يعتنوا عن خدمة الإعداؤ ، ويصل المدح والثناء على بُعد الدار ، وذلك^(٢)
بتاريخ الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعائة :

(١) هذه الترجمة واردة فقط في الاسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) ورد في المخطوط (ولان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

لا عذر لي عن خدمة الإعذار
أوعاقتني عنه الزمان وصرفه
قد كنت أرغب أن أفوت بخدمتي
باب المسرة بالضيق وأهله
من شاء أن يلقي الزمان وأهله
فليأت حتى ابن الخطيب ملبيا
كم ضم من جيد كرام فضله
إذ حيث ناديه فقف غنى
يا من له الشرف القديم ومن
يُهنئك ما قد نلت من أمل به
تجلاك قطبا كل تجر باذخ
عبد الإله وصنوه قر العلا
ناهيك من قرين في أفق العلا
زاكي الأرومة مفرق في مجده
رقت طبايحه وراق جماله
وجلّت شمائل حسنه فكأنما
فإذا تكلم قلت ظل ساقط
أوفت مسك الخبر في قرطاسه
تنسم الأقلام بين بنانه
فتخال من تلك البنان كأنما
وإن نأى وطني وشطّ مزارى
تقض الأمان عادة الأعصار
وأخطر حلي عند باب الدار
متشمرّا فيه بفضل إزار
ويرى جلال الإشعاع^(١) في الأفكار
فيفوز بالإعظام والإكبار
يسمو ويعلو في ذوى الأقدار
وقل نلت المنى بتلطّف ووقار
له الحسب الصميم العديّ يوم فخار
في الفرقدين النيرين يسار
أملان مرجوآن في الاعتبار
فرعان من أصل زكا وبجار
ينميها نور من الأنوار
جم الفضائل طيب الأخبار
فكأنما خلقتا من الأزهار
خلعت عليه رقة الأسحار
أو وقع در من نحود جوار
بالروض غب الواكف المدرار
فيريك نظم الدر في الأسطار
نهلت تفتح ناضر النور

(١) وردت في المخطوط (الإشعاع)، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

تلقاه فيساخ الذي مُتَهَلِّلا
بحر البلاغة قسبها وأياؤها
إن ناظر العلماء فهو أمامهم
أزبى على العلماء بالصيت الذي
ماضره إن لم يجيء متقدماً
إن كان أخره الزمان لحكمة
الشمس تحجب وهي أعظم تبر
يا ابن الخطيب خطبها لعلاكم
جاءتك من خجل على قدم الحيا
وأنت تؤدي بعض حق واجب
مدت يد التأميل نحو غلامكم
فابذل لها في النقد صفحك إنها
لازلت في دعة وعز دايم

يلفك بالبشر والاستبشار
سحباتها خبر من الأخبار
شرف المعارف واحد النظار
قد كان في الآفاق كل مطار
السبق يعرف آخر المضار
ظهرت وما خفيت كضوء نهار
وترى من الآفاق إثر دوار
يكراً تُزف لكم من الأفكار
قد طيبت بثنايك المغطا
عن نازح الإمكان والأفكار
فتوحشت من جودكم بنضار
شكوى التقصير في الأشعار
ومسرة تترى مع الأعصار

ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها :

تبسم ثغر الدهر في القُضْب المُلْد
ونبه وقع الطل الحاظ نرجس
ونم سبر الروض في مسكة الدجا
وغطى ظلام الليل حمرة أفقه
وياست قلوب الشهب تخفق رقة
وأهمل على الغيم أجنان مُشفق
فأذكي الحيا خجلة وجنة الورد
فقال الوسمان وعد إلى الشهد
نسيم شذا الخير كالمسك والند
كما دار مُسوّد العذار على الخد
لما حلّ بالمشاق من لوعة الوجد
بذكره فاستمطر الدمع للخذ
ومنها

غداة افترقنا والنوى رُندها يُمدُّ
لعلى أبشك وجدى إن تمر على نجد
سوى الملك المنصور فى الرِّفق والرُّقد

كأنى لم أقيف فى الحى وقفة عاشق
وناديت حادى العيس عرج
فقال أتيد يا صاح مالك ما جأ
ومما خاطبني به قوله :

وحلّوني ولو بطيف خيال
لست أنفك إلا عن عقال
وفؤادى من سحر كم فى اشتغال
حبي بما قد جرّ... (١) ال
حلّ الهجر بعد طيب الوصال
طال منه الجوى بطارل الليال
ورماه من غنجه بنبال
قصده فى النوى بذاك النحال
مُذْ روى فى الغرام باب اشتغال
غير تاج الملا وقطب السكال
المجد بذرّ أفق الجلال
هو شمس الهدى فريد المعال
صفحة الطرس حلّيت باللال
راية الصبح فى ظلال الضلال
صادقُ العزم ضيق المجال
جلّ فى الدهر يا أخى عن مثال
لا تجدوى ولا لنيل نوال

علّوني ولو بوعدٍ مُحال
واعلموا أننى أسير هواكم
فدموعى من بينكم فى انسكاب
يا أهمل الحى كفانى غرامى
منّ بحيرى من لحظ ريم ظلوم
ناعس الطرف أسمر الجفن منى
بابلى اللحاظ أضى فؤاده
وكسا الجسم من هواه نُحولاً
ما ابتدا فى الوصال يوماً بعطف
ليس لى منه فى الهوى من مُخبر
علم الدين عزّه وسناه ذرّوة
هو غيثُ النّدا وبحر العطايا
إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب
أوينا العُصْب فهو فى الأمن ماض
لست تلقى مثاله فى زمان
قد نأى حبيّ له عن ديارى

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال يتخللها البياض .

لكن اشتقت أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنور الهلال
وكما هممت فيه ألتئم كفاً قد أتمت بالنوال قبل السؤال
سألها ابن الخطيب هُذراً أجابت تلمَّ النعل قبل شنع النعال
وتوفى حق الوزارة عن هو ملكٌ لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشَّديد^(١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه : شاعر مجيد ، حَوَّك الكلام ، ولا يَقْصُر فيه
عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول أمره ، فطال بالبلاد المشرقية تَوَاوُه .
وُعِمَّت أنبأؤه ، وعلى هذا العهد وقفتُ [له] على قصيدة بخطه غرضها نبيل ،
ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفس ونفس . وإضاءة قَبَس . وهي :

لنا في كل مَكْرَمَة مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
روينا من مياه الجُهد لما وردناها وقد كثر الزحام
ومنها :

فنحن همُّ وقل لى مَنْ سوانا لنا التَّقديم قُدماً والكلام
لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهزُّ به لدى الروع الحسام
ونحن اللابسون لكل دِرْع يصيبُ الشمس منهنَّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب مواقيهنَّ في الدنيا عظام

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . وقد نقل المتفرغ عن الإحاطة نبذة في ترجمة المذكور جاء فيها أنه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى الجياني الأصل ثم المالكى . ثم نقل عنه بعد ذلك ما أورده ابن الخطيب في الإكليل (النفع ج ٤ ، ص ٢٤٤) .

ثَوَى مِنْهَا قُلُوبَ الرُّومِ خَوْفًا
كَمِينًا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا
وَتَحْتَ الرَايَةِ الْحُمْرِاءِ مَنَّا
بَنُو نَصْرِ وَمَا أَدْرَاكَ^(١) مَا هُمْ
لَمْ فِي حَرْبِهِمْ فَتَكَاتِ عَمْرُو
يَقُولُ عِدَاتُهُمْ مَهْمَا أَلْمُوا
إِذَا شَرَعُوا الْأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبِ
كَأَن رِمَاحِهِمْ فِيهَا نَجُومُ
أَنَاسٍ تَخْلُفُ الْأَيَّامَ مِينًا
وَأَيْنَا مِنْ أَبِي الْحِجَاجِ شَخْصًا
مُؤَيَّيَّ الْعَرَضِ مَحْمُودِ السَّجَايَا
يَجُولُ بَذَنَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
قَوِيمَ الرَّأْيِ فِي نُوبِ اللَّيَالِي
لَهُ فِي كُلِّ مَعْضَلَةٍ مَضَاءُ
رُؤُوفٍ قَادِرٍ يَنْغُضِي وَيَعْنُو
تَطُوفُ بَيْتِ سُوْدُودِهِ الْقَوَافِي
وَتَسْجُدُ فِي مَقَامِ غَلَاةِ شُكْرَا
أَفَارِسِهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَخْنَتْ
وَمَطَرُهَا إِذَا مَا السَّحْبُ كَفَّتْ

يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي الْمَهْدِ الْغَلَامُ
فِيهَا هُوَ لَا يُهَانَ وَلَا يُضَامُ
كِتَابُ لَا تَعْلَاقَ وَلَا تَرَامُ
أَسُودَ الْحَرْبِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامِ
فَلَا تُعْمَارُ عِنْدَهُمُ انْصِرَامُ
أَتُونَا مَا مِنْ الْمَوْتِ اعْتَصَامُ
فَحَقَّقْ أَنَّ ذَاكَ هُوَ الْحِمَامُ
إِذَا مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَ الْغَلَامُ^(٢)
بِحَيٍّ مِنْهُمْ فَلَهُمْ دَوَامُ
عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لَهُ قِيَامُ
كَرِيمِ الْكَفِّ مَقْدَامُ هَمَامُ
فِيدُوكَ وَإِنْ عَزَّ الْمَسْرَامُ
إِذَا مَا الرَّأْيِ فَارَقَهُ الْقَوَامُ
مَضَاءُ الْكَفِّ سَاعِدُهُ الْخِمَامُ
وَإِنْ عَظُمَ اجْتِنَاءُ وَاجْتِرَامُ
كَمَا قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْأَنَامُ
وَنَعَمَ الرَّكْنُ ذَلِكَ وَالْمَقَامُ
عَلَى أَبْطَالِهَا وَدَنَا الْحِمَامُ
وَكَفُّ أَخِي النَّدَى أَبَدًا غَمَامُ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات (ما أدريك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القتام) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يبعيا) .

لك الذكر الجميل بكل قطار لك الشرف الأصيل المُستدام
لقد جِئنا^(١) البلاد فحيث سِرنا رأينا أن مُلْكك لا يرام
فصُلت ملوكها شرقاً وغرباً وبتَّ للملِكها يقظاً ونامُ
فأنت لكل معلوَّة مدار وأنت لكل مَكْرمة إمام
جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصرُ والشَّام
مكان أنت فيه مكان عزٍّ وأوطان حَلَّت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر يكرُّا لها من حُسن لقياك ابتسام
فتزَّه طرف مجدك في حُلاها فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن مسعود بن خالصة^(٢) بن فرج بن مجاهد

ابن أبي الخصال الغافقي

الإمام البليغ، المحدث الحجَّة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من
شُقورة، من كورة جيَّان، وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله

قال ابن الزُّبير عند ذكره: ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال. كان من أهل المعارف الجَمَّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة^(٣) والأدب، والنَّسَب

(١) وردت في الإسكوريال (جنت). والتصويب من النسخ.

(٢) هكذا وردت في «ج»، وفي «الزيتونة». وفي الإسكوريال (خُلصة).

(٣) وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وساقطة في «ج».

والتاريخ ، متقدماً في ذلك كله . وأما السكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحكما فيهما إليه .

ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن في عصره مثله ، مع دين وفضل وورع .

قال أبو عمرو بن الإمام الإِسْتِجْجِي في سَمَطِ الْجَمَان ، لما ذكره : البحر الذي لا يُتَمَاح ولا يُشَاطِر ، والغيث الذي لا يُسَاجِل ولا يُقَاطِر^(١) ، والروض الذي لا يُفَاح ولا يُعَاطِر ، والطَّود الذي لا يزاحم ولا يخاطر ، الذي جمع أشتات المحاسن ، على [ماء غير ملح]^(٢) ولا آسِن ؛ وكثرت فواضله ، فأَمِنَت المُمَاطِل والمحَاسِن ، الذي قُصِرَت البلاغة [على تحنّده]^(٣) ، وألقيت أزيمة الفصاحة في يده ، وتشرّفت الخطابة والكتابة باعتزائهما إليه ، فنشَل كِنَانَتها ، وأرسل كَافِيَتها ، وأوضح أسرارها ودفاينها ، فحسِبُ الماهر المُتَحَرِّر ، [والجَهْدُ العلامة البصير]^(٤) إذا أبدع في كلامه ، وأينع في روض الإِجَادَةِ نِشَارُهُ ونِظَامُهُ ، [وطالت قَفَى الخَطِيئَةِ الذَّيْلُ أَقْلَامُهُ]^(٥) ، أن يستدير بأنواره ، [ويقتَضِي بعض مناهجه وآثاره]^(٦) وينثر على أثوابه مِسْكَ غُبَارِهِ ، وليعلم كيف يتفاضل الخُبرُ والإِنشَاء ، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء .

[وَعِضَةُ الْعُقُورِ أَبُو نَصْر]^(٧) في قَلَائِدِهِ . حيث قال ، « هو وإن كان خاملًا لَمَدَّشًا نَازِلَهُ ، لم يُنْزَلْهُ المَجْدُ مَنَازِلَهُ ، ولا فَرَعَ لَلْعَلَاءِ هِضَابُهُ . ولا ارتشف للسَّنا رِضَابُهُ ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بخاطر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (عل غير طوق) . والأولى متمشية مع المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الإسكوريال (عليه) . والأولى أنسب للسياق ومقتضيات السجع .

(٤) وهذه العبارات الثلاثة المحصورة بين الخواصر واردة في الإسكوريال . والأولى منها ساقطة في المخطوطين . والثانية والثالثة ساقطة في «ج» . واردة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (وذكره الفتح في قلائده) وأبو نصر هو كنية الفتح بن خاقان صاحب القلائد .

قد تميز بنفسه ، وتحييز من [أبناء] ^(١) جنسه ، وظهر بذاته ، ونثر بأدواته .

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، في الصلة ، روى عن الفسائي ، والصدفي ^(٢) وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي عمران بن تليد ، وأبي بحر الأسدي ، وأبي عبد الله النُفَري ، وجماعة غيرهم .

توالياه

قال الأستاذ ، وأما كتبه وشعره ^(٣) وتوالياه الأدبية ، فكل ذلك مشهور ، متداول بأيدي الناس ، وقل من يُعلم بعده ، أن يجتمع له مثله ، رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال ، وابن حبش ، وابن مضاء وغيرهم ، وكل ذلك ذكره في رجاله ، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

شعره ^(٤)

وله شعر كثير . فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق بن خفاجة :
هَبْ النسيم هبوب ذى إشفاق يُذهبن الهوى بجناحه الخفاق

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفي القلائد

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الصدقي) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٤) لم يرد في «ج» و «الزيتونة» من شعر ابن أبي الفصاح سوى عشرة أبيات ، في حين أن شعره في مخطوط الإسكوريال يملأ هذه صفحات من لوحة ٢٢ إلى لوحة ٢٨ ، ويرد ضمن ذلك الأبيات العشرة التي وردت في المخطوطين . ومن ثم فقد رأينا أن نتبع مخطوط الإسكوريال في إيراد شعره .

باحث لها سراير العشاق
 لعب الغرام بمهجة المشتاق
 لم يبق من تلك الصباية باق
 أنا قد أذنتك مفارق بفراق
 والموت في نظري وفي استنشاق
 قرْبته هدياً إلى أشواق
 والأمن ظلّي والشباب رواق
 ضيزى لأن السكر من أخلاق
 ولذلك قام السكر باستحقاق
 بها من بعدما انبسطت بين الساق
 هامت بها الوسطى من الأغلاق
 أنى أدين اللهو دين نفاق
 سديكت يد الملسوع منه براق
 نور تجيم من ندى الأحداق
 فأنارها وسرى عن الأحداق
 فتانة الأوصاف والأعراق
 وهى السرير ترمى فى هواها الباق
 لو شمتعت برضا أبى إسحاق

وكأنما صبح الغصون بنشوة
 وإذا تلاعبت الرياح بيسانه
 مة يانسيم فقد كبرت عن الصبا
 إن كنت ذاك فليست ذاك ولا
 ولقد عهدت سراك من عدد الهوى
 أيام لو عن الأسو لخاطري
 الهوى إلفى والبطالة مركبى
 فى حيث قُسمت المدامة قسمة
 لا ذنب للصبهاء أنى غاصب
 ولقد صدت الكأس فانقبضت
 وتركت فى وسط الندامى خلة
 فاستسرفونى مذكرين وعندهم
 وحبابها نقت الحباب وربما
 وكأنه لما توقر من فوقها
 لو بارح نفخ النوى فى روضة
 ولقد جلوا والله يدراً كيدهم
 أغوى بها إبليس قدماً أداماً
 تالله أصرف نحوها وجدّ الرضا

ومن نسيبه :

رويت فيها السرور من طروق
 ناراً من الرّاح برّدت حرق

وليله عنبرية الأفق
 وكست حرّان فاقدحت بها

وافت بها عاطلا وقد لبست
فأجابها الدهر من بفيه دُجا
قامت لنا في المقام أوجهُهم
وأطلع البدر من ذرى غصن
من عبد شمس بداسناه
مدَّ بحمراء من مدامته
فخلتمها وردة مُنعمّة
نشرت في الراح حين نشرتها
وقال :

[يا حبذا ليله لنا سلكت أغرت بنفسى الهوى وما عرفت
دارت بظلماتها المدام فكم نرجسة من بنفسيج قَطَعَتْ] ^(١)
وقال [في مُنَّ زار ، بعنه أغبَّ وشطَّ المزار] ^(٢) .
[وإني وقد عظمت على ذنوبه في غيبة قُبِحت ^(٣) بها آثاره
فحيا إسماؤه لنا إحسانه واستغفرت لذنوبه أوتاره] ^(٤) ^(٥)
وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة :

ألم تعلموا والقلب رهنٌ لديكم يخبركم عنى بمضجيره بعدى

(٢) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وقد ورد مكانها في المخطوطين (في غائب
آب بعد ما غب المزار) . ويلوح لنا أن عبارة الإسكوريال هي الأرجح . حيث وردت في البيب
الثاني كلمة (أو تاره) ، وهي نايقرن بذكر المعنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (حظيت) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أنواره) . وفي الزيتونة (أماره) .

(٥) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

فلو قلبتني الحادثات مكانكم
 ألم تعلموا أنني وأهلي وواحد
 لأنهيئها وفري وأودلاًتها خدي
 فدا ولا أرفى بتغدية وخدي
 ومن قوله في غرض المسح يخاطب تاشفين بن علي^(١) ويذكر الواقعة
 بكرى ، يقول فيها :

الله أعطاك فتحاً غير مشترك	وردد عزمك عن فوت إلى درك
أرسل عنان جواد أنت راكبه	واضمم يديك ودعه في يد الملك
حتى يصير إلى الحسى على ثقة	يهدى سبيلك هاد غير مؤتمك
قد كان بعدك للأعداء تملسكة	حتى استدرت عليهم كورة الفلك
سارت بك الجردا وطار القضا بها	والحين قد قيد الأعداء في شرك
فما تركت كرياً غير منقير	ولا تركت نجماً غير منسك
ناموا وما نام موتور على خنق	أسدى إذا فرصة من السلك
فصبتهم جنود الله باطشة	والصبح من عبرات الفجر في مسك
من كل مبتدو كالنجم منكدر	تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
فطاعنوك بأرماع وما طعنت	وضاربوك بأسياف ولم تحك
تعجل النحر فيهم قبل مواسمه	وقدم الهدى منهم كل ذى نسك
فالطير عاكفة والوحش واقفة	فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
عدت على كل عاد منهم أسر	بعثه في خنجر رحب وفي حنك
كلى هنيئاً مريئاً واشكرى ملسكاً	قرنك أسيافه في كل معترك

(١) هو الأمير تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي ، أمير المسلمين بالمغرب والأندلس
 (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) . وقد ولاء أبوه شئون الأندلس سنة ٥٢٢ هـ . وقد خاض تاشفين عدة معارك
 ظالمة ضد القشتاليين ، كانت منها معركة كركي في سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) . وذكر كى بلدة
 حصينة تقع على مقربة من قلعة رباح جنوب نهر وادي بانه .

فلو تَنصَدَتِ الهامات إِذْ نَشَرْتَ بالقاع للغيطان بالنَّيبِكِ
أُبرح وطالب بيباقى الدهر ماضيه فيوم بَدَرِ أَقامه الفَيءُ في فَدَكِ
وكم مضى لك من يومِ بِنْتٍ له في ماقط برماح الحظِّ مُشْتَبِكِ
بالنَّقْعِ مَرَّتْكُمْ بالموتِ مُلْتِمِ بالبيض مشتمل بالشمرِ مُحْتَبِكِ
فخصُ القِيَابِ إِلى فخص الصعابِ إِلى أَرْيُوْةِ مَدَاسَاتِ إِلى السَّكِكِ
وكم على حَبْرٍ محمود وجارته لارُّوم من مَرَّتْكِ غيرِ مُتَرَكِ
وقِيَّتِ للصفرِ حتى قِيلَ قد غدروا سَمَوْتَ تطلب نصر الله بالدُّرِكِ
فأَسْلَمَتْهُمْ إِلى الإِسْلامِ غَدَوْتَهُمْ وأَذْهَبَ السيف مابالذَّن من حُنِكِ
يا أَيُّهَا الملك السامى بهمته إِلى رضى الله لا تَعْدَم رضى المَلِكِ
مازلتُ تسمعه بُشْرَى وتُطْلعه أُخْرَى كدَرٌ على الأَجْيَادِ مُنْسَلِكِ
بِيَضَتْ وجه أمير المؤمنين بها والأرض من ظُلْمَةِ الإِلْحَادِ فى حَلَكِ
فأَسْتَشْبِعَ النُّصْرَ واهْتَزَّتْ منابره بذكر أَرْوَعِ للكفارِ مُحْتَنِكِ
فأَخْلَدَكَ ولَمِنَ والاك طاعته خُلُودَ بَرٍّ بِتَقْوَى الله مُنْتَسِكِ
وافيت والغيثُ زَاخِرٌ قد بكَا طَرَبًا لَمَّا ظَفَرْتَ وكم بِلَهٍّ من الضَّحِكِ
وتمَّ اللهُ ما أُنْشِأتُ من حُسْنِ بَكلِ مُنْسَبِكِ مِنْهُ وَمُنْتَسِكِ
وعن قريبِ تَبَاهَى الأرض من زهير سماها بها غَضَّةُ الحَنِكِ
فَعُدَّ وَقَدْ واعتمد وأُحْدَ وسُدَّ وأَبْدَ

وَقُلْ وَصِلْ وَاسْتَطِلْ وَاسْتَوِلْ وَانْتَهَكْ
وحسبكُ اللهُ فرداً لا نظيرَ له تغنيك نُصْرَتُهُ عن كلِّ مُشْتَرِكِ
ومن قوله فى غرض الرثاء ، يرى الفقيد أبا الحسن بن مغيث :
الدهر ليس على حُرٍّ يَمُوتَ تَمِين وأى حِلَقٍ تَخْطُطُهُ يدُ الزَمَنِ

يَأْتِي الْعَفَا عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
يَا بَا كَيْفَ فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ عَنْ شَحَطِ
نُورِ تَقْيِيدٍ فِي طِينٍ إِلَى أَجَلِ
كَالطَّيْرِ فِي شَرْكَ يَسْمُو إِلَى دَرَكِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رِضَى اللَّهِ التَّقَا وَهَمَا
يَاشِدْ مَا افْتَرَقَا مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَنَقَا
وَرَبِّ سَارٍ إِلَى وَجْهِ يُسَرُّ بِهِ
أَتَى إِلَى اللَّهِ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرَاقٍ لَا بَقَاءَ لَهُ
أَعْيَا أَبَا حَسَنٍ فَقَدْ الَّذِينَ مَضَوْا
كَأَنَّ الْبَقِيَّةَ فِي قَوْمٍ قَدْ انْقَرَضُوا
يُعَدُّ فِدَاءً وَفِي أَثْوَابِهِ رِمَزَ مِنْ
وَأَنَّ مِنْ أَوْجَدَتْهُمَا كُلُّ مُفْتَقِدٍ
مِنْ لِلْمُلُوكِ إِذَا خَفَتْ حُلُومُهُمْ
ومنها :

يَا يَوْسَ لَا تَسِرْ أَصْبَحْنَا لَوْحَشْتَنَا
وَيَأْمُطَاعَا مُطِيعَا لَا عِنَادَ لَهُ
كَمْ خَطَّتْ كَارِ تَجَاجِجِ الْبَحْرِ مُبْهِمَةً
طُودِ الْمَهَابَةِ فِي الْجَلَا وَإِنْ جَذَبَتْ
أَكْرَمَ بِهِ سَبِيحًا تَلَقَى الرَّسُولَ بِهِ
نَاهِيكَ مِنْ مَنَهِجِ سَمِّ الْقَصُودِ بِهِ
نَشَكُوا اغْتِرَابًا وَمَا بَنَا عَنْ الْوَطَنِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى الْإِسْلَامِ مُؤْتَمِنِ
فَرَجَّتْهَا بُحْسَامُ سُلٍّ مِنْ لَسَنِ
عِنَانِهِ خَلَوَةٌ هَزَّتْ ذُرَى وَتَرَّ
لِحْسٍ وَارِدَةٍ فِي الْفَرَضِ وَالشَّتَنِ
هَوَىٰ فَمِنْ قَدَرٍ عَالٍ إِلَى فَدَنِ

من كل وادى التقي يسقى الغمام به
تجملت بك فى أحسابها مضر
من دولة حولها الأنصار حاشدة
من الذين هم رويوا وهم نصروا
إن يئد مطلع منهم ومستمع
ما بعد منطقته وشئ ولا زهر
أقول وفيها فضل سودده
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
تقيلاً هديه فى كل صالحة
ما حل حبوته إلا وقد عدا حباً
غر الأجابة عند حسن عهدها
علماً وحلماً وترحيباً وتسكينة
يا وافر الغيث أوسع قبره نزلاً
وطبق الأرض وبلا فى شفاعته
وأنت يا أرض كوني مرةً بأبي
وإن تردت بتراب فيك أعظمه

فيستهل شروق الضرع بالبين
وأصل مجدك فى جرثومة اليمين
فى طامح شاخ الأركان والقنن
من عيسة الدين لامن جذوة القنن
فارغب بنفسك عن لخطو عن أذن
ولا لأعلاق ذاك الدر من تمن
استغفر الله ملء السر والعنن
ها سلاة ذاك العارض الهتن
نصر السوابق عن طيع وعن مرن
بما اختار من أيد ومن ممن
وإن يونس فى الآثواب والجنن
للزائرين وإغضاء على زكن
وروماً حول ذاك الدميم من ثكن
فنعم رايد ذاك الريف واليمن
مشوى كريم ليوم البعث مرتين
فكم لها فى جنان الخلد من رذن

ومن شعره قوله مخمساً [كتب بها] ^(١)، وقد أقام بمراكش يتشوق إلى
قرطبة :

بدت ^(٢) لهم بالعبور والشمل جامع بروق بأعلام العديب لوامع

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وردت فى المخطوطين (وكتبتها) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (سحت) والأولى أنسب السياق .

فباحت بأسرار الضمير المدامع ورُبَّ غمّ لم تنله المسامع

[أذاع بها] ^(١) من فيضها التصويب ^(٢).

[ألا في سبيل الشوق قلبٌ مؤثّلٌ بركب إذا شاء والبروق تحمل

هو الموت إلا إنني أتحمل إذا قلت هذا منهل عزّ منهل

وراية برقي نحوها القلب يحجب.

أبي الله إتما كل بُعْدٍ فتابت وإما دنوُّ الدار منهم فتابت

ولا يُلغى البين المصمّ لافَت وياربّ حيّ البارق المتهافت

غرابٌ بتفريق الأحبة ينعَبُ.

خذوا بدمي ذاك الوسيق المضرّجا وروضاً بغيض العاشقين تأرجا

عنّي الله عنه قاتلاً ما تحرّجا تمشّى الردى في شره وتدرّجا

وفي كل شيء لَمِثَّةٌ مذهب.

سقى الله عهداً قد تقلّص ظله حيا قطره يحيي الرُّبا مستله

وعى به شخصاً كريماً أُجله يُصيحُ فؤادى تارة ويُعيله

ويُلثمه بالذكر طَوْرًا ويُشعب

رمانى على قُرب بشرخ ذكائه فأعشت جفونى لظرة من ذكائه

وغصت بأدنى شعبة من سمايه شِمابى وجا البحر فى غلوائه

فكل قرب ودع خديّه يركب

ألم يأتِه أنّى ركنتُ قعوداً وأجمعت عن وفز الكلام قعودا

ولم أعتصر للذكر بُعدك عودا وأزهقنى هذا الزمان صُعودا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ودام بها) .

(٢) هذه المقطوعة الخماسية واردة فى المخطوطين .

فَرَبَّعَ الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ سَبَسَبَ .

عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالِ دَعَوَتْ سَمِيعَا
وَتَمَلَّأَ الشَّعْبَ الْمَذْجَجِي جَمِيعَا
وَأَحْدَاقَ عَيْنٍ بِالْحِمَامِ تُقَلِّبُ

وَلَمْ أَنْسَ مَشَانَا إِلَى الْقَصْرِ ذِي النَّخْلِ
وَأَشْرَفُ لَا عَنْ عَظْمِ قَدَرٍ وَلَا فَضْلٍ
يَقِيهِ تَبَارِجَ الشَّمَالِ وَيَحْجُبُ .

فَكَمْ تَوَجَّعُ يَنْتَابُهُ بِرِيسِيَسِهِ
لِأَبْقَى أُمَّ عَمْرُو فِي بَقَايَا دَرِيَسِهِ
فَرُقْعَتُهُ نُسْبَى الْقُلُوبِ وَتَعْجَبُ

وَبِضَاءٍ لِلْبَيْضِ الْبَهَائِلِ تَعْتَرِيهِ
سِوَى أَنَهَا بَعْدَ الصَّنِيعِ الْمُطَرَّزِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدِبُ .

وَكَمْ لَكَ بِالزَّهْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّدٍ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَلَا هَيْبَةً تُخَشِّي هُنَاكَ وَتُرْهَبُ .

لَنَعْمَ مَقَامُ الْخَاشِعِ الْمُتَنَسِّكِ
مَتَى يُوْرِدُ النَّفْسَ الْعَزِيزَةَ يَسْفِكُ
وَأَيَّ مَرَامٍ رَامَهُ يَتَصَعَّبُ

قُصُورٌ كَانَ الْمَاءُ يَعْشُقُ مَبْنَاهَا

وَذَكَرْتُ رَوْضًا بِالْعَقَابِ مَرِيْمَا
وَسَرَبًا بِأَكْنَافِ الرُّصَافَةِ رِيْمَا

بِحَيْثُ تَجَافَى الطُّودُ عَنْ دَمِيثِ سَهْلٍ
وَلَسَكُنْدُ لِلْمَلِكِ قَامَ عَلَى رِجْلِ

وَيَرْتَحِلُ الْفَتَى بِأَرْجْلِ عَيْسِيهِ
كَسَحَقِ الْيَمَانِيِّ مُعْتَلِيهِ نَفْسِيهِ

وَتَعَتَّرُ بِالْبَيَانِ جَلَالًا وَتَفْتَرِي
كُسَاهَا الْبَيْلَى وَالْثُّكْلَ أَثْوَابَ مُعْوَرِي

وَوَقْفَةُ مُنْسَقِ الْجَمَاعِ مُقْصِدُ
وَيَهْتِكُ حُجْبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ

وَكَانَتْ فِي مَحَلِّ الْعَبَسَمِينَ الْمُلْكُ
وَإِنْ يَسْمُ نَحْوَ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَمْلِكُ

فَطُورًا يَرَى تَالِجًا بِمَفْرِقِ أَهْلَاهَا

وطوراً يرى خلخال أسوق سُفلاها
يقول هوى بدرأ أو اقتض كوكب
أناها على رَغَم الجبال الشَّواهِق
وكم دَفَعَتْ في الصَّدْر منه بعانق
حساباً بأنفاس الرياح يَدْرَب
هي الخلود من قرن إلى قدم حُسناً
ودَرَج كالآفلاك مبنى على مبنى
وأَسباب هذا الحُسْن قد تتشعب
فأين الشُّموس الكالِفَات بها ليلاً
وأين الظُّلُب السابحات بها ذِيلاً
فوا عجباً لو أن من يَتعجب
كم احتَضَنْتَ فيها القِيان المَزارها
وكم سَاهَرْتَ فيها السكوا كَب سَامِرا
عَظِيم من الدنيا شِعاع مُطَنَّب
كأن لم يكن يُقضى بها النِّهْي والأمر
ويُسفر مخفوراً بذمتها الفخر
وأَيامه تُعزى إليها وتُنسب
ومالك من ذات القِيَمِ النَّواضِج
وذى أثرٍ على الدهر واضح
ويَعْمُر ذكر الذاهبين ويخرب

إذا زَلَّ وَهناً عن ذوايِبِ هِواها
وكلُّ مُنِيف للنجوم مُراهِق
فأودَع في أحشائها والمفارق
تناصف أقصاها جمالا مع الأدنى
توافَقْنَ في الإِتقان واختلف المعنى
وأين الغُصون المائِسات بها مَيلاً
وأين الثَّرَى رَجَلا وأين الحِصاخيلاً
وكم فَاوَحَّتْ فيها الرِّياض الهَجايرِ
وكم قد أَجاب الطَّير فيها المَزامِرا
ويُجِى إلى خزانها البرُّ والبحر
ويُصْبِح مَخْتوماً بِطِينَتِها الدَّهر
وناصحة تُعزى قديماً لناصح
يُخبر عن عهدٍ هنالك صالح

تلاقى عليه فيضُ نهرٍ وجدول
فهنا جنوبىً وذلك شمال
وإلا فإن الفضل منه يُجرب

كأنهما فى الطيب كانا تنافرا
ولما تلاقى السابقان تماظرا
فكلكما عذبُ المجاجة طيب

ألم يعلما أن الأجاج هو المقت
وما منكبا إلا له عندنا وقت
تقشع من نور المودة غيب .

وإن لها بالعامرية لمظهرا
وروضنا على شطى خضارة أخضرا
له ترّة عند الكواكب تُطلب

غيره فى عنفوان المسوارد
وأبرزه للأزيمى المجاهد
حفيظته فى صدره تتلهب

تقدّم عن قصر الخلافة فرسخا
فحالته أراض الشرك فيها منوخا
فردّعت فى القلب تسرى وترهب

أوليك قوم قد مضوا وتصدّعوا
فهل لهم ركزٌ يُحسُّ ويُسمع
إلا أنهم فى بطنها حيث غيب .

تصدّ من سفلى وأقبل من على
وما اتفقا إلا -لى خير منزل

فساروا إلى وصل القضاء وسافرا
فقال ولك الحق مهلاً تظافرا

وأر الذى لا يقبل النصف مُنبّت
فلما استبان الحق واتجه السمت

ومستشرقاً يلهى العيون ومنظراً
وجوسق ملىك قد علا وتجبراً

وأثبتته فى ملتقى كل واد
وكل فتى عن حرمة الدين زايد

وأصحر بالأرض الفضاء ليصرخا
كذلك من جاس الديار ودوخا

قضوا ما قضوا من أمرهم ثم ودّعوا
تأمل فهذا ظاهر الأرض بلقع

وَأَنْ بِيَاضِ الصُّبْحِ لَيْسَ بِذِي خَفَا
وَكَأَنَّ حَديدًا لِلوفودِ مُعْرِفًا

أَخْلَاءُ صِدِّيقٍ كَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأَرْجَعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ

وَلَا بِمِثْلِ إِخْوَانِي بِعَفَاكَ إِخْوَانِ
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهُ شَانِ

وَأَنْتَ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعِ
وَكُلُّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعِ

وَدَانَتْ لَمْ فِيهَا مَلُوكِ الطَّوَايِفِ
بِكُلِّ حَسَامٍ مُرْهَفِ الْحَدِّ رَاعِفِ

وَكَبَيْتُهَا نَدَا الْوفُودِ وَيَمَّعُوا
وَغَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرِهِمْ وَتَحَرَّمُوا

هَوَاؤُكَ مَخْتَارٌ وَتُرْبُكَ مُنْتَقَا
وَيَدُوتُكَ مَرْبُوعِ الْقَوَاعِدِ بِالشُّقَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا
وَكَمْ رَسَمَ دَارٍ لِلْأَجِنَّةِ قَدْ عَفَا
فَأَصْبَحَ وَحْشَ الْمُنتَدِي يُتَجَنَّبُ

وَلِلَّهِ فِي الدَّائِرَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
أَشْيَعُ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَيْبَضِ نَاصِعِ
فِيَالْيَتَنِي فِي رِقْسَمِي أَنْهَيْبِ

أَقْرُطِبُهُ لَمْ يُتَنَّنِي عَنْكَ سُؤْلَانُ
وَإِنِّي إِذَا لَمْ أُسْقَ مَاءُكَ ظِلْمَانُ
وَمَوْطِنِي آثَارُ تَعْدُّ وَتُكْتَبِ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطْوَى وَيُرْفَعُ
إِلَيْكَ تَنْهَاهِي وَالْحُسُودُ مُعَذِّبِ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخَلَائِفِ
وَعَضَّ ثِقَافِ الْمُلُوكِ كُلِّ مُخَالَفِ
بِهِ تَحْقِنِ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسْكِبِ

إِلَى مُلْكِهَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا
وَفِيهَا اسْتِفَادُوا شَرْحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا
فَنَكَبَ عَنْهُمْ صَرْفُهُ الْمُنْشَجِبِ

عُلُوتِ فَمَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَقَا
وَجِسْرُكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ مُلْتَقَا

إلى فضله لأَكْبَابُ تُنْضَى وتُضْرَبُ

تَوَلَّى خِيَارَ التَّابِعِينَ بَقَاءَهُ

وَمَدَّوْا طَوِيلَا صَيَّتِهِ وَثَنَاءَهُ

وَلَا زَالَ سَعْيُ الْكَائِدِينَ بِخَيْبٍ

وَبَالِغٍ فِيهِ كُلُّ أَوْعٍ أَصِيدَ

وَشَادُوا وَجَادُوا سَيِّدًا بِمَدِّ سَيِّدِ

يَقُومُ عَلَيْهِ الثَّنَاءُ وَيُخْطَبُ

مَصَابِيحُهُ مِثْلُ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ

وَتَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ لَاءٍ وَسَالِكِ

فِي بَشَارِهِمُ بِالطَّبِيبِيَّةِ تُنْهَبُ

أَجْدُكَ لَمْ تَقْهَدْ بِهَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ

وَقَدْ أُنْزِجَتْ فِيهِ جِبَالُ مِنَ الزَّهَرِ

لَا وَثَاكَ نُورُ الْفَجْرِ يَفْنِي وَيَنْضَبُ

كَأَنَّ لِلثَّرَيَّاوَاتِ أَطْوَادَ مِنْ نَرْجَسٍ

وَطِيبِ دَخَانِ الثُّدَى مِنْ كُلِّ مَعْطَسٍ

وَأَذْيَالُهُ فَوْقَ السَّكَاكِ تُسْحَبُ

إِلَى أَنْ تَبَدَّتْ رَايَةُ الْفَجْرِ تَرْحَفُ

تَوَلَّوْا وَأَزْهَارُ الْمَصَابِيحِ تُقْطَفُ

كَمَا تُتَّصَلُ الْأَوْمَاحُ ثُمَّ تُرْكَبُ

سَلَامٌ عَلَى غِيَابِهَا وَحُضُورِهَا

وَحَطَّوْا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي فَنَاءَهُ

فَلَا زَالَ مَخْلُوعٌ عَلَيْهِ سَنَاءَهُ

طَوِيلُ الْمَعَالِي وَالْمَكَامِ وَالْيَدِ

فَبَادُوا جَمِيعًا عَنْ صَنِيعِ مُخَلَّدِ

تَمَرَّقُ أَنْوَابُ النُّجُومِ الْحَوَالِكِ

أَجَادِلُ تَنْقُضُ انْقِضَاضَ النَّيَازِكِ

وَقَدْ جَاشَ بِرِّ النَّاسِ مِنْهُ إِلَى بَحْرِ

فَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ النُّورُ يُقْبَسُ مِنْ فَجْرِ

ذَوَائِبِهِ تَهْفُو بِأَذْنِ تَنْفُسِ

وَأَنْفَاسُهُ فِي كُلِّ جِسْمٍ وَمَلْبَسِ

وَقَدْ قَضَى الَّذِي لَا يُسَوِّفُ

وَأَبْصَارُهَا صَوْنًا تَغْضُ وَتُطْرِفُ

سَلَامٌ عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُصُورِهَا

سلام على صغرايها وقبورها
 فحسن دفاع الله أنحى وأزهب
 وفي ظورها المعشون كل مرفع
 متى تاته شكوى الظلّامة تُرفع
 من الله في تلك المواطن يُقرب
 وكم كربة ملء الجوانح والقلب
 بروعتها قبر الولي وهب
 فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب
 فيا صغري حان قبلك مصرعي
 فخطأ بضاحي ذلك الشرى مضجعي
 فعندم للجار أهـل ومرحب
 رعى الله من يرعى اليهود على النوى
 وليبيتته من مستحكم الودّ والهوى
 وأهدى سبيله الذي يتجنب
 ولا زال سور الله من دون سورها
 وفي بطنها الممشوق كل مُشفع
 وكل بعيد المُستغاث مُدفع
 طرقت وقد نام المواسون من صخب
 وناديت في الثرب المقدّس يارب
 وكنت على عهد الوفا والرضا معي
 وذرتني فجار القوم غير مروّع
 ويظهر بالقول الحُبّ ما نوى
 يرى كلّ وادٍ غير واديه مُحتوى
 [١]

كتابه

وكتابة ذى الوزادتين رحمه الله ، كالشمس^(٢) ، شجرة ، والبحر^(٣) والقطر

(١) إن جميع الشعر الخمسي المحصور بين الخواصر وارد كله في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الشمس) .

(٣) سافعى «ج» وواردة في الإسكوريال والزيتونة .

كثرة ؛ ونحن تثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه .
كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ، من رسالة ، كتب بها إليه مع حاج
يضرب الفرعة :

أطال الله بقاء وليي^(١) ، وإمامي^(٢) ، الذي له إكباري وإعظامي ، وفي سلكه
أناسي وانتظامي ، وإلى ملكه انتسابي واعتزائي ، وبوذه افتخاري وانترائي^(٣) ،
للفضائل جلياً ومبدياً ، وللمحامد مشتملاً ومُرْتدياً^(٤) ، وبالغرايب مُتَحَفّاً ومُهْدِياً ،
[ولازال الرِّخاء وأزل ، وجدّ من المصافاة وهزل ، وسَحَت من المراعاة وجَزُل]^(٥) .
وصل كتابه محبة عراف اليمامة ، وفخر^(٦) تَجِد وتِهَامه ، [يُقرّظه ويزكّيه ، ويصمّه
بالنخب^(٧)] يفسره ويُجَلِّيه^(٨) ، والخفي^(٩) يظهره ويبيديه . ولعله رائدٌ ، لابن
أبي صايد ، أو هاد للمسيح الدجال قايد . أشهد شهادة إنصاف ؛ أن عنده لعَضْباً
صاف^(١٠) ، ولو كان هناك ناظر صادق^(١١) طاف ، والله خايا الأنطاف ، لقلتُ
هو باد غير خاف ، من بين كل ناعلي وحاف . وسأخبرك أيذك الله ، بما
اتفق ، وكيف طار وتمعق . وتوسّد الكرامة ، وارتفق ، [طرّق له وصنك

-
- (١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ريسي) .
 - (٢) ساقطة في «ج» وواردة في الإسكوريال و«الزيتونة» .
 - (٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في «ج» و«الزيتونة» .
 - (٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مجتديا) .
 - (٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» مع فروقات يسيرة ؛ وساقط في «ج» .
 - (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وحدى) . والزيتونة (وحرأ) .
 - (٧) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحق) .
 - (٨) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . ومكانه في «ج» عبارة (يقرّظه ويحليه) فقط .
 - (٩) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (والحفء) .
 - (١٠) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (أمداف) .
 - (١١) وردت في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

وَنَعْتِكَ ، وَثَقَّةَ بَرِّيكَ وَنَحْنُكَ ، وَرَفَعَهُ لِلْعُيُونِ جَدُّكَ وَبَحْتُكَ ^(١)] ، وَامْتَدَّتْ
نَحْوَهُ النَّوَظِرُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ الْغَايِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ النَّابِ ^(٢) وَالْخَامِلُ ،
وَأَزْدَحَمَ عَلَيْهِ الْعَاطِلُ وَالْعَامِلُ . هَذَا يَلْتَمِسُ مَزِيدًا ، وَذَاكَ يَبْتَغِي خَطًّا ^(٣) جَدِيدًا ،
وَهَذَا يَطْلُبُ تَقْلِيدًا ، [وَذَاكَ يَسْأَلُ إِلَى مَغَالِيْقِهِ إِقْلِيدًا] ^(٤) . فَكُلُّمَا حَزَبٌ ،
وَعِلٌّ وَجَلْبٌ ، حَلَبٌ وَاسْتَدَرٌّ ، وَتَلَقَّاهُ [وَإِنْ سَاءَهُ الْغَيْبُ] ^(٥) بِمَا سَرَّ . وَكُنْتُ
وَاتَعْتُ جَمَلَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَوَأَقَفْتُ ثُلَّةً مِنْ جِلَّةِ الْإِخْوَانِ ، عَلَى تَمْشِيَةِ أَمْرِهِ ، وَتَوْشِيَةِ
ذِكْرِهِ ، فَلَمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، وَاسْتَوَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ ، أَحْضَرْتَاهُ لِلْسَّبَّارِ ،
وَأَقْعَدْتَاهُ لِلنَّقْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى جَلَالِهَا تِلْكَ الْأَخْبَارُ ، فَأَحْضَرْنَا
طَحْنًا وَنَطْعًا ، وَسَرَيْنَا عَنْهُ مِنَ الْوَحْشَةِ قَطْعًا ، وَقَانَا لَهُ خَنْدَ صَفْوِكَ ، وَلَا تَوَرُّدُنَا ^(٦)
إِلَّا صَفْوِكَ ، وَلَا تَصَائِفُنَا فِي الْكَرِيمَةِ الَّتِي نَرَاهَا ، وَالْحَادِثَةِ تُسْتَفْظَعُ ذِكْرَاهَا ،
فَمَا عِنْدَنَا جَهْلٌ ، وَمَا مَنَا إِلَّا مُحْتَنِكٌ كَهْلٌ ، لَا يَتَكَادَهُ حَزَنٌ ، وَلَا يَسْتَحْفَهُ
سَهْلٌ ، فَسَكَنَ جَائِشُ قُوْرِهِ ، وَضَرَبَ بِلُحْيَتِهِ عَلَى زُورِهِ ، ثُمَّ صَدَّدَ فِينَا النَّظَرَ وَصَوْبَ ،
وَاسْتَهْلَ صَارِخًا وَثَوْبَ [وَتَمَجَّجَ مِنَ الْكُنْبِ وَتَحَوَّبَ] ^(٧) ، وَقَالَ لَسْتُ لِلْعَشْرَةِ
خَائِبَةً ، وَلَا لِلطَّرْفِ غَامِضًا ، وَلَا عَنِ الصَّدَقِ إِذَا صَدَعَ حَائِدًا ، وَلَا لِلْعُدْمِ مَنْ وَقَعَ
مِنْهُ ذَائِدًا ، وَلَا بِمُعْجَزَاتِ النَّبُوءَةِ لَاعِبًا ، وَلَا لِمَصْرِحِ الْجِدِّ مُدَاعِيًا ، وَلَا تَطْيِيبِي
مَسْأَلَةَ وَلَا حُلُوانَ ، وَلَا تَسْتَفْزِئِي لَضَائِدِ كَثِيرَةٍ وَلَا أَلْوَانِ . إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ وَخَطٌّ ،

-
- (١) مَا بَيْنَ الْخَاصِرَتَيْنِ وَارْدَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَ« الزَيْتُونَةُ » . وَسَاقَطَ فِي «ج» .
(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْبَيْتِ) .
(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالزَيْتُونَةِ . وَفِي «ج» (شَيْئًا) .
(٤) مَا بَيْنَ الْخَاصِرَتَيْنِ وَارْدَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَ« الزَيْتُونَةُ » . وَسَاقَطَ فِي «ج» .
(٥) هَذِهِ الْبَعْدَةُ وَارْدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَسَاقَطَةٌ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ .
(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي «ج» . وَفِي « الزَيْتُونَةِ » (تَزِدُنَا إِلَى) .
(٧) هَذِهِ الْبَعْدَةُ وَارْدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَالزَيْتُونَةِ . وَسَاقَطَةٌ فِي «ج» .

ورفع وحطّ، ونَحَسَّ وسعدّ، وتقعد ووعد، ويوم وغد^(١). فقلنا له الآن صحّت
الوفادة [وأينعت الإرادة]^(٢). ثم نظر إلينا نظر المستقلّ واجتنب النطع اجتذاب
المُدل^(٣)، ونزل اللّجن وهاله، وأداره حق [استدار هاله]^(٤)، ثم قال يا أيها
الملأ هذا المبتدأ^(٥)، فأيسكم يبدأ. فرمى القوم بأبصارهم، وفغروا وكبروا،
وليسهم [عند ذلك]^(٦) صغروا. فقلت يا قوم قد عضضت على ناجذى حِلماً،
[وقلت شأني كء، علماً]^(٧)، وعقدت بينى وبين غدٍ سلماً^(٨)، فكيف
أسككشيف عما أعرف، وأسبقهم عما لا يستبهم. على الرحمن توكلت، وعلى
الشیطان تركت، ومن كسبى أكلت، [وفى مبرك السلامة برکت]^(٩)،
وجـينات الأمور تر ككتنى وتر ككت، والنفس^(١٠) المطمئنة رجوت، ولعلنى
قد نهجت، [وأصبت فيما نهجت]^(١١). فلحظتنى عند هذه المقالة عينه،
وطوانى^(١٢) صدقه ومينّه. [ثم صار القوم دونى أنجيه، وأعدّ له كل تورية

-
- (١) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (وبعد) والأولى أرجح.
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في المخطوطين «ج» و«الزيتونة»
(وتعينت الزيادة).
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال. ووردت في «ج» (المستقل). وفي الزيتونة (المقل).
(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. وفي المخطوطين (استهاها).
(٥) هكذا في المخطوطين. وفي الإسكوريال (النبا).
(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال.
(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة». وورد مكانها في «ج» (وقلت
كل ذلك أتقنه حفظاً).
(٨) هذه العبارة واردة في الإسكوريال. وساقطة في المخطوطين.
(٩) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة». ووردت في «ج» كذا في
(وعن مبرك الشيطان نكلت).
(١٠) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (المست).
(١١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في «ج» و«الزيتونة» (صدقت -
أصبت فيما قد رجوت).
(١٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وفي «ج» (وُدشنى).

وَتَعْمِيَّة . فقال قليل منهم ، تعالوا اشترك في ضمير ، ونزله بهذا الطاغية ابن رذمير ^(١) ففى كل قلب منه ندب كبير ، والسؤال عنه دين وأدب ، فإن أصابه استرحنا من النصيب والشخص . وجرنا من العموم إلى الخصوص ، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ ، ولما يدعيه ويريدُه منه أبطأ . فقالوا إنعم ما عرضت ، وأحسن بما رويت وفرضت . فلما رأيناه يُثقل التعريض ، ويُحسَم التقرير والتعويض ، قلنا له حق ضميرك كل التحقيق ، وضع مسبحتك في الدقيق . [فابتدأ ما أمر] ^(٢) وحسره عن ذواحه وشعر ، ومرب أصبمه في خطه مر الذر المتهالك ، ووقعت وقع القطر المتدارك ، [لا تمس الطحن إلا تحليلا ، وعجزاً كالهم قليلا] ^(٣) فطوراً يستقيم سبيلا ، وتارة يستدير إكليلا ، وآونة يأتى بالسماء ونجومها قميلا . فساكن هنالك لنعش من بنات ، وللثريا من إخوان ، وطير قابضات ، وصافآت وأسراب ناشرات خافقات . فلما استوفى عُدَّه ، وبلغ أمدّه ، وختم طرائقه وقيدّه ، وأعطى الأصول وفروعها ، وتدبر تفاريقها وجرعها فجمع وتقبض ، وفتر ثم انتفض ، [وصعد ذهنه وتسامقه ، وأخذ الطحن فساقه] ^(٤) ، وزفر وشهق ، وعشر ونهق ، وألصق بظهره حشاه ، وكتم الربو ثم أفساه ، وقال هذا الذى كنت أخشاه ، عيتم الأثر ، [وكنتم حقيقة الخبير] ^(٥) . [وعثرتم خاطى فما عثر ، ونثرتم نظام الخدس فما انتثر] ^(٦) .

(١) هذه العبارة ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال . ولم يرد منها في المخطوطين سوى عبارة (ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذمير) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «الزيتونة» كالآتي (لا تمس القطن إلا تحليلا ، وعجزاً كالهم ولو تحليلا) . وهى ساقطة في «ج» .

(٤) ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال و«زيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال و«زيتونة» وساقطة في «ج» .

سَأَلْتُمْ عَنْ رُوحِ شَارِدٍ وَشَيْطَانِ مَارِدٍ، وَصَادِرٍ مَعَ اللَّحْظَاتِ وَارِدٍ . لَا يُوطِنُ دَارًا .
وَلَا يَأْوِي قَرَارًا . وَلَا يُطْعِمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا . نَعَمْ أَمْرُهُ عِنْدِي مُسْتَقَرٌّ . هُوَ
زَنْدِيقٌ مُسْتَشْتَرٍ، وَشَهَابٌ مِنْ شُهُوبِ السَّكْفَرِ مُسْتَمَرٍّ . ثُمَّ رَجَعَ الْبَصَرُ وَاخْتَصَرَ .
وَعَادَ إِلَى الْحِسَابِ يَتَقَرَّاهُ، وَالصَّوَابِ يَتَحَرَّاهُ . وَتَتَبَعَ أَذِيمَ الطَّحْنِ فَقَرَّاهُ . وَقَالَ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا أَرَاهُ . إِلَى كَمْ أَرَى فِي غَلَاءِ وَبَلَاءِ ؛ كَأَنِّي لَسْتُ ذَا أَمْرٍ
وَأَحْلَاءِ ، تَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ قُرْعَةٌ رَفْعَةٌ وَعِلَاءُ ؛ مَا غَابَ عَنِّي اللَّحْيَانِي ذُو السَّبْكَةِ ،
وَلَوَاجِهِنَا الْبَيَاضُ ذُو الْغُرَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ ، مُوَاجِهَةٌ حَسَانُ كَلْبَلِهِ . النَّحْسُ عَلَى هَذِهِ
الرُّوحِ قَدْ رُتِبَ ^(١) ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ [مِنْ الشَّقَاءِ] ^(٢) مَا كُتِبَ ، وَأُخْرِجَ النَّصْرَةَ
الِدَاخِلَةَ مِنَ الْعَتَبِ . نِمِ أَشَارٌ إِلَى الْحُمَرَةِ ، وَكَأَنَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى بَجْرَةٍ ، وَقَالَ
كَوَسَجَ نَعْيٍ ، وَسِنَاطَ الْوَجْهِ شَقِيٍّ ، وَثِقَافَ وَطَرِيقٍ ، وَجَمَاعَةَ وَتَفْرِيقٍ ، وَتَبْضُ
خُلُوجٍ ، وَمَنْسُكُوسٍ مَارِجٍ . نِمِ وَضَعَ عِمَامَتَهُ ، وَلَوَلَبَ ^(٣) هَامَتَهُ ، وَأَمَالَ وَجْهَهُ
فَجَرًّا طَلْقًا ، نِمِ عَرَضَهُ بِحُجْنًا مُطَرَقًا ، وَعَقْدَ أَنْامِلِهِ عَضًّا . [وَأَذْمَى صَدْرَهُ دَعَا وَرَضًّا ،
وَقَطَعَ بَصَرَهُ لَهَا وَغَضًّا ، ذَتَكْفًا وَتَقْلَعًا] ^(٤) وَأَذْلَعَ لِسَانَهُ فَانْدَلَعَ . فَقُلْنَا شَرُّهُ
تَأْبَطُهُ ، أَوْ شَيْطَانٌ يَنْخَبِطُهُ ، أَوْ قَرِينٌ يَسْتَنْزِلُهُ وَيَخْتَلُهُ ^(٥) أَوْ رُؤْيَى فِي الذُّوَةِ
وَالْغَارِبِ يَفْتِنُهُ . [نِمِ تَجَاحُظٌ وَتَحَاذِرٌ . وَتَضَاهِلٌ وَتَنَازَرٌ] ^(٦) ، وَقَالَ ، وَالَّذِي أَحْيَا
عَازِرَ ، وَأَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ ^(٧) مِنْ آزَرٍ ، وَمَلِكَ عِنَانَ الرِّيحِ وَأَذْعَنَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (غلب) .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (من التَّوَدَ) . وهي ساقطة في «ج» .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أبدى) . والزيتونة (وَأَرْكَب) .
- (٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .
- (٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (ويختلبه) .
- (٦) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثم تجاحظ وتكادن ،
وتضاهل وتبادن) .
- (٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (البرائع) .

بالسجود والتسبيح ، إنه لمن عبيد المسيح . هيهات هيهات . لا أتضع
 بطن ، ولا يُقعق لي إسفنجة ، ولا أنزع من هذه الفنون في فن . قد ركب
 أنباج البحار ، وقطعت زياط المفاز والقفار . وشافني الحرم والبيت ، وصاغني
 الحجر الكسيت ، وأحرمت وأبليت ، وطفت ووقيت ، وزرت المصطفى صلى
 الله عليه وسلم وتحفيت . ثم ملت على عدن ، وانحدرت عن اليمن ، واستسقيت
 كل راعدة ، وأتيت كل قاعدة ، ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعدة ،
 ووردت عكاظ ، وصدقت الحفاظ ، وقدت العصية بنسج ، ومسحت الشامات
 بأخمس ورسع ، ووقفت حيث وقف الحكماء ، وشهدت زحف الترياق ،
 وكيف تصاولت القروم ، وغلبت الرثوم ، [وهزم المدبر المقبل ، واكتسحت
 الجحاش الإبل]^(١) . قللنا الله أنت ، لقد جلست عن نفسك ، وأراني يومك
 على أمسك ، ولقد صدق مطريك ، ووفت صحيفة تزكيتك ، [وما كانت فراستنا
 لتخيب فيك]^(٢) . فماذا تستقرى من اللوح ، وتري في ذلك الروح ، يعيشك
 [ألا ما أمتعتنا]^(٣) بالإفشاء والنبوح . فرجع في البحث أدواجه ، وطالع كواكبه
 وأبراجه ، وظل^(٤) على مادة الطحن ، يرقم ويرمق ، ويفتق ويرتق . ثم جعل
 ينسج ، وقال أحلف بالله وأقسم . لقد استقام النسم ، وإنه لسكا أرسم وأرسم ،
 وإنني لا أجده إلا لاغباً مبهراً . ومنكرداً مقهوراً . ولن يلبث إلا شهوراً ، قد
 أفل طالع^(٥) جدّه ، وفلّ حدّه . وأتى عليه نقي خدمه ، وصبي لم يملك أبوه ومالك

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (وما كانت
 فراسة - فراستنا لتخيب فيك) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ألا ما أمتعت) .

(٤) هذه الكلمة وارد في «ج» . وساقطة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة وارد في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» والإسكوريال .

جَدُّهُ ، فَقُلْنَا صَرَّحْتَ وَأَوْضَحْتَ ، وَشَهَرْتَ هَذَا الْمَسْتَوْرَ وَفَضَحْتَ . وَإِنْ سَاعَدَكَ
 قَدْرٌ ، وَكَانَ لَكَ عَنْ هَذَا الْوُرُودِ صَدْرٌ ، فَحَظُّكَ مُبْتَدَرٌ ؛ وَحُطُّكَ ^(١) صَافٍ لَا يَشُوبُهُ
 كَدْرٌ . فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ آنَ أَوْ كَانَ ، وَسَيَأْتِيكُمْ الْخَبَرُ الْآنَ . فَاَنْفَضَلْنَا وَأَصْغَيْنَا
 الْأَذَانَ ، وَجَعَلْنَا نَتَلَقَى الرُّكْبَانَ ، فَلَمْ يَرُعْنَا إِلَّا النَّعْمَى النَّاجِمَةَ ، وَالتَّبْشِيرَى
 الْهَاجِمَةَ بِمَا بَانَ ، فَأَدَهْنَا فِي شَأْنِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعَاوِدُهُ خَوْفُ طُفْيَانِهِ ، فَإِذَا الْخَبَرُ لَمْ
 يَخْطُ صِمَاخَهُ ، وَكَأَنَّمَا كَانَ عَوْدًا وَافِي مَنَاخِهِ ، أَوْ طَائِرًا أَمَّ أَفْرَاخَهُ . فَلَمْ يَنْشِبْ
 أَنْ أَقْبَلَ يَصْنُدُ نَحْوَنَا أَى صَمَدٍ ، وَيَتَعَرَّضَنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ، تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنَّجُومِ ؛
 [وَيَنْقُضُ انْقِضَاضَ نَيْزَارِكِ النُّجُومِ] ^(٢) ، وَقَالَ أَلَمْ يَأْنُ أَنْ تَدِينُوا لِي بِالْإِكْبَارِ ،
 وَتَعْمَلُوا أَمْرًا مِنَ الْجَهْمِ بِإِذْنِ الْكِبَارِ ، فَقُلْنَا مِنْكَ الْإِسْجَاحُ ، فَقَدْ مَلَكَتْ وَمِنْكَ
 وَلَكَ النُّجَاحُ ، آيَةٌ سَلَكْتَ . فَأَطْرَقَ زَهْوًا ، وَأَعْرَضَ عَنَّا هَوًا ، وَقَالَ اْعْلَمُوا
 أَنَّ الْقُرْعَةَ لَوْ طَوْتَ أَسْرَارَهَا ، وَمَنْعَتِي ^(٣) أَخْبَارَهَا ، لَمَزَقْتُ صِدَارَهَا ، وَذَرَوْتُ
 غُبَارَهَا ، وَلَسْكَانَ لِي عَنْهَا أَوْسَعُ مُنْتَدِحٍ ، وَأَنْجَدَ زِنَادٌ يُقْدَحُ ، أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ
 رَضْنِي الْأَحْلَاكِ ، وَعِلْمِي بِالْأَفْلَاكِ ، أَنَا فِي مَرَجِ الْمَوْجِ ، وَأَوْجِ الْأَوْجِ ، وَالْمُتَفَرِّدِ
 بِعِلْمِ الْفَرْدِ وَالزَّوْجِ ، وَمُسْتَرْطِ السَّرَطَانِ ، وَمُسْتَدِيرِ الدَّبْرَانِ ، وَبَايَعِ الْمُشْتَرَى
 بِالْمِيزَانِ ، وَالْقَابِضِ بِيَوْمٍ ^(٤) الْحِسَابِ وَالْعَمَلِ ، عَلَى رَوْقِ الشُّورِ وَذَنْبِ الْحَمْلِ ،
 [أَعْقِدْ لَصْلَ الْعَقْرِ] ^(٥) ، وَأَقْبِدْ الْأَبْعَدَ وَالْأَقْرَبَ ، لَصِيدَ أَوَابِدِهَا بِالْدَّقَائِقِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و« الزيتونة » . وفي « ج » (و لحظك) .
 (٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (و انقضى انقضا من المارد
 المرحوم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (غيبتني) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بيد) . والأولى أرجح

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (عندى نعم العنقرب)
 والأولى أرجح .

والدرج ، ' حتى اضطر سارحها إلى الحرج ، وأصبحت في أضيق منعرج [(١) ،
[أنا استدركت بالأنبار فرحة الإقبال وترحة الإديار] (٢) ، وطالعت إقليدس ،
فاستنبطته ، وصارعت الجسطنطى فحسنته ، وارتطمت إلى الأرض ما طيق ، [وأطقت
الأوطيق] (٣) ، ولحظت التحليل بحل ما عتده ، وانتضيت ما مآل به الجهايزة ،
نفثته . وعابث (٤) زحل ، حين استقل على بعيره (٥) ورجل ، وضايقت في ساحته ،
وحصرته في مساحته ، وحضرت قرانه ، وشهدت تقدمه وممرانه ، وشاهدته
[شفرأ بشفر] (٦) ، وناجى برقأ بعد في الكفر ، وتخريه لملك الصفر ،
[وتفرقه لبلاد اللطينة] (٧) وإنجاز الوعد في فتح قسطنطينة . أنا عمت رشا
الدلو ، وذروت غبار الحوت للفلو . أنا اقتدحت [سقط الجوهر] (٨) ، فلاح
بعد خفايه وظهر . أنا استشرت (٩) الهلال من مكان سرره ، [وأخنت عليه
ثنايا بقره] (١٠) ، وقددت قلامته من ظفمه ، ودلت طير الصاير على شجرة ،
فجيت المر من ثمره ، أنا طرقت الزهرة في خذرها ، وصاغتها من الفكرة بيد

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (واضطر من ها هنا إلى
الحرج ، وأجمعهم في ضيق المنعرج) .
(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال . (أنا استدركت بالأنبار ، حركة الإقبال
والإديار) . والأولى أبلغ معنى .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتونة » . وساقطت في « ج » .
(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال (أنا عادل) .
(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (رحيله) .
(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (شبرا وشبرا - شبرا بشبرا) .
(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وتقره لهدهم طينه) . والأولى
أدل على المعنى .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (زله جوزائه - الجوزاء) .
(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استخرجت) .
(١٠) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتونة » . وساقطت في « ج » .

لم تدرها . أنا أذكيت على ذكاء فظلت تلتهب . وأخرزتها من الوهم شطناً ،
[أجذبها به فتجذب]^(١) . أنا أنعى المعتبرين حياتها ، [فيشبهون الحسنه ،
ويتحزون أوقاتها ، حتى تنتشر بعد الطي حياتها]^(٢) ، وتستقيل من العنار
آياتها . أنا انتضيت للشباب شرخاً ، وأضرمت للمريخ عقاراً ومرخاً ، حتى أتغاني
بلاحم حروبه ، وحوادث طلوعه وغروبه ، وتلمظ إلى النجيج ، وولوجه في مهبجة
البطل السجيع . أنا أبرى من اللّم ، وأشفى من الصّم ، وأنقل العطس إلى الشّم .
قلنا أما الأولى ، فقد سلمنا لك جميعها ، وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها . قال
فلم تعجزون ولا تستغزون . قلنا من كان له علاج فينفعه يبدأ ، ونعّب بغيره .
ولسنا نريدك ، ولكن تهتز يدك . قال أما من يدهم روى . وألقى في روعه
ما ألقى في روعي ، فمثله كالصارم ، حسنه في فرنده ، لا غمه ، وجماله في
حدّه لافي خدّه ، والمرء كما قيل بأصغريه ، لا بمنخريه ، والشأن في الخيزوم ،
لا في الخيشوم ، وفي الذكرين ، لافي الأنشيين ، وبعد فهو كلام ظاهره إجمال ،
وباطنه احتمال ، وسأنبئكم [بغزاة سيّله ، ونجر ليله]^(٣) . أما الأفطس فيدلى
الضفنة ، ويتزوج في آل جفنه . فإن الله أنعم ، جاء الولد أنعم ، وإن نام عرق
خاله ، بقي الولد بحاله . وأما الأصم ، فيخرج عن الغلام ، وبلا قال ، ويدالب في بني
السّمية بركة الإنسيّة والغال ، فإن الله أراد ، ظفر بالمراد ، وجاء ابنه^(٤)
أنعم من قراد . فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً ، وعين طرّاً غضيضاً ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (حتى جرت جري المذهب) .

(٢) هذه العبارة واردة فقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « ج » (بفجر سيّله لا بفجر ليله) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الولد) . والمردى واحد .

افتعسكرو تشنر^(١) ، وطوف وحذر ، وقال صاحب الشريعة ، سمّاهم بنى السّميعه ، قوموا يا بنى اللّسكعة ، فقد قطعتم رزقي ، وأذيتم^(٢) طرقي ، وأذلتكم ضربى وطرقى ، وسدّدتم طوقى ، وأخذتم على أفقى غربى وشرقى . [ذرؤى للى هى للبليّة تجنى ، ثم الوجد يعنى . لو شرب نواديه إثر تجنى^(٣)] . ثم نجا بعزّمته سميلا ، وأرسل بنات نعش ذبلا ، وقد أفاد بما استصحب من ميامنك ليلا [كذبى أيدك الله عند نواه^(٤)] ولم يطلمنى طلع ما نواه ، وما ذاك إلا لمطعم لواه ، ومنّهم هواه فرُفعت لى بعد وداعه نجوه ، ورمتنى بشخصه نجوة [فقلت ما أراك إلا غائل ، أوزنت عنك الجائل^(٥)] . فسراك سرى قين ، وحديثك مّين ، ألم تعبر دُجيلا ، ويّمتت سُهيلا . فقال طربت لى الأصفية الصّغار ، وشاقنى الشوق بين الطواغيت والأصفار . فقلت له هلم لى خطّ نعيده ، وحظّ استفيده . فقال لولا أن تقولوا الساعة متى ، وتطالبونى بإحياء الموتى ، لما أجمعت لى الغرب غروبا ، ولا ديتكم من الحذق ضروبا . ثم قال إن لى بالخصرة أفراخا ، وأما استصرخت عليها استصراخا ، والسلخت منها انسلاخا ، وأعيا على أمره ، فلم أعلم له ظفعا ولا مناخا . فلبنت كذلك أياما ، قد اعتم على أمره اعتياما . ولم أعرف له إنجادا ولا اهتماما^(٦) ، فإذا به وقد اضمرت عنه بأسا ، ولم أطمع فيه رأسا ، قد أشب لى شبابا ، ولعت صلبته شهابا ، تسكتنه صرة ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (فتكدر وتشور) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى «ج» (وداريتم) . وفى «الزيتونة» (وارديتم) .

(٣) هكذا وردت هذه الفقرة التى بين الخاصرتين فى «الزيتونة» . وهى ساقطة فى «ج» . وفى الإسكوريال وردت على النحو الآتى : (ذرؤى للى هى الليل يجز ، ثم لاوقد يمن ، لو شرب نواديه ترن) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة فى «ج» .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين . وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (انتهما) . وفى «الزيتونة» (انتهما) .

وَبَيْسَ مَا قُوَّةَ . وَتَوَدُّ يَسْرَاهُ جِرَّة . فَقُلْتُ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ . [مَا أَشَدَّ فَقْدَاتِكَ ،
إِلَّا فَقْدَتِكَ ، وَمَا أَذْكَرُ وَجْدَاتِكَ إِلَّا وَجْدَتَكَ] ^(١) أَيْنَ أَفْرَاخُكَ ، وَالْأُمُّ الَّتِي
جَذَبَهَا اسْتِصْرَانَاكَ . فَقَالَ الصَّلُوكُ ، لَوْ أَعْلَمَ مَذَاهِبَهُ . تَحَرَّمَ مَنَاهِبَهُ . وَتَحَدَّمَ
مَرَاهِبَهُ . دَرَزَنِي وَعَلَاجِي ، أَحْلَجَنِي وَأَدَاجِي ، وَأَعَالَيْنِ وَأُنَاجِي ، وَأَتَقَلَّبُ فِي بَرَكَةِ
دُعَاءِ الْبَاجِي . فَقُلْتُ لَهُ مَالِكُ وَلَمَّيْتُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَيَّيْتُ . قَالَ ، لَمَّا أَذِنَ اللَّهُ
فَالْتَأَمْتُ ^(٢) الشَّيْمَةَ ، وَتَمَزَّقَتْ عَنِّي الْمَشِيْمَةُ ، هَمَمْتُ بِالشَّرْقِ ، وَلَفَفْتُ فِي الْخَرْقِ ،
[وَفَارَقْتُ مِنَ الضَّيْقِ مُنْتَدَاهُ] ^(٣) ، وَأَفْلَتَنِي يَدَاهُ ، خَفَسَكُنِي السَّعْدُ ^(٤) بِشَمَرِ
الْمَدِينَةِ ، وَسَقَانِي مِنْ مَاءِ الْبَلَدَةِ الْأَمِينَةِ ، وَعَوَّذَنِي بِدُعَوَاتِ مَتِينَةٍ . فَهَا أَنَا كَمَا
تَرَى [أَتَهَادَى وَاجْتَنِبُ] ^(٥) وَأَسْتَحْلِي وَأَسْتَعَذِبُ . فَقُلْنَا لَعَمْرُكَ ^(٦) إِنَّهُ لَفَضْلُ عَمِيمٍ ،
لَوْلَا الصَّبِيمُ ، [وَإِنَّمَا لِمَنْقَبَةٍ] ^(٧) ؛ لَوْلَا الْعُقْبَةُ [وَأَثَرَةُ مُلْتَمَسَةٍ ، لَوْلَا الْعَطْسَةُ] ^(٨) .
فَقَالَ دَعْنَا مِنْ زَخَاوِفِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ عِزَانِ تَصَارِيْفِكَ . الْبَازِلُ لَا يَكُونُ
إِلَّا ذَمِيًّا ، وَاللَّيْثُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا شَمِيًّا ^(٩) نِمِ [قَامَ وَحَلَّ] ^(١٠) ، وَابْتَدِرْ وَارْتَجِلْ :

عَيْشُنَا كُلَّهُ خُذْ فَاتْرِكِ الْيَوْمَ عَنْكَ وَدَعْ
أَنَا كَاللَّيْثِ . وَاللَّيْثُ بِأَرْسَانِهِ ^(١١) تَرُوعُ

(١) هذه الفقرة واردة في الإسكوريال . ووارد منها في "الزيتونة" عبارة (ما أشد بفقدك إلا
وما أذكر كها) وهي ساقطة كلها في «ج» .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بتمام) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في الإسكوريال (ومثلت في منتداه) .

(٤) هذه الكلمة واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هاتان الكلمتان في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (استحلى واستعذب)

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (لعمري) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (رنوان منقبة) .

(٨) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في «ج» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ستيا) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قال وأحل) .

(١١) هكذا في الإسكوريال وفي المخطوطين (بأساتها) والأولى أرجح .

ولها الأوجه السيئة من يلقها يُرْع
أى حسن لمازن بيد الدال يُخترع
أنا كالسيف حده لا يبالى بما وقع
إنما الحزن للمهاة وللظبي يا كع

فقلت تبالك ساير اليوم ، إنك لتعيش وتبرى ، وتقدش وتفري ، وتحاسن
وتُناج^(١) ، وتُهاش وتُناج ، [وتُحب وتُنامل ، وتُحسن وتُغلغل] ^(٢) وتُشاعر
وتُراجز ، وتُناطح وتُناجز . وأنت على هذا كله مُصير^(٣) ، ما جزاؤك إلا ربح فيها
صير^(٤) ، فما هو إلا أن غفلت عنه لحظة طُرف ، أو نفحة عَرَف ، ثم التفت^(٥) ، وإذا
به قد أفلس ، وكأنما كان برقاً خُلس ، ولم أدرك أقدام أو جلس .

ومحاسنه القطر^(٦) الذى لا يُعد ، والأمر الذى يأخذه الحد . وكفى بهذه الرسالة
دليلاً على جلالة مقداره ، وتدقق بحاره [وفخازه] ^(٧) ، لما اشتملت عليه من بلاغة
وبيان ، وبساط حال أنت على خبره بعيان ، وعلوم ذات افئنان ، خلد الله عليه
الرحمة ، وضاعفه له [المنة والنعمة] ^(٨) .

[مولده : بأوايل ربيع الثانى عام خمس وستين وأربع مائة] ^(٩) .

-
- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وفى «ج» (وتخاشن) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين كالأآق : (وتحب وتجب وتناقل
وتخاقل - تحامل) .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (معجب بها - مفرما) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (كالقطر) .
(٥) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الإسكوريال (المنحة) .
(٧) هكذا وردت هذه الفقرة فى «الزيتونة» . وهى ساقطة فى . . . ووردت فى
الإسكوريال (وله ستة خمس وستين وأربع مائة) .

وفاته

من خطأ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال رحمه الله . كان ممن أصيب أيام الهرج بقرطبة ، فعظم المصاب به ، الشيخ^(١) الأجل ، ذو الوزارتين ، السيد الكامل [الشهير الأثير]^(٢) ، الأديب [اللغوي السري]^(٣) الكاتب البليغ ، معجزة زمانه [وسابق أقرانه]^(٤) ، ذو المحاسن آجلة ، [الجليله الباهرة]^(٥) ، والأدوات الرفيعة الزكية ، العاهرة الكاملة ، المجمع على تنهاى نباهته ، ومحمد^(٦) خصاله وفصاحته ، [من لا يشق غباره ، ولا تلحق آثاره ، معجزة زمانه في صناعة النثر والنظم]^(٧) ، أبو عبد الله بن أبي الخصال [رحمه الله تعالى ورضي عنه]^(٨) ونظر وجهه . أُلقي مقتولا قرب [باب داره]^(٩) بالمدينة ، وقد سلب ما كان عليه ، بعد نهب داره ، واستيصال حاله ، وذهاب ماله . وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين وخمسية . فاحتمل إلى الرُبض الشرقي^(١٠) بحومة الدرب ، مُسَلَّ هنالك وكُفن ، ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ، ونعى إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة . فكثر التفجع لفقده ، والتأسف على مصاب مثله ، وأجمعوا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الفقيه) .

(٢) هذه الزيادة من المخطوطين . .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٤) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٥) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هذا وارد في المخطوطات . وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هذا وارد في المخطوطين . وسقط في إسكوريال .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (هـ) .

(١٠) كان « الربض شرقى » من فرصة . يقع في قصبة المسمى « ممد » أو « النمرانية » في

شمالها الشرق ، عند منحى نهر أبو دى الكبير

على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً، وفيها ومعرفة. وذكره وحكمة وبقظة، وجلالة ونباهة، وتفناً في العلوم. وكان له [رحمه الله] ^(١) اهتمام بها، وتقديم في معرفتها وإتقانها. وكان رحمه الله، صاحب لغة وتاريخ ^(٢) وحديث، وخبر وسير، [ومعرفة رجال الحديث، مضطماً بها] ^(٣)، ومعرفة [بوقائع العرب] ^(٤) وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام [عذب الفكاهة] ^(٥) فصيح اللسان، باوع الخط [حسنة ومُتقنه] ^(٦). كان في ذلك كله واحد عصره. ونسيج وحده، يُسلم إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، وحسن خلقه، وكرم فعالة، ومشاوكة لإخوانه. وكان مع ذلك كله [جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم] ^(٧) مسارعاً لمهاتهم، نهاضاً بتكاليدهم، حافظاً لعهدهم، مكرماً لنهائهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جَمُّ الإفادة. له تصانيف جليلة ^(٨) نبهية، ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه مع سائر ما كان يحمله ويتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، وقرأ عليهم ^(٩).

وقال غيره: قتل بدرب الفرعوني بقرب رَحْبَة أبان، بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصاري مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام

(١) زائدة في المخطوطين.

(٢) زائدة في المخطوطين.

(٣) الزيادة من المخطوطين.

(٤) الزيادة من المخطوطين.

(٥) الزيادة من المخطوطين.

(٦) هذه الزيادة من المخطوطين.

(٧) هكذا في الإسكوريال والزيتونة. وفي «ج»، (رفيعه - بندر).

(٨) تتبعنا في هذه الفقرة الأخيرة نص المخطوطين والإسكوريال. وأخرجناها في صياغة

مشتركة.

ابن محمد بن، واقتتاله مع يحيى بن علي بن غانية المسوفي [المثشم المرباطي] ^(١) يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة عام أربعين وخمسمائة . قتله بربر المصامدة وجمالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه ، ولم يعرفوه ، وقتلوا معه [ابن أخته] ^(٢) عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ، وكان أنكحه إبنته ، فقتلا معا . وكان محمد خيرة الشيوخ ، وعبد الله خيرة الأحداث ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن مفضل بن مهيّب الاخمي ^(٣)

يكنى أبا بكر من أهل شلب ^(٤) من العليا .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، كان منقبضاً عن الناس ، أديباً ، شاعراً ، خمس عشرينيات الفنازى ، رحمه الله تعالى . وذكره صاحب الذيل . وقال لى شيخنا أبو البركات ، وهو جدّه ، أبو أبيه ، ما معناه : كان شريفاً ، على المهمة ، عظيم الوقار ، ألوفاً ، صموتا ، نحيف الجسم ، آدم اللون ، خفيف العارض ، مقطّب الوجه ، دايم العبوس ، شامخ الأنف ، إلا أنه كان رجلاً عالماً واسعاً ، عظيم النزاهة ، حافظاً المروءة ، شهير الذكر ، خطيباً مصقماً ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (من المرباطين) .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» . ولا «الزيتونة» .

(٤) هي بلدة برتغالية صغيرة ، تقع في نهاية ولاية الغرب الأندلسية ، في جنوبي البرتغال

على مقربة من المحيط . وينسب إليها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار . وبالبرتغالية Silves

مَهْيَبَا كَشْهَرْتَه ، قَدِيم الرِّيَاسَة ، يُعْضِدُّ حَدِيثُهُ قَدِيمَهُ . وَاسْتَقَرَّ بِالْمَرْيَة ، لِمَا تَغَالَبَ
الْعَدُو عَلَى بَلَد سَلَفِهِ . وَلَمَّا تَوَفَّى شَيْخُ الْمَشَايِخ : أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ الْحُجَّاجِ .
تَنَافَسَ النَّاسُ مِنَ الْبَلَدَيْنِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فِي خُطْبَةِ بَنْتِهِ . قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ :
وَمِنْ خُصَّةٍ نَقَلْتُ ، وَكَانَ ابْنُ مَهْيَبٍ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي الْإِلْحَاحِ بِالْخُطْبَةِ ، مُتَقَدِّمًا
فِي حَلْبَتِهِمْ ، بِجَيُوشِ الْأَشْعَارِ . وَرَامَ غَلْبَتَهُ ذُووُ الْيَسَارِ ، مِنْ حَيْثُ كَانَ بِحَمْرَاءِ
جَيْشِ الْإِصْعَارِ ، فَأَذْهَمَ بِالْمُقَابَلَةِ فِي عَقْرِ الدَّارِ ، فَلَمْ يَرْجِعُوا مِنَ الْغَنِيمَةِ إِلَّا بِالْفِرَارِ .
قَلْتُ ، وَجَلَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَعْرًا كَثِيرًا ، نَاسِبَ الْغَرَضِ . وَنَالَ مِنَ الْمُتَغَلِّبِ
عَلَى الْمَرْيَةِ ، عَلَى عَهْدِهِ ، حُظُوءَةٌ ، فَاسْتَظْهَرَ بِهِ تَارَةً عَلَى مَعْقِلِ مَرْشَاةٍ ^(١) وَتَارَةً عَلَى
الرَّسَالَةِ إِلَى الْخُضْرَةِ الْحَفْصِيَّةِ بَتُولَسَ . وَلَمَّا آبَ مِنْ سَفَرِهِ إِلَيْهَا ، سَعَى بِهِ لَدَيْهِ بِمَا
أَوْجَبَ أَنْ يَحْجَرَ عَلَيْهِ التَّصَرُّفَ ، وَسَجَنَهُ بِمَنْزِلِهِ . فَلَمَّا قَصِدَ الْمَرْيَةَ الْغَالِبَ بِاللَّهِ ^(٢) ،
مُسْتَمْتَلِصًا إِلَيْهَا مِنْ يَدِ الرِّيسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّيْمِيِّ ^(٣) وَنَزَلَ بِمَدِينَتِهَا ، وَحَاصِرَ
قَصَبَتِهَا ، وَقَعَ اخْتِيَارُ الْحَاصِرِ وَالْمَحْصُورِ عَلَى تَعْيِينِ ابْنِ مَهْيَبٍ ، بِمُحَاوَلَةِ الْأَمْرِ ، وَعَقْدِ
الصِّلَحِ ، وَضَى بَدِينَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَعَقَّدَ الصِّلَاحَ بَيْنَهُمَا عَلَى أَنْ يَسْلَمَ ابْنُ الرَّيْمِيِّ التَّصْبِيَةَ ،
وَيُعَانِ عَلَى دُكُوبِ الْبَحْرِ بِمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، فَتَأْتِي ذَلِكَ وَكَتَسَبَ عِنْدَ الْغَالِبِ بِاللَّهِ ،
مَا شَاءَ مِنْ عَزَّةٍ وَتَجَلَّةٍ .

وَقَفَّى شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ عَلَى ظَهْرِ سُلْطَانِي ، صَدْرَ عَنِ الْأَمِيرِ الْغَالِبِ بِاللَّهِ ،
يَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ نَصَهُ :

(١) سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهَا :

(٢) الْإِشَارَةُ إِلَى الْغَالِبِ بِاللَّهِ هُنَا يَقْصِدُ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ نَصْرِ أَوْ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَحْمَرِ الْكَبِيرِ
مُرْسِسَ مَمْلَكَةِ شَرْنَاطَةَ ، وَكَانَتْ الْمَرْيَةُ وَقْتُ قِيَامِهِ ، فِي يَدِ مُنَاصِبِهِ الْمُتَوَكَّلِ بْنِ هُدُودَ ، وَعَلَيْهَا مِنْ قَبْلِهِ
الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّيْمِيِّ . وَتَوَفَّى ابْنُ هُدُودَ فِي الْمَرْيَةِ فِي شُرُوفِ خَامِصَةٍ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٦٣٥ هـ .
فَلَمَّا مَلَكَ ابْنُ الْأَحْمَرِ شَرْنَاطَةَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذَا الْعَامِ ، سَارَ إِلَى الْمَرْيَةِ وَحَاصَرَهَا وَاسْتَوْلَى
عَلَيْهَا .

هذا ظهيرٌ كريم ، أظهر العناية الحافلة لمُسْتَوْحِيهَا ومُسْتَحِقِّهَا ، وأجراه من
الرعاية السكاملة على الحبِّ طرقُهَا . أمر بإحكام أحكامه ، والتزام العمل بفصوله
وأقسامه ، الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن نَصْر ، نَصْرُ الله أعلامه ، وأدام
لإقامة قِسْطِ العدل أيامه ، لوليِّه العليُّ المسكَّنة ، وصفية الملىء بأثر كُنَى المعرفة والديانة ،
الحريُّ بما اختصه ، أيده الله ، من الحفظ لمرتبته السامية والصيانة . للشيخ الفقيه ،
الجليل ، العالم ، الأوحد ، العَلَم ، الأتقى ، الأزهر ، الفاضل ، الخطيب الأرفع ،
المحدث الثقة ، الراوية ، الصالح ، السَّفي ، الحافظ ، الحافل ، الماجد ، السَّري ،
الطاهر ، المُكْرَم ، المبرور ، الكامل ، أبي بكر بن الشيخ الوزير الأجل ، الفقيه ،
الحبيب ، الأصيل ، الأجد ، المكرم ، المبرور ، الأفضل ، المرحوم ، أبي عمرو
ابن مَهْيَب ، أدام الله عزَّة جانبه ، ووصل بالعلم والعمل أرتقاء مراتبه ، أقام به
الشواهد على اعتقاده ، أنه أَخْلَصُ أوليائه وُدًّا ، وأفضلهم قصداً ، وأكرمهم عهداً ،
حين ظهرت له . أيده الله ، آثار آرايه الأصيلة ، وبانت في الصلاح والإصلاح ،
ميامينُ مناقبه الجليلة ، ووجب له من العناية والمزيَّات ، أتمَّ ما توجه به مغارفه ،
وتقتضيه بحجَّاته وزهادته ، التي لا يَفُتُّد في وصفها واصف . وأعلن ، بأنه دام
عزُّه ، أحقُّ من حَفِظَتْ عليه ، مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم ،
وأبقيت مزيَّة ما يميز به من التَّقَى والوَرَعَ الكافي والحِلْم ، وبرَّع بصلة
العناية بجانبه ، لما أهلته إليه معرفته من نفع المتعلمين ، وإرشاد من يَسْتَرْشده
في مسابيل الدين من المسلمين ، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجَلَّة والتوقير ،
وأجدُّ مَنْصُوص على أن قدَّره لديه معتمدٌ بالتكريم والتكبير . وأمر ، أعلى الله
أمره ، أن يستمر له ، ولزوجه الحرَّة الأصيلة الزكية ، النقية الصالحة ، المصونة المكرمة
المبرورة ، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السَّني ، الزاهد الفاضل ،
المرحوم المقدس . الأَرْضَى ، أبي إسحق بن الحاج ، ما أطردت به العادة لها قديماً

وحيثما، وتضمنه الظهيران الكريمان المروخ أحدهما بالعرش الآخر لشوال عام خمسة ولأين وسماية، من صرّف النظر في أعشارها وزكواتها إليهما، ليضعا ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق الله تعالى، ما مثلهما علماً ودينا من يؤديه، موكولاً ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفاً إلى نظرها الجارية، مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظواهر والأوامر القديمة والحديثة، المتضمنة تسويغ الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما ولا عقب أعقابها، على التأيد والتخليد، والحفاشة من اللوازم، والمعاوز وللغارم، وأن يطرد لشركائهما، وعمرّة أملاكهما، ووكلايهما، وحواشيهما، ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتترأى التمشية له، من غير انصرام على الدوام، مؤفياً بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأواحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعاد آماد العنايات الشريفة، الفسيحة المجال، مقتضى على حق ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين أضفيًا عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاية والعامل، وسائر ولاية الأشغال، وليتلقه بغاية الائتمار والامتثال، إن شاء الله. وكتب في الثاني عشر من ذى الحجة عام ثلثة وأربعين وستمائة.

مشيخته

أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية. وعلى عباس ابن علية أبي عمرو. وروى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، وصحب أبالحسن بن زرقون. وتمع عليه. وانتقل إلى ألمرية. فصحب أبا إسحق البليفيق وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له أبو عبد الله بن هشام النشاش وغيره. ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره

نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية :

أبيل النوى هل من سبيل إلى فجر	ويا قلبُ كم تأسى ويا دمعُ كم تجرى
أبي القلبُ إلا أن يهيم بحبيبكم	وأن تترحوا إلا القليل عن الفكر
رحلتُ عنكم لا بقلبي وإنما	تركتُ لديكم حين ودّعنكم سري
أعود بدهر الوصل من حين هجركم	وربّ وصال مُستعاد من الهجر
للغيب نفسي لست أنفق قربكم	لرُهدي فيكم بل حرّصت على البرّ
تُقطع أكنادُ عليكم صبا	فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم	وإن كان خيرا فهو عنهم من الشر
فلولاهم ما كنت أخسب ساعة	فقدتكم فيها عيانا من العمر
ألا يا أخى فاسمع وصاى فإنها	لبتّك لعمري من أخ سالم الصدر
يُحبك في ذات الإله ويتنقى	بحبك عند الله مدّخر الأجر
لا إنما التوفيق كنت من أهله	مراعاة حقّ الله في السرّ والجر
بتوحيده في ذاته وصفاته	وأفعاله أيضا وفي الندى والأمر
فتأبر على القرار والأثر الذى الذى	يصحّ عن المختار والسادة العزّ
وعندّ لك الخيرات عما سواها	وكن بها مُستمسكا أبد الدهر
إذا يسلك الشيطان فجأ سوى الذى	سلكت ولا يلفى سبيلا إلى مكر
وفرق الأجناس حاشى تقيهم	فقد ظهر الإفساد فى البرّ والبحر
ولا تنفني واذكر أخاك بدعوة	فإنك منه يا أخى لعلّ ذِكر

قال شيخنا أبو البركات . ومن شعره ، ومن خطّه نقلت :

للاصالحين إلى الصلاح طريق رَحِبَتْ بهم وعدّت عليك تضيق

صرفوا النفوس من الهوى عن صوابها
فغدت إلى طلب النجاة تروق
منها بعد أبيات :

يا قرّة العين استمع من ناصح
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لي
لا تخدع عنك ترهات أحدثت
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
إن الحديث وفيه وعلمه
واهجر بني الدنيا فإنّ بهجرهم
والحق بقوم قد عنوا بتجارة
واحفظ لسانك عن إذاية مسلم
لا تبك هم الرزق فهو مُقدّر
ولترض بالرحمن ربّاً حاكماً
حاولوا عقال عقولهم وتحكموا
ولقد أتتك نصيحتي ولشمسها
فكن القريب مكنه من نفعها
واصطد بباري العزم أطيار الرضا
ولتجعل التسبيح شأنك إله
واقنع بعلم الوحى علماً ثم لا
لا ترض فيه بالدنية ولتنت
ما كل علم يهتدى بحصوله
كمدارك الأصوات منها طيب
وعليكم من تيميه من له

في صدره قلبٌ عليك شقيق
روحٌ لروحك في الخلوص شقيق
وخزّ عجلات للجهول تروق
فالشغل عنك لغيره تفريق
هذا الذي للمؤمنين يليق
يتضاعف الإيمان والتصديق
نفقت لهم يوم القيامة روق
فسيابه قال الرسول فسوق
والعبد طول حياته مرزوق
ودع الفضول فمنه ضلّ فريق
إن التحكم بالعقول مروق
في أوق حُبك يا حبيب شروق
فكان سدتها إليك سحيق
فأخوك غاية بازه التحليق
في الصعب من شأنه التصفيق
ينهب بك التثقيق والتوفيق
عطشاً إذا لم تُسقى منه رحيق
منه الرّكك نغم ومنه رقيق
تسلو النفوس به ومنه نهيق
قلبٌ إليكم أجمعه مشوق

وقال ، ألفت بخطه ما نصه ، وكان بعض السفهاء قد كتب إلى يمين
من شعرها :

إليك أبا بكر رفعت وسيلتي ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غَرقت ببحر الذل يوما وليس لي بأرضكم إلا اهتمامك ساحل
وأساء المحاولة في دفعها ، فصرفت ، ولم أقف عليهم ، فضرب عليهما ،
وكتب في ظهرها :

حللت أبا بكر بموطن عزة فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبرا وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل
وكتبت إليه صبرة دراهم وجهت بها إليه :

جفوت وما زال الجفاسا سجية لمثلك ما إن زال تُبلى بها مثل
وما قلت في أصلي في كذبة فاجر رأى الفرع محموداً فعاب على الأصل
وبالإنك ما عثرت لا بحقيقة فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل
وما زلت والله الحميد مُكرماً وفي نائبات الدهر للعقد والحل
ولو كنت من يتقى الله لم تكن تمد متى تَسخط وعند الرضا تحل
أما قلت أني ساحل لك عندما غَرقت ببحر الذل في زمن التحل
وكيف كَسَحَت المدح بالذم قبل أن تبث لي الشكوى وتذلي بما تُذل
ولكن لؤم الطبع يحمل أهله على الصعب من سب الكرام والنيل
إن كان بعض الكبر تقصا فإنه عليك من الأوغاد يُحسب في الفصل
وما الذل إلا ما أتى بك نحونا فقيراً من التقوى سلباً من العقل
ومطلوبك الدنيا فخذها خسياسة توافي خسيس النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانه ومها فَنَدَّت الأصل لا عار في البخل

ومثلك من يُجنى ويقلب خاشئاً فلست لإسداء الصنيعة بالأهل
ولكننى عودت نفسى عادةً من البذل لم أعدل بها قط عن نذل
لخنها لحاك الله غير مباركٍ لسميك فيها يا بن خانية النعل
ومثلى من يُوذى فيحتمل الأذى ولكنه قد يُدر الجهل بالجهل
وقد قال من لا شك فى قوله من الحكما القتلُ أذهب للقتل
فإن زدتما زدنا وإن كنت نادماً قتلناك أخناً فى أمورك بالعدل
فى كل شيء لستُ عنك مقصراً بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ ، قول الهاجى ، وأصلك من كبر ، معناه التعريض يكون سلف أبى
بكر بن مهيب ، علوا فى أنفسهم وتسكبروا ، فناروا بسبب ذلك بطيرة^(١) وجهاتها ،
ثار منهم عبد الرحمن جد أبى بكر ، ثم حسن ، ثم عامر أخوه ، وإلى هذا أشار
أبو بكر بن مهيب بقوله فى بعض شعره :

إن لم أكن ملكاً فكتُ رئيساً

وأنشد فى الصلة الزبيرية^(٢) قوله رحمه الله :

ألمى من الدنيا المباحة كسرة أبقى بها رمقى ودارُ نابيسة
قد أضرب الزمان عن سكانها فسكانها فى القفر دارُ خالية
ومن شعره فى المقطوعات :

ترحل صبرى والولوع مقيم وصحّ اشتياقى والسؤ سقيم
فيا ليت شعرى هل أفوز بعطف من زينت خدى ورداً عليه أقوم

(١) طيرة Tavera ، هى بلدة من بلاد ولاية الغرب الأندلسية تقع فى جنوى البرتغال على
شاطئ المحيط ، على مقربة من مصب نهر وادى يانة . وقد وقعت بها عدة ثورات فى أوائل العهد
الموحدى فى ، منتصف القرن السادس الهجرى .

(٢) الصلة الزبيرية ، يخصصها ككتاب «صلة الصلة» لأبى جعفر بن الزبير ،

ويا جنة قد حيل بيني وبينها بقلبي من شوقتي إليك جسيم

دخوله غرناطة

قال الشيخ، دخل غرناطة مرتين، أخبرني بذلك الشيخ الفاضل أبو الحسن ابن عبيدة، وهو بصير بأخباره، إذ هو من أصحاب سلفه، ومن رافق جده في الكتب عن بعض الأثراء مدة، وفي الخطابة بالمرية أخرى. توفي بسبته أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وستمائة

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله

من صلة ابن الزبير: كان كاتباً بارعاً، شاعراً مجيداً، له مشاورة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، [ذو فضل وتعلل] (١) وحسن سميت. وورد على غرناطة، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة، وكان معلوم (٢) القدر، معظماً عند الكافة (٣). ثم إنه رجع إلى مرسية، وقد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، [وقد اشتدت أحوالها] (٤)، وابتقر بالعدوة بعد مكابدة.

قلت، أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب رحمه الله، قال، كان شاكس (٥)

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وفي «ح» (ذا نباهة).
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي المخطوطين (عظيم).
- (٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (صنفه).
- (٤) هذه الجملة واردة في الإسكوريال، وساقطة في المخطوطين.
- (٥) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (شكه) وهو تحريف.

الأخلاق ، «تقاطبا ، زاهياً»^(١) بنفسه ؛ ابتداءً يوماً كتاباً ، مُصَدِّراً بخِطابته ، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفو العفو »^(٢) ، وتركه لأمر عرض له ، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشي ، وهو كاتب المقام السلطاني ، فظن لقصوده أنه وهم ، وأراد « الصفوة » فأصلحه ، فلما عاد ونظر إليه مرّقه ، وكسر الآلة ، وقال لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]^(٣) ، وبتسوّره الإصلاح ، على قلم يطمع بعد في مقامه . وانصرف ، واستقر بتهنّسان ، كتاباً عن سلطانها أبي يحيى يغمراً سن^(٤) بن زيّان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا ، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير والعلماء^(٥) وبعث إليه ألف دينار من الذهب العَيْن ، فاعتذر ورد عليه المال ، وكانت^(٦) ، أشق ما مر على المستنصر ، [وظهر له علوّ شأنه]^(٧) ، وبعد همته .

مُشِيخَتُهُ

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي بكر بن مُحرز ، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، وقرأ وسمع على هؤلاء ببغداد ، [وأجاز له كتابة أبو الزّبيع بن سالم وغيره]^(٨) .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذاهبا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ومعناها (خيرة الخيرة) . ووردت في المخطوطين (صفوة الصفوة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (يُحصل فيه هذا القدر) .

(٤) هكذا وودت في المخطوطين ، وهو الاسم الكامل . ووردت في الإسكوريال (ينمور) وهو مختصر الاسم .

(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (فكان ذلك) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال «والزيتونة» (لأجل باره) .

(٨) هذه الجملة واردة في الإسكوريال «والزيتونة» . وساقطة في «ج» .

شمسه

من ذلك قوله :

أقنع بما أوتيته تنل الغنا وإذا ذهبتك ملة فتصبر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو رُمنا زيادة ذرة لم تقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل أحداً تعيش عيش الكرام وتوثر
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ورأيت نفسك [قد غوت فلتبصر] (١)
وانظر [إلى من كان دونك] (٢) تدكر لعظيم نعمته عليك وتشكر

[ومما قاله في صباه :

يا دعوة شاك ما قد دهاه من لحاظ رشاك
ظبي تصدى للآلوب يصيدها من ناظره في سلاح شاك
ورمى وإن قالوا دنأ عن فآثر ساج عليه سيم اللساك
قد كنت أحذر بطشه لو أننى أبصرت منه مخايل الفتاك
أو ما عليه ولا عليه حاكم يحمى شعورك أو يحوط حماك
أو ما لجارك ذمة مرعية أبدا يظل دم الغريب طلاك
إنى استتمت إلى ظلالك ضلة فإذا ظباءك ماضيات ظباك
مالى أخطب بآنة ما أن تعى قولاً ولا ترنى لدعة بساك
أكرمة الحيين هل لتسيم رضى لديك فأوتجى أرحاك
أصبتنى بعد المشيب وليس من عذر لمن لم يصبه ثراك
لولا ما جذبت عنانى لوعه والله يشهد أننى لولاك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قد ثبت فاستغفر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (إلى من دون ذلك) .

لما دعا داعي هـواك أجبتُه
أصليتني نار الصدود وإنني
وأبحت ما منع التشريع من دمي
وتركت قلبي طائراً منخبِطاً
ومنعت أجفاني لذيق منامها
ولقد عجبت وأنتِ جدُّ بخيلة
إنني لأياسُ من وصلك تارة
أسماك أنك قد خفضت مكانتي
إنني مُعناك المتيم فليكن
تنني معاطفك الصبّا خوِطية
أبعدتني منها بطعنة واحر
أأموت من عطشٍ وثغرك مَورِدُ
هـلّا تنني عن حُلوةٍ فَلَعَلَّة
وقال يحيب أبا عبد الله بن خميس رحمه الله عن قصيدة بعث بها

إليه أولها :

رُد في حدايق ما يها مرتادُ
زُرُق الأسنّة دون زُرُق إحمامها
قد لذّ مَورودُ وطاب مُراد
وظباً كما رنّت العيون حِداد

هذه الأبيات :

نعم المراد لمن غدى يرتاد
سالت على العاني جداوله
مرعى يرفّ نبساته ومهاد
كما صالت على العادي بدا ناد
فشدّت رَحْل معيّن منه
إلى حيث السيادة تُبنتى وتُشاد

وربكتُ ناجيةً مباوية الصبا
يغتادها سكانها قلب على
عجباً لهم أحلامهم عادية
خبر تلمساً بأنى جيتها
وعاقبتها سمياً ولم أر حسنها
ولرب حسن لا سواه ناظر
ودخلتها فدخلت منها جنة
ورأيت فضلاً باهراً ومكارماً
أهل الرواية والدراية والنداء
فهم إذا سئلوا بحار معارف
درجاتها ينحط عنها غيرهم
فأجلهم وأحلهم من مهجتي
وأودع حين أخط أطيب ذكرهم

خفراً فوق خضارة تعتاد
من كان من سكانها استبداد
تمضى عليهم حكمها أعواد
لما دعاني نحوها الرؤاد
إلا أناساً حادثوا فأجاد
وبزاه لا يخفى عليه فؤاد
سكانها لا تخفى ولا حياء
وعلا تغاضر دونها التعداد
في نورهم أبداً لنا استمداد
ولدى السكينة والنهي أطواد
ومن الورى قتر ومنه وهاد
بمكانة ما فوقها مژداد
لو أن أسود مقلتي مبداد

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة :

رقت حواشي طبعك ابن خميس فهنا قريضك بي وهاج ريسى
ولمسه يصبو الحليم ويمتري مالا شروق به وسير العيس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما تحويه من أثر محل ويسى
نظم ونثر لا تبارى فيهما تمهدت ذاك وذاب علم الطوس^(١)

وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره :

رب أنت الحليم فاغفر ذنوبى ليس يعفو عن الذنوب^(٢) سواك

(١) الشعر المصور بين الخاصرتين وارد كنه في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الذنب) .

ربُّ ثَبَّتْ عِنْدَ السُّؤَالِ لِسَانِي وَأَقْنَى عَنِّي طَرِيقَ هَذَا كَمَا
 رَبُّ كُنْ إِذَا وَقَفْتُ ذَلِيلًا نَاكِسَ الرَّأْيِ اسْمَحْ أَنْ أُرَاكَ
 رَبُّ مَنْ لِي وَالنَّارُ قَدْ قَرُبَتْ لِي [وَأَنَا قَدْ أَبْجَحْتُ عَهْدَ حَاكَا] (١)
 رَبُّ مَالِي مِنْ عُدَّةٍ لِمَا لِي (٢) غَيْرَ أَنِّي أَعْدَدْتُ صِدْقَ رَجَاكَ
 رَبُّ أَقْرَدْتُ أَنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ حَلَمْتُكَ الْجَمُّ غَرَّهُ فَعَصَاكَ
 رَبُّ أَنْتَ الْجَوَادُ بِالْخَيْرِ دَوْمًا لَمْ تَزَلْ رَاحِمًا فَهَبْ لِي رِضَاكَ
 رَبُّ إِنْ لَمْ أَكُنْ لِفَضْلِكَ (٣) أَهْلًا بِاجْتِرَائِي فَأَنْتَ أَهْلٌ لَذَاكَ

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمصرية من مدينة إشبيلية :
 كتبته ، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى ، وأجناكما من ثمرات (٤) إحسانه
 أكثر ما ينجى . من إشبيلية ، وحالى بحمد الله حسنة ، ونفسي بحب قريبكما
 مرتهنة ، وعلى بما لديكما من السراوة التي جُمِلتا على فطرتيها ، [وامتزتما في الاجتلاء
 بغرَّتْها] (٥) ، علم لا يدخله الشك ، ويسبق إلى ودكما الذى لبسته معلماً وتقلدته
 محرمًا ، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال ، ولا ينفك . فلنثن عنان القلم عن
 مداده ، ونأخذ في حديث سواه . وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع
 الآخر ، ولقينا الإفانت (٦) على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالأق (وأناتحت
 أحد وحاكا) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (لما بى) والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (لذلك) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثمرة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وامتزتما بقوتها) .

(٦) الإفانت هنا يقصد بها «الإنفانتى» Infante ، وهو لقب يطلق على ولي عهد ملك قشتالة ،
 ويجب أن نذكر أن إشبيلية كانت في الوقت الذى يتحدث فيه الكاتب عنها قد سقطت في أيدي القشتاليين
 وذلك في شعبان سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ١٢٤٨ م) ، وغدت مدينة نصرانية ، ثم جعلت عاصمة لمملكة قشتالة .

الخالط ، وقرّة العين ، ونزلنا في الأخيصة خارج البلد ، موضعا^(١) يعرف بالقنّب ،
فدفع عيوننا ، وجمع ماؤه وهوائه من المحاسن فنونا ، وعرض علينا النزول
في الديار داخل المدينة ، فرأينا المقام فيه^(٢) ، أحد الأسباب السعيدة^(٣) على
حفظ الصحة المعينة . ورغبنا عن المدينة لحرّها الوهاج ، وغبارها العجاج ،
وما بها الأجاج . ولما تاب من النشاط البارح ، واستقل من المطي الرّاح ، طفت
في خارجها وداخلها ، ووقفت^(٤) على مبانيها المشيدة ومنازلها ، ورأيت انسياب
أراقشها ، وتقصيت آثار طريانتها^(٥) وبراقشها^(٦) فشاهدت من المباني العتيقة ،
والمنارة^(٧) الأنيقة ، ما يلا^(٨) أعين النظّار ، وينفّس فيه مجال الاعتبار . على
أني ما رأيتها إلا بعد ما استولى عليها الخسف . وبان عنها الطّرف ، ونبا عنها
الطّرف ، فلا ترى من مفاينها إلا ظللا دارسا ، ولا تلمح من بدايعها^(٩) إلا محيّا
عابسا ، لكن الرائي إذا قدّر وضعها الأول ، وركب وهمه من مبانيها ماتحالم ،
وتخيّل في ذهنه حسنها وتمثّل ، تصور حسنا يدعو إلى الجون ، ويُسلي عن الشجون

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (سيوضع) .
(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي الإسكوريال (فيها) . وفي «ج» (القنّب) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (المساعدة) .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واطلعت) .
(٥) طريانتها يقصد بها طريانة Triana ضاحية إشبيلية الجميلة الواقعة إزاءها على الضفة
الغربية من نهر الوادي الكبير . وما تزال طريانة حتى اليوم من أجمل ضواحي إشبيلية .
(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الاسكوريال (وفلسها) . وفي الزيتونة (وعشها) والأولى
أرجح وأنسب للسياق .
(٧) المنارة يقصد بها هنا منارة الجامع الأعظم الواقعة في قلب إشبيلية ، وهي التي حولت
فيها بعد من أعلاها إلى برج لأجراس كنيسة إشبيلية العظمى ، التي بنيت فوق موقع الجامع ، وما تزال
حتى اليوم من أعظم الآثار الأندلسية الباقية . وتعرف بالإسبانية باسم (لاخيرالدا) La Giralda .
(٨) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (بستميل) .
(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالها) .

[لولا أنها عُرِضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ . لِمَا دَانَ إِلَّا بَدَنَ ، وَلَا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قَارِبٍ] ^(١)
وحسبي أن أصفها بما يقيها من القبول ، وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من
الفصول ، ولولا أن خاطري مُقَسَّمٌ وفكري حده مثل ، لقضيت من الإطناب وطراً ،
ولم أدع من معاهدها ^(٢) عيناً إلا وصفتها ولا أثراً .

توفي بتاسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن إِبْنِ الأُمَيِّ ^(٣)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الصايغ ، بالصاد المهملة ، والغين المعجمة ،
من أهل المريّة .

حاله

من خطِّ شيخنا أبي البركات في «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» . كان
سهلاً ، سلس القياد ، لذيد العشرة ، دَمِثَ الأخلاق ، ميالاً إلى الدعة ، نفّوا
عن النَّصَب ، يركن إلى فضل نباهة وذكا ، يُحاسب بها عند التحصيل والدواسة ،
والدُّؤوب على الطلب ، من رجل يجري من الألمان على مضمارٍ لطيف ، ولم يكن
له صوت رخيم ، يُساقو إنطباعه في التَّلحين ، يخبر ذلك بالأوتار . وحاول من
ذلك بيده مع أصحابه ، مالا ذبه الظرفاء منهم . واستعمل بدار الأشراف بالمريّة ،
فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان ، وجاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه . ثم

(١) مابين احصرتين ورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا في إسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

(٣) وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة»

نهضت به همته إلى أرفع من ذلك ، فسار إلى غرناطة ، وقرأ بها العربية وغيرها ،
وانخرط في سلك نهباء الطلبة لأدنى مدة . ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود
العشرين وسبعائة ، فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هراها علة ... كان يشكوها ، وأخذ
في إقراء العربية بها ، وعُرف بها إلى أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوي . قال
شيخنا المذكور ، ورأى في صغره فارة أنثى ، فقال هذه قرينة ، فلقب بذلك ،
وصار هذا اللقب أغلب من اسمه ومعرفة .

وجرى ذكره في الناج بما نصه : ليح معرفة لا يفيض ، وصاحب فنون
يأخذ فيها ويفيض . نشأ ببلده مستمراً عن ساعد اجتهاده ، وشارك في إقن العلم
ووهاده ، حتى أئعن روضه ، وفنق حوضه . ثم أخذ في إراحة ذاته ، وشام بارقة
لذاته ، ثم سار في البطالة سير الجوح ، وواصل الغبوق بالصبح ، حتى قضى وطره ،
وسيم بطره ، وركب الفلك ، وخاض اللجج الحلك ، واستقر بمصر على النعمة
العريضة ، على شك في قضاء الحجة العريضة ، وهو بمدرستها الصالحية ، نبيه
المكانة ، معدود في أهل العلم والديانة .

مـشـيـخـتـه

قرأ بالمرية على المكثب أبي عبد الله الميرقي ، وأخذ عن شيخ الجماعة أبي
الحسن بن أبي العيش ، وقرأ بالخضرة على الخطيب أبي الحسن القيحاوي وغيره .
وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان ، وانتفع به وبجابه .

شـعـره

قال شيخنا أبو البركات ، وكان أخذ من قرص جيد الشعر بالخط الوافر .
فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ المكثب أبو جعفر بن غصن ، حسبما
قيده عنه بمصر .

بمد المسزاد ولو عته أشواق حكا بفيض مدامع الآفاق

أذكى لهيب فزادى الخلفاق
 من ذا الذى لغدٍ فديتُك باق
 وإذا تولت لم تُنسل بلحاق
 صوبُ النعام الواكف الرُّقراق
 قلبُ سليم ياله من راق
 لا كان في الأيام يومُ فراق
 يفتري للعلا بنجائب ونياق
 خيرُ البرية ذى المنخل البراق
 حفظُ اليهود وصحةُ الميثاق
 والطاهر الأخلاق والأعراق
 وجبينه كالشمس في الإشراق
 بالجدود والإرفاد والإرفاق
 سارت رسالته إلى الآفاق
 قبضت عنان المجد باستحقاق
 حجي الوطيس وشمرت عن ساق
 وتجوّل سبّحاً في الدّم المِهراق
 من بعد إشراق مضي ونفاق
 ظلّ ظليل وارف الأوراق
 ما ناله كسفٌ ونكسٌ محاق
 أمِن السفين غوايل الإغراق
 ذابت نفوسهم من الإشفاق
 والجاه والشرف القديم الباق

وخفوقٌ نجدي النسيم إذا سرى
 أمعللي إن التواصل في غدي
 إن الليالي سبقت قد أقبلت
 فصنحٌ تمدّوه على الحمى سقى الحما
 فيه لدى القلب السليم وداده
 قلبٌ غداة فراقهم فارقتهم
 يا سارياً والليل ساجر عاكف
 عرج على مثنوى النّبي محمد
 ورسول ربّ العالمين ومن له
 الظاهر الآيات قام دليلهم
 بدور الهدى البادى آياته
 الشافع المقبول من عمّ الورى
 والصادق المأمون أكرم مرسله
 أعلى السكرام ندأ وأبسطهم يداً
 وأشدّ خلق الله إقداماً إذا
 أمضاهم والخليل تعثر في القنا
 من صير الأديان ديناً واحداً
 وأحلنا من حرمة الإسلام في
 لو أن للبدر المنير كماله
 لو أن للبحرين جود يمينه
 لو أن للآباء رحمة قلبه
 ذو العلم والخفي المنجلى

آياته شَهَبٌ وَغَرُّ بُنَّانِهِ
فَاحَتْ فُيُوحُ الْأَرْضِ وَهُوَ غِيَاثُهَا
ذُو رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٍ
وَخِصَالٍ مَجْدٍ أَفْرَدَتْ بِالْخِصْلِ فِي
ذَوِ الْمَعْجَزَاتِ الْغُرِّ وَالْآلَى الَّتِي
ثَنَتْ لِلْمَعَاوِضِ خَيْرًا لَمَّا حَكَتْ
يَقْظُ الْفَزَادِ سُرًى وَقَدْ هَجَّعَ
وَسَمَا وَأَمْلَاكَ السَّمَاءَ تَحْمُومَةً
مِنْهَا :

يَا ذَا الَّذِي اتَّصَلَ الرَّجَا بِمَجْلَدِهِ
حُبِّيَّ إِلَيْكَ وَسَيْلَتِي وَذَخِيرَتِي
وإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الرَّوَاحِلَ ضُمْرًا
تُجِبُنِي إِذَا نَشَرْتُ تِلْكَ الْفَلَاحِ
يَحْدُو بَهْنٌ مِنَ النَّحِيبِ مَرْدُدٌ
غَرَضٌ إِلَيْهِ فَوْقَنَا أَسْهَمًا
وَأُنْحَسُّهَا بِفَنَائِكَ الرَّحْبِ الَّذِي
وَقَوَى مُؤَمَّلَكَ الشَّفَاعَةَ فِي غَدٍ
وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنْامِ تَحِيَّةٌ
تَتَأَرَّجُ الْأَرْجَاءُ مِنْ لَفَحَاتِهَا
مِنْهَا :

قَسَمًا بِطَائِبِ تَرَابِ طَيْبَةِ إِيَّاهُ
وَأَثْبَارِ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِرَحَابِهِ
مِسْكُ الْأَنْوْفِ وَأُنْمِدُ الْأَحْدَاقِ
لِمَعَامِلِ الرَّحْمَنِ أَيْ نَفْسَاقِ

لا جود فيه بأدمع أسلاكها
أغدو بتقبيل على حصبايه
وعليك ذا الثورين تسليم له
كفؤاً لنبي وكفوا على جنة
وعلى أب السبطين من سبق الألى
الطاهر الصهر ابن عم المصطفى
مبدى القضا من وراء حجابها
يفزو العداة بغلظة فيعيدهم
راياتُه لاشيء من عقيانها
وعلى كرام سنة عثرت بهم
ما بين أروع ما جد نيرانه
وأخى حروب صده رشف القنا
ما غردت شجواً مطوقة وما
وعلى القرابة والصحابه كلهم
ولمأسى الله في الروم الواقعة المبيدة والوقعة الشهيرة^(١)، التي أجلت عن قتل مليكهم
معركتها، وانتهت للفتح معركتها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاث فل الكفر بركتها،
قديم مع الوفود من أهل بلده، وهناً أمير المسلمين^(٢) بفتح ذلك، وطلوع ولده، فقال :

(١) الإشارة هنا إلى الواقعة التي نشبت بين القشتاليين بقيادة الدون بيدرو والدون خوان الوصيين على ملك قشتالة ألفونسو الحادى عشر ، والجيش الفرناطى بقيادة شيخ الغزاة أبى سميح عثمان ابن أبى العلاء فى هضبة إلبيرة على مقربة من غرناطة ، وذلك فى ٢٠ ربيع الثانى سنة ٧١٨ هـ (مايو سنة ١٣١٨ م) وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وقتل دون بيدرو وزميله دون خوان وجمهرة من النبلاء والقادة والكبراء النصارى، وغرق من النصارى عدد جم بنهر شنيل، وحصل المسلمون على مقادير عظيمة من الفنائم والأسلاب . وكان ذلك فى عهد السلطان أبى الوليد إسماعيل (٧١٣ - ٧٢٥ هـ) (٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا هو السلطان أبو الوليد إسماعيل السابق ذكره .

أَمْلِيكَ أُم بَدْرُ الدُّجَا الوَضَّاحِ
أَعْلَى الْمَسَالِكِ مَا بَنَتْهُ يَدُ الشَّقِي
وَأَحَقُّ مَنْ يَدْعِي خَلِيفَةً رَبَّهُ
كَأَمِيرِ أُنْدَلُسٍ وَنَاصِرِهَا الَّذِي
أَسْمَى الْمَلُوكُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمُرْتَضَى
هُوَ دَوْحَةُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ فَرَوْعُهَا
وَبِمَحُورِ رَسْمِ عِدَاتِهِ بَلْبَسَاتِهِ
بَدْرُ الْكَمَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
بَحْرُ النُّوَالِ لَوْ أَنَّ بَدْرًا مِثْلَهُ
وَلِمِثْلِهِ قَادَ الْجِيَادِ عَمْدُوهُ
أَهْوَاهُ شَيْطَانِ الْهَوَى فِي جُلَّةِ
طَمَعِ الشَّقِي أَضَلَّهُ وَأَذَلَّهُ
فَأَبَادَهُمْ وَمَلُوكَهُمْ فَتَحَّ بِدَا
وَقَوَاصِلِ ثُبْرَى بَهَنِ مَفَاصِلِ
لَمْ تُقْنِ كُلَّهُمْ سَيُوفُ الْهِنْدِ بَلِ
مَا زَالَ حَتَّى عُدَّكَ يَحْسُدُ مَيْتَهُمْ
فَاقْتُلْ كَبِيرَهُمْ وَاحْيِ صَغِيرَهُمْ
تَسْتَبِيحُ مَا حَاطَ الْعُدَاةُ وَمَا حَمَا
يَا مَلَّةَ الْكُفْرَانِ تَفْنِيدًا وَهَلْ
أَتْرَكْتُمْ يَطْرُو^(١) وَحِيدًا مُفْرَدًا

وَحُسَامُهُ أُم بَارِقٍ لَمَّاحِ
وَعِمَادُهَا الْأَعْلَامُ وَالْأَرْمَاحِ
مَلِكٌ خِلَافَتُهُ هُدًى وَنَجَاحِ
أَفْنَى الْعُدَاةِ حُسَامُهُ السَّفَّاحِ
وَأَعَزُّ مَنْ شَرُفَتْ بِهِ الْأَمْدَاحِ
وَبِرَاحَتِيهِ تَرْزُقُ الْأَذْوَاجِ
نَطَقَ الْكِتَابُ وَخُطَّتْ الْأَوَاجِ
لَمْ يَبْدُ خَشْيَةُ نُوُوهِ الْإِصْبَاحِ
لَا رَتَاعُ خَشْيَةِ فَيْضِهِ الْمَالِاحِ
فَخَبَا لَهُ قِدْحٌ وَخَابَ قِدَاحِ
إِنْ الْهَوَى بِأَلْفِهِ طَمَّاحِ
كُلُّ الْمَطَامِعِ لِلْغَيْبِ فُصَّاحِ
وَيَسْعُدُ جَدِّكَ رَبُّنَا فَتَّاحِ
وَصِفَاحُ يُفْرَى بِهِنِ صِفَاحِ
لِسَيُوفِ جُودِكَ فِي النَّفَرَسِ جِرَاحِ
وَيَحْتُ فَوْتًا عَاجِلًا فَيُزَاحِ
وَاسِبُ النِّسَاءِ فَمَا عَلَيْكَ جُمَاحِ
وَحِمَاكَ يَا مَنْصُورَ لَيْسَ يُبَاحِ
لِجَفُونِ أَعْمَى يَنْجَلِي مَصْبَاحِ
يَشْدُو عَلَيْهِ الطَّائِرُ الصَّبَاحِ

(١) بطرو هنا هو الدون بيدرو (وبالعربية بطره) الرصي علي ملك قشتالة المتقدم ذكره .

وَجُؤَانٌ^(١) يَرْتَشِفُ النَّدَى فَنَسِيبُهُ غَرِيبَانَهُ وَوَسَادَهُ الصَّفْحُ
وَكَذَلِكَ الْمَطْرَانُ جَادَ رَسُومَهُ قَطْرُ الْمَنَايَا الصَّارِمِ الطَّمَّاحِ
أُرُوسُ أُمِّ تَبْيِضِ النِّعَامِ بِمَرْجِنَا أَصْنَافِكُمْ هُنْدَى أُمِّ الْأَشْبَاحِ
مَا لِلْمَطَامِيرِ اشْتَكَّتْ مِنْ ضَيْقِهَا بِالْمَالِ وَالْأَسْرَى وَهَنْ فَسَاحِ
جَارَتْ بِكُمْ أَبْطَالُنَا فَكُنَّا نَكْمُ كَشْحُ وَجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَشَاحِ
تَبَا لِرُؤُوسِ يَهُيمِ بِرَاحِيَةِ أَيْرَامٍ عَنْ خَيْلِ الْإِلَآهِ بَرَاكِ
قُصَّتْ قِوَادِمُكُمْ فَمَا إِقْدَامُكُمْ وَلِلَّيْلِ جَنَحَ الْكُفْرُ تَغْيِضُ جَنَاحِ
هَذَا فَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِيَلَادِكُمْ سَتَرُونَ كَيْفَ يَكُونُ الْاسْتِفْتَاكِ
قَدْ انْتَنَتْ بِطَحَاؤُنَا بِحَطَامِكُمْ وَنَبَاتُهَا الرِّيحَانُ وَالنَّفَاحِ
تَاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِأَوَّلِ عَسْكَرِ أَمَلِ النَّجَاحِ وَحِينُهُ يَجْتَنَحِ
النَّفْسُ غُرَّتْكُمْ لِيَهْلِكَ نَسْلُكُمْ بِسَيُوفِنَا إِنْ إِنْكَرَ الصَّرَاحِ
كَمْ ذَا يَسْخَرُكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ غَدَاً وَمَكْرَأً إِنَّهُ لَوَفَّاحِ
مِنْهَا:

وَفُؤَادُ نَشْوَا لِنَهَبِ فِرَاسِ طَلَبُوا انْتِشَاوِ الدِّمَا لِلصَّرَاحِ
أَرْبَوْا عَلَى الْأَسَدِ الْهَزْبَرِ بِسَالَةِ مَعَ أَنَّهُمْ غُرَّتِ الْوُجُوهُ صَبَاحِ
خَاضُوا بِحَارِ الْحَرْبِ يَطْمُؤُ بِحَرْهَا وَوَطِيسُهَا حَامِي الصَّلَى لِفَاحِ
مَا هُمْ بِبِذَلِ نَفْسِهِمْ وَنَفْسِهِمْ عَنْ النُّوَالِ وَالنُّزَالِ سِيحَاحِ
وَإِذَا هُمْ ذُكِرُوا بِنَادٍ فَانْدَشَقَ مَسْكَ تَضَوُّعِ عَرَفُهُ النَّفَاحِ
فَغَدَا وَرَاحَ النَّصْرُ يُقَدِّمُ جَمْعُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ حَيْثُ اعْتَدُوا أَوْرَاحِ
سَنَّاكَ وَلَنَا بِسَعْدٍ قُبُلِ خُلُصَاءِ قَدْ عَمَّتْهُمْ لَهُ أَفْرَاحِ

(١) جِوَانٌ هُوَ الدُّوْنُ جِوَانُ الرَّحْمَى عَلَى مَالِكٍ قَشْقَالَةَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ فَمَا تَقْدَمُ .

وبنجلك البدر الذي آفاقه
بدر البدر فلا يدار عليه
فلکم عدو أفل بزوغه
ومنا ونالك بالأمير تجدد
قد جاء بعد العسر يسر شامل
فالحمد لله الذي قد خصنا
وعلى المقام المولوى تحية
ما خط مدحك فى الطروس محبر
ملك وهالته هدى وصلاح
وبذا نارت أربع وبطاح
خسفت به الأوجال والأتراح
كل بحبك نفسه تتراح
قد جاء بعد الشدة الإنجاح
ولنا بحمدك بعده إفصاح
كالزهر إذ شهدى شذاه رياح
ونحي دجاجر الأصيل صباح

وقال يرفى الخطيب ببده ، الشهير الفاضل ، أبا الحسن بن شعيب
رحمه الله .

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه
بليت بذا التفريق فاصبر فرما
شجا كل نفس فقد أنفسي جوهر
بكي كلنا حزنا عليه كما بكي
فله خطب جليل لقد رمى
فلولا كم يغلب تأسينا الأبي
فلم يبق إلا من جفا جفنه الكرى
وفاة لمرى وفى ثوى أجره
أبى الحسن العدل الرضا المحسن الذى أتته بأضعاف الزيادة حسنه
خطيب جلا فصل الخطاب بيانه
وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه
فراق ولى شرف الأرض تقواه
بلغت بحسن الصبر ما تمنناه
تعد ولا تحصى كرام سجايه
لفرقته محرابه ومصلاه
أجل خطيب بالجلالة مضاه
ولم يشمل الشمل التفجع لولاه
ومن جانب وصل المضاجع جنباه
وأصنى بإصفاه الإله وصافاه
وأعدل قاض فاضل فى قضايه
ولفظ العلى الفخ الأصيل ومعناه

مطيعٌ رفيعٌ خاضعٌ متواضعٌ كريمٌ
 متى يمشى هوَّناً ليس إلاً لمسجد
 تكلمه عرفٌ وذكرٌ وحكمةٌ
 كذا صمته خوفٌ وفكرٌ وخشيةٌ
 يصوم وقد طال النهار مَهَجَرًا
 فكم دارسٌ أحياء من أربُعِ الثُّقَا
 فياطبياً أصلاً وذكرًا وتُرِيَّة
 وفي حشرة تحن ومرتجاً وباطنا
 محياً يروى الناظرين تهلاًلاً
 بِحُبِّكَ هَامَتْ كل نفس مُنِيبة
 فما أُنعمَ الأرض التي بك قدُست
 بِشِراكِ إنا قد شغلنا بحزننا
 عزاً لأَهْلِيهِ الأَهْلَةَ أَنهم
 نال شُعَيْبٌ في الزمان بدوَره
 أُعزِّي أُولَى الإيمان كلاً بفقده
 سقى الله ونسَمَّى الحيا ذلك الثرى
 كما قد سقاه ليلة الدَّفْنِ وَثْه
 تَرْضَوْا عن القاضي الإمام خطيبكم
 وصلُّوا على هادى الأنام نبيكم
 عليك سلام الله ما الروض فاح
 حلِيم طاهر القلب أوَاه
 تميد خجلاً أرضٌ بها حطَّ نَعْلَاه
 تلذ بها الأسماع ما كان أحلاه
 فما زال يخشى الله والكل يخشاه
 وتبحر بالليل للتغمُّض عيناه
 وكم غاسق من حِنْدِس الليل أحياء
 ومنه استفاد الطَّيِّب أطيب رِيَّاه
 وأمن سقى شمس الضحى من محيَّاه
 فتعرفه في الصالحين بسياه
 كذا من أحبَّ الله حبيبَ الله
 وآثر ذِيكَ الضريح وأنشاده
 ورضوان بُشْراه بذلك بُشْراه
 لهم يَعتَرى من بعده العزَّ والجاه
 ولم تكن الشمس المنيرة إلَّاه
 نَعَمْ وأَسْنِيهِ بِحَبِّهِ مأواه
 وغاداه صَوْبُ الفاديَات وميَّاه
 من الغيث وكاف السحاب وأَسْغَاه
 فقد رضى الرحمن عنه وأرضاه
 صلاةً بها يمحو المَسِيء خطاياهُ
 إن سَرَتْ سَحَرًا رِيح الصَّبَا بخزاماه

توفي رحمه الله في رمضان تحقيقاً من سنة خمس على شك وسبع مائة^(١) ،
أخبرني بذلك من يوثق به .

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة^(٢)

من أهل مالقة ، وتردد كثيراً على الحضرة ، مُسترفداً ومُنشداً ، وفي غير
ذلك من الأغراض يكنى أبا عبد الله .

حاله وشعره

من الإكليل^(٣) : شاعر اتخذ النظم بضاعة ، ومات ترك السعى في مذهب
ساعة ، أجرى في الملا ، لا في الخلا ، وجعل ذكره ذلوه في الدلا ، وركض
في حلبة النجبا النجائب ، ورمى في الخراطي بسهم صايب ، فخرج بهرجه وثقق ،
وارتقد بسببه وارثقق . وهو الآن قد سالمته السنون ، وكأنا أؤمن الممنون ، من
رجل مسكفوف الأذى ، حسن الحالة إلا إذا ، هذا قلت ، ثبت هذا والمذكور
حي ، وقد مات رحمه الله .

ومن شعره :

(١) من الواضح أن تاريخ وفاة ابن لب الأُمى ، لا يمكن أن يكون سنة ٥٧٠ هـ حسبما يذكر ابن الخطيب
وقد فاتته ما ذكره من قبل من أنه قدم مع الوفود إلى غرناطة للتيمة في النصر الذي أحرزه أمير المسلمين
على النصارى في الواقعة التي حدثت سنة ٧١٨ هـ ، وأنه أي ابن لب قد ذكر في شعره دون يبدرو
ودون خوان تاملد ، القشتاليين الذين اُكِّدوا في الواقعة ، كما أنه هنا السلطان أبي الوليد في شعره .
ولم يحكم السلطان أبو الوليد إلا من سنة ٧١٣ هـ . وربما كان التاريخ الصحيح لفاته أن يكون في سنة ٧٢٥ هـ .

(٢) ردت هذه الترجمة فقط في مخطوط الإسكوريال :

(٣) سبق التعريف بكتاب «الإكليل الزاهر» .

رجاى فى المولى العظيم عظيم غنيت به حيث الغنى بهديم
وحسبى الرجا فيمن عليه معولى حديث حديث لم يزل وخدم
وما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عنى مذنب قلت سيئ ——— كفى بغفران الذنوب وحيم
وما اعتصم المملوك إلا بحبله فجانبه نعمى لنا ونعيم
رضاه سبيل للنجاة وحبّه طريق لجنات النعيم قديم
وأشد يوما الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر^(١) يهنيه بالملك ويعزّيه :
على من تُنشر اليوم البؤود وتحت لواء من تُسرى الجنود
وقال [على هذا الكذا ، الذى بين يديك]^(٢) فنجل ، وعظم استظراف
الحاضرين لذلك .
توفى فى كذا وسبعائة .

محمد بن عبد الله بن فطيس^(٣)

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة . وقال الأستاذ^(٤) من بيت فطيس
الألبيريين .

(١) ثالث الأمراء من بنى نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه . وكان صريحا ،
ويلقب بمحمد الخلويع . وقد حكم من سنة ٧٠١-٧٠٨ هـ (١٣٠١-١٣٠٨ م) .
(٢) وردت هذه العبارة فى اللوحة البدرية كالألفى (على هذا الزيلخ الذى ترى قدامك - يمين
نفسه (ص ٤٨) .
(٣) وردت هذه الترجمة فقط فى مخطوط الإسكوريال .
(٤) الإشارة هنا إلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة .

حاله

قال ، طبيبٌ ماهر ، وأديبٌ شاعر ، كان في أيام بني حشون^(١) ، يخفُّ عليهم ، وله فيهم أمداح كثيرة . يُذكر أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حشون ، بعد انقطاع عن زيارته ، فعَتَبَهُ القاضي ، فاعتذر ، ثم أنشد :

يا حاملًا من عُـلـاء تاجًا ومن سَنـا وجهه سراجا
لو كان روذي عـدـيل وُدِّي لـكـنت من بابك الرُّتاجا
إن لم يُـمـرَّج عليك شخصي نفْسي وروحي عليك عاجا
وذكره ابن عسكـر^(٢) في كتابه .

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح
[ابن محمد بن أيوب]^(٣) ابن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين

يكفى أبا عبد الله رندي النشأة ، إشبيلي الأصل ، يرجع بيته ، وبیت بني حجاج ، وبیت بني عباد ، إلى جُرثومة واحدة ، وانتقل سلفه إلى رندة [في دولة بني عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لأبيه . وقدم ذو الوزارتين على

(١) الإشارة هنا إلى القاضي أبي الحكم بن حشون قاضي مالقة في أواخر العهد المرابطي . وقد ثار على المرابطين بمالقة واستولى على الحكم وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وتسمى بالأمير ، وجعل أخاه أبا الحسن بن حشون قائداً لجيشه . ولكن المرابطين في القواعد المجاورة تألبوا عليه ودبروا إسقاطه بالتفاهم مع بعض خدامه ، واستطاعوا الاستيلاء على القصبة . فامتنع ابن حشون بقصره ، واضطر في النهاية إلى الانتحار ، فاقتحم المرابطون القصر ، وبمئثوا برأسه إلى مراكش (سنة ٥٤٧ هـ) .
(٢) هو محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني ويعرف بابن عسكـر ، وقد ترجم له ابن الخطيب فيما تقدم من هذا المجلد (ص ١٧٢-١٧٥) .
(٣) هذه الزيادة من الإسكوريال .

حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر، إثر قُوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رُشيد الفهرى، فألحقه السلطان بكتّابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أن توفى هذا السلطان، وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله الخلع، فقلّده الوزارة والسكتابة، وأشرك معه في الوزارة، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدّاني. فلما توفى أبو سلطان، أفرداه السلطان بالوزارة، ولقبه ذا الوزاوتين، وصار صاحب أمره، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلاً، نفعه الله تعالى. غُدوة يوم الفطر، مستهل شوال سنة ثمان وسبعماية، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسدين، أبي الجيوش، مكانه^(١).

حاله

[كان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسراوة، ومكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، على الهمة، كاتباً بليغاً، أديباً، شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع، كلها جميلة الانطباع، خطيباً، فصيح القلم، زاكي الشّيم، مؤثراً لأهل العلم والأدب، براً بأهل الفضل والحسب، نفقت بمدته للفضائل أسواق، وأشرقت بإمداده للفضائل آفاق]^(٢). ومن «عائد الصلة»: كان رحمه الله فريد دهره سماحة^(٣)، وبشاشة، ولوذعية، وانطباعاً، رقيق الحاشية، نافذ العزيمة^(٤)، مبتزاً للمديح، طلقاً للأمل، كهماً للغريب، برّمسكي

(١) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الخاصرتين واردة في النسخ وساقطة في «الزيتونة» وفي الإسكوريال. وفقط وردت في هذين المخطوطين بعد كلمة رندة، وقبل بداية الفقرة، هذه العبارة «فناهيك من أصالة وجلالة وكرم طعمة».

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة». وفي الإسكوريال. ووارد في النسخ.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة»: (ساحة).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (العزيمة).

للسائدة ، مُهَلَّبِي الْحُلُوى^(١) . رِيَّان من الأدب ، مضطاعاً بالرواية ، مستكثراً من الفائدة . يقوم على المسائل الفقهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتتبيح ، ورفع راية^(٢) الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الضلب ، وأحيا معالم الأدب ، وأكرم العلم والعلماء^(٣) ، ولم تُشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبير الملك ، عن المسالمة والسماع ، والإفراط^(٤) في اقتناء الكتب ، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها ، وأثرت أُنْدِيته من ذخائرها . قام له الدهر على رجل ، وأخدمه صدور البُيوتات ، وأعلام الرئاسات ، وخُوطب من البلاد النازحة ، وأُمِّل من^(٥) الآفاق النائية .

رحلته ونبأته

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده ، على فتاء سنه ، أول عام ثلاث وثمانين وستائة ، فحج وزار ، وتجول في بلاد المشرق ، مُتَجَمِّعاً عوالى الرواية في مظائنها ، ومُنْتَهِراً عنها عند مُسَيِّئ شيوخها ، وقيد الأناشيد الغريبة ، والأبيات المُرْقِصة ، وأقام بمكة شرفها الله ، من شهر رمضان إلى انتضاء الموسم ، فأخذ بها عن جماعة يأتى ذكرهم في مشيخته . وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قفل مع الرُّكَّاب الشامى إلى دمشق ، ثم كُرِّ إلى المغرب ، لا يمر بمجلس عِلْم أو تعلَّم إلا دَوَّى أو رَوَّى . واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستائة ، وأقام بها عَيْنًا في قرابته ، وعَلَمًا في أهله ، مُعْظَمًا عندهم^(٦) ، إلى أن أَوْقَعَ السلطان بالوزراء

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخلوة) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (روية) . وفي الإسكوريال (آية) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (العامل) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (وإفراط) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (في) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (لديهم) والمؤدى واحد .

من بنى حبيب ، الوقيعة البرمسية . وورد رندة في أثر ذلك ، [في شهر جمادى
الآخرة من عام ستة وثمانين وسمائة] ^(١) فتمعرض إليه ، ومدحه ^(٢) ، وهتاد بقصيدة
طويلة ، من أوليات شعره ، أولها :

هل إلى ردّ عشيّات الوصال سبب أم ذاك من ضرب الحال
فلما أنشدتها إياه . أعجب به ، وبحسن خطه ونصاعة ظرفه ، فأثنى عليه ،
واستدعاه إلى الوفادة على حضرته ^(٣) ، [فوفد إليها في آخر العام المذكور] ^(٤) ،
فأثبتته في خواص دولته ، [وأحفظه لديه] ^(٥) إلى أن رقاه إلى كتابة الإنشاء
ببابه . واستمرت حاله ، معظم القدر ، مخصوصاً بالمرية ، إلى أن توفي السلطان ،
ثاني الملوك من بنى نصر ، وتقلد الملك بعده ، ولحقه عهده أبو عبد الله ، فزاد
في إحفظائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والزواوة ، ولقبه بذي الوزارتين ،
وأعطاه العلامة ، وتلقاه الأمر ، فبعد الصيت وطاب الذكر ، إلى أن كان من
الأمر ما يأتى [به الذكر] ^(٦) قريباً إنشاء الله تعالى .

مشيخته ^(٧)

قرأ برندة على الشيخ النحوى أبى الحسن على بن يوسف العبدورى السامح ،

- (١) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الحضرة) .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كالاتى :
(فوفد آخر عام ستة وثمانين) .
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي «الزيتونة» (وأحيا ملكه) وفي الإسكوريال
(وأحيا ملكه .)
- (٦) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٧) جاء في مخطوط الإسكوريال تحت كلمة «مشيخته» ما يأتى : «قلت لم أر في هذا الكتاب
مشيخة أطول منها فاختصرتها لظولها . على أنى في هذا الاختصار لهذا الكتاب أقيد المشيخة قاصداً
للتترك بذكر أشتياخ العلم وحملة الدين وقادته ، جماعى الله من انتظم في غمارهم ، وسلك مسلك أتباعهم =

القرآن العظيم بالروايات السبع . والعربية وغير ذلك . وعلى الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ، وأخذ عن والده جميع مروياته . واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان ، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجلة]^(١) الذين يضيق عن أمثالهم الحصر .

فمنهم أبو العيين جوار الله بن عساكر ، لقيه بالحرم الشريف ، وانتفع به ، واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله الحراني . [ومنهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى بن الإمام الجزائري ، جزائر المغرب ، نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي ، لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطنطيني أبو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي إمام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها]^(٢) . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيصى شهاب الدين أبو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن علي ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مُطَلِّباً^(٣) ليس لي في غيره أدب إليك آكل الثقة و انتهى الطالب

== وآثارهم . وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق ، قال في آخر ذلك : « إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب » . ومن الواضح أن هذا كلام الناسخ الذي قام « باختصار » الكتاب . ولكننا رأينا أن لا تجاربه في ذلك ، وأن تذكر مشيخة ابن الحكيم مفصلة حسبما وردت في مخطوطي « ج » و « الزيتونة » .

(١) هذه الزيادة من « الزيتونة » .

(٢) وردت الأسماء المحصورة بين الحاصرتين في مخطوط الزيتونة على النحو الآتي : « وشرف الدين أبو العباسي من أهل الجزائر عمالة إفريقية وتزير بغداد » . ومنهم خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي نايب قاضى الحنابلة بالقاهرة المصرية يكنى أبا الصفا لقيه بالقاهرة المعزية ، ومنهم أبو بكر بن عمر بن علي . القسطنطيني رضى الدين . ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين الحضري الدمياطي

(٣) هكذا وردت في « ج » ، وفي النسخ . وفي الزيتونة (يطالبا)

ومنها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعلى الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فأتك السبب^(١)

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البعابكى، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة .
ومنهم محمد بن بكر بن خلف بن أبى القاسم الصفار . ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبى الخير بن على بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن
يحيى بن عبد الله القرشى جمال الدين أبو صادق ، ومن تخريج الأديب المروية
بالأسانيد المصرية . وسمع الحكييات^(٢) من ابن عماد الحرانى ، والشيخ
أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .
ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعرى تقي الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ
محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنطاكى . ومنهم أبو البدر بن عبد الله
ابن أبى الزبير السكاتب المصرى . ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن
خلف التدميرى . ومن رؤساء شيوخه ؛ الشيخ محيى الدين أبو الفضل . ومنهم
زينب بنت الإمام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن على]^(٣) البغدادى ،
تُكنى أم الفضل ، وسمعت^(٤) من أبيها . ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أحمد الخراسانى ، أبو عبد الله مؤقر الدين ، وألبسه خرقه التصوف . ومنهم
الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشيبانى شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلفى . ومنهم الشيخ
على بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقى ، أبو الحسن ، ولد سنة سبع وتسعين

(١) هذا البيت وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (تحمل عن) .

وخسماية . ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوى . ومنهم الشيخ نور الدين على بن محمد أبي البركات الأنصارى المقرئ بحرم الخليل . سمع من أبي الحسن على بن شجاع . [ومنهم يوسف بن دواد بن عيسى بن أيوب الحنفى]^(١) .

ومنهم الملك الأوحى يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ، وداود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشى الزهرى خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ ابن بدران ، ويُدعى على الدين من أهل بانياس ، سمع من ابن صيصرى . ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسى . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم ابن يوسف بن أسلم القرشى ، جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجى [البغدادى الإمام تقي الدين . ومنهم عبد الجليل بن أحمد بن الزجاج]^(٢) . ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي ، الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوى . ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد [بن مزروع]^(٣) أبو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعى البخارى شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشى . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمسانى عفيف الدين الصوفى الأديب نزيل دمشق ، ومولده بتلمسان .

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى «الزيتونة» . وساقط فى «ج» .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى «الزيتونة» وساقط فى «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستى القسطلاني قطب الدين ، الإمام المفتي شيخ دار الحديث السكلميلية بالقاهرة المعزّية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكوت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق ، سَمِعَ علي ابن المغيرة البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الفسافي^(١) . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين ، سَمِعَ من علم الدين الشيخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يدعى شمس الدين ، سَمِعَ من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ، يعرف بابن عز الدولة .

وأجاز له جماعة منهم ابن عماد الحراني ، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الحمداني كمال الدين ، وسمع من ابن الزجاج وابن رَوَاح الحميري . ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ، عُرِفَ بابن الجوزي سَمِعَ علي جماعة ، منهم شعيب الزعفراني ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكم . ومنهم الإمام مفتي المسادين رضي الله عنه . ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المسكني . ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رُحَيْمَةَ الكِنْدَانِي خطيب بجاية . ومنهم قاضي القضاة ببلاد إفريقية أبو العباس

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

ابن النعمان^(١) البكّاشى ، لقيه بتونس . ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزى السكّابى . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابى . ومنهم الشيخ المغربى أبو محمد الحجاج ابن يوسف بن إبراهيم بن عتاب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن يربوع السبّتى . ومنهم الإمام قدوة النجاة أبو الحسين^(٢) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبى الربيع القرشى . ومنهم الإمام أبو على ناصر الدين منصور بن أحمد ابن عبد الحق الزاوى المشدلى من أهل بجاية . ومنهم الخطيب القاضى أبو عمرو إسحق بن أبى إسحق بن عبد الوهاب الرندى . إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

محتته

أغرّنى به الأمير ولى العهد ، بسبب أمور اختلاف فيها ، منها أبيات فى هَجْوِ الدولة النصرىة ، الله أعلم بصحة نسبتها إليه ، فأورّع به [وناله بين يديه نكالٌ كبير]^(٣) أفلأت منه برفق^(٤) ، واختفى مدة فى المآذن المُنْفَعَة والأماكن الخفية ، حتى أصحى له جوُّ سخطه ، [وقضى الله برد أمره إليه ، واستبسل عليه على ما وراء بابهِ]^(٥) .

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (النداء) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (أبو الحسن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال على النحو الآتى (فتنول بين يديه بنكال كبير) .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (برمن) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (ونفى الأمر باستلابه) .

من روى عنه (١)

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي ، وتدرّج معه رفيقه
عبد الله بن رُشيد وغير واحد . وكان ممدوحاً ، وبمن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الحضرمي ، والرئيس أبو الحسن بن الجيّاب ، وناهيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجيّاب له ، قصيدة رائية رائقة ، يهنيئ فيها بعيد الفطر منها
في أولها :

يا قادمًا عمت الدنيا بشأركه	أهلاً بمقدمك الميمون طأركه
ومرجباً بك من عيد تحف به	من السعادة أجناد تظاهره
قدّمت فالخلق في نعمي وفي جدل	أبدى بك البشر باديه وحاضره
الأرض قد لبست أثواب سُندسها	والرّوض قد بَسَمَت منه أزاهره
حَاكَّت يدُ الغيث في ساحاته حُملاً	لما سقاها دواكاً منك باكره
فلاح فيها من الأنوار باهرها	وفاح فيها من النّوار عاطره
وقام فيها خطيب الطّير مرتجلاً	والزهر قد رُصِّمَت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة	فها هو اليوم للأبصار ناشره
فالغصن من نشوة ينثى معاطفه	والطّير من طرب تشدو مزاهره
وللكيام انشقاق عن أزاهرها	كما بدت لك من خلّ ضمائرُه
لله يومك ما أذكى فضله	قامت لدين الهوى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبيّت	وكم جمال بدا للناس ظاهره
فأنخر بحمق على الأيام قاطبة	فما لفضلك من زبد يظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا	قيست بفخر أولي العُلَميا مفاخره

(١) وردت الفقرة « آية تست هذا العراذ والقصيدة التي تليها ، وهي من نظم ابن الجيّاب

فقط في مخطوط جاينجوس . ولم ترد في « الزيتونة » ولا في « الإسكوريال » .

يُلتاح منه بأفق الملوك نور هدى
 مجد صميم على عرش السماك كما
 وزادة الدين والعلم الذي رفعت
 وليس هذا بيدع من مكامه
 يلقي الأمور بصدر منه مشرح
 راعى أمور الرعايا معيلاً نظراً
 والملك سير في تدبيره حكماً
 سياسة الحكم لا بطش يكدرها
 لا يصدور الملك إلا عن إشارته
 تجري الأمور على أقصى إرادته
 وكل مقام له في كل مكرمة
 فضله طيق الآفاق أجمعها
 فليس يجحد إلا أخو حسد
 لا ملك أكبر من ملك يدبره
 يا عز أمير به اشتدت مضاربه
 تنثنى البلاد وأهلها بما عرفوا
 بشرى لآمله الموصول مآمله
 فالعلم قد أشرقت نوراً مطالعه
 والناس في بشر والملوك في ظفر
 والأرض قد ملئت أمناً جوانبها
 وإلى أياديه من مثنى وواحدة
 فكل يوم تلتقنا عوارفه

تضائل الشمس مهما لاح زاهره
 طالت مبانیه واستعلت مظاهره
 أعلامه والندى الفيض زاهره
 ساوت أوائله فيه أواخره
 بحر وأواؤه العظيم جواهره
 كمثل علياه معدوماً نظائره
 تنال ما عجزت عنه عما كره
 فهو المهيب وما تُخشى بوادره
 فالرشد لا تتعداه مصائر
 كما دهره فيه يشاوده
 ألت موارد فيه مصادره
 كأنه مثل قد سار سائر
 يرى الصباح فيمضي منه ناظره
 لا ملك أسعد من ملك يؤزره
 يا حسن ملك به ازدانت محاضره
 ويشهد الدهر آتیه وطبره
 نغماً لحاسده المقطوع دابره
 والجلود قد أسبلت سمّاً مواطره
 علي على كل أعلى القدر قاهره
 يمين من خلصت فيها سرائره
 تساجل البحر إن فاضت زواجره
 كساه أمواله الطولى دفاتره

فمن يؤدّي لما أولاه من نعم
يا أيها العبد بادِرْ لَنَمِ راحته
والخر بأن لقيت ابن الحكيم على
وَلَى الصيام وقد عظمته حرمة
وأقبل العيد فاستقبل به جدلاً
شكراً ولو أن سَجَبانا يُظَاهره
فلنمها خير مأمول تُبَادره
عصر يباريك أو دهر تُفَاخره
فأجره لك وافيهِ ووافره
واهنأ به قادمًا عمت بشائره

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الخضرى له قوله :

ترأى سَحيرا والنسيم عليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت
بريق بأعلى الرقمتين كأنه
فزق ساجى الليل منه شرادة
تبسم نغز الروض عند ابتسامه
ومالت غصون البان تشوى كأنها
وغنت على تلك الغصون حمام
إذا سَجَمَتْ فى لحنها نم قرقرت
سقى الله ربعا لا يزال يشوقنى
وجاد ريتاه كلما ذر شارق
ومالى أَسْتَسْقِ الغمام ومدمعى
وعاذلة باتت تلوم على السرى
تقول إلى كم ذا فراق وغربة
ذرىنى أسمى لاقى تُكَيِّبُ العلا
فأما ترىنى من مُمارسة الهوى
وفوق أناييب البراعة صفوة
وللتجم طرف بالصباح كليل
شوى أذم الظماء منه خجول
طلائع شهب والسماء تجول
وخرق ستر الغيم منه نُصول
وفاضت عيون للغام همول
يُدار عليها من صباه نُحول
لن حفيف فوقها وهديل
يطيح خفيف دونها وثقل
إليه رسوم دونها وطلول
من الودق هتان أجش هطول
سفوح على تلك العيراص همول
وتسكّر من تبعذالها وتطيل
ونأى على ما خيلت ورحيل
سناء وتبقى الذكر وهو جميل
نحيلا فهد المشرفى نحيلا
تزين وفى قد القناة ذبول

ولولا السرى لم يَحْتَمِلَ البدرُ كاملاً
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
ولولا نوال ابن الحكيم محمد
وزيرٌ سما فوق السَّمَاءِ جلاله
من القوم أما في النَّدَى فإنهم
خَوُوا شرف العُلَياءِ إرثاً ومَكْسِباً
وما جَوْنَةُ هَطَّالَةٍ ذات هَيْدَب
لها رَجَلٌ من رَعْدِها ولوامع
كما هَدَّوت وسط القِلاصِ وأرسلت شقاشِقَها عند الهياجِ فحول
بأجودٍ من كَفِّ الوزيرِ محمد
ولا روضةٌ بالحسن طَيِّبَةُ الشَّذا
وقد أذْكِتَ للزَّهرِ فيها مجامر
وفي مُقْلِ النُّوارِ لِلطَّلِّ عَثَرَةٌ
بأطيب من أخلاقه الغُرِّ كما
حويتَ أبا عبدِ الإلهِ مناقِباً
ففرَّناطة مِصْرُ وأنت خَصِيْبُها
فذاك رجالٌ حاولوا دَرْكَ العلا
تَحْيِرُكَ المولى وزيراً وناصحاً
وألقيَ مقاليد الأمورِ مُعَوَّضاً
وقامَ بِحِفْظِ المُلْكِ منك مؤيد
وساسَ الرعايا منك أَشْوَسُ باسِل
وأَبْلَجُ وقادَ الجبينَ كأنما
ولا بات منه للسَّعْدِودِ تَزِيل
لما كان نحو المجد منه وصول
لأصبح رَبَّعُ المجد وهو تَحِيل
وليس له إِلَّا نَجْمُومٌ قَبِيل
هَضابٌ وأما في النَّدَى فسيول
وطابت فروعُ منهم وأصول
مَرَّتْها شَمُولٌ مُرْجَفٌ وقبول
من البرِّقِ عنها للعيون كُلول
إذا ما تَوالتِ اللَّسَنِينِ مُحُول
يَمُّ عليها أَذْخَرُ وجلييل
تُعَطَّرُ منها للنسيمِ ذَيُول
تردُّدُها أَجْفانُها وتَحِيل
تفاقمَ خَطْبُ اللَّزْمانِ يَهْـوُل
تَفَوَّتَ يَدَيَّ مَنْ رَامَها وتطول
ونائِلُ يَمْناك السَّكْرِمَةُ نِيلُ
يَبْخُلُ وهل نال العلاءُ بِخِيل
فكانَ له بما أَرادَ حَـصُول
إِلَيْكَ فلم يَعْدِلْ يَمِينُكَ سُول
نَهَوْضٌ بما أَهْيَأَ سِوَاكَ كَفِيل
مَبِيدُ العِداِ لِلْمُعْتَمِنِ مُنِيل
على وَجْنَتَيْهِ لِلنَّضارِ مَسِيل

تهم به العلياء حتى كأنها بُنينة في الحب وهو جميل
 له عزمات لو أغير مضاًوها حُسامٌ لما نالت ظُباه فلول
 سرى ذكره في الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل
 وأغدَى قريضي جوده وثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يجول
 إليك أيا فخر الوزارة أرفقت برحلى هوجاء الثجاء ذلول
 فليتُ إلى لقياك ناصية الفلا بأيدي ركاب سيرهنّ ذميل
 تسدّ ذنى سهماً لكل ثنية ضوامرُ أشباه القسيّ نحول
 وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هوجل وهجول
 فقيدت أفراسي به وركابي ولدّ مقامٌ لي به وحلول
 وقد كنت ذا نفسٍ عزوفٍ وهمّة عليها لأحداث الزمان دحُول
 وتهوى الملاحظى وتغرى بضده لذاك اعتزته رقةً ونحول
 وتأتى لي الأيام إلا إدالةً فصونك لي أن الزمان مُدِيل
 فكل خضوعٍ في جنابك عزّة وكل اعتزازٍ قد عدّاك نحول^(١)

شعره

وبضاعته في الشعر مُزجاة ، وإن كان أعلم الناس بنقده^(٢) ، وأشدهم
 تيقظاً^(٣) [لمواقفه الحسنة وأضدادها]^(٤) . فمن ذلك قوله ، ورفعته إلى السلطان

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» فقط . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (به) «والزيتونة» (ببره) .

(٣) هكذا وردت في «ج» «والزيتونة» . وفي الإسكوريال (تقطناً) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لموافقة الحسن وضده)

ببلده رُنْدَة ، وهو إذ ذاك فتى يملأ العين أبهة ، ويستميل القلوب لباقة ، وهي (١) ،
ومن خطه نقلت :

هل إلى رد عَشِيَّات الوصال	سبب أم ذاك من ضَرْب الحُبال
حالة يسرى بها الوهم إلى	أنها تُثَبِّت بُرْءاً باعْتِـلال
وليالى ما تبقى بعدها	غيرُ أشواقى إلى تلك الليال
إذ مجال الوصل (٢) فيها مسرحى	ونعيمى آمرٌ فيها ووال
ولحالات التراضى جـوله	مزَّجَتْ بين قبُول واقتبال
فبوادى الخيف خوفى مُسَعَّدٌ	وبأكناف مئى أنفى نوال
لست أنسى الأنس فيها أبداً	لا ولا بالعذل فى ذاك أبال
وغزالٌ قد بدا لى وجهه	فرايتُ البدرَ فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه	لم يَكُنْ إلا على فضل اعتدال
خُصَّ بالحسن فما أنت ترى	بعده للناس حظاً فى الجمال
من تسلى عن هواه (٣) فأنا	بسواه عن هواه غيرُ سال
فلئن أتعبنى حُبى له	فكم نِلْتُ به أنعم حال
إذ لآلى حيدرٍ من قبلى	ووشاحاه يمينى وشمال
خلفِ النوم لى الشهد به	وترامى الشخص لا طيف الخيال
فهداوى بِلِماء ظمئى	مزَّجُك الصهباء بالماء لزلال
أو أشادت ثنا المَلِك الأوحـد الأسمى	الهمام المتعال
مَلِكٌ إن قلت فيه مَلِكاً	لم تكن إلا محققاً فى المقال

(١) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى «ج» (الليل) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ . وفى «ج» «والزيتونة» (هواها) . والأولى

أنسب للسياق .

أيد الإسلام بالمعدل فما
ذو أياذٍ شملت كلّ الورى
همّة هامت بأحوال التقى
وقف النفس على إجهادها
ومنها في ذكر القوم الموقع بهم :
وفريق من عتاة^(٣) عاندوا
غرّم طول التجصافي عنهم
فلقد كانت بهم رُنْدَة أو
ولقد كان التفاف مذهباً
ما يعود اليوم إلا بادرُوا
طوّقوا الثمعى فلما أنكروا
[ماطل الدهر بهم غريمه
ولقد كنت غريم الدهر إذ
ولسكم نافرته مجتهداً عندما
أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا
وهى طويلة ومنها :

أيها المولى الذى نعمائى أعجزت عن شكرها كُنْه المقال

- (١) هكذا فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» والإسكوريال (أرباب) .
(٢) هذا البيت وارد فى «ج» والإسكوريال . وساقط فى «الزيتونة» .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى «ج» (عقاد) ، وفى «الزيتونة» (عتاة) . والأولى أرجح .
(٤) هكذا وردت فى «ج» «والزيتونة» . وفى الإسكوريال (النكابل) .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (دال) .
(٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى «ج» و «الزيتونة» .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من بديع النظم بالسحر اخلاخل
فأنا العبد الذي حبسكم لم يزل والله في قلبي وبال
أورقت روضة آمالي لكم وتولّاها الكبير الأعمال^(١)
واقنيت الجاه من خدمتكم فهو ما أدخره من كنز مال^(٢)
ومنها :

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبي عن أصدق^(٣) حال
هي بنت ساعة أو ليلة سهلت الحب في ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يلغنها وقال
فهي في تأدية الشكر لكم أبداً بين احتفاء واحتفال
وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس :

حيّ حيّ بالله يارب نجد^(٤) وتحمل عظيم شوقي ووجدى
وإذا ما بنشت حالي فبلغ من سلامي لهم على قدر ودّي
ما تناسيتهم [وهل في مغيب]^(٥) هم^(٦) نسوني عالم طاول بمدي
بي شوق إليهم ليس يعزى لجيل ولا لسكان^(٧) نجد
يا نسيم الصبا إذا جئت قوماً ملئت أرضهم بشيخ ورند
[فتلطف عند المرور عليهم وحقوقاً لهم على فأدّ

(١) وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» والإسكوريال والنفح على النحو الآتي : (مد تولها الرباب المنوال).

(٢) هذا البيت وارد في «الزيتونة» والإسكوريال ، وساقط في «ج» .

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (صادق) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . ووردت في «ج» (مجد) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (وها في يقيني)

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والنفح والإسكوريال (ما) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وز «ج» (أسكان) . وفي الزيتونة (كساكن) .

قل لهم قد ضلوت من وُجِدتم^(١) في حال شوق لـكل رُند^(٢) وزُند^(٣)
واب استفسروا حديثي فإني باعتناء الإمام بلغت قصدي
فله الحمد إذ حباني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

[قال شيخنا أبو بكر ولده ، وجدت بخطه رحمه الله عليه ، رسالة خاطب بها أخاه
أبا إسحق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها^(٤) .

ذَكَرَ اللَّوَى شَوْقًا إِلَى أَفْئَادِهِ فَقَضَى أُمِّي أَوْكَادَ مِنْ تَذْكَارِهِ
وَعَلَّازْفِيرُ حَرِيقٍ^(٥) نَارَ ضُلُوعِهِ فَرَمَى عَلَى وَجْهِاتِهِ بِشِرَارِهِ
لَوْ كُنْتَ تَبْصُرُ خَطَّهُ فِي خَدِّهِ لَقَرَأْتَ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
يَا عَاذِلِيهِ اقْصِرُوا فَلَربما^(٦) أَفْضَى عَنَابُكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
إِنْ لَمْ تَعِينُوهُ عَلَى بَرْجَائِهِ لَا تُنْكَرُوا بِاللَّهِ خَلْعَ عِزَارِهِ
مَا كَانَ اِكْتِمَهِ لِأَسْرَارِ الْهَوَى لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّرِّ مِنْ أَنْصَارِهِ
مَآذِنُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ أَسْفًا وَأَذْكَى النَّارِ فِي أَغْشَارِهِ
بَخْلَ اللَّوَى بِالنَّاسِ كُنْيَهُ وَطِيفَهُمْ وَحَدِيثُهُ وَنَسِيمُهُ^(٧) وَمِزَارِهِ
يَا بَرَقُ خُذْ دَمِي وَعَرِّجْ بِاللَّوَى فَأَمْحُحْهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أجلهم) .

(٢) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «ج» . وفي «الزيتونة» (ورخذ وندي) .

(٣) هذان البيتان ساقطان في الإسكوريال وواردان في «ج» وفي «الزيتونة» والنسخ .

(٤) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ووردت في «ج» على النحو الآتي :
(وافتح مخاطبته لأخي الأكبر أبي إسحق إبراهيم بقصيدة أولها) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (رحيق) .

(٦) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (فلشدنا) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» (ونسيمه) .

وإذا لقيت بها الذي بإخائه ألقى خطوط الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدّر محبتي فيه وترفعني إلى مقبلاه
وألم بسائر أخوتي وقرايتي من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم إلا أخ أو سيد أبداً أرى دأبي على إكباره
فأثبت لذلك الحى أن أخاهم في حفظ عهدهم على استبصاره
ما منزل اللذات في أوطانه كلاً ولا السلوان من أوطاره^(١)

وقال رحمه الله في غرض كلفه ساطانه القول فيه :

ألا واصل مواصلة العقار ودع عنك التخلّق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال يحقّ لمثله خلع العذار
قضب مائس من فوق دغص تعم بالدهج فوق النهار
ولاح بخدّه ألف ولام فصار معرفاً بين الدار^(٢)
رماني قاسم والسين صاد بأشعار تنوب عن الشفار
وقد قُسمت محاسن وجنتيه على صيدين من ماء و نار
فذاك الماء من دمي عليه وتلك النار من فرط اشتعار
عجبت له أقام برّبع قاسمي على ماشبّ فيه من الأوار
ألفت الحب حتى صار طبعاً فما احتساج فيه إلى اذكّار
فألى عن مذاهبه ذهاب وهذا فيه أشعاري شعّار

وقال العلامة ابن رُشيد في «دلى العتبة» ، لما قدّمنا المدينة سنة ١٢٨٤هـ ، كان
معي رفيق الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم ، وكان أرمده ، فلما دخلنا
ذا الحليفة أنفخوها ، نزلنا عن الأكوار ، وقوى الشوق لقرب المزار ، فنزل وبادر

(١) هذا البيت زائد في الإسكوريال . هذا ولم ترد هذه القصيدة في مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا في «ج» ، وفي الإسكوريال (الدار) .

إلى المشى على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حلّ في تلك الديار ،
فأحسّ بالشفاء ، فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا بيثرب أعلاماً أترن لنا الحبا
وبالثرّب منها إذ كحلّنا جفوننا شُفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالها ومن بعدها عنا أدبنا لنا قربا
نزلنا من الأكوار نمشي كرامة لمن حلّ فيها أن نلّم به ركبنا
نُسحّ سِجّال الدمع في عرّصاتها ونلّم من حبّ لواطئه الثربا
وإنّ بقائى دونه لخسارة ولو أن كفى تملأ الشرق والغربا
فياعجباً ممن يحبّ بزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لا تعدّ كثيرة وبُعدي عن المختار أعظمها ذنباً^(١)
ومن شعره قوله :

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إشاره
يصوّن بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسرارَه
لا سيما إن كان في غربة يحتاج أن يُعرّف مقداره^(٢)
وقوله رحمه الله :

إني لأغير أحياناً فيلحقني يُسرّ من الله أن السرّ قد زالا
يقول خيرُ الورى في سُنّة ثبتت أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا^(٣)
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .

ومن شعره قوله :

(١) لم ترد هذه القصيدة في مخطوط «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

فقدتُ حياتي بالفراق^(١) ومن غدا بحال نوى عن محب فقد فقد
ومن أجل بُعدي من ديار ألفتها جحيم فؤادي قد تَلَفَى وقد وَقَدَ
وحكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبي مدين.
أنشده ابن أبي مدين :

عَشِقْتُكُمْ بِالسَّمْعِ نَبِلَ لِقَاكُمْ وَتَمَعْتُ الْفَتَى يَهْوَى لَعْمَرٍ كَطَرَفِهِ
وَحَبِيبِي ذَكَرُ الْجَالِسِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا التَقِينَا كُنْتُمْ فَوْقَ وَصْفِهِ^(٢)
فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله :

ما زلت أسمع عن عليّ ككلّ مني أحسى من الشمس أو أجلي من القمر
حتى رأى بصري فوق الذي تَمِعَتْ أَذْنِي فَوْقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ^(٣)
ومن نظمه مما بكتب على قوس :

أنا عُدَّةٌ للدين في يد مَنْ غدا لله منتصراً على أعدائه
أحكى الهلال وأنهمى في رَجَمِها لمن اعتدى تحكي رجوم سماءه^(٤)
قد جاء في القرآن أني عُدَّةٌ إِذْ نَصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ مُحْكَمَ آيَةٍ^(٥)
وإذا العدو أصابه سهمي فقد سَبَقَ الْقَضَاءُ بِهَالِكِهِ وَفَسَادِهِ

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبي بكر في كتابه المسمى «بالموارد المستعزية»
وكان [بمدينة وادي آش]^(٦) الفقيه [الكذا أبو عبد الله محمد بن غالب]^(٧)

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (بالمراق) .

(٢) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و «الزيتونة» (نجوم) والأولى «وجن» .

(٥) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . وفي «ج» (بوادى آش) .

(٧) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .

الطريفي ، فكتب يوماً إلى [الشيخ]^(١) خاصة والدي [وخلصته]^(٢) أبي جعفر
ابن داود قصيدة [طويلة]^(٣) على روى السنين يشتكى فيها من [جور]^(٤) مشرف
بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان منها :

فيا صفيّ أبي العباس كيف ترى وأنت كيّس^(٥) من فيهما من أكياس^(٦)
ولوّه إن كان ممن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف في فاس^(٧)
ومنها يستطر ذكر ذى الزادتين [رحمه الله]^(٨) :

للشرق فضلٌ منه أشرقت شهبٌ من نورهم اقتبسونا كل مِقباس^(٩)
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه]^(١٠) :

إن أفرطت بآبِ حسان غوائله فلا أمريكسوه ثوب الذل والياس^(١١)
وإن تزلّ به في جورهِ قدّم كان الجزاء له ضرباً على الرأس
فقد أقامني المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل في الناس

كتابتها

وهي مرتفعة^(١٢) عن نمط شعره^(١٣). فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح
مدينة قيجاطة^(١٤) :

- (١) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (أكيس) .
- (٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (جلاس) .
- (٥) هذه الزيادة من الإسكوريال .
- (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أقباس) .
- (٧) الزيادة من الزيتونة .
- (٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الباس) . والأولى أرجح .
- (٩) هكذا في «ج» «والزيتونة» . وفي الإسكوريال (مترفعة) وهو تحريف .
- (١٠) هكذا في «ج» و«الزيتونة» وفي الإسكوريال (تطمه) .
- (١١) قيجاطة وبالإسبانية Quesada ، مدينة أندلسية من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة
من نهر الوادي الكبير شمال شرق مدينة جيان . وينسب إليها عدد من العلماء .

من الأمير فلان ، أيده الله ونصره ، [ووقفه لما يحب ، حتى يكون ممن قام
بفرض الجهاد ونشره]^(١) . إلى ابننا الذي تمنحه الحب والرضى ، [ولسأل الله
أن يهبه الخلال التي تستحسن]^(٢) ، والشيم التي ترتضى ، الولد الأنجب^(٣) ،
الأرضي ، الأنجد ، الأرشد ، الأسعد ، محمد ، وإلى الله تعالى إسعاده ، وتولى
بالتوفيق والإرشاد سداده^(٤) ، وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر
الممنوح ، ما يكمل من بغيته في نصر دين الإسلام [ويُسنى]^(٥) مراده .

أما بعد حمد الله ، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال ، [الذي يقربه
إلى رضا]^(٦) ، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه ، فقال يا أيها النبي حرّض
المؤمنين على القتال ، تنبيها على محل الثقة ، بأن الفئة القليلة من أوليائه ، تغلب
الفئة الكثيرة من أعدائه ، وتداولك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله ، ولينصرن
الله من ينصره ، على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ، تعالى الله عن خذلان
جنده]^(٧) . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومُجتباه ، لهداية الخلق لسلك
سبيل الحق ، والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل : قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار ، تحريضا على أن يمحوا ظلام ضلالم بنور هداة . صلى الله عليه وسلم ، وعلى
آله الأبرار ، وأصحابه الأشداء على الكفار ، الذين جرّدوا في نصرة دينه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال كالأتي (وكافأ سميته الذي وقفه
على إقامة فرض الجهاد ونصره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونشكر الله على ما وهبنا من
الخلال) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الأحب) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (مراده) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال . وورد مقابلها في «الزيتونة» (وينهى) .

(٦) الزيادة من الزيتونة .

(٧) ورد مكان هذه العبارة في الزيتونة والإسكوريال ما يأتي (إنه إن خذله أفاض الكفر دماء) .

صَوَّارِمَ^(١) العزم ، وأَمْضُوا ظُبَاهُ ، وفتحوا ما زَوَّيْ له من مشارق الأرض ومغاربها ،
 حتى عمَّ الإسلام حدَّ المعمور ومنتهاه . فإنا كتبنا لكم . كتب الله لكم من سماع
 البشائر ما يعود بتحويل^(٢) الأحوال ، وأطلع عليكم من أبناء الفتوح ما يلوح بأفاق
 الآمال^(٣) ، مُبَشِّرًا بِالْيَمْنِ والإقبال . من قيجاطة ، وبركات ثقتنا بالله وحده ، تُظْهِرُ
 لنا عجائب مكنونات أَلْفَافِهِ ، وَتَجْنِيْدُنَا ثَمَارَ النَّصْرِ فِي إِبَانِ قِطَافِهِ ، وَتُسَحِّرُ^(٤)
 لنا وَرْدَ مَشْرِعِ الْفَتْحِ فَتَرِدُ عَذْبَ لُطَافِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَآنَ نَتَقَلَّدَ نَجَادَهَا ،
 وَنَمْتَلِي جَوَادَهَا ، وَنَسْتَوْرِي زَنَادَهَا ، وَنَسْتَفْتِحُ بِهَا^(٥) مَغَالِقَ الْمَآرِبِ ، [وَلَطَائِفَ
 الْمَطَالِبِ]^(٦) حَتَّى دَخَلْتَ الْمِلَّةَ الْخَنِيْفِيَّةَ فِي هَذِهِ الْجَزِيْرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، أَغْوَارَهَا
 وَأَنْجَادَهَا . وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ
 الْأَقْطَارِ . اشْتَهَارَ الصَّبْحُ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ ، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ
 كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَنَسْمَحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ،
 لَا لِبَعْضِ^(٧) دُنْيَا ، وَأَنَا مَا قَصَّرْنَا فِي الْاسْتِنْفَارِ وَالْاسْتِنْفَارِ [وَلَا قَصَّرْنَا عَنْ
 الْإِعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمَلْنَا مَعُونَتَهُ^(٨) وَالْإِسْتِظْهَارِ]^(٩) ، وَلَا اكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ
 الرِّسَالِ وَبِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، حَتَّى اقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا أُجْبِجَ الْبَحَارِ ، وَنَمْحَنَا بِالطَّارِفِ
 مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ [نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ]^(١٠) مَوْفُورِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . وفي «ج» (صارم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (بتمهيد) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الإيمان) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (وتسجل) . والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونستعمل مصاعب المطالب) .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (لغرض) .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (معاملته) . والأولى أرجح .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (نصر الله) .

واشترينا بما أنعم الله به علينا ، ما فَرَضَ الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد ، فلم يكن بين تلبية المدعو ورُده ، وبين قبوله وردّه ، إلا كما يحسُّو الطائر ماء الشَّاد ، وبأبي الله أن يسكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه ، وأن يجعل فيها سبباً^(١) إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه. ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية^(٢) إلى مناوئيه ، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباديهِ ؛ ألقينا إلى النقة بالله تعالى [وحده]^(٣) يد الاستسلام ، وشكرنا عن ساعد الجدِّ والاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام ، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَخْذَ الاعتزام ، فأمَدَّنَا الله تعالى بتوالي البشائر ، ونَصَرْنَا بِالطَّافِ أَغْنَى فِيهَا خُلُوصُ الضمائر عن قُوَاد^(٤) العساكر ، ونقلنا على أيدي قُوَادنا ورجالنا من السَّيَا والفنائم ؛ ما عُدَّ ذكره في الآفاق كالمثل السائر ، وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها ، وكيف يُحصيها المحصى أو يُحصُرُها الحاصر . وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتوح^(٥) سافرة أُلْهِيَّا. وَاَنْتَشَقْنَا [نسيم]^(٦) النَّصْرِ المُنَوَّحِ عِبْقِ الرِّيَا ، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا ، ونعم المُسْتَخَار ، وكتبنا إلى من قرب من عمالنا بالحض على الجهاد والاستينفار. وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد والمُطَوِّعِينَ ، وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين ، خرجنا بهم ، ونَصَرُ الله تعالى أهدى دليل ، وعناية الله بهذه الفئدة المفردة من المسلمين ، تقتضى^(٧) بتقريب

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (شينا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الغربية) والزيتونة (العربية) . والأولى أرجح بالنسبة للمعنى المقصود .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قود) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (الفتح) . والأولى أرجح وأكثر مشيئاً مع السياق .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (تقتضى) .

البعيد من آمالنا ، وتكثير القليل . ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق يفضى إلى بلوغ الأمنية والمأمول ، إلى أن حملنا عشية يوم الأحد ثانی يوم خروجنا بمقربة^(١) حصن اللقوة^(٢) ، فأدركنا به . التدبير ، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير ، فاقتضى الرأى المقترن بالرشد ، المؤذن بالإسعاد ، قصد قيجاطة [لما رجى من]^(٣) تيسير فتحها ، وأملا في إضاءة فجر الأمانى لديها ، وبيان صُبْحها ، فسرنا [نحوها]^(٤) في جيش ؛ يجر على المجرّة ذيل النقع المثار ، ويضيق عن كثرتة واسع^(٥) الأقطار ، ويُقر عين الإسلام ، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم]^(٦) بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار . فلما وصلنا إلى وادى يانه^(٧) على مقربة منها ، نزلنا به نريح الجياد ؛ ونسكل التأهب للقتال والاستعداد ، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم^(٨) الإحانة بتأييده والإمداد . وحين فجر الفجر وأنار النهار ، وقدحت به الأصباح زُند الأنوار ، ركبنا إليها والمساكر قد انتظمت عقودها ، والسيوف قد كادت تلمظها عُمودها ، وبصاير الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معبودها . فلما وصلناها ، وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبُوس ، وهتكوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (بمقربة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» . وفى الإسكوريال (اللقون) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (رغبة فى تيسير) .

وفى «الزيتونة» (من تيسير) .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (واسعة) وفى الإسكوريال (واسعت) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت بحرفة فى «ج» (يطير بهم ثباتهم) و«الزيتونة»

(يطير بهم ثباتهم) .

(٧) الإشارة هنا إلى نهر وادى يانه وبالإسبانية Guadiana ، الذى تقع قيجاطة على مقربة

من شرقيه .

(٨) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (يلهم) وفى الإسكوريال (يلهمهم) .

سِتْرَ عَصَمَتِهَا المحروس ، [وَأُذِنَ لَهَا] ^(١) بزوال النعم ، وذهاب النفوس ، فعاجلها الأولياء بالقتال ، وأهدوا إليها خمر المنايا من رُزْقِ النَّصَالِ ، [وَرَشَقُوا جنودها بالنِّبَالِ ، وَجَدُّوا بنات الآجال] ^(٢) ، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به ، لاذوا بالفرار من الأسوار ، وولّوا الأدبار ، وودّعوا الديار وما فيها من الآثار . وتَسَنَّم المسلمون ذِرْوَةَ البلد الأول فملكوه ، وخرقوا حجاب السِّتْرِ المسدول عليه وَهَتَّكُوهُ ، وتسرعوا إلى البلد الثاني ، [وقد ملأ النصرى أسواره] ^(٣) من حُماة رجالهم ، وانتقمهم من مُتَخَيَّرِي أبطالهم ، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم ، فحمل عليهم ^(٤) المسلمون حَمْلَةَ عَرَفُوهم بها كيف يكون اللقاء ، [وصَرَفُوهم إلى ما تنصرف إليه أدواهم من الشَّقَاء] ^(٥) ، وأظهروا لهم [من صدق العزائم] ^(٦) ما علموا به أن لدين الإسلام أنصاراً لا يرغبون بأنفسهم عن الذَّبِّ عنه وحماية راياته ، ولا يَصْدُرُونَ إلا إلى طاعة الله ابتغاء مَرْضَاتِهِ . وبادر جماعة إلى إضرار باب المدينة بالنيران ، وعقدوا تحت سماء العِجَاج منها سماء الدُّخَانِ ، ورموا النصرى [من النَّبَالِ] ^(٧) بِشَهْبٍ تتبع منهم كل شيطان . فهزم الله النصرى ، وولوا أدبارهم ، وقنف الله في قلوبهم الرعب ، فأخلُّوا بروجهم وأسوارهم ، وتَسَنَّمها المسلمون مُتَعَلِّين شعار الإسلام ، رافعين من الرايات ائْتَمَرُوا كواكب في سماء السَّعَادَةِ

(١) وردت في «ج» (وخذلوا) وفي «الزيتونة» (وأخرجها) . والتصويب من الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في الإسكوريال و«الزيتونة» كالاتي : (ورشقوا جردتها بمدنيات من الآجال) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (وقد ملئوا أسواره) . وفي الزيتونة (القصرالى) .

(٤) وردت في «ج» (عليه) . والتصويب من «الزيتونة» والإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في الإسكوريال والزيتونة كالاتي : (وأعلموهم بصدها أن أقرب الأحوال إليهم الشقاء) .

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (وأظهروا لهم من الصدق عن الغنائم) . والتصويب من «الزيتونة» والإسكوريال .

(٧) الزيادة من إسكوريال .

تُبَشِّرُ بتيسير كل مرام^(١) . ودخلوا المدينة ، فألفوا بها من القوت والعَتَاد ، والمتاع الفاخر ، الذي يربو على التَّعداد ، [ما ملأ^(٢)] كلَّ يمين وشمال ، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على السَّكَّال ، [وقتلوا بها من الخِلمة أعداء ، أبدوا فى حماية ضلالهم ماضى الفنا والاعتزام]^(٣) وأعملوا فيهم ماضى العوامل وشبَّ الإضرار . وارتفع النصارى إلى القَصَبَة لائذين بامتناعها ، مُتَّصِمِينَ بَعُلُوهَا وارتفاعها ، مُتَّخِطِينَ [لضلالهم ، وعدم استبصارهم]^(٤) أن نور الهدى لا يحلُّ بديارهم . فرأينا أن تُرْفَى الرجال إلى أبراج البلد وأسواره ، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على من اعتصم بالقصبة فى حصاره ، وعَمَدْنَا بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من الحلة المنصورة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق ، ولاح وجهه^(٥) الغزاة طارحاً شعاعه على الآفاق ، أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار ، وعيَّنَّا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشدَّ^(٦) البدار ، فأنهى المسلمون من ذلك [إلى غاية لم]^(٧) تَخْطُرُ للكافرين ببال ، وجرَّعُوهم كؤوس المنيا ، وأداروا بها بنات الحنايا ، فأفضت السَّجَّال^(٨) وأظهر الكفار ، مع وقوعهم فى بحر الموت صبرا وطمعوا ، أن يقيموا بذلك لصُلْبَانِهِم

(١) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (مراد) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وفى «ج» (فعلتوا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» مع تحريف يسير . ووردت فى «ج» كالأى (وقتلتوا من بها من أهل الضلال والظلام) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» (متخيلين لاستبصارهم فى ضلالهم) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» وفى الإسكوريال و«الزيتونة» (قرن) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (أوفى) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى «ج» (الذى لم) والأولى أنصح

وأنسب للسياق) .

(٨) الزيادة من الإسكوريال .

عُدُّوا . فلما رأوا من عَزَمْنَا ما لم تتخيله ظنُّوهُم وأوهامهم ، وصابرهم المسلمون عند
النَّزَالِ مصابرةً عَظُمَ فيها إقدامهم [وثَبَّتَتْ أقدامهم]^(١) ألْقُوا بأيديهم إلى
التَّهْلُكَةِ ، إلقاء [من هاله لِمَعَانِ الأَسِنَّةِ ، واهتزاز رُدِّيَّاتِ القَنَا]^(٢) ، ولاذوا
بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل ، بعد ما أشرف على الفناء وهبط زعيمهم ،
مقمتها خطر تلك المسالك ، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي
المهالك ، وشَرَطَ أن يَمْلِكْ كُنَا القُصْبَةَ . ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة
[والكَتِيْبَةِ]^(٣) المنتخبة ، فلم نظهر له عند ذلك قَبُولاً ، [ولم نجعل له]^(٤) إلى
تكميل ما رغب فيه سبيلاً ، فقادَه البأس الشديد إلى الإذعان ؛ ورغب أن يُسَكِّلَ
ما نريده على شرط^(٥) الأمان . فأسعَمْنَا رغبته على شروط ، بَعُدَ عَنْهُ المسلمون
بمثلها ، [وهَيَّئْتُ الأسباب بما نعتمده]^(٦) من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها ،
وذلك على كذا وكذا . وحين كَمُلْتُ الشروط حق التكميل ، وظهرت لنا
[منه]^(٧) إمارات الوفاء الجميل ، دخلنا القُصْبَةَ حماها الله ، وقد أغنى [يوم]^(٨)
النصر عن شَهْرِ السلاح ، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح]^(٩) ، ورُفِعَتْ
على أبراجها حُرُ الأعلام ، ناطقةً عن الإسلام ، بالتعريف والإعلام . وفي الحين
وجبنا من يَقْبِضُ تلك الحصون ، ويُرْزِل ما بها من جُرمٍ^(١٠) الكفر المأفون ، أمناه

(١) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ولا جعلنا له) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (شروطاً) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وهيأت أسبابها ما يعتمد) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٨) هذه الكلمة : ائدة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (عن فعل الصفايح) و«الزيتونة» (عن فعل

المصباح) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» وفي الزيتونة والإسكوريال (حريم) .

رجالنا . فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا ، وخففت
[عَلَمَ التَّثْلِيثِ] ^(١) ، ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للعلة الخفيفة على أعدائها
اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح [وإن كان] ^(٢) ساعى الفخر . باقى الذكر
بقاء الدهر ، فإننا لنرجو من فضل الله أن يُتبعه ^(٣) بما هو أعلى منه متانة ،
وأعظم ^(٤) فى قلوب أهل الإيمان موقعا وأعز مكانة ، وأن يرغم بما يظهر على
أيدينا من عز الإسلام ، أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح
العظيم وبشروا ، واشكروا الله عليه ، فواجب أن تشكروا . وقد كتبنا هذا ، ونحن
على عزنا فى غزو بلاد الكفار ، والسعى الحميد [إلى التنكيل بهم] ^(٥) والإضرار ،
والمسلمون أعزهم الله فى أرضهم يشنون المغار ^(٦) ، ويمتلكون الأنجاد منها
والأغوار ، ويكثرون القتل والأسار ، ويحكمون أينما نزلوا السيف والنار ،
[والسلام] ^(٧) .

ومن نثر آخر إجازة ما صورته :

[وها أنا أجرى منه على حسن مُعْتَقَدِهِ ، وأَكْبَلُهُ فى هذا الغرض إلى ماوآه
بمقتضى تَوَدُّدِهِ ، وأَجِيزَ له ولولديه ، أَقْرَأَ الله بهما عينه ، وجع بينهما وبينه ،
رواية جميع ما نقلته وحملته ، وحُسْنُ إطلاعه يُفْضِلُ من ذلك ما أبجلته ، فقد
أُطْلِقَتْ لهم الإذن فى جميعه ، وأَبْحَثُ لهم الحُلَّ عَنِ ، ولهم الاختيار فى تنويعه . والله
سبحانه وتعالى يُخْلِصُ أعمالنا لذاته ، ويجعلها فى ابتغاء مُرَضَاتِهِ . قال هذا محمد بن

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (علما) . وفى الإسكوريال (للشرك علما) .

(٢) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (يشفعه) .

(٤) هكذا فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (وأسى) .

(٥) هكذا فى «ج» . وفى الزيتونة والإسكوريال (فى القلع بهم) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الغارات) . وفى الإسكوريال (المغوار) .

(٧) واردة فى «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة فى «ج» .

عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عز وجل ، ومصلياً ومسلماً^(١) .

وفاته

قُتل رحمه الله صبيحة عيد الفطر من عام ثمانية وسبعائة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه . واستولت يد الغوغاء على منازلها ، شغلهم بها مدبر الفتنة ، خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره . فضاع بها مال لا يُكتب ، وغرور لا يعلم لها قيمة من الكتب ، والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخزائن ، وأخفرت ذمته ، وتعمد به عُدوة القتل إلى المثلة ، وقانا الله مصارع السوء ، فطيف بشلوه ، واتهب فضاع [ولم يُقبر]^(٢) ، وجرت فيه شناعة كبيرة ، رحمه الله تعالى .

مولده

بُرُنْدَة ظهر يوم الإثنين الحادى والعشرين من ربيع الأول المبارك ، من عام ستين وستائة^(٣) . ومن رثاه شيخنا أبو بكر بن شيرين رحمه الله تعالى بقوله :

[سقى الله أشلاء كرم من على البلى	وما غص من مقدارها حادث البلى
وما شجاني أن أهين مكانها	وأهل قدر ما عهدناه مهمل
ألا أضيق بها يادها أنت صانع	فما كنت إلا عبدها المتذلل ^(٤)
سفكت وما كان الرقوء نواله	لقد جنتها شنعاء فاضحة الملا
يكفى سبني أروق العين مطرق	عدا فعدا في غيّه متوغلا
لنعم قتيل القوم في يوم عيده	قتيل تبكيه الكارم والملا

(١) هذه الفقرة التي بين الخاصرتين وردت فقط في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (فلم يجر) والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .

(٣) هذه الفقرة الخاصة بمولد ابن الحكيم لم ترد في «ج» . ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من القصيدة في «الزيتونة» .

إلا إن يوم ابن الحكيم لمُسْكِلٌ
فَقَدَّناه في يوم أغرَّ مُحَجَّلٌ
مَمَّتْ نحوه الأيام وهو عَمِيدُها
تعاوَرَتِ الأسياف منه مُمَدَّحًا
وخانته رِجْلٌ في الطَّوافِ به سَعَتٌ
وجَدَلٌ لم يَحْضُرْهُ في الحَيِّ ناصِرٌ
يد الله في ذلك الأديم مُزَقًّا
وَمِنْ حَزَنِي أَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ مَلْجَأًا
رُؤْيَدُكَ يا مَنْ قد غدا شامِتًا به
وكنا نُفَادِي أو نُراوِحُ بابَه
ذَكَرناه يوماً فاستَهَلَّتْ جفوننا
وما زج منه الحزن طول اعتبارنا
وهاج لنا شَجْوًا تَذَكُّرُ مجلسٍ
به كانت الدنيا تُؤخر مُدْبِرًا
لِتَبْكِ عيونُ الباكيات على فتي
على خادم الآثار تُتلى صَحَائِحُها
على عَضِدِ المُلْكِ الذي قد تَضَوَّعت
على قاسم الأموال فينا على الذي
وأني لنا من بعده مُتَعَلِّلٌ
ألا يا قَصِيرَ العُمْرِ يا كَامِلَ العُلا
يسوء المصلي أن هَلَسَكَتْ ولم تُقَمِّ

فَوادى فما ينفكُّ ماعشتُ مُشْكَلًا
ففي الحَشِيرِ نلقاه أغرَّ مُحَجَّلًا
فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الوَلا
كريمًا سحافوق السَّما كين مَنزِلًا^(١)
فناء بِصَدْرِ العلوم تحمُّلاً
فمن مُبْلَغِ الأحياء أن مُهْلِكًا
تبارك ما هَبَّتْ جنوبًا وشَمَالًا
له فأرى للترَّبِ منه مقبلاً
فبالأمس ما كان العمد المُوَمَّلًا
وقد ظلَّ في أوج العُلا مُتَوَقِّلًا
بدمع إذا ما انحَلَّ العام أخَصَلًا
ولم نَدْرِ ماذا منهما كان أَطْوَلًا
له كان يَهْدِي الحَيِّ والمَلَأَ الأُلى
من الناس حَتَمًا أو تُقدِّم مُقْبَلًا
كريم إذا ما أَسْبَغَ العُرفُ أَجْزَلًا
على حامل القرآن يُتلى مَفْصَلًا
مكارمه في الأرض مِنسَكًا ومُتَدَلًا
وضَعنا لَدِيهِ كلِّ إصْرٍ على علا
وما كان في حاجاتنا مُتَعَلِّلًا
يَمِينًا لقد غادَرَتْ حُزْنًا مؤثَّلًا
عليك صلاةٌ فيه يشهدُها المَلَأ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (مرحلا) . والأول أرجح .

وذاك لأن الأمر فيه شهادة
فيا أيها اللئيت الكريم الذى قضى
لتنهل من رب السماء شهادة
وثبتك عن حب نوى فى جوانحي
ويارب من أوليته منك نعمة
تناسك حتى ما تمر بيباله
يرابض فى مشواك كل عشية
لكن الله من ينسى الأذمة وافضاً
حنانيك يا بدّر الهدى فلشدّما
وكنت لآمالى حياة هنيئة
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى
فانت الذى آويتنى متغرباً
[فإن لم أنل منك الذى كنت آملاً
فأليت لا ينفك قلبى مكمّداً
وسنتها محفوظة لن تبدلاً
سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
تلاقى ببشرى وجهك المتهللاً
فما ودّع القلب العميد [وما قلاً] (١)
وكنت له ذخراً عتيداً وموتلاً
ولم يدكر ذاك الندى والتفضلاً
صيف شواء أو قديداً معجلاً
ويذهل مهما أصبح الأمر مشكلاً
تركت بدور الأفق بعد أفلاً
فغادرت منى اليوم قلباً مقتلاً
على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
وأنت الذى أكرمتنى متطفلاً
فما كنت إلا الحسین المتفضلاً] (٢)
عليك ولا ينفك دمعى مُسبلاً

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى (٣)

من أهل وادى آش، وسكن غرناطة .

حاله

فقيه أديب مُتعلِّب ، متفنن فى علوم حجة ، شاعر مطبوع ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا فى «وج» . وفى الإسكوريال (ولا قلاً) .

(٢) هذا البيت زائد فى الإسكوريال .

(٣) هذه الترجمة واردة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

مدح الأمير على بن يوسف اللحتوني بقوله :

رحلوا الركائب موهناً فأذاع عُرْفُهُم السَّنا
والخلى قد أغرى بهم لما ترنم مُعلنا
كم حفت حول حِمام من كل خطار القنا

قال أبو جعفر بن الزبير ، ينفك منها قصايد :

رحلوا الركاب موهناً ليكتموا ظعن الحول وهل توارى الأنجم
فأذاع سرهم السنا ووى بهم فل الذميل شذام المنسم
كم حفت حمل قباهم وركابهم من ليث غاب في برائه الدم
من كل خطار القنا مموه بين الرحيل نصبه يستسلم
وهي طويلة ، خاطب بها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . وقال

في وصف القصيدة :

أيا ملكا يسمو بسعد مساعد وقدر على علو الكواكب صاعد
نظمت قصيداً في علاك مضمناً ثلاث قواف في ثلاث قصايد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإن وصلت كانت ككعب وساعد
فأجازه بظهير كريم بتحرير ماله وتنويهه .

محمد بن عبد الرحمن ^(١) المتأهل

من أهل وادي آش يعرف ^(٢) بعمامتي

حسالة

من التاج : ناظم أبيات ، وموضح غرر وشعبيات ، وصاحب توقعيات

(١) هكذا وردت في أواخر الجزء الأول من مخطوط الزيتونة . ووردت في الإسكوريال

(عبد الرحيم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (المعروف) .

رفيعات ، وإشارات ذوات شارات : وكان شاعراً مكشّاراً ، وجواداً لا يخاف^(١)
عِشَاراً . أُدْخِلَ عَلَى أمير بلده المخلوع عن مُلْكِهِ ، بعد انتشار^(٢) سِلْكِهِ ، وخروج
الحُضْرَةِ عن مُلْكِهِ ، واستقراره بوادي آش ، مروع^(٣) البَال ، معللاً بالأمال ،
وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته ، فأنشده من ساعته :

خَنَمَا إِلَيْكَ طَبْرَنشَا شَفَعُ بِهَا وَادِي الْأَشَا
وَالْأُمُ تَتْبَعُ بَنَتَهَا وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَا
ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة :

أُنَلِّنِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خُطَّةً تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتَكْسِبُنِي عِزًّا
فَاعْتَرِ فِي أَهْلِ كَمَا اعْتَرَبَ بَيْدَقُ عَلَى سَفَرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا انْتَفَى فِرْزَا
فوقع الأمر بظهور رقعته ، ما ثبت في حرف النون عند ذكره ، والاحتجاج
بفضله .

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمائة . وفد على الحضرة مرات كثيرة .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طُفَيْلِ الْقَيْسِي
من أهل وادي آش ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يخلف) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (استنثار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (موروع) .

حاله (١)

كان عالماً ، صدراً ، حكيماً ، فيلسوفاً ، عارفاً بالمقالات والآراء ، كلماً بالحكمة
المشرقية ، محققاً ، منصوفاً ، طيباً ماهراً ، فقيهاً باوع الأدب ، ناظماً ، ناثراً ،
مشاركاً في جملة من الفنون .

مشيخته

روى عن أبي محمد الرشاشي ، وعبد الحق بن عطية وغيرهما .
حُظوته ودخوله غرناطة
اختصّ بالريس أبي جعفر ، وأبي الحسن بن ملّحان . قال ابن الأبار في تحفته ،
وكتب لوالى غرناطة وقتاً .

تو اليقه

رسالة حتى بن يقظان ، والأرجوزة الطيبيّة المجهولة ، وغير ذلك .

شعره

قال ، وهو القائل من قصيدة في فتح قفصة سنة [ست وتسعين] (٢) وأنفذت
إلى البلاد :

ولما اتقضى الفتح الذي كان يُرتجى وأصبح حزب الله أغلبَ غالب
وانجزنا وعدّ من الله صادق كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب

(١) واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وهو تحريف ، وصحته (ست وسبعين) أعنى
عام ٥٧٦ هـ وهو العام الذي افتتح فيه الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة ، التي خرجت
على طاعته ، وكان في ركابه طييبه الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له . وقد أنفذت قصيدة ابن طفيل
مع رسالة الفتح التي يشت إلى البلاد .

وأذن من عليا هلال بن عامر
وهبوا إذا هب النسيم كما سرى
ينص بهم عرض الفلا وهو واسع^(١)
كان بسط الأرض حلقة خاتم
ومد على حكم الصفار لسلما
يصرح بالرويا وبين ضلوعه
وعى من لسان الحال أفصح خطبة
وأبصر متن الأرض كفة حامل
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
إلى بقعة قد بين الله فضلها
على الصفوة الأذنين مناجية
وله أيضا :

ألمت وقد نام الرقيب^(٢) وهو ما
وراح إلى نجد فرحت منجدا
وجرت على تراب المخضب ذيلها
تناقله أيدي التجار لطيمة
ولما رأت أن لا ظلام يجنحها
سرت^(٤) عذبات الربط عن حر وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظلمها^(٥)

(١) وفي بعض النصوص تروى هذه الشطرة كالألق (يفص بهم عرض الفيافي وطولها) .
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب لعبد الواحد المراكشي (المشيخ) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (إلى الوادي) .
(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المعجب (نفت) .
(٥) وردت هذه الشطرة في المعجب كالألق (فأبدت محيا يدهش المتوسما) .

فكان تجليها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولم أدت زهر الكواكب أنها هي النير الأسمى وإن كان باسما
بكت أسفا أن لم تفر بجوارها وأسعدتها صوب الغمام فأسجما
فجأت يمش القطر ريان بردها فتنفذه كالدر فذا وتوأما
يضم علينا الماء فضل زكاتها كل بل سقط العلى نورا مكمما
ويقتن نضح الغيث طيب عرفها نسيم الصبا بين العرار مذمما
جلت عن ثناياها وأوهض برقها^(١) فلم أدر من شق الدجنة منها
وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر وجدا^(٢) أينما كان أسجما
ونظم سيمى ثغرها ووشاحها فأبصرت ذر الثغرا حلى وأنظما
تقول وقد ألممت أطراف كهها يدي وقد أنعت أنخصها الغما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً يسهل صعباً أو يؤخس ماثماً
فأقصرت لا مستغنياً عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما^(٣)
وقال :

أذكر إذ مسحتُ بفيك عيني وقد حل البكا فيها عقوده
ذكرت بأن ويقك ماء وُرد فقابلت الحرارة بالبروده
وقال :

سألت من الملية بُرء داني برشف برودها العذب المزاج
فما زالت تتجلى في جنوني وتبهرني بأصناف الحجاج
وقالت إن طرفك أصلاً لدائك فليدّم في العلاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (بارق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (دما) .

(٣) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان^(١) جنازته .

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله

ابن عيَّاش التُّجِيبِي البُرْشَانِي

من أهل حصن بُرشانة^(٢) المحسوب في هذه العمالة ، يكنى أبا عبيد الله ،
كاتب الخلافة .

حاله

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك^(٣) ، كان كاتباً بارعاً ، نصيحاً ،
مُشرفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات الآداب ، جزلاً ، سرىَّ الهمة ، كبير المقدار ،
حسن الخلق ، كريم الطباع ، نفاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلبه العلم ،
والسعي الجليل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصاده ، مستعيناً على ذلك بما نال من
الثروة والحظوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المزن ، إذ كان صاحب
القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمسكنة لديهم ، قاصداً
الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاريق أحوالهم ،
إلا بكلام مُعَرَّب ، وربما استعمل في مخاطبته قديمته وأمثه ، من حوشي الألفاظ ، مما لا يكاد
يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألفتها واستمرت
حاله عليها .

(١) المقصود بالسلطان هنا . هو الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، وكان ابن طفيل طبيبه
الخاص ، وصديقه الأثير لديه .

(٢) برشانة وبالإسبانية Purchina بلدة تقع على نهر المنصورة شمال المرية وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة» . وقد سبق التعريف به .

شيوخه

روى عن أبي عبد الله بن حميد ، وابن أبي القاسم [الشهيلي] ^(١) ، وابن حَبِيش ، [وروى عنه بنوه أبو جعفر ، وأبو القاسم ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر ابن عثمان ، وأبو القاسم البلوى] ^(١) .

تأليفه

له اختصارٌ حسن في إصلاح المنطق ، ورسائل مشهورة ، تناقلها الناس ، وشعرٌ يُحسِن في بعضه .

جاهه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوى ، قال كنت أحيث إليه ، وأشفع عنده في كبار المسائل ، فيسرع في قضائها . ولقد عرّضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مهمّةً كبيرة ، وجب على السعى فيها ، والتماس قضائها وفاء لربها ، ولم يكن لها إلا ما قدّرتُ من حسن نظره فيها ، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها ، وكان قد أصابه حينئذ التّياثُ لَزِم من أجله داره ، ودخلت عليه عابداً ، فأطال السؤال عن حالي ، وتبسّط معي في الكلام ، مبالغاً في تأنيسي ، فأجلت ذكر الحاجة ، ورغبت منه في الشّفاعَة عند السلطان في شأنها ، وكان مضطجماً ، فاستوى جالساً ، وقال لي ، جهل الناس قدّري ، وكرّرها ثلاثاً ، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ، هات الدّواة والقرطاس ، فناولته إياها ، فكتب برغبتي ، ورفعها إلى السلطان ، فصُرِف في الحين مُعلّماً ، فاستدعاني ، ودفعه إليّ ، وقال يا أبا القاسم ، لا أرضى منك أن تُحجّم عني في التماس قضاء حاجة تعرّضت لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة ، كبرت أو صغرت ، فألترّم قضاءها ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في الإسكوريال .

وعلى الوفا ، فإن لكل مكسب زكاة ، وزكاة الجاه بذله .
 وحدثنى شيخى أبو الحسن بن الجيّاب ، عن حدثه من أسيّاخه ، قال ، عرض
 أبو عبد الله بن عيّا ش والكتاب ابن القالى ^(١) على المنصور كتابين ، وهو فى بعض
 الغزوات ، فى كسب البرد ، وبين يديه كانون جمر . وكان ابن عيّا ش بارع الخط ،
 وابن القالى ركيكه ، ويفضله فى البلاغة ، أو بالعكس الشك منى . وقال المنصور
 أى كتب لو كان بهذا الخط ، وأى خط لو كان بهذا الكتاب ، فرضى ابن
 القالى ، وسخط ابن عيّا ش . فانتزع الكتاب من يد المنصور ، وطرحه فى النار
 وانصرف . قال ، فتغير وجه المنصور ، وابتدر أحد الأسيّاخ ؛ فقال يا أسير
 المؤمنين ، طعنتم له فى الوسيلة التى عرفته ببابكم ، فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب
 الموصول إليكم . فسرّى عن المنصور ، وقال لأحد خدامه ، اذهب إلى السبي ،
 فاختر أجمل نساء الأبرار ؛ وأت با بن عيّا ش ، فقل له هذه تطفى من خلمك .
 قال ابن عيّا ش يخاطب ولده ، وقد حدثت الحديث : هى أمك يا محمد
 أو فلان .

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورة الدالة على جلالة قدره

قال ابن خيس ؛ حدثنى خالى أبو عبد الله ابن عسكر ، أن الكاتب
 أبا عبد الله بن عيّا ش ، كتب يوماً كتاباً ليهودى ، فكتب فيه ، ويحمل على
 البر والكرامة . فقال له المنصور ^(٢) ، من أين لك أن تقول فى كافر ، ويحمل
 على البر والكرامة . فقال ففكرت ساعة ، وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى ،
 فقلت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذا أتاكم كريم قوم ، فأكرموه ؛

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ابن القالى) .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة فى الإسكوريال الكلمات الآتية (فكرت ساعة وقد علمت) . وهى
 مكررة وقد جاء مكانها بعد .

وهذا عام في الكافر ، وغيره . فقال نعم هذه الكرامة ، فالبيرة أين أخذتها ، قال فسكت ولم أجد جوابا ، قال فقرأ المنصور ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا ينهاكم الله عن الدين ، لم يقانلونكم في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبزؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب الْمُقْسِطِينَ » . قال فشهدت بذلك ، وشكرته .

شعره

من شعره :

بأنسية بَيْتِي عن العلياء سَلَوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَجْنَ لَزَهْرِكَ
وكيف يجبُ المرءُ داراً تَقَسَّمتْ على صَارِمِي جِدْعٍ^(١) وَفِتْنَةٍ مُشْرِكِ

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في « زاد المسافر » عند اسم ابن عِيَّاش ؛ قال ، اجتمعنا في ليلة بمرّاكش ، فقال أبو عبد الله ابن عِيَّاش :

وليلةٌ من ليالي الصَّفْحِ قد جمعت إخوانَ صِدْقٍ ووصلُ للدهر غيرُ مُخْتَلِسٍ
كانوا على سُنَّةِ الأيامِ قد بعدُوا فَأَلَفْتُ بينهم لو ساعد الغَلَسُ
وقال من قصيدة :

أَشْفَاها^(٢) أُمُّ صَارِمٍ الحُجَّاجِ وَجُفُونُهَا أُمُّ فِتْنَةٍ الخَلَّاجِ
فإذا نظرتَ لأَرْضِهَا وسَمَائِهَا لم تَلَفْ غيرَ أَسْنَةٍ وَزُجَّاجِ

وقال في المصحف الإمام ، المنسوب إلى عثمان بن عفان ، لما أمر المنصور بتَحْلِيلَتِهِ بنَهْيَسِ الدَّرُّ من قصيده :

(١) وردت في الإسكوريال (جوع) والتصويب من « الزيتونة » .

كلمات في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (بأشفاها) .

وَنَقَلَتْ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ ذَخِيرَةً كَانَهُمْ كَانُوا بِرَسْمٍ مَكْلُوبِهِ
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ قَدْ أَخَذُوا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَالْبَسْتَهُ الدَّرَّ وَالْيَاقُوتَ حِلْيَةً وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ

كتابه

قال ابن سعيد^(١) في المرقصات والمطربات ، أبو عبد الله بن عيَّاش ،
كاتب الناصر وغيره ، من بني عبد المؤمن ، وواسطة عقد ترسيله ، قوله
في رسالة كتبها في نزول الناصر على المهديَّة بجرًّا وبرًّا ، واسترجاعها من
أيدي المُلثمين^(٢) :

وَلَمَّا حَلَلْنَا عُرَى السَّفَرِ ، بَأْنِ حَلَلْنَا حِمَى الْمَهْدِيَّةِ ، تَنَاضَلْنَا بِأَنْ تَسْكُونَ لِمَنْ
حَلَّ بِسَاحَتِهَا هَدِيَّةٌ ، فَأَحْدَقْنَا بِهَا إِحْدَاقَ الْهَدَبِ بِالْعَيْنِ ، وَأَطْرَقْنَا لِحُتْلَسِ
وَصَالِحِ غُرْبَانِ الْبَيْنِ ، فَبَانَتْ بِلِيلَةَ بَاسِنِيَّةٍ^(٣) ، وَصَابَحَ يَوْمًا صَاحْتَهُ فِيهِ يَدُ الْمَنِيَّةِ .
وَلَمَّا اجْتَلَيْنَا مِنْهَا عُرُوسًا ، قَدْ مَدَّ بَيْنَ يَدَيْهَا بِسَاطَ الْمَاءِ ، وَتَوَجَّهَتْ بِالْهَلَالِ ، وَقَرَّطَتْهُ
بِالثَّرْيَا ، وَوُشَّجَتْ بِنُجُومِ السَّمَاءِ ، وَالشَّجَبَ تَسَحَّبَ عَلَيْهَا أُرْدَانُهَا ، فَتَرَدَّدَتْ بِهَا تَارَةً
مُتَأَشِّمَةً ، وَطُورًا سَافِرَةً ، وَكَأَنَّمَا شُرُفَاتُهَا الْمُشْرِفَةُ أَنْامِلُ مُحْضَبَةٍ بِالْدِّيَابِجِي ،

(١) هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي ، وأصله من سادة قلعة
يحصب من أعمال غرناطة . وهو سليل أميرة من الأدياء تعاقبت في تصنيف مؤلف أدبي وتاريخي ضخم
أتمه علي بن موسى آخر من نبغ من الأسرة ، وهو يضم كتابين كبيرين هما «المشرق في حلى المشرق»
«والمغرب في حلى المغرب» وموضوعهما الحديث عن فضائل مدن المشرق والمغرب . ولابن سعيد
كتب أخرى منها «المرقص والمطرب» ، و«الطالع السعيد في تاريخ بني سيد» و«ملوك الشعر» ، وغيرها .
ولده سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٣ هـ . وروى ترجم له ابن الخياط ، فيما بعد .

(٢) يقصد بالملثمين هنا بنو غانية . سادة ميورقة ، وأولياء المرابطين (الملثمين) . وكانوا
قد غزوا إفريقية ، في أواخر القرن السادس الهجري . واستولوا على معظم قواعدنا ومنها ثغر المهديَّة ،
الذي استرده الموحدون من يحيى بن غانية الميورقي في سنة ٦٠٢ هـ ، في عهد الخليفة الناصر بن مقبوض
المنصور .

(٣) هكذا وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال كلمة محرفة رسمها (مابنية) .

مُخْتَمَةً بالسكاك الزاهرة، تُصْحَى عن شَذَبٍ لا تزال تُقْبَلُهُ أفواه المجانيق،
وُحْشِي بِاسْمَةٍ عن لعسٍ، لا تَبْرَحُ تَرْشِفُهُ شِفَاهُ سِهَامِ الحريق . خَطَبْنَاهَا،
فَأَرَادَتِ التَّنْبِيهَ على قَدْرِهَا، والتَوْفِيرَ في إِعْلَاءِ مَهْرِهَا، ومن خَطَبَ الحسناء،
لم يُغْلِه المَهْرُ، فتمنعت تَمَنُّعَ الْمُقْصُورَاتِ في الخيام، وأطالت إعمال العامل
في خِدْمَتِهَا، وتجريد الحسام، إلى أن تَحَقَّقَتْ عِظَمَ مَوْقِعِهَا في النفوس، ورأت^(١)
كثيرة ما أُلْقِي لها من نِشَارِ الرُّؤُوسِ، جَنَحَتْ إلى الإِحْصَانِ بعد النُّشُوزِ، ورأت
اللَّجَاجَ في الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فَأَمَكَّتْ زَمَانَهَا من يَدِ خَاطِبِهَا،
بعد مطاولة خَطِيبِهَا وخِطَابِهَا، وأَمْتَمَتْهُ على رَغَمِ رُقِيَّهَا بعِناقِهَا، ورَشَفِ رُضَائِهَا،
فَبَانَتْ مُعْرَسًا، حيث لا حِجَالُ إِلَّا من البُنُودِ، ولا خُلُوقُ إِلَّا من [دَمَاءِ]^(٢)
أبطال الجنود، فأصبح وقد تَلَأَّتْ بِهِنَّه البشائر وجوه الأفكار، وطارت بِمَسَارِهَا
سَوَائِحُ البراري، وسَوَانِحُ البحار . فالحمد لله الذي أَقَرَّ الحقَّ في نَصَابِهِ،
وَاسْتَرْجَعَهُ من أَيْدِي غُصَّابِهِ، حَمْدًا يَجْمَعُ شَمْلَ النِّعَمِ، وَيُلْقِيهَا كَمَا تُلْقِيهِ الرِّيحُ
الدَّيْمَ، فَشَنَّفُوا الأَسْمَاعَ بِهِنَّه البشائر، وَاَمْلَأُوا الصُّدُورَ بِمَا يَرُويهِ لَكُمْ من أَحَادِيثِهَا
كلَّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ، فهو الفَتْحُ الذي تَفْتَحُ لَه أَبْوَابُ السَّمَاءِ [وعَمَّ الخَيْرَ واليَمينَ
بِهِ] ^(٣) بِسَيِّئِي الشَّرِّقِ والمَاءِ، فَشَكَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَرَضَهُ، في كلِّ قَطْرِ من
أَقْطَارِ الأَرْضِ .

دخل غرناطة، مُرْتَادًا، ومُتَعَلِّمًا، وَجُنْتَازًا .

مولده : بُيْر شَانَةَ بِلْدَةٍ، عام خمسين وخمس مائة .

وفاته : توفي بمراكش في شهر رجب الفرد من عام ثمانية عشرة وستاية،

رحمه الله .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وزادت) وهو تحريف .

(٢) واردة في الإسكوريال، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن تلي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني^(١)
من أهل وادي آش ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان محدثاً حافظاً ، راويةً مسكناً ، ثقةً ضابطاً ، شهر
بمحفظ كتب كثيرة ، من الحديث ، وغيره ، ذا نظر صالح في الطلب ، أديباً
بارعاً ، كاتباً بليغاً ، مكثراً لجيده ، سريع البديهة في النظم والنثر ، والأدب
أغلب عليه . قال أبو القاسم بن المواعيني ، ما رأيت في عباد الله ، أسرع
ارتجالاً منه .

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ، وأبي بكر بن زرقون ،
وابن قيد ، وابن إبراهيم بن المل ، وابن النعمة وصحبه^(٢) ، ولقيه بمراكش ،
ووليد بن موفى ، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة ، ولازمه أزيد من ست
سنين ، وأكثر عنه ، وابن العمرسى ، وأبي العباس بن إدريس ، والخروفي ،
وتلا عليه بالسمع ، وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيراً ، وابن
مضاء ، وأبي علي بن عرب ، وأبي القاسم بن حبيش ، وابن عبد الجبار ،
وأبي محمد بن سهل الضرير ، وعاشر وقاسم بن دحمان ، وأبي يوسف بن طلحة .
وأجازله أبو بكر بن العربي ، وابن خير ، وابن ممدلة . وابن تمارة ،

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، وساقطة في «الزيتونة» و«ج» .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونجبد) ، وهو فيما يبدو تحريف اقتضى التصويب .

وأبو الحسن شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل مفرج بن سلامة،
وأبو عبد الله حفيد مكي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن
أحمد السالمي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله وأبو مروان
البيضاقي، وابن قزمان، وأبو الوليد بن حجاج.

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو الحسن بن محمد بن بقر الغساني، وأبو
عبد الله محمد بن يحيى السكري، وأبو العباس النبائي، وأبو عمرو بن عبيد،
وهو أسن منه وأبو الكرم جودي.

توابعه

صنّف في الأدب مصنّفات منها « بهجة الأفكار » وفرصة التذكّر،
في مختار الأشعار، ومباشرة ليلة السّفح، ومقالة في الإخوان، خرّجها من شواهد
الحكم، ومصنّف في أخبار معاوية، والدر المنظم في الإحسان العظيم، ومجموع في
الأنغاز، وروضة الحقائق في تأليف الكلام الرائق، مجموع نظمته ونثره، وملقى
السبل في فضل رمضان، وقصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وخطرات
الواجد في رثاء الواحد، ورجوم الإنذار بهجوم العذار، إلى غير ذلك.

محبته

غرّبه الأمير ابن سعد^(١) من وطنه، وألزمه سكنى مرسية، ثم بكنسية.
ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع وستين وخمس مائة، عاد إلى وطنه
واستقر به يفيدة الديّة، إلى آخر عمره.

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش الجندى أمير بلسية ومرسية، وقد سبق أن ترجم له
ابن الخطيب فيما تقدم (ص ١٢٠ - ١٢٧).

شعره

وشعره كثير . فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر صحابته :

سأقتك هاتفةً على نغماتها	بالهضبِ هضبِ زرود أو تلعاتها
فيبين نفثُ السحر في نفثاتها	مصدورة تغتن في جيعها
جَنَحَ الدُّجَا سَيَّانٌ في ذكراتها	إن راغها راد الضحى أو راعها
والموت في يَقطَّاتها وسنَّاتها	هنا يُمَتَّعُها وذاك يشوقها
نضحت فزَّورُ الطيفِ برُح شِكَاثها	ولولا التَّغَلُّلُ بالسَّكرَى يَنْتَابُها
خرزاً تثير النهب في كراتها	لسكن بين جُفونها وهِنَامها
يَلْقَى الرِّيحَ بِمُلْتَقَى هَبَّاتها	وإن ندمت لها به فتقول مَنْ
كَنَفًا وَيَلْشَمُها المني زهراتها	مَطْلُولة الفرعين يُلحفها الرُّبى
لِغِيَاضها من جُحْتى نَجَلاتها	وتُسَيِّغها ماء النخيلة جُرْعَةً

منها :

بالواضحات الغرُّ من آياتها	يا من تبلِّج نوره عن صادع
وسدًا فغالت مستدام حياتها	يا شارعاً في أمّة جعلت به
حيث الشَّباب برفٌ في جَنَّاتها	في دار خُلْدٍ لا يَشيب وليدُها
وشيمُ الرِّيحان من جَنَبَاتها	وتنشم الرُّضوان في أكنافها
بأكنفها يا مُنتهى عليّاتها	يا مُصْطَفَاها مُرْفِعُ قدرها
يا هاشمُ الصُّلبان في نزواتها	يا مُنتَقَاها من أرومة هاشم
يا يافعاً للعرب في جَمراتها	يا خاضِداً للشُّرك شوكة حزبه

قلت ، نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه . إلى أن قال ، وهى طويلة ، قلت وثقيلة الروح . ولقد صدق في قوله .

ومن شعره :

يَا بَدْرُ زَيْتِمٍ طَالَمَا فِي الْحَشِيِّ
حُطَّكَ مِنْ قَلْبِي تَعْدِيْمُهُ
بَرْحَ بِي مِنْكَ أَوَانِ الْمَغِيبِ
وَحَظُّهُ مِنْكَ الْأَمْسَى وَالْوَجِيبِ
فَنَ يَكُنْ يُزْهِى بِلِبْسِ الْمُنَى
فَإِنْ زَهْوَى بِلِحَاسِ الْمُحِيبِ
فِي سَاعَةِ قَصْرِ أَنْيَابِهَا
غَيْبُهُ لِي وَحُضُورِ الرَّقِيبِ
لَعَلَّ مِنْ بَاعِدٍ مَا بَيْنَنَا
يُفَرِّجُ الْكَرْبَةَ عَمَّا قَرِيبِ
[وقال^(١) :

رَأَوْا الْقِيَابَ بِأَدْمَعَ مَفْضُوضَةٍ
فَلَانْفُسَ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ حَبِيبَةٍ
ذَوَى لِلْفِرَاقِ وَأَكْبَدِ تَتَصَرَّمِ
وَالْقَلْبِ فِي إِثْرِ الْوَدَاعِ مُقَسِّمِ
هَلْ لِي بِهَسَاتِيكَ الظُّبَا الْمَاعَةِ
أَمْ هَلْ لِدَاكِ السَّرْبِ كَمَلِّ يُنْظَمِ
حَقًّا فَقَدْتُ الذَّاتَ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ
فَالشَّخْصَ يُوجَدُ وَالْحَقِيقَةَ تَعُدُّمِ

وفاته

توفي ببلده لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمس مائة . قال أبو القاسم
المواعيني ، عَرَفَ فِي مَشْيِهِ فَسْقَطَ ، فَكَانَ سَبَبَ مَمَاتِهِ ، وَدَخَلَ غَرْنَاطَةَ ، فِي غَيْرِ
مَا رُجِّهَتْ مِنْهَا ، وَارْوَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْفَرَسِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَحْوَاظِهَا
وَبُيُوتِهَا .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري^(٢)
من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من كتب الإلكيل ما نصه : ممن شكَّله البراعة ، وفقدته البراعة ، تأدب

(١) وضعنا هذه الكأمة لاختلاف الشعر .

(٢) وردت لمحمد بن خاتمة الأنصاري أيضا في «الزيتونة» ترجمة مؤبزة لا تعدو أربعة عشر سطرا .

بأخيه^(١) ، وتهذب ، وأراه في النظم المذهب ، وكساه من التفهيم والتعليم البرد
المذهب ، فاقتنى واقتدى ، وراح في الخلبة واغتدى ، حتى نبُل وشدا . ولو أمهله
الدهر لمبلغ المدا . وأما خطه فقيد الأَبصار ، وطُرْفَة من طُرَف الأمصار ، واعتبط
يانع الشَّيبة ، مُخَضَّرُ السَّكِينَة .

شعره

كفوا الملام فلا أضغى إلى العَدَلِ عقلى وسمعى عن العَدَلِ فى شغل
[يقول فى هذه القصيدة :

هَزَلُ الحُبِّة جدُّ والموان هوى والصبُّ يتلف بين الجدِّ والهزل
مَنْ مُسْعِدٍ وفؤادى لا يساعدى أو مَنْ شَفِيعٍ وذُلٌّ ليس يشفع لى
أَعْلَى النَّفسِ بالآمالِ أَطْمِعُهَا حتى وَقَعْتُ مِنَ التَّعْلِيلِ فى عِلَلِ
لئن كنت تجهل ما فى الحبِّ من بَحْنٍ أنا الخبير فغبرى اليوم لا تسكِ
أنا الذى قد حَلَبْتُ الحبَّ أَشْطَرَهُ فلم يُبْدِنِ لى لا حولى ولا حِيسِ
لا أَشرب الرِّاحِ كى أحلو براحتها لكن لأدفع ما بالنَّفسِ من كسَلِ
ولا أجول بطرْفى فى الرياض سوى ذكْرِى لأيمانى فى ظلِّها الأولِ
أنا العَهْدُ مضى ما كان أعذبه لم يبق لى غير آيات من الخَلِ
كم فدَيْتُكَ يا قلبى وأنت على تلك الغِواية لم تَبْرَحْ ولم تزل
فاختر لنفسك إما أن تُصاحِبَنِى حلواً وإلا فدَعْنِ منك وارْتَحِلِ
فقد تبعْتُكَ حتى سرتُ من شَغْفِى ولو عَقِى فى الهوى أعجوبة المثلِ

ومن شعره :

ومَضَ البرقُ فنار القَلْبِ ومضى النِّوم وحلَّ الأرق

(١) وردت ترجمة أخيه أحمد بن خاتمة فى المجلد الأول من الإجابة (١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٥٩ .

وَيَنْعَمَانِي مِنْ غِرَامِي قَدْ شَكَا
وَدَلِيلِي فِي غَلِيلِي زَفَرَتِي
وَحَسُودِي مِنْ وَقُودِي رَقَّ لِي
وَعِشِّيَّاتُ تَقَضَّتْ بِاللَّوِي
إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَايِي جُمِعَا
شَتَّ يَوْمَ الْبَيْنِ شَتْلِي
آه مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فُرْقَةً
وَمِنْ ذَلِكَ :

أَيَا جَبِرَةَ الْحَيِّ الْمُنْتَعَجِ جَارُهُ
مَتَى غَبِثْتُمْ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِخَاطِرِي
عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَتُخْلِكُمْ نَدَى
وَأَنْتُمْ نَعِيمِي لَا نَعِيمَتُ بِغَيْرِكُمْ
وَمِنْ ظَرِيفِ نَزَعَاتِهِ قَوْلُهُ :

الرَّفْعُ نَعْتَكُمْ لَا خَابَكُمْ أَمَلُ
هَلْ مِنْكُمْ لِي عَصْفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ
وَإِنْ خَفَضُ شَيْمَةً شَاتِي وَالْمَوَى دُولُ
إِذَا لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَاسَادَتِي بِدَلْ

وفاته

اعتُبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمائة . وَرَدَّ إِلَى
الْحَضْرَةِ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ

(١) كل ما ورد من الشعر بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » ، ووارد في الإسكوريال .

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (١)

من أهل قرطبة يكنى أبا بكر

حاله

نسيجٌ وحده ، أدباً وظرفاً ولَوْذَعِيَّةٌ وشهرة . قال ابن عبد الملك ، كان أديباً بارعاً ، محسناً ، شاعراً خلو الكلام ، مليح النغدير ، مبرزاً في نظم الطريقة المازلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل . قلتُ وهذه الطريقة بديمةٌ يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسيخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً حَجَرَهُ الله عن سواه . فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العلم ، والمبتدئ فيها والمتمم ، رحمه الله . وقال الفتح (٢) فيه : « مبرزٌ في البيان ، ومحرزٌ السبق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالاً ورقاه إلى مجالس ، وكساه ملابس ، واقتطع أسمى الرثب وتبوأها ، ونال أسنى الخطط وما تمالأها » .

شعره

قال الفتح ، وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ، ويعرف كيف أسا الزمن بقدره ، قوله :

ركبوا السيول (٣) من الخيول وركبوا فوق العوالي السمرزرق قطاف
وتجلاؤا الغدران من ماذيهم مرتجة إلا على الأكثاف (٤)

(١) لنا في خاتمة هذا المجلد تعليق على هذه الترجمة .

(٢) هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب « قلائد العقيان » المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

(٣) وردت في الإسكوريال (الخيول) والتصويب من القلائد .

(٤) وردت هذه الشطرة في الإسكوريال كالاتي : (مرتجة إلا على الأكثاف) . والتصويب

من « القلائد » .

[وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى
مجلس أنس :

أنى أهزك هز الصَّارم الخنيم وبيننا كل ما تدريه من ذمهم
ذاك شاك من قطع أنس أنت واصله بمالك من الآداب والحكم
وشت شمل كرام أنت ناظمه ورد دعوة أهل المجد والكرم
ولو دُعيت إلى أشالها لسمعت إليك سعى مشوق هائم قديم
وإن نشطت لتصرفني صرفت له وجهي وكنت من الأعوان والخدم
وما أريد سوى عفو تجود به وفي حديثك ما يشفي من الألم
أنت المقدم في خير وفي أدب فاطلع علينا طلوع السيد العيم
فأجابه رحمه الله :

أنى من المجد أمر لا مرّد له نمشي على الرأس فيه لا على القدم
لبيك لبيك أضعافاً مضاعفة إني أحببت ولكن داعي الكرم
لى همّة ولأهل العزّ مطمئنها لا زلت في كل تجدد مطمح المهم
وإن حقك معروف وملتمزم وكيف يوجد عندي غير ملتزم
زفن^(١) ووقص وما أحببت من ملح عندي وأكثرت ما تدريه من شيم
حتى يكون كلام الحاضرين بها عند الصباح وما بالعهد من قديم
يا ليلة السّفر هلاً عدت ثانية سقى زمانك هلال من الدّيم^(٢)

وقال في غرض النسيب :

ياربّ يوم زادني فيه من أطلع من غربه كوكبا
دوشمة ليماء معسولة يذشم من خديّه ماء الصبّا

(١) زفن أى طرب ورقص .

(٢) الشعر الذى بين الحاصرتين كله ساقطه في «الزيتونة» .

قلت له وهب لي بها قبلة
فدقت شيئاً لم أذق مثله
أسمعني الله بإسماده
فقال لي مبيتسما مرحباً
لله ما أحلى وما أعذباً
يا شقوتي يا شقوتي لو أبا

وقال :

جئت لتوديعه وقد ذرفت
في موكب البين بأكين ولا
معانفاً جيده على حذر
كفص توديعه لعاشقه
عيناى من حسرة وعينه
أصعب من موقف وقفناه
فمن رآنى مُتَبَلِّلاً فاه
ما كان من قبل قد تمناه

وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد :

يا أهل ذا المجلس السامى سراوتة
وإن أكن مُظلمنا مصباح بيتكم
وقال يهنئ بعرس :

صرّفت إليك وجوهها الأفراح
فأقضى للآرب في زمان صالح
إن كان كالشمس المنيرة حسنها
لا فرق بينكما لرأى فاستوى
هل يؤقد المصباح عندكما مهجاً
أحرزت يا عبد العزيز محاسنا
يا من له كف تجود وأضلع
ما ألفت الحاجات دونى قفلها
في كل ما تنحو إليه ملاحه
وتسكنتمنيك سعادة ونجاح
لا سدّ عنك من الزمان صلاح
فالبدر أنت وما عليك جناح
زى النساء قلادة ووشاح
وكلاكما ببهائم مصباح
كثرت فلم تستوفها الأمداح
معلوى على حفظ الوداد شجاح
إلا وبين يمينك المفتاح
وكذاك أفعال المليك ملاح^(١)

(١) الشعر الذى بين الخاصرتين ساقط فى الزيتونة .

ومن حكمه قوله :

كثير المال تَبَذَّله فيبقى ولا يبقى مع البُخل القليل
ومن غرست يداه ثمار جودٍ في ظلِّ النِّماء له مقيل

وقال رحمه الله :

وعهدى بالشِّباب وحُسن قَدِّي حكى ألف ابن مقلّة في الكتاب
فصرت اليوم مُنَحْنياً كَأَنِّي أَفْتَش في التُّراب على الشِّباب

وقال رحمه الله :

يُمسك الفارس رُحماً وأنا أُمسك فيها قَصَبَةً^(١)
وكلانا بِأَلٍ في حَرْبِهِ إن الأَقلام رِماح الكُتُبَةِ

قال ابن عبد الملك : أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعَيْنِي ، قال ، أخبرنا الراوية أبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، قال سألته ، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا ، أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المُغْرَب^(٢) ، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده . وقال أنشدني أبي رحمه الله لنفسه :

أحسن ما نِيط في الدُّعَا لمن رُتِّب في خُطَّة من الخُطَط
خَلَّصك الله من عَوَاقِبِهَا وَدُمَّت في عِصْمَةٍ من الغَلَط
مُقَرَّباً منك ما تُسَرُّ بِهِ وكل مكروهة على شَحَط
الكلُّ بالعدل منك مُغْتَبَط وليس في الناس غيرُ مُغْتَبَط
وليس يَخْلِيكَ من أنا لَكِهَا^(٣) من عملٍ بالنِّجاة مُرْتَبَط

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (القصة) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (المعرب) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» (أما لكها) .

فأنفذ بعون الله مجنّداً بقالب | صَفِيّ بالضمير |^(١) مرتبط
يا صاحب الأمر والذي^(٢) يده نايِلها للعفاة غير بَط
رفعتم يا بني رفاعة ما كان من المعلّوات | في هَبَط |^(٣)
ومُنبر الحق من سّواه بكم فيها هو الآن غيرُ مُختلط
وانضبط الأمر واستقام لـكم ولم يكن من قبل ذا بمنضبط
أتيت في كل ما أتيت به فالغيثُ بعد الرجا والقفنط
جَلَلتُ عن ميّواك منزلةً فلستَ بمن ميّواك في نط
أنت من المجد والملا طرفُ وكلّهم في العلا من الوسط

كتابتة

وقفتُ من ذلك على أفانين . منها في استهلال شهر رمضان قوله :
سلام على أنس المجتهدين ، وراحة المُتَّهِّدين ، وقرّة أعين المهتدين ، والذي
زين الله به الدنيا ، وأعزّه به الدين . شَرَّفَ الله به الإسلام ، وجعل أيامه رُقوما
في عواتق الأيام . وشهوره غُرُراً في جباه الأعلام ، وحلّه به عن رقاب الأمة
قلايد الآثام ، ونزّه فيه الأسماع عن المسكاه ، وصان الأفواه من رَفَكِ الكلام .
أشهد أن الله أننى عليك ، وأدخل من شاء الجنة على يديك ، وخصّك من
الفضائل بما يمشى فيه التفسير حتى يَـسْـكُلَ ويسأم ، ذلك اللسان ويملّ ، وأبادت ذنوب
الأمة بمنل ما أبادت الشمس الظّل ، ذلك الذى يتهلل للسماء هلاله ، ويهتزُّ العرش
جلاله ، وترتج الملايكة في حين إقباله ، وتدخل الحُور والعين في زينتها تسكرياً ، وتلتزم
إجلاله وتعظيماً ، ويهتدى فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً ، وتغلُّ الشياطين على ما

(١) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (صافي الضمير) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (التي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (منهبط) .

خُيِّلَتْ . وتذوق وبال ما كادت به وتخيَّلت ، وبشَّعِرُ التَّقَى لعبادة ربِّه ذِيلاً ، وتهبط الملائكة إلى سماء^(١) الدنيا ليلاً ، وينتظم المتَّقون في ديوانه انتظام السَّلك . ويكون خُلُوف فَم الصَّائم عند الله أَطيب من ريح المسك ، وتفتح الجنة أبواباً ، ويُغفر لمن صامه إيماناً واحتساباً ، جزاءً من ربك عطاءً حساباً ، وبما فضلك الله على سائر الشهور، وقضى لك بالشَّرف والفضل المشهور . فَرَضَكَ في كتابه ، ومدحك في خطابه ، حيث قال ، شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، يعني تكبيرُ الناس عليك ، وتقليبُ أحداقهم بالنظر إليك ، حين لُثِّمَت بالسحاب ، ونظرتَ من تحت ذلك النُّقَاب ، وقد يمتاز الشَّيْب وأن استتر بالخضاب ، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصَّحيح ، وصرَّحوا برؤيتك كلَّ التصريح ، نظَّرت كل جماعة في اجتماعها ، وتأهَّبت القراء لإشفاهاها ، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها ، وتضرعت^(٢) الأبواب ، وطلبت المواقف أواخر الأعراس والأحزاب ، وابتدیت آثم^(٣) ذلك الكتاب ، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدَّت من الصباح ، ورقصت ورقص النواهد عند هبوب الرياح ، والله نُور السموات والأرض ، مَثَلُ نوره كَمِشْكَاةٍ فيها مصباح ، فأملَّك المسلمون في سرِّ وجهر ، وحطَّت أثقال السيئات عن كل ظَهْر ، والتمست الليلة التي هي خيرٌ من ألف شهر ، فنشط الصالحون بك صوماً ، وهجر المتَهجِّدون في ليلك نوماً ، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً . فيما أيها الذي رَحَلَ ، وحل^(٤) بعد مُقامة ، وقام للسفر من مقامه ، ورأى من قضى حقَّه ، ومن قصَّر في صيامه ، فشئ الناس إلى تَشْييعه ، ويسكوا لفراقه وتوديعه ، ونَدِم المُضَيِّع على ما كان من تَضْييعه ، ولم يثق

(١) وردت في الإسكوريال (السماء) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (واصطُرعت) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال (أ.ل.م) .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة مكررة في الإسكوريال . ولم تكرر في الزيتونة .

بدوام العيش إلى وقت وجوعه ، فعضّ على كفه ندماً ، وبكت عينه ماء وكبره دماً . رويدا حتى أُمِرَحَ في ميدان فِرَاقِكَ ، وأتضرع إلى حَنَانِكَ وإشفاقِكَ ، وأتشفى من تَقَبِيلِكَ وعندَكَ : وأسألُ منك حاجةً إن أراد الله قضاها ، وشاء نفوذها وإمضاها ، إذا أنت وقفتُ لربِّ العالمين ، فقَبِيلِكَ من قوم ، وردَّكَ في وجوه آخرين . إن تُنْثَى جَمِيلاً ، فعسى يصفح لعهده وإن أسأ ، فعلم الله أنى نويت التوبة أولاً وآخرآ ، وأملتُ الأداء باطنا وظاهرا ، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً ، وإنما عِلِمُ ، من تقصير الإنسان ما عِلِمُ ، وللحرء ما قُضِيَ عليه به وحُكِمَ ، وإن النفس لِأَمَارَةٍ بالسُّوءِ إلا من رَحِمَ ، فإن غَفَرَ فبَطُولُهُ وإحسانه ، وإن عاقبَ فيما قدَّمَتْ يَدُ الْعَبْدِ مِنْ عَصِيَانِهِ ، فَيَاوَحْشَةُ لِهَذِهِ الْفَرْقَةِ ، وَيَا أَسْفَا عَلَى بَعْدِ الشُّقَّةِ ، وَيَا شِدَّةَ (١) مَا خَلَفْتَهُ لَنَا بِفِرَاقِكَ مِنْ الْجُحْدِ وَالْمَشَقَّةِ ، وَلَطَالَمَا هَجَرَ الْإِنْسَانُ بَكَ ذَنْبِهِ ، وَوَارَقَ إِعْظَامًا لِكَرْبِهِ ، وَشَرَحَتْ إِلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ قَلْبَهُ . ومع هذا أترك ترجع وتُرى ، أَمْ تُضَمُّ عَلَيْنَا دُونَكَ أَطْبَاقُ الْتَرَى . فَيَاوَيْلَتَا إِنْ حُلَّ الْأَجَلُ ، وَلَمْ أَقْضِ دَيْنَكَ ، وَرَجَعْتَ وَقَدْ حَالَ الْمَوْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . فَأَغْرِبْ ، لَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ التَّوَدِّيعِ ، وَآيُّ قَلْبٍ يَسْتَطِيعُ .

وقال في استهلال شوال :

ولسكل مقام مقال . الله أكبر هذا هلالُ شَوَّالٍ قد طَاعَ ، وكرُ في منازلِهِ وَقَطَعَ ، وغابَ أحدُ عشرَ شهراً ، ثم رَجَعَ . مَالِي أَرَاهُ رَقِيقَ الْإِسْتِهْلَالِ ، خَفِيَ الْهَلَالُ ، وَوَحْشاً تَرَدَّدَ فِي مَثَلِ الْأَمَلِ ، مَا بِالْهَ أَمْسَى اللَّهُ رُسْمَهُ ، وَصَوِّحَ جِسْمَهُ ، وَرَفَعَ فِي شَبُورِ الْعَامِ اسْمَهُ ، عَلَى وَجْهِهِ صُفْرَةٌ بَيِّنَةٌ ، وَنَارُ إِشْرَاقِهِ لَيْلِيَّةٌ ، وَأَوَى السَّحَابِ تَعْتَمِدُهُ وَتَقِفُ ، وَتَغْشَاهُ سُوءِيَّةٌ وَتَنْصَرِفُ ، مَا أَرَاهُ إِلَّا يَطُولُ ذَلِكَ الْمَقَامُ ، وَتَوَالِي الْأَهْوَالُ الْعِظَامُ . أَصَابَهُ مَرَضٌ فِي فَضْلِ مِنْ فُصُولِ الْعَامِ ، فَعَادَتُهُ كَمَا يُعَادُ الْمَرِيضُ ، وَبَكَتُهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وياسر) والأول أرجح .

الأيام الغُر والليالي البيض ، وقلن كلاك الله وكفأك ، وحاطك وشفاك ، وقلن كيف نجدك ، لافض فاك ، هذا على الظن لا على التحقيق ، وجاز لا يحكم التصديق . وإنه ليعبد مثل هذا المقدار ، أن يقدح فيه طول الغيب ، وتواتر الأسفار . أليس هو قد ألف بجالي الرياح ، وصحب برود الصباح ، وشاهد الأهوية مع الغدو والروح ، وطواها بتجربته طي الشراح . ما ذاك إلا أنه رأى الشمس في بعض الأيام ماشية ، والحسن يأخذ منها وسطاً وحاشية ، ودلائل شبابه ظاهرة فاشية ، فوقع منها في نفسه ما وقع ، وثبت على قلبه من النظر ما زرع ، ووقع في شر كها ، وحق له أن يقع . فرئت هي لحاله وأشفقت ، ونهجت بوصالها وتأثقت ، وقطعت من معدن نيلها وأنفقت ، ورات أنها له شاكلة يبلغ أمكها ، وتبلغ مأملة ، ولذلك ما مدت لذيد السماح ، فتعرضت بالعشي ، وارتصدها في الصباح ، مع ما أيقنا به من الانقطاع ، ويمسنا من الاجتماع ، كما نفذ القدر ، وصدا الخبر . وقال تعلمن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فوجد لذلك وجداً شديداً ، وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً ، وأصبح بها دفناً ، وأمسى عميذاً ، حتى سلب ذلك بهاء ، وأذهب سنه ، وردّه النحول كما شاه ، ولقي منها مثل ما لقي غمیلان من نيته ، وجميل من بئنيته ، وحن إليها حنين عروة إلى عفر ، وموعدها يوم وهب ناقة الصفراء . على رسلك أني وكمت ، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت ، والآن وقد فطنت ، وأصبت الفص فيما ظننت ، إنه لقي رمضان في إنباله . وضمه نقصان هلاله ، وصامه فجأة ولم يك في باله ، فأثر ذلك في وجهه الطلق ، وأضعفه كما فعل بسائر الخلق ، وها هو قد أقبل من سفره البعيد ، فقل هو هلال الغد أو قل هو هلال العيد ، فلقه صباح مشي الناس فيه مشي الحباب ، ولبسوا أفضل الثياب ، وبرزوا إلى مصلاتهم من كل باب ، فارفعت همّة الإسلام . وشرفت أمة محمد عليه السلام ، وخطب بالناس ودعا للإمام ، عندما طلعت

الشمس بوجه كدور المرأة ، ولون كصف المهرأة . وخرج لا ينسبها ريم الفلاة .
 وقضوا السنة ، وبذلوا الجهد في ذلك والمنة ، وسألوا من الله أن يدخلهم الجنة ،
 ثم خطبوا حمداً لله وشكراً ، وذكره كذكرهم آبائهم أو أشد ذكراً ، ثم انصرفوا
 راشدين ، وافترقوا حامدين ، وشبك الشيخ بيديه ، ونظر الشاب في كفيه ،
 ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه ، فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين ،
 وتذكر العاشق موقف البين ، وشق المتنزه بين الصّفين ، فقل عينيه من الوشي
 إلى الديباج ، ووجوه كضوء السراج ، وعيون أقتل من سيف الحجاج ،
 ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج ، وقد زينت العيون بالتكحيل ، والشعور
 بالترجيل ، وكرّر السواك على مواضع التقيل ، وطوقت الأعناق بالعقود ،
 وضرب الفكر في صفحات الخدود ، ومُدَّ بالغالية على مواضع السجود ، وأقبلت
 صنعا بأوشيتها ، وعنت بأوديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقت الكفوف
 بالحناء ، وأثني على الحسن وهو أحق بالثناء ، وطلعت التوبة ثلاثاً بعد البناء ،
 وغصّ الذراع بالسوار ، ونخس في اليمن واليسار ، وأمسكت الثياب بأيدي
 الأبكاء ، ومشت الأماء أمام الأحرار ، وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار ،
 وامتلات الدنيا سروراً ، وانقلب الكل إلى أهله سروراً . وبينما كانت الحال
 كما نصصت ، والحكاية كما قصصت ، إذ الالآت الدنيا برقاً ، وامتد مع الأفق
 غرباً وشرقاً ، وردّ لمعانه عيون الناظرين زرقاً ، ولولا أنه جرب حتى يدوا ،
 لقليل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى ، حتى أقبل من شرفت العرب بنفسه ،
 وفخر الإسلام بسببه ، من انتسب إلى زهرة وقصي ، وازدانت به آل غالب
 وآل لؤي ، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بئده ، أو الفضل فهو لابس برده ،
 أو الفخر فهو واسطة عقده ، أو الحسن فهو نسيج وحده ، الذي رفع لواء العليا ،
 وعارضت مكارمه صوب^(١) الحبا ، وحكّت محاسنه زهرة الحياة الدنيا . فاما

(١) أول الكلمة في المخطوط مختلف تحت الخبر ورجع هذه القراءة .

وجهه فكمما شَرَقَت الشمس وأشْرَقَت ، وغَرُبَت كواكب سَمَائِهَا وشَرَقَت ،
 وتَفَتَّحَت أطواق الليل عن غُرر مجده وثَشَّقَت . ولولا حياءُ يغلب عليه ، وخَفَرُ
 يصحبه إذا نظرت إليه ، لاستحال النهار ، وغارت لنوره كواكب الأسحار ،
 ولكاد سَنَا بَرْقه يذهب بالأبصار ، لا يحفل بالصبح إذا انفَلَقَ ، ولا بالفجر إذا
 عمَّ آفاق الدُّجَا وطَبَّقَ ، ولو بدا للمسافر في ليله لَطَرَقَ ، قد عجم الأبنوس على
 العاج ، وأدار جَفَنًا كما عَطَفَ على أطفالها التُّعَاج ، يَضْرِبُ بها ضرب السيف ،
 ويلم بالفؤاد المِسام الطَّيْفَ ، ويتلقاها السَّحَرُ تَلَقَّى الكريم للضيف ، لو جرَّدها
 على الرِّيم لوقف ، أو على فِرْعَوْنَ ما صرف من سِخْرِهِ ما صرف ، أو على رِبْطَامِ
 ابن قَيْسٍ لألقى سِلَاحَهُ وانصرف . وأما أدواته فكمما انشَقَّت الأرض عن نباتها ،
 وأخضت زُخْرُفَهَا في إنباتِها ، ونَفَحَ عَرَفَ النَّسِيمِ في جَنَبَاتِهَا ، يتغنَّ أفانين
 الزهر ، ويتقلب تقلب الدهر ، وتَطْلُعُ له نوادر كلنجوم الزهر ، لو أبصره
 مُطَرِّفٌ ما شمر بخَطِّه ، ولا جرَّ من العُجْب ذيل مِرْطِه ، ولا كان الخبر معه من
 شَرَطِه . وأما أنه لو قُرَى على سحبان كتابه ، وانحدروا على نهره عُبابه ، وملأت
 مسامعه أطنابه وأسبابه ، ما قام في بيانه ولا قعد ، ولنزل عن مقامه الذي إليه
 صعد ، ولا خَلَفَ من بلاغته ما وعد . لَعَمْرُكَ ما كان بِشَرِّينَ المَعْتَمِرِ يَتَغَنَّ
 للبلاغة فنونًا ، ولا يتقبَّلُهَا بَعَاوِنًا وَمُتَوَنِّيًا ، ولا أبو العتاهية لِيُشْرِطَهَا كلامًا
 موزونًا ، ولا نَمِقُ الحَسَنُ بن سهل الألفاظ ، ولا رَفَعَ قسُّ بن ساعدة صوته
 بِعُكَاظٍ ، ولا أَعَاظَ زَيْدُ بن علي . هشامًا بما أَعَاظَ . وأما مكارمه فكمما
 انْسَكَبَ الغيث عن خِلَالِهِ وخرج الودَقُ من غِلَالِهِ ، فتدارك النعمة عن فوتها ،
 وأحيا الأرض بعد مَوْتِهَا . ذلك الشريف الأجلُّ ، الوزير الأفضل ، أبو طالب
 ابن القُرْشِيِّ النُّهْرِيِّ ، أدام الله اعتزازه ، كما رَقَمَ في حُلِّ الفخر طِرَازَهُ ، فاجتمعت
 به السيادة بعد افتراقها . وأشرق وجه الأرض لإشراقها ، والنفتُ الشهاب

بالشباب ، وضم الركب بالركب ، ولا عهد كأيام الشباب ، فوصل القريب
البعيد ، وهنوه كما جرت العادة بالعيد ، فوق مع ركابه وسلمت ، وجرت كلاماً
وبه تكلمت ، فقلت تقبل الله سعيك ، وزكى عملك ، وبلغك فيما توده أملك ،
ولا تأملت وجهاً من الشرور إلا تأملك ، ونفعت بما أوليت ، وأجزل حفظك
على ما صمت وصليت ، ووافقتك لعل وساعدتك لئيت ، وهناك عيد الفطر
وهناته ، وبداءك بالمسرات وبدأته ، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته . وهكذا
بحول الله أعياد واعتياد ، وعمر في دوام ، وعز في ازدياد ، والسنة تفصح
بفضلك إفصاح الخطباء من إيد ، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحا ، ودام
الفطر والأضحى^(١) .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة ، وتردد إليها غير ما مرة ، وأقام بها ، وامتح ابن أضحى^(٢)
وابن هاني ، وابن سعيد وغيرهم من أهلها . قال ابن سعيد في «طالع»^(٣) ، وقد
وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة ، واجتماعه بجنته بقرية الزاوية^(٤) من خارجها ،
بترهون القليعية الأدبية ، وما جرى بينهما ، وأنها قالت له بعقب ارمجال بديع ،
وكان لبس غفارة صفراء ، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسر
الناظرين ، فقال لها إن لم أسر الناظرين ، فأنا أسر السامعين ، وإنما يطلب سرور

(١) وردت هذه الرسالة التي قيلت في شوال ، في مخطوط الإسكوريال فقط ، (لوحه ٥٧-٥٩) ولم ترد في «الزيتونة» .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، وهو أحد ثوار الأندلس ، في أواخر عهد المرابطين . وقد ثار بغرناطة في سنة ٥٣٩ هـ ولكنه لم يستطع الصمود ضدهم ، فاعتصم بالقصبة وتوفي سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) .

(٣) سبق التعريف بابن سعيد ، و«طالع» أي كتابه (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) .

(٤) الزاوية هي قرية صغيرة تقع على مقربة من غرناطة . وبالإسبانية La Zubia

الناظرين منك، يا فاعلة يا صانعة . وتمسك السكر من ابن قزمان، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلا وثيرا به تقطر، وقد شرب كثيرا من الماء، فقال إسمع يا وزير ثم أنشد:

إيه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال
وذات جرحٍ واسع دافق بالماء يحكي حال أذبال
غرقتني في الماء يا سيدي كغره بالتغريق في المال

فأمر بتجريده، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر] ^(١) لهم بعد عهدهم بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة، إلا بعد ما أجزل له من الإحسان، ومدحه بما هو في ديوان أزجاله .

محتله

جرت عليه بابن حمدين ^(٢) محنة كبيرة، عظم لها نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفا بها، وحدثة شقي بسببها . وقد ألم الفتح في قلايده بذلك، واختلت حاله بآخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذي نوه به . توفي بقرطبة ليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة . رحمه الله .

محمد بن غالب الرضاقي

يكنى أبا عبد الله، بلنسي الأصل، سكن غرناطة مدة، ثم مالقة

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (ومر) والأولى أرجح وبها يستقيم المعنى .
(٢) هو القاضي أبو جعفر بن حمدين قاضي قرطبة . ثار بقرطبة عندما ضعف أمر المرابطين في سنة ٥٣٩ هـ ، وأعلن نفسه أميرا عليها واستمرت رياسته بها نحو عام . ثم تغلب عليه ابن غانية قائد المرابطين . وجرت له بعد ذلك خطوط لا يتمكن خلالها من استرداد رياسته . وتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

الهـ

قال الأستاذ^(١) ، كان فحلا من فحول الشعراء ، ورئيسا في الأدباء ، عفيفا ، ساكنا ، وقورا ، ذا سمعة وعقل . وقال القاضي^(٢) ، كان شاعرا مجيدا ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، باورع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ، دينياً ، وقورا ، عفيفاً ، متفقها ، على الهمة ، حسن الخلق والخلق والسمعة ، تام العقل ، مقبلاً على ما يعنيه من التعميش بصناعة الرثي^(٣) التي كان يعالجها بيده ، لم يبتذل نفسه في خدمة ، ولا تعرض لانتجاع بقافية ، خلا وقت سكناه بفرناطة ، فإنه امتدح واليها حينئذ ، ثم نزع عن ذلك ، راضيا بالتحول حالاً ، والقناعة مالاً ، على شدة الرغبة فيه ، واغتنام ما يصدر عنه .

أخبار عقله وسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكرك بن الفخار المالقي ، وكان خبيراً بأحواله : ما رأيت عمرى رجلاً أحسن سمناً ، وأطول صمتاً ، من أبي عبد الله الرصافي . وقال غيره من أصحابه ، كان رقاء ، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد . وقال أبو عمرو ابن سالم ، كان صاحباً لأبي ، ولقيته غير مارة ، وكان له موضع يخرج إليه في فصل العصور ، فكنت أجتاز عليه مع أبي فالتهم يده ، فربما قبل رأسى ، ودعاني ، وكان أبي يسأله الدعاء فيخجل ، ويقول أنا والله أصغر من ذلك . قال ، وكان بإزايه أبو جعفر البلمنسي . وكان متوقفاً الخاطر ، فربما تسكلم مع أحد التجار ، فكان منه هفوة ، فيقول له جلساؤه ، شتان والله بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت ، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها . فما يزيد على التبسيم .

(١) الأستاذ هنا ، يعني الأستاذ أبو جعفر بن الزمير صاحب كندب (مسة الصلوة) .

(٢) القاضي يقصد بها هنا ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب «الدين والتكملة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (الرفو) .

فلما كان أحد الأيام، جاء البانسي ليفتح دكانه . فتعمد إلقاء الغلق من يده ، فوقع على رأس أبي عبد الله . وهو مقبل على شغله ، فسأل دمه ، فما زاد على أن قام ومسح الدم ، ثم ربط رأسه ، وعاد إلى شغله . فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترمى عليه ، وجعل يقبل يديه . ويقول ، والله ما سمعت برجل أصبر منك ، ولا أعقل .

شعره

وشعره لا نهاية فوفه رونقا ومائية ، وحلاوة وطلاوة ، ورقة ديباجة ، وتمكن الفاظ ، وتأصل معنى . وكان رحمه الله ، قد خرج صغيرا من وطنه ، فكان أبدأ بذكر الحنين إليه ، ويقصر أكثر منظومه عليه . ومحاسنه كثيرة فيه ، فن ذلك قوله :

خليلي ما لليد قد عجمت نثرا	ومال رؤوس الركب قد رجعت سكرًا
هل المسك مفتوتا بدرجة الصبا	أم القوم أجروا من بانسية ذكرا
خليلي عوجا بي قليلا فإنه حديث	كبرد لئاء في الكبد الحرا
قفا غير مأمورين ولتصدّيا	على ثقة للزمن فاستسقى النظرا
بجسر معان والرصافة إنّه على القطر	أن يسقى الرصافة والجسرا
بلادى التي ريشت قويد متى بها	فريحا وأورثتني قرارتها وكرا
فبادى أنيق العيش في ريق الصبا	أبى الله أن أنسى اغترارى بها غرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها	ولسكن عرينا من حلاه ولم تعرا
أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي	طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا
محل أغره العهد لم نبد ذكره	على كبد إلا امترى أدمما محرا
أكله مكان كان في الأرض مسقطا	لرأس الفتى يهواه ما عاش مضارا
ولا مثل مدححو من المسك تربة	تملى الصبا فيه حبة عطرًا

نباتٌ كأنَّ الخلدَ يحملُ نوره
 وما كتر صيغِ الحجرِ جَلَّتْ
 أنيقُ كريّانِ الحياةِ التي خَلَّتْ
 وقالوا هل الفردوسُ ما قد وصفتهُ
 بلنِّسِيه تالك الزُّمردِ التي
 كأنَّ عروساً أبدع الله حُسْنَهَا
 يويد منها شَعْشَعَانِيه الضُّحَى
 تَرَّاجِم أنفاسِ الرياحِ بزَهْرَهَا
 وإن كان قد مُدَّتْ يَدُ البَيْنِ بَيْنَنَا
 هي الدَّرةُ البيضاء من حيث جَدَّتْهَا
 خليلي أن أصدر لها فإنها
 ولم أطوِّعْهَا انْطَوِّعْهَا هَجَرًا لها إذا
 ولكن إجلالاً لَتَرْبَتَهَا التي
 أكارِمُ عاث الدهر ما شاء فيهم
 هجوعٌ ببطن وأرضٌ قد ضَرَبَ الرَّدَى
 تقصُّوا فمن نجمٍ سالِكٍ ساقِطٍ
 ومن سابق هذا إذا شا غايَةً شا
 أناسٌ إذا لا قبت من شِيت منهم
 وقد دَرَجَتْ أعمارهم فَتَطَلَّعُوا
 ثلاثة أُمَّجَاد من النَّفَرِ الألى
 نَكَلْتَهُمْ أَكَلًا دَهَى العَيْنِ وَالْحَشَى
 كفى حَزَنًا أنى تباعدت عنهم

تخالُ الجُنيْنًا في أعاليه أو تَبْرًا
 نواصِيَه الأزهار واشتَبَكَتْ زُهْرًا
 طليقُ كَرِيَمَانِ الشَّبَابِ الذي مَرَّا
 فقلت وما الفردوسُ في الجنةِ الأُخْرَا
 تَسِيلُ عَلَيْهَا كل لؤلؤة نَهْرًا
 فصير من شَرِّخِ الشَّبَابِ لها نُحْمَرَا
 مضاحكَةُ الشمسِ البُحَيْرَة والبَحْرَا
 نجومًا فلا شيطان يُعْرِبُهَا ذَعْرَا
 أضاءت ومن للذر أن يشبه الذرَا
 هي الوطن المحبوب أو كَلَّتْهُ الصَّدْرَا
 فلا لَشِمْتَ نَعْلِي مساكنها الخُضْرَا
 تَضُمُّ فتأها النَّدْبُ أو كَهْلَهَا الحَرَا
 فبادت لِباليهم فهل أَشْتَكِي الدهرَا
 عليهم قُبُيبَاتِ فَوَيْقِ الثَّرَى غُبْرَا
 أَيْ الله أن يرعى السَّمَاءَ أو المَثْرَا
 وغير محمود جِيَادِ العلى خُضْرَا
 تَلْمُؤُكَ لا غثُ الحديث ولا غَمْرَا
 هلال ثلاث لو شفا رَقَّ أو بَدْرَا
 زَكُوا خَبْرًا بين الوردى وزَكُوا خُبْرَا
 فَعَجَزَا أَمَّا وَسَجَرُ ذَا جَمْرَا
 فلم ألق من سَرَى منها ولا سُرَا

لِيُظْمَرُ لِي خَيْرًا تَأْبِطُ لِي شِرا
فَيَسْتَبْقَى بِمَا يَقْصِمُ الظُّمَرُ—
وَسَا كُنْ قَصْرًا أَضْرًا مَسْكَنُهُ الْقُبْرُ
سِنَاءٌ كَمَا يَسْتَقْبِلُ الْأَرِيقُ الْفَجْرُ
وَلَمْ يَتَنَاسَ الْجُودَ أَصْرَمَ أَمْ أَثْرَا
أَنَامِلُهُ لَا بَلْ هَوَاطِلُهُ الْغُرَا
تُخْطِئُ بِهِ فِي الْبَرْدِ خَطِيئَةُ سَحْرَا
خَلَائِقُهُ هُنَّ الْخَطِرُ أَوْ تُشَبِّهُ الْجُرَا
تُحْيِيهِ فِي وَجْهِ الْأَصِيلِ لَمَّا أَصْفَرَا
لَمَنْ بَلَّ فِي شَفْرِى ضَرْبٌ لَهُ شَفْرَا
طَوَيْنَ عَنِ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرَا
تَرَى مَبْسَمَ النُّوَارِ عَذْبَرٌ مُعْتَرَا
إِذَا مَا جَعَلْتَ الْبُعْدَ عَنْ قُرْبَةٍ عَذْرَا^(١)

وإلى متى أَسْلُ بِهِمْ كُلَّ وَكَب
أَبَاحْتُهُ عَنْ صَالِحَاتِ عَهْدَتِهَا هُنَا
مُحْيَا خَلِيلٍ غَاضَ مَاءَ حَيَاتِهِ
وَأَزْهَرَ كَالْإِصْبَاحِ قَدْ كُنْتُ أَجْتَلِي
قَتَى لَمْ يَكُنْ خِلْوُ الصَّمَاتِ مِنَ النَّدَى
يَصْرِفُ مَا بَيْنَ الْيَرَاعَةِ وَالْقَنَاسَا
طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ لَأَنْ كَانَتَا
سَقَتُهُ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ أَرْحِيحَةٍ
وَنَشْرُ مُحْيَا لِلْمَكَارِمِ لَوْ سَرَتِ
[هَلِ السَّعْدُ إِلَّا حَيْثُ حَطَّ صَعِيدُهُ
طَوَيْنَ اللَّيْلَى طِيَهْنَ وَإِنَّمَا
فَلَا حُرْمَتِ سَقِيَاهُ أَدْمَعُ مَزْنَةٍ
وَمَا دَعَوْتِي لِلْمَزْنِ عَذْرَا لَدَعَوْتِي

وَقَالَ يَرْثِي أَبَا مُحَمَّدٍ بَنَ أَبِي الْعَبَّاسِ بِمَالِقَةٍ :

هَبْنَاهَا عُكَّازَ فَايْنِ قِسْ أَيْدَا
فِيكُمْ بِفَشْكَتِهِ الْجِمَامِ الْعَادَا
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّهَابِ الْهَادَا
لَأَلَى ذَاكَ السَّكُوبِ الْوَقَادَا
نُثِرْتُ كُوبَ قَنَاسِكِ الْمَنَادَا
إِيهِ فِدَى لَكَ غَايِرُ الْأَجْسَادَا
إِنْ لَمْ يَصِرْ بُرْدَا إِلَى الْأَبَادَا

أَبْنَى الْبَلَاغَةِ فِيمَ حَفْلُ النَّادَا
أَمَّا الْبَيَانُ فَقَدْ أَجَرَ لِسَانَهُ
عَرَّشْتَ سَمَا عَلَايَكُمْ مَا أَنْتُمْ
حُطُّوا عَلَى عُمْدِ الطَّرِيقِ فَقَدْ خَبَّتْ
مَا فُلْ لَهْزَمَهُ الصَّقِيلُ وَإِنَّمَا
إِيهِ عَمِيدُ الْحَيِّ غَيْرُ مُدَافِعِ
مَا عَذْرُ سَلَاكِ كُنْتُ عَقْدَ نَظَامِهِ

(١) الأبيات المحصورة بين الغاصرتين ، واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حيث الزمان عليك شِكلاً أن يرى
يُومى بأنجمه لما قلده
كشفتُ الحجاب فما ترى مُفضلاً
ألم بربك غير مأمورٍ فقد
خبراً يُبلِّغه إليك ودونه
قد طأطأ الجبلُ المنيف قدالة
أعد التفاتك نحونا وأذنه
واسمح لنا عن مقتلتيك من السكوى
هذا الصباح ولا تهب إلى
وكانما قال الردى تمّ وادعاً
أموسداً تلك الرخام بمسرقه
خصبت بقدرك حفرة فكأنها
وثر. جنبك من أثاث حُجيم
يا ظاعناً ركب السرى في ليلة
أعز علينا أن حططت بمنزل
جار الأفراد هنالك جيرة
الساكنين إلى المعاد قبا بهم
من كل مُلقية الجراب بمضرب
بعرس السفر الألى ركبوا
سيان فيهم ليلة ونهارها
لحق البطون من اللعب على الطوى
لله هم فليشد ما نفصوا من

من طول ليل في قيص جِداد
من در أفساط وبيض أباد
في ساعة تُصغى به وتناد
غص الفنا بأزجل القصاد
أمن المدة وراحة الحساد
للجار بعدك واقشعر الواد
مثل الحديث لديك غير معاد
نوماً تكابد من بسكى ومُهاد
مقى طال الرقاد ولات حين رقاد
سبقت إلى البشرى بحسن معاد
أخشن به من مرقد ووساد
من جوفها في مثل حرف الصاد
ترب ند وصفايح أنصاد
طار الدليلُ بها وحاد الحاد
تعل عن الزوار والمواد
سُقياً لتلك الجيرة الأفراد
منشورة الأطناب والأغداد
ناب العلى فيه عن الأوتاد
السرى مجهولة الغايات والآماد
ما أشبه التأويب بالإستاد
وعلى الرّاحل عنفوان الزاد
أمتعة الحياة في حقايب الأجساد

يأليت شعري والمنا لك جنة
 هل للعلا بك بعدها من نهضة
 بأبي وقد ساروا بنعشيك صارم
 ذلت عوانق حامليك فإنهم
 نعم الذما البر ما قد غووا
 عليا خص بها الضريح وإنما
 أبنى العباس أي حلا حل
 هل كان إلا العين وافق سهمها
 أخيل جد لا يسد مكانه
 وليكم يرى بك من مضاب لم يكن
 ما زلت تنعشها بسيفيك قابضاً
 حتى أراك أبا محمد الردي
 يا حرها من ججرة مشبوبة
 كيف العزاء وإنها لرزية
 صدع النعمة بها فقلت لمدمعي
 لك من دمي ما شئت غير منهنه
 بقصير مجتهد وحسبك غاية
 أما الدموع فهي أضعف ناصر
 ثم السلام ولا أغب قراره
 تسقيك ما سفحت عليك يراعة
 ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة :
 عاد الحديث إلى ماجر أطيبه

والشيء يبعث ذكر الشيء عن سبب

إيه عن الكذبة البيضاء إن لها
 راوح بها السهل من أكنافها
 وانضح نواحيها من مقلتيك وسل
 وقل لسرخته يا مريحة كرمت
 يا عذبة الماء والظل انغى
 ما ذا على ظلك الألى وقد قلصت
 أهكنا تنقضى نفسى لديك ظمًا
 لولاك يا سرح لم يبق الفلا عطلا
 ولم نبت نتقاضى من مدامنا
 إنا إذا ما تصدى من هوى طلك
 مستعطفين سخييات الشئون له
 سلى حيلتك الريا بأية ما
 عن فتية نزلوا على سرارتها
 محافظين على العليا وربما
 حتى إذا ما قضا من كأسها وطرا
 راحوا رواحاً وقد ردت عما بهم
 لا يظهر الشكر حالا في ذوايهم
 المنزلين القوافى من معاقلها
 ومن مقطوعاته قوله :

عكاك خليل والأصيل كأنه
 إلى شط منساب كأنك ماؤه
 عليل يقضى مدة الزمن الباقي
 صفاً ضميراً وعذوبة أخلاق

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

ومَهْوَى جَنَاحِ الصَّبَا يَسْجُ الرُّبَا
وفَتَيَانُ صَدَقِ كَالنَّجُومِ تَأَلَّفُوا
على حَيْنِ رَاحِ البرقِ في الجُومِ مُغْمَدَا
وجالَتِ بَعِينِي في الرِّياضِ النِّفَافَةِ
على سَطَرِ خَيْرِي ذِكرُكَ فَاثْنِي
وَقِفْ وَقْفَةً المَحْبُوبِ مِنْهُ فَإِنِهَا
وَصِلْ زَهْرَاتِ مِنْهُ صَفَرُ كَأَنَّهَا
وَقَالَ وَكَيْفَهَا فِي حَايِكَ [وهو بديع] ^(١) .

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي حَبِّهِ عَدْلُ
فَقُلْتُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي فِي الصَّبَابَةِ لِي
فِي كُلِّ قَلْبٍ عَزِيزَاتٍ مُدَلِّلَةٌ لِلْحُسْنِ
عَلَّقْتُهُ حَبِيبِي الشَّغْرَ عَاطِ—رُهُ
إِذَا تَأَمَّلْتَهُ أَعْطَاكَ مِلْتَقِنَا
هَيْهَاتَ أَبْغَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ بَدَلَا
غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزْلِ جَايِلَةٌ
جَذْلَانِ تَلْعَبُ بِالْمَحْرَاكِ أَمَلُهُ
مَا أَنَّ يَنِي تَعِبَ الْأَطْرَافُ مُشْتَغَلَا
ضَرْبًا بِكَفِّهِ أَوْ فُخْصًا بِأَخْصِهِ
وَقَالَ :

ومَهْفُفٌ كَالْفَصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَخَدَّدَ ^(٢) خَدُّهُ
سَلَبَ التَّنْثِي النُّومَ عَنْ أَثْنَايِهِ
عَرَقًا فَقُلْتُ الْوَرْدَ رُشَّ بِمَايِهِ

(١) هاتان الكلمتان وردتان في الإسكوريال ، وساقطتان في «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (تجيب) .

وقال :

أدْرِهَا فالغَمامة قد أجالت سيوف البرق في لَمِّ البطاح
وراق الروض طاووساً بهيًّا تهبُّ عليه أنفاس الرياح
تقول وقد ثنى قُزَحٌ عليه ثياب الغيم مُعلَّمة النواح
خذوا للصَّحو أهبتكم فإني أعرتُ المزن قَديمي جَناح

وقال :

أدْرِهَا على أمرفا ثم من بأس وإن جدَّت آذانها ورقُ الآس
وما هي إلا ضاحكات غمام لواعبُ من وُضِّ البروق بمقياس
ووفد دِيَّاح زَعزَع النَّهر مَدَّة كما وطيت دِرْعاً سَنابك أفراس
وقال في وصف مغلَّ مُحسن :

ومُطَّارح مما تحس بنائه صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
يُبنى الحمام فلا يروح لوكره طرباً ورزق بنيه في منقاره
وقال يصف جدول ماء عليه سَرَحَةٌ ، ولها حكاية معروفة :
ومُهْدَل الشَّطين تحسب أنه مُتَسَيِّلٌ ^(١) من دَرَّةٍ لصفاه
فأعت عليه مع العَشِيَّة ^(٢) سرحة صدئت لفينتها صفيحة مايه
فتراه أزرق في غِلالة مُنْمرة كالدارع استلقى بظلِّ لواه ^(٣)

نثره

قال من مقامة يصف القلم :

قصير كالأنابيب سكنه يطول مضاً طَوَّال الرِّماح
إذا عبَّ للنفس في دامسٍ ودبَّ من الطَّرس فوق الصِّماح
تجلَّت به مُشكلات الأمور ولأن له الصَّعب بعد الجراح

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (متسائل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (الهجرة) .

(٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

فلولا هو^(١) لغدت أغصان الا كتساب ذاوية^(٢)، وبيوت الأموال خاوية،
وأسرعت إليها البؤس، وأصبحت كفزاد أم موسى، فهو لا محالة تجرُّها الأربع،
وميزانها الأرجح. به تُدرُّ ألبانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
وهو رأس مالها، وقطبُ عُملها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها،
وتحكّم في طيّها ونشرها، وهو قُطبُ مدارها، وجُهينة أخبارها، وسرُّ اختيارها
واختبارها، ومظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من
المبرة كل صافية المقيبل، ضافية السربال، يُطفي جمره [الحرب] ^(٣) العوان،
ويكايد العدو بلا صارم ولا منان، يُقدُّ المفاصل، ويتخلل الأباطح والماعل،
ويقع الحواسد والعواذل.

وفاته : توفي بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقية من رمضان سنة اثنين
وسبعين وخمسة. وقبره مشهور بها.

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها

حال

كان ليبيًا لودعيًا، جامعًا لخصال، من خطِّ بارع وكتابة، ونظم، وشطرنج،
إلى نادرٍ حار، وخاطر ذكي، وجُرأة. توجه إلى العدو، وارتسم بها طبيبا،
وتولى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمائة

شعره

أنشدني بمدينة فاس عام ستة وخمسين، في وجَّهني رسولا إلى المغرب، قوله
في رجل يقطع في الكاغد :

(١) هكذا في الإسكوريال «والزيتونة». وهي مقابل الرسم الحديث (فلولاه).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال، (خاوية) وهو تحريف.

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال.

أبا على حُسَيْنَسَا أين الوفا منك أينما
قد بين الدمع وجدى وأنت تزداد بينما
بَلَّتْ لحاظك قلبي تا الله ما قلتُ مينا
قط المفص لهذا سبب الصَّب مينا
بقيت تفتُر حُسْنَا ودمتَ تزداد زِينَا

وقال أيضاً :

فَصَلُّ التجارات باد في الصناعات لولا الذي هو فيها هاجر عات
حاز الجمال فأعياى وأعجزنى وإن دعيت بوصاف ونعات
وكان شديد المغالطة ، ذاهباً أقصى مذاهب القحّة ، يحرك من لا يتحرك ، ويُغضب
من لا يغضب . عتب يوماً جدته على طعام طبخته له ، ولم يستطِبه ، وكان بين يديه
[القَط] يصده بصياح طلبه ، فقال له ضجراً ، خمسمائة سوط ، فقالت له جدته
لم تعط هذه السياط للقَط ، إنما عنيتني بها ، وأعطيتها باسم القَط ، فقال لها حاش
لله يا مولاتي ، وبهذا البخل تدريني أو الزحام عليها ، بل ذلك للقَط حلالاً طيباً ،
ولك أنت ألف من طيبة قلب ، فأرسلها مثلاً ، ومازلنا نتفكّه بذلك ، وكان
في هذا الباب لا يُشَقُّ غباره .

مولده : بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة .

وفاته : بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشَّديد ، يعرف أنه توفي في أواسط عام
سبعة وخمسين وسبعمائة .

محمد بن سليمان بن القصير

أبو بكر ، كاتب الدولة الأمتونية ، وعلم وقته .

حاله

قال ابن الصيرفي^(١) الوزير الكاتب ، الناظم ، النائر ، القايم بعمود الكتابة ، والحامل للواء البلاغة ، والسابق الذي لا يُشَقُّ غباره ، ولا تخمد أبداً أنواره . اجتمع له براعة النثر ، وجزالة النظم ، رقيق الدسيج ، حَصيف المَتْنُ ، رُقعته ماشيت في العين واليد . قال ابن عبد الملك ؛ وكان كاتباً مجيداً ، بارع الخط ، كتب عن يوسف بن تاشفين .

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعم ، وأبي الحسن بن شَرِيح ، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم ، لقيه بمرّاكش .

شعره

وهو عندي في نمط دون ما وُصف به . فن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذى النون ، ومدح ابن عباد ، عند خلع ابن جهّور ، أبي الوليد ، وتصيير قرطبة إليه :

فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل	سرى إليها سكون منذ زلها الذعر
وهل قدّرت منذ أوحشته طلايع	الظهور عليه أن تؤنسه الحمر
[ألم يحن يحن من تعاطيك ظلّه	سجالك هيّات الشهي منك يابّدو
لجارك واستوفيت أمد غاية	وأخره عن شأوك الكف والعثر
فأحرزت فضل السبق عفواً	وكفه على رّغمه مما توهّمه صفر
ويأشدّ ما أغرته قرطبة وقد	أبشرتها خيلنا فكان لك الدرّ ^(٢)

(١) ابن الصيرفي ، مؤرخ الدولة المرابطية . سبق التعريف به .

(٢) الأبيات الأربعة التي بين الحاصرتين ساقطة في «الزيتونة» .

ومنها :

[أنتك وقد أزرى بهجة حسنها ولا لأنها من جور مالسها طمر
فألبستها من سابغ العدل حلة زهاها بها تيه وغازها كبر
وجاءتك متفالا قضخ حبيها وازدائها من ذكرك المعتلى عطر
وأجريت ماء الجود في عرصاتها فروض حتى كاد أن يورق الصخر
وطاب هوا أفقها فكانها نهب نسيأ فيه أخلاقك الزهر
وما أذكر كنهم في هواك هوادة وما أثمروا إلا لئما أمر البر
وما قلدوك لأمر إلا لواجب جنته فيه المجرب والغمر
وبوأم في ذروة المجد معقلا حرام على الأيام إلمامه حجر
وأوردهم من فضل سنيك مورداً على كثرة الوارد مشرعه غمر
فلولاك لم تفصل عرى الإصر عنهم ولا انفك من ربق الأذى لهم أسر
أعدت نهار ليلهم ولطالما أراهم نجوم الليل في أفقه الظهر
ولا زلت تؤويهم إلى ظل دوحة من العز في أرحابها النعم الخضر^(١)

كتابه

وهي من قلة التصنع والإخشوشان ، بحيث لا يخفى غرضها ، واسكل زمان
رجاله . وهي مع ذلك تزينها السداجة ، وتشفع لها الغضاضة . كتب عن الأمير
يوسف بن تاشفين ولاية عهده لولده :

« هذا كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية حميم كريم ، مهتد^(٢) على
الرضا قواعده ، وأكدت بيد^(٣) التقوى [مواعده]^(٤) ومعاقده ، وسددت

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال . وساقطة في « الزيتونة » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بليت) وفي نص آخر (صدرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (على) .

(٤) الزيادة من « الزيتونة » .

إلى الحُسنى مقاصده ، وأبعدت عن [الموادة والهوى] ^(١) ، مصادره وموارده .
 أنفذه أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله
 أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه منه ، ويرضى به عنه عمره ، غير ثحاب ،
 ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين ، موضح ارتياب لارتاب ، الأمير
 الأجل أبي الحسن عليّ ابنه ، المتقبّل همّة وشيعة ، المتأثّل حلمه وتحمله ، الناشئ
 في حجر تقويمه وتأديبه ، المتصرف بين يدي تخرجه وتدريبه ، أدام الله عزّه
 وتوفيقه ، ونهجه إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهتمّ بمن تحت عصاه من
 المسلمين ، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين] ، ولم ير أن يتركهم بعد
 سعى غير مدينين ^(٢) . واعتماد في النصاب الرفيع ، واختار واستنصح أولى
 الرأي والدين ، واستشار فلم يوقع ^(٣) . بعد طول تأمل ، وتراخي مدة ، وتمثل
 اختياؤه ، واختيار من فاوضه في ذلك . من أولى التقوى ^(٤) ، والحكمة واستشارة
 الأعلى ، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه ، ولا التقى رؤاد الرأي
 والنشاور إلا لديه . فوآه عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ، عهد ، وأففى
 إليه الأمر والنهى ، والقبض والبسط [عنده] ^(٥) . بعهده ، وجعله خليفته السّاد
 في رعاياه مسّده ، وأوطأ عقيمه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال ،
 وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمت العدل وحكم الكتاب
 والسنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا ينام عن حماه ^(٦) الخيف والخوف بالاضطّجاع ،
 ولا يتلّين دون معان شكوى ، ولا يتصام عن مستصرخ لذى بلكوى ، وأن ينظم

(١) وردتا هكذا في الإسكوريال . ومكانهما في « الزيتونة » (الحوادث) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (يوافقه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (التقى) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (جمله) .

أقصى البلاد وأدناها في سلك تديره ، ولا يكون بين القريب والبعيد بونٌ في إحصائه^(١) وتقديره . ثم دعا أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر ودنا من المسلمين ، فلبّوا مسرعين ، وأتوا مُطّعين ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرّعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة ، والتزام سنن^(٢) الجماعة ، وبذل المصيحة جهد^(٣) الاستطاعة ، ومناصفة من ناصفه ، ومُحاربة من حاربه ، ومكيدة من كايده ، ومُماندة من عانده ، لا يدّخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة ، ولا يحتجون^(٤) في حالتي الرضا والسخط إلى معذرة . ثم أمر بمخاطبة ساير أهل البلاد لمبايعته ، كل طائفة منهم في بلدها^(٥) ، وتعطيه كما أعطاه من حضر ، صفقة يدها ، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بمجبل دعوته ، الغايب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة ، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذائها موقوفة^(٦) ، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار ، وتمكن لديهم الدعة ، ويتمهد القرار ، وتنشأ لهم في الصلاح آمال ، ويستقبلهم جئ صالح وإقبال . والله يبارك لهم بيعة وضوان ، وصفقة رُجحان ، ودعوة يمين وأمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو ، نعم المولى ونعم النصير . شهد على إشهداد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته ، ولقيه حلة^(٨) عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل ، وأعطى صفقته طائعا متبرعا

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (أحكامه) .
 - (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (سنة) .
 - (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (قدر) .
 - (٤) هكذا في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يعجون) والأولى أرجح .
 - (٥) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .
 - (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وطنها) .
 - (٧) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .
 - (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلة) .

بها . وبالله التوفيق . وكتب بحضرة قرطبة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

دخل غرناطة غير ما مرة ، وحده ، وفي ركاب أميره .
توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسة (١) .

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
من أهل سرقسطة ، ودخل غرناطة ، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها ،
يكنى أبا الطاهر . وله المقامات اللزوميات المعروفة .

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً ، مُتَمَدِّداً في الأدب ، فرداً ، متقدماً في ذلك في وقته ،
وله المقامات المعروفة ، وشعره كثير مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن أبي علي الصديقي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ،
وأبي عبد الله بن سليمان المعروف بابن أخت غانم ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي
الحسن بن الباذش ، وأبي محمد عبد الله بن محمد الثجبي الذكلي ، وأبي القاسم
ابن صوابه (٢) ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وغيرهم . أخذ عنه القاضي أبو العباس
ابن مضاء ، أخذ عنه الكامل المبرد ، قال . وعليه اعتمد في تقييده . وروى
عنه المقرئ المسين ، الخطيب أبو جعفر بن يحيى السكتاني ، وذكره
وابن مضاء .

(١) وردت في الإسكوريال (وربعائة) . وهو تحريف . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . في «الزيتونة» (صرافه) .

توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادى والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بزمانة لازمتة نحووا من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره

أيا قرأتطلع من وشاح	على غض فآخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خمرآ	مُعْتَقَةً فَأَسْكَرَ كُلَّ صَاح
وأهدى إذ تهادى كل طيب	كخُوط البان فى أيدى الرياح
وأحيا حين حيا نفس صب	غدت فى قبضة الحب المتاح
وسوغ منه عتبى بعد عتب	وعلى براح فوق راح
وأجنانى الأمانى فى أمان	وجنح الليل مسدول الجناح

وقال أيضاً :

ومنعم الأعراف معسول اللما	ماشيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرت بليلة من وصله	والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضحت وردة خده بنفسى	وظللت أشرب ماءها من فيه

وقال أيضاً :

حكمت السلاف صفاته بحبابها	من نغره ومذاقها من رشفه
وتوردت لحكت شقايق خده	وتأرجت فيسيمها من عرفه
وصفت فوق ^(١) أديمها فكأنها	من حسن رونق وجنتيه ولطفه
لعبت بألباب الرجال وغادرت	أجسامهم صرعى كفعلة طرفه

(١) هكذا فى «الزيتونة» ، وفى الإسكوريال (فرق) وهو تحريف .

« ومن الغرباء في هذا الحرف »

محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويًا ساذجًا ، خشن البزة ، غير مُرهف التجند ، ينظم الشعر ، ويذكر
كثيراً من مسائل الفروع ، ومعانيات الفرائض ، يُجمع بها في مجالس الدُّوس ،
تشقى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السَّجِّية ، وحسن العهد ، وقلة التصنع .
وجرى ذكره في الإكليل : كريم الالتئام ، مستنزل^(١) بأغصان الشجرة
الشَّماء ، من رجل ، سليم الضمير ، ذى باطن أصفى من الماء النخير ، له في الشعر طبع
يشهد بعروية أصوله ، ومضاء نصوله .

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين ، وقد أمر له بكسوة :

مَنْحَتْ مُنَحَّتِ النَّصْرُ وَالْعَزُّ وَالرِّضَا	وَلَا زِلْتُ بِالْإِحْسَانِ لَهُ مُقْرَضًا
وَلَا زِلْتُ لِلْعَلِيَّاءِ جَفَى مُكَلِّمًا	وَلِلْإِمْرِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ مُقْبِضًا
وَلَا زِلْتُ الْأَمْلَاقَ بِاسْمِكَ تُتَقَّى	وَجَيْشَكَ وَفَرَايِلُ الْأَرْضِ وَالْفَضَا
وَلَا زِلْتُ مِمُّونَ النَّقِيبَةِ ظَافِرًا	مُهَيِّبًا وَوَهَّابًا وَسَيْفِكَ مُنْقَضًا
تُقَرَّرُ بِهِ الدِّينَ الْخَنِيفَ وَأَهْلَهُ	وَتُقَمَّعُ جَبَّادًا وَتُهْلِكُ مُبْغِضًا
وَصَلَّتْ شَرِيفَ الْبَيْتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وَحَوْلَتِ أَسْنَى مَرَادٍ وَمُقْتَضًا
وَجُدَّتْ بِإِعْطَاءِ الْأَجِينِ وَكُسُوةِ	سُتُكْسَى ثَوْبًا مِنَ النُّورِ أَيْضًا
وَمَا زِلْتُ الْأَنْصَارَ تَفْعَلُ هَكَذَا	نَالِ عَلَى فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ ، متظلل .

هم نصروا الهادى وآووا وجَدُّوا
نُحْذِ ذَا أبا الحجاج من خير مَدَحِ
فقد كان قبل اليوم غاض قريضة
ونظَّمُ القى يسمو على قدر ما يرى
ومن حِكَمِ القولِ اللهُمَّ مَتَّحِ اللهُمَّ
فلا زال يهديك الشريف قصائدا
وقال يخاطب من أخلقته بوارق الأمل فيه ، وخابت لديه وسائل قوافيه :
الشعر أسنى كلام خُصَّ بالعرب
وأفضل الشعر أبيات يمدحها
فما يُوفى كَرِيمٌ حقَّ مَدَحِهِ
المال يَفْنَى إذا طال الثَّوَاءُ بِهِ
وقد مدحت لأقوام ذى حسب
مدحتهم بكلام لو مدحتُ بِهِ
فعاد مدحى لهم هجواً يَضُدُّهُ
فكان ما قلتُ من مدحهم كَذِباً
وقال فى غرض يظهر من الأبيات ، يخاطب السلطان :

مالى أرى تاج الملوك وحوله
فكأنه البازى الصُّيُودَ وحوله
يا أيها الملك الكرام جدوده
أبدلها من بالبيض من صَفِيَّهِمَا
عُبدان لا حلم ولا آداب
نَفَرْتُ يَقلب ريشه وغراب
أسنى المحافل غيرها أتراب
إن العبيد محلُّها الأبواب

وفاته

توفى فى حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
قرطبي الأصل ، تولى الولادة والمنشأ ، ابن نعمة وغذى جاه وحرمة

حاله

كان حبيباً فاضلاً كريماً ، سخياً . ورد على الأندلس ، مُفْلِتاً من نكبة أبيه ،
وقد عَرَكَتْهُ عَرَكَ الرِّحَى لثقالها ، على سُنَنِ من الوَقَارِ والِدِيَانَةِ والحِجَاءِ ، يقوم على
بعض الأعمال النبوية .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : جواد لا يُتَعَاطَى طلقه ، وصباح
فضل لا يُمَاتِلُ فَلَقَهُ . كانت لوالده رحمه الله ، من الدول الحفصية منزلة لطيفة
المحل ، ومفاوضة في العَقْدِ والحُلِّ ، ولم يزل يسمو^(١) به قدم النجابة ، من العمل
إلى الحجابة . ونشأ ابنه هذا ، مَقْضَى الديون ، مُفْدَى بالأنفس والعيون . والدهر ذو
ألوان ، ومارق حرب عَوَان ، والأيام كُرَات تُتَلَقَّفُ ، وأحوال^(٢) لا تَتَوَقَّفُ ،
فألوى بهم الدهر وأنحى ، وأغام جَوْم^(٣) بَعَقِبَ ما أضحى ، فشملهم الاعتقال ؛
وتعاودتهم النُوبُ الثَقَالُ ، واستقرَّتْ بالمشرقِ رِكَابُهُ ، وحطَّتْ به أَقْتَابُهُ ، فنجح
واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر ، وعكف على كتاب الله فجود الحروف ،
[وأحكم الخلف المعروف]^(٤) وقيد وأسند ، وتكرَّرَ إلى دور الحديث وتردد ،
وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل . ولما استقر به^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسمو) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أحوال) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جوه) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النسخ (وقرأ المعروف) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بها) .

قراره ، واشتمل على جَفَنه غِراره ، باءوتُ إلى مؤانسته ، وثابرت على مجالسته .
فاجتمعت للسر وشخصاً ، وطالعت ديوان الوفا مُستقصاً .

شعره

وشعره ليس بحايد عن الإحسان ، ولا غفلي من النكت الحسان . فمن ذلك
ما خاطبني به :

يُئِمِّنْ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ يُمِّنْ	هَذَا الْقَطْرُ وَانْجَمِ الْقَطْرُ
أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ	بِحُورِ الدَّيَمِ الْمُدِّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَسْنَانًا عَدِمْنَا مَغَانِيًا	إِذَا ذُكِرْتَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا عِبْرُ
هَنِيئًا بِعِيدِ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَاجِدِ	كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال :

لَعَلَّ عَفْوِكَ بَعْدَ السُّخْطِ يَغْشَانِي	يَوْمًا فَيُنْعِشُ قَلْبَ الْوَالِدِ الْعَانِ
مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنِّي قَدْ عَهْدْتُكَ	ذَا حِلْمٍ وَعَفْوٍ وَإِشْفَاقٍ وَتَحَنُّانِ
فَاصْرِفْ حَنَانَكَ وَأَعْظِفْ عَلَيَّ	وَجُدْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تَحْيِي جِسْمِي الْفَانِ
فَقَدْ تَنَاهَى الْأَمْسَى عِنْدِي وَعَذَّبَنِي	وَشَرَّدَ النَّوْمُ عَنْ عَيْنِي وَأَعْيَانِ
وَحَقُّ الْأَيْكَ الْحُسْنَى وَمَالِكَ مِنْ	طَوْلِ وَفَضْلِ وَإِنْعَامٍ وَإِحْسَانِ
إِنِّي وَلَوْ حُلْتُ الْبُلُوبَى عَلَى كَيْدِي	وَأَسْبَكْتُ فَوْقَ خَدِّ دَمْعِي الْقَانِ
لَوَانِقُ بِحَنَانٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي	عَمَّا قَرِيبٍ وَعَفْوٍ عَاجِلِ دَانِ
دَامَتْ سَعُودُكَ فِي الدُّنْيَا مَضَاعِفَةً	تَذِلُّ طَوْعًا كُلَّ سُلْطَانِ

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد

ابن سعيد الأنصاري الأوسي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك، من أهل مراکش، وسكن
غرناطة.

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله غريب المنزع ، شديد الانقباض ، محبوب
المحسن ، تذبو العين عنه جهامة ، وغراية شكل ، ووحشة ظاهر ، في طي ذلك
أدب غص ، ونفس حرّة ، وحديث ممتع ، وأبوة كريمة ، أحد الصابرين
على الجهد ، المتمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة . وأبوه قاضي القضاة ،
نسيج وحده ، الإمام العالم ، التاريني ، المتبحر في الأدب ^(١) ، تقلّبت به أيدي
الدهر بعد وفاته لتبعية سلّطت على نسبه ، فاستقر بمالقة ، متحارفا مقدورا عليه ،
لا يهتدى لمكان فضله ، إلا من عثر عليه جزافا .

شعره

من لم يصنّ في أمل وجهه عنك فصنّ وجهك عن ردّه
واعرف له الفضل وعرف به حيث أحلّ النفس من قصده
ومما خاطبني به قوله :

وليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرّفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه ذنّ القدر ليس لها بمدرك
وأشدني في ذلك أيضاً رحمة الله عليه :

وليت فقيل أحسن خير وال فعاق مدى مداركها بفضله

(١) الإشارة هنا إلى أبيه القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب « الذيل والتكملة » .

والهواة^(١) عاملا على الياحة والعزلة ، علما بالمعارف القديمة . مضطاما بتفاريق النحل ، قائما على صناعة العربية والأصلين ، طبقة الوقت في الشعر . وفل الأوان في النظم المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، وزج الجزالة بالسلاسة ، ووضع الألفاظ البيانية ، واضعها . شديد الانتقا والإرجا ، حامدا زار الرؤية ، منافسا في الطريقة منافسة كبيرة . كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيّان ، ثم فر عنهم ، وقد أوجس منهم خيفة . لبعض ما يجري بأبواب الملوك . وبعد ذلك بمدة ، قدم غرناطة ، فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه ، ومت إليه بالوسيلة العلمية ، واجتنبه بخطبة^(٢) التلميد ، واستقره^(٣) بتأنيسه وبره ، وأقعه للإقراء بجواره . وكان يروم الرحلة ، وينوى السفر ، والقضاء يُشبطه . حدثني شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب ، قال بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر فشتى ذلك عليه ، وكأفنا تحريك الحديث بحضرته . وجرى ذلك . فقال الشيخ أنا كالدّم بياي ، اتحرك في كل ربيع .

شعره

وشعره بديع . فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر ، ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطاب :

مشوق زار ربك يا إماما	محا آثار دمنتها الثماما
تتبع ريقه الطلّ اوتشافا	فما نفعت ولا نفعتم أواما
وقبل خدّ وردتها جهارا	وماراعى لضرتها سادما
وما لحريم بينك أن يداني	ولا لئلا قد دوك أن يُساما
ولكن عاش في رسم مغمى	تجشّمه سلاما واستلاما

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي أزهار الرياض (الهوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بمخططة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال ربما قرئت (واستفسره) .

نَفْسُ رَوْضَةِ الْمُطْلُولِ وَهَنَا
تَلْقَى طَيْبَ بـ... تَه (١) حَدِيثًا
فِيَا نَفْسَ الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاحَا
وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِمَاهَا
فَلَا تُبْصِرْ بِسَرِّهَا قَضِيهَا
وَعَانِقِ قُرْبَانَتَهَا اؤْتَبَاطًا
وَنَافِحِ عَرَفِ زَهْرَتِهَا كَيْمَا
يُؤَا بَرَقًا أَضَاء (٢) عَلَى أَوَالِ
أَنْغَرِ إِمَامَةٍ أَنْتِ ابْتِسَامًا
خَفَقَتْ بِبَطْنِ وَادِيهَا لَوْ
أُمْسِيهِ قَلْبِي الْمَضْنَى احْتِدَامًا
وَلَمْ | أَنْسَرْتَنِي وَطَرَدْتَ | (٣) عَنِي
وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجَفَى
تَعَرَّضْ لِي فَأَيَّقُظْتَ (٤) الْقَوَافِي
وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَمَا مَسَى
وَجَرَعْتَ الْعَدْوُ نَمًّا زُعَافًا
دَعَوْتَ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَا سَا
نَزَعْتَ شَوَاهِ كَبْشَهُمْ نَطَاحَا
أَضَامَ وَفِي يَدِي قَلْبِي لَمَازَا

خَشَنَ وَشَمَّ وَيَّاهُ فَهَا مَا
رَوَتْ مُسْنَدًا عَنْهُ النُّعَامَا
وَلَمْ تَعْرِفْ لِسَانُكِهَا مَقَامَا
فَرَدَّتْكَ الْعِرَادَةُ وَالْمُزَامَا
وَلَا تُذْخِرْ بِمَسْرَحِهَا سَوَامَا
وَصَافِحِ كَفِّ سَوْسِنِهَا التَّزَامَا
تَعَاطِكَ مَاءَ رَيْقَتِهَا مُدَامَا
يَمَانِيًّا مَتَى جِيتِ الشَّامَا
أُمُّ الدَّرِّ الْأَوْامِي ائْتِظَامَا
وَنَلَّتْ عَلَى ثُنْيَتِهَا حُسَامَا
عَلَى مَذْدَتْ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا
خَيَالًا كَانَ يَأْتِينِي لِمَامَا
كَلَامُ أَنْخَنِ الْأَحْشَا كِلَامَا
وَلَوْ تُرِكَ الْقَطَا يَوْمًا لَنَامَا
جَدَعْتَ رَوَاطِبَا وَقَلْبَتِهَا مَا
فَكَانَ لِحَسَدِهِ مَوْتًا زُومَا
وَرُعْتَ خَيْسَمَهُمْ ذَاكَ اللَّامَا
وَلَمْ أَتْرِكْ لِقَرَمِهِمْ سِنَامَا
أَضَامَ أَبَا سَعِيدٍ (٥) أَوْ عَلَامَا

(١) هكذا في الإسكوريال حرفان بينهما بياض .

(٢) وفي نص (أُنْزَل) .

(٣) وفي نص (أَسْكَرْتَنِي وَصَدَدْتَ) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فَانْبَطَتْ) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي نص آخر (بغير جرم) .

به وبسا أذلق من لسانى
وغرام الوزير أبى سعيد
به وبسجله البر انتصارى
أشمن بن عامر لا تكفى^(١)
وردت فلم أرد إلا سرايا
قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً
وجاجاني على كرم ندام
وذلت المذامع من إياي
ومن أدبى نصبت لهم حبالا
فلم أرمثل ربى دار أنس
ولا كأيبه أوكنى أبيه
كفانى بآبن عامر خفض عيش
وإنى من ولايك فى يفاع

ومن شعره رحمه الله قوله :

تراجع من دنياك ما أنت تارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها
حلاك منها ما خلا^(٢) لك فى الصبا
تظاهر بالسؤلوان عنها تجملا
وتسألها^(٣) العتيبي وهاهى فارك^(٤)
وشر وداد ما تود الترائك
فأنت على حوايه متهاك
فقلبك محزون وثرعك ضاحك

(١) وردت هذه الشطرة فى نص آخر كالاتى (خليل إن قدرت فلا تكفى) .

(٢) هكذا فى الإيسكوريال . وفى النسخ (تسألها) .

(٣) ورد فى مخطوط الإيسكوريال (اللوحة ٦٨ فى أسفل الصفحة) ما يأتى : الفرق بغير

المرأة زوجها ، وقد فكرته تفكره فهى فارك .

(٤) هكذا فى الإيسكوريال . وفى النسخ (حلا) والأول أرجح .

تنزهتُ عنها نَحْوَةٌ لا زهادة
ليالى تُغْرِى بى وإن هى أَعْرَضَتْ
غصون قُدُودٍ فى حِفافِ رِوَادِفِ
تُطَاعِنُنِي مِنْهُنَّ فى كُلِّ مَلْعَبِ
وَكَمْ كِلَّةٌ فِيهَا هَتَكَتُ ودونها
ولا خِدْنٌ إِلَّا ما أَعَدتْ رَدِينَهُ
تُضِلُّ فِوَادِ المِرْءِ عَنْ قَصْدِ رَشْدِهِ
وفى كُلِّ سِنٍّ لَابِنُ آدَمٍ وَإِنْ تَطَلَّ
وإلا فالى بعد ما شابَ مَفْرِقِ
أُجُوبُ إِلَيْهَا كُلَّ بَيْدَاءٍ مَمْتَلِقِ
واسترشد الشَّهْبُ الشَّوَابِكِ جَارِ
هُنَّازِزِ أُمثالِ الجِيادِ تُوودَةُ
ظَمًا ، وما غَيرَ السَّماوَةِ مَورِدِ
ذو أَهْلٍ عَنْ عَضِّ الرِّجَالِ ظُهورِها
إِذا ما نَباعَنَ سُنْبُكُ الأَرْضِ سُنْبُكِ
تَقْدُّ بِناءِ فى كُلِّ قاعٍ وَقَدْفِدِ
فأَمامُها وى كالسَّحابِ مَوالِيعِ
قِلاصٌ بِأَطوافِ الجَدِيلِ بَوالِيعِ
تَراعى بِها لَيدَ النُّوقِ كُلِّ مُرْتَمِى
وَكَمْ مَنازِلَ خَلِيتُهُ لِطالِبِها

وَشَعَرُ عِذارى أُسودُ اللَّونِ حالِكِ
زَنابٍ مِنْ ضَوائِها وَعَوائِكِ
تَمائِلُ مِنْ ثِقَلِ بَينِ الأَرائِكِ
ثُدَيَّ كَأَسنانِ الرِّماحِ فِوائِكِ
صَدُورِ العِوالى وَالشَّيُوفِ البِوائِكِ
لِطالِبِها أَوْ ما تَحَيَّرَ هالِكِ
فِوائِرُ الحَماظِ لِلطَّلِبِ الفِوائِكِ
سَنوهِ طِباعِ جَمَّةٍ وَعِوائِكِ
وَأَعَجَزَ رَأى عَجَزُ مِنَ الرِّكَارِكِ
تَرافَقنى فِيها الرِّجالُ الحِوائِكِ (١)
إِذا اشْتَبَهَتْ فِيها حِىَّ المِسالِكِ
أَغْوارِبِ أُمثالِ الهَضابِ تَوائِكِ
وَيَنْحِى وَمادونِ الصَّواةِ مِبارِكِ
إِذا ما اشْتَكَتْ عَضُّ السَّروِجِ المِوارِكِ
هَلَمَعْنَ فَلانَتْ تَحْتَمِنُ السَّنابِكِ
بِوَايِكُها وَالْمُنغِياتِ الدِّراهِكِ
وَأَمامُها رَكا كَلِرابِيعِ بَواشِكِ
وَجُرْدُ لَأَوساطِ الشَّكِيمِ عِوالِكِ
فَهِنَّ نَواحٍ لِلرَّدى أَوْ هِوالِكِ
تَعَقُّيهِ تَعَدَّى السَّافِياتِ السَّواهِكِ

(١) الحوائك من حتك أى أسرع فى السير .

يمرُّ به زوَّاره وعفاته
 وآثارتُنَّا تقْصادم عهدهم
 لوارب أفراس ونزى حذاة
 تمرُّ عليه نَسمة الفجر مثلما
 وأز كب كالشَّهْد يَنْفُج بُرْدَه
 يطلبها مِنِّي غريمٌ مُماحِك
 أحاول منها لما تعذَّر في الصُّبا
 يسلى الفتى منها وإن راق حُسْنُها
 فمنها ملالٌ دايِم لا تَمَلُّه
 تهاون بالإفك الرجال جهالةً
 تزن طول تسهادى وقدرى تَمَلُّملى
 تغير على الدهر منه جَحافل
 فليت الذى سوَّدتُ فيها مَعْوَضُ
 ألا لا تُدْكَرْنى تِلْسان والهُوى
 فإن أدكار ما مضى من زمانها
 ولا تصمِّنْ أمواها لى فإنها
 ومن حال عن عهدٍ أو أخْفَرِ ذِمَّةً
 سقى منزلى فيها وإن نَحَّ دَمْعُه
 وجادت تَرى قَبْرِ بِمَسْجِدِ صالِح
 ولا أَقْلَمْتُ عن دار يواس مُرْنَة

وما آن به إلا الصُّووق الحبايك
 وهنُّ عليه جانيات بَواريك
 ثلاث أُنثى كالنَّمام سَوادِك
 تمرُّ على طيب العروس المداوك
 للمجهول حَسْبى ماله للدهر مُبايَك
 ويَمُطِّلُنِي منها عديمٌ مُمَاعِك^(١)
 ومن دونه وَقْعُ الْجَمَام المُواثِك
 حَسَايف لا تُحصى ومَبَارِك
 وتُرور إناك عن رِضى الحق آفِك
 وما أَهْلَكَ الأحياء إلا الأفايَك
 طَوال الليالى والنجوم النَوايك
 كأنَّ مُدَوِّمَ الرِّجْم فيها نَيَّاك
 بما بَيَّضَتْ مَنى دُجَاهَا الحَوَاك
 وما دَهَكَتْ مَنَّا لُخْطُوب الدَّوَاهِك
 لِحَسْبى ولِلصَّبْرِ الجَميل لَنَاهِك
 لنيران أشواقى إِلَيْهَا مُحَاوَك
 فإنى على تلك العهود لِرَامِك
 عَهْدُ الغَوادى والدُّمُوع السَّوَاك
 رَواعِدُهَا والمُدْخِجات الحِمَاك
 يَرى صِداه لَقَطَرُهَا المُتَدَارِك

(١) ورد في هامش المخطوط : مماعك (المعاقل) والملك (الباج) . وفي انقلاوس ملك ،

أى مطلقه ودافعه .

إلى أن يروق النّاعرين رُواؤُها
ويصبح من حول الحيا في عِراصِها
ولا برحت منه ملايكة الرّضى
وطوبى لمن روى منازلها الحيا
ألا ليت شعري هل تُقضى لُبائقي
وهل تمكّن الطّيفُ المَغيبُ زيارة
وهل تغفلُ الأيامُ عنها بقدر ما
وباليت شعراى أرض تَقْلُنِي إذا
وأى غرار من صفاها يحثني
إذا جَهِلَ الناسُ الزمان فإنني
تَشَبَّتْ إذا ما قَتَ عمل خطوة
ولا تَبْدِلُ وجهاً لصاحب نعمة
تَجَسَّمُ ما استطعت واحذر أذاهم
فكل على ما أنعم الله حاسد
ولا تأنس ريبة الزمان فإنه
تمنى مصاب بربر وأعاره
وبدّرت الليالي الجون حَوْضِي بالاجها
فما أذُعَنْتْ إلا إلى عُشَارٍ
ولا قَصَدْتُ إلا فَنائِي وقوْذُها
به شَرُفْتُ أذواوها وملوكها
فلا تَدْعُونِ غيري لدفع مُلِدَةٍ
وُِرْضِي الرُّعَاوِي نَبْتُهَا المُتَلَحِّك
زُرْزَقٌ تحكى بُسْمُهَا ودَرَّانِكُ^(١)
تصلي على ذاك الصّدى وتبارك
وبُتْرِي لمن صلّت عليه الملائك
إذا ما انقَضَتْ عَشْرُ عليها دكادك
فيرقب أو تُلْقَى إليه الرّوامك
تُودِي إليها بالعِتابِ الخالك
كلٌّ عن رجلي الجلال اللالك
إذا فقدتني مَسْهَا والدَّكادك
بدونهم دون الأنام لحائك
فإن بقاع الأرض طُرّاً شوائك
فما مَلُ بَذل الوجه للسترهاتك
ولا تَلَقَّهم إلا وأهرشك شانك
وكلُّ إذا لم يَعْصِم الله حاسك
بمنّ فات منا لا محالة فانك
وترضى ذكامى فارس والهنادك
وتعرف إقدامى عليها المهالك
ولا أَصْفَقْتُ إلا على الشكاشك
ولن أملت إلا قتامي الضرارك
كما شَرُفْتُ بالنّوْهَارِ البرامك
إذا مادهم من حادث الدهر داهك^(٢)

(١) في هامش المخطوط : الدرّانك ضرب من البسطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (داعك) .

فما إن لذاك الصوت غيري^(١) سامع
يَغْصُرُ وَيَشْجَى نَهْشَلُ وَجُشَاعِ
تَفَارِقِي رَوْحِي^(٢) الَّتِي أَسْتُ غَيْرَهَا
وماذا عسى ترجر لداتي وأرتجى
يعود لنا شرخُ الشَّباب الذي مضى
ومن شعره أيضاً قوله :

سَحَّتْ بِسَاحِكِ يَا مَحَلَّ الْأَدْمَعِ
ولطالما جادت ثرى الآمال من
لله أيام بها قضيتها
فلقد رَشَفَتْ بِهَا رُضَابَ مُدَامَةٍ
في روضة يرضيك منها انما
تجري بها فقر سكنت^(٣) وهانها
فقر كريعان الشباب وعهدنا
نفائة الأنواء في عقد الثرى
حتى إذا حاك الربيع برودها
بدأت كإيم زهرها تبدي بها
قد صُمَّ منها ما تجمّع مغلق

وَتَصَرَّمت سَفَاً عَلَيْكَ الْأَضْلَعِ
جاوى مؤملك الغيوث الهُجَمِ
قد كنت أعلم أنها لا ترجع
بذسيم أنفاس البديع تُشْعِشِعِ
مرعى لأفكار الندام^(٤) ومشرع
أجدي بميدان الكلام وأسرع
بجنبها وهو الجنب الأيمن
والنفث في عقد الثرى لا يمنع
وكسا رباها وشبه المتنوع
بدعاً تفرق تارة وتجمع
إذ بُتَّ منها ما تفرق مضجع

(١) وردت في الإسكوريال (غير) . والتصويب: من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الروح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ثنائي) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الافانك) .

(٥) وفي نص (النداء) .

(٦) وفي نص (كيت) .

وكلاهما مهما أودت مُسالم
كل له شَرع البيان مُحلل
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
فمرجل من وقها ومهلل
أبدى البديع بها بدائع صنعه
وموشح ومرشح ومصدر
كل بروق بها بحسن^(١) روايه
ولقد غدوت بها وفي وكنائها
بمطهم الفكر الذي ما إن له
قيد المغالب لا يزال نجبه
أرمى به الأمد البعيد وإنه
من بعد ما عفت الواري سبله
لسكنى جدت دائر رسمه
أوضحت فهم حدوده وضروبه
حتى ورتت من السماع موارد
مع كل مصقول الذكاء لخدسه
يرتاد من نجع العناصر نجمة
لا شيء أبدع من تجاوزها وما
فإذا تنشع مزجها أوري بها

ومحارب ومؤمن ومروّع
المنكر في مثل هذا مدفع
أدباً يُنظّم تارة ويسجع
ومسمط من نظمها ومصرع
فجنس ومبدل ومرصع
ومكرّر ومفرّع ومتسع
وإذا تزين به كلامك تبرع
طير لها فوق الغصون ترجع
إلا بمستن الأدلة مرتع^(٢)
بين الجياد لعنته أو يوضع
حمل يضل به الدليل الأصم
وتحت معالمة الرياح الأربع
فطريقه من بعد ذلك مهيع
والكل في كل المسالك ينفع^(٣)
فيها لظمان المباحث مسرع
لذكاء أسرار الطبايع مطلع
فيها مصيف للعقول ومرّع
يبتدى بها ذاك التجاور أبدع
نار الجبابر مرجها المتشعشع

(١) وردت في الإسكوريال (حسن) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مصرع) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يدفع) .

فَكَيْفُ سِرِّ حَيَاتِهِ بِجَبَابِهَا من بعد قَدَحِ زَنَادِهَا مُسْتَوْدَعِ
وهنا تُفَاضُ عَلَيْهِ صُورَتُهُ الَّتِي لِبَهَائِهَا شُمُّ الطَّبَايِعِ تَخْضَعِ
من وَاهِبِ الصُّورِ [الَّتِي قَدْ خَلَعَهَا] ^(١) بِبَيْدِ حَكَمَتِهِ الْحَكِيمِ الْمُبْدِعِ
رَبُّهُ لَهْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ يَقْضِي بِهَا الْبَدْعِ وَالْمُتَشَرِّعِ
وَحَلَّتْ مِنْ أَرْضِ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعًا نَفْسِي الْفِدَاءَ لَهَا وَهَذِي الْأَرْبَعِ
قَامَتْ زَوَايَاهَا فَمَا أَوْتَادِهَا إِلَّا تَقُومُ مَا تَقِيمُ الْأَضْلَعِ
وَتَنَاسَبَ أَقْدَارُهَا نَسَبًا لَهَا لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُهَا فِرْعُ فَرْعِ
فَأَجَلٌ مَا تَدَسَّخَتْ بِحُلُولِهَا مِنْ بَارِقِ كَلْبَابِ رُشْدِي يَلْعَ
لَا شَكَّ أَنْ وَرَاءَهُ مَطَارًا لَهُ فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِيَاسِ مَوْقِعِ
بَحْرُ رَوَى مُتَرَعٌ مَلَاحُهُ مِنْ فَيْضِهِ هَذَا الرُّوْيِ الْمُتَرَعِ
لَمْ لَا أَضْيَعُ بِهَا عِيَادَ مَدَامِي إِنِّي إِذَا لَعُوهَا لَمْضِيعِ
خَلَّى لَوْ لَمْ تَسْعَدَانِي فِي الْبُكَاءِ لَقَطَعْتُ مِنْ حَبْلِكَا ^(٢) مَا يُقْطَعِ
أَرَأَيْتَا نَفْسًا تَفَارِقُ جِسْمَهَا وَبِهِ تَنْعَمُهَا وَلَا تَنْوَجِعِ
عَظُمْتُ رَزِيئَتُهَا وَأَيُّ رَزِيئَةٍ ظَلَّتْ لَهَا أَكْبَادُنَا تَتَصَدَّعِ ^(٣)
هَذِي حَمَامُكَ يَا عَلِيَّ سَوَاجِعُ وَأَخَالُهَا أَسْفَا عَلَيْهِمَا تُسْجَعِ
إِنْ طَارَحَتْنِي وَرَقَهَا فَبِأَضْلَعِي شَوْقُ يَطَارِحُهُ إِذْ كَارَ مُوجِعِ
أَهْ عَلَى جِسْمِي الَّذِي فَارَقْتُهُ لَا كُنْتُ رَمَنْ جِسْمِهِ لَا يَرْجِعِ
وَمِنْ الْعُجَابِ رَجُوعُ مَا أَوْدَى ^(٤) بِهِ دَهْرُ بَتَشْتَتْ ^(٥) الْأَحِبَّةِ مَوْلِعِ

(١) وردت في الإسكوريال (الذي قد خصمه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (حبلكما) والتصويب أرجح للوزن والسباق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (تنقطع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (أردى) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بتشتت) .

الحورُ منه إذا استمر طبعه
هذى عقوبة زلة سلفت بها
قد كنتُ أُنْعِمُ رَمَحُ نَفْسِي قَبْلَهَا
لم لا وقد أصبحتُ بعد محلة
دار يدرُ الرزق من أخلاقها
وكانَ بجلستها البهيَّ بصرها
وكانَ مجمرَ عنبرٍ بفنايتها
وكانها المتوكلية بهجة
في حجر ضب خافض بجواره
يا نفثة المصدور كم لك قبلها
وعساك تنفع غلة بك إنها
لله أنت مداعة أودعتها
بدوية في لفظها ونظامها
لم لا تشفع في الذي أشكوها
كملت وما افتدعت فأى خريفة
بارت على فأصبحت لحياها

والعدلُ منه إذا استقام تطبع
من أكل طعمته التي لا تشبع
واليوم أوجبُ أنه لا يمنع
فيها السحاب بالراغب تهمع
ولكم دعا داعٍ بها من يوضع
ملك بأعلى دسسته^(١) متربع
يذكي ما قد سيف^(٢) منه يسطع
وعلى بن الجهم فيها يُبدع
من كان قبيلُ له العوامل تُرفع
من زفرة بين الجوانح تسفع
بجحيم ما أسبلته لا تنفع
من كل سِرٍّ بالضمائر يُودع
حضرية فيما به يترجع
ومثالها في مثله يُتشفع^(٣)
لو كان يفرعها همام أروع
مى بضافي مرطها تتلفع

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، وهي من مشاهير أمداحه :

(١) وردت في الإسكوريال (دسها) . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (ضاع) .

(٣) وردت في الإسكوريال (تشفع) والتصويب أرجح .

سَلَّ الرِّيحُ إِن لَّمْ تُسْمِعِ السَّفْنَ أَنْوَاءَ
وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَإِنِّي لَأَصْبُو لِأَصْبَا كُلِّمَا سَرَّتْ
وَأُهِدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ^(١) تَحِيَّةً
وَاسْتَجْلِبِ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِي
لَعَلَّ خِيَالاً مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
وَكَيْفَ خُلُوصَ الْهَيْفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا ^(٢)
وَإِنِّي لَمُسْتَقٍ إِلَيْهَا وَمُنِيٍّ
وَكَمْ قَائِلٍ تَفْنَى غَرَاماً بِحَيْهَا
لَعَشْرَةٌ أَعْوَامَ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ
يَطْنَبُ فِيهَا عَابَثُونَ ^(٣) وَخَرْبُ
كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ لِمُسْكَمِهَا
فَلَا تَبْعِينَ فِيهَا مَنَاحاً لِرَاكِبِ
وَمِنْ عَجَبِي ^(٤) أَنْ طَالَ سَقَمِي وَتَزَعَمِهَا
وَكَمْ أَرْجَفُوا غِيظاً بِهَا ثُمَّ أَرْجَوْا
يَرُدُّهَا عِيّاً بِهَا الدَّهْرُ مَثَلَمَا
يُرَدُّدُ حَرْفُ الْفَنَاءِ فِي النُّطْقِ فَأَفَاءَ
فِيَا مَنَزَلاً نَالَ الرَّدَى مِنْهُمَا اشْتَهَى تَرَى وَهَلْ لَعُمُرُ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْ نَسَاءَ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وَمِنْ) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وَدُونَهَا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عَائُونَ) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وَتَنَاءَ) وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (عَجَبِي) .

وهل للظن الحرب التي فيك تلمت على
 وهل لي زمان أوتجى فيه عودة
 فواسيئ حالي^(١) إن هلكت ولم أقل
 ولم أطرق الدير الذي كنت طارقاً
 أطفئ به حتى تهـرر كلابه
 ولا صاحب الأحسام ولهـدم
 وأسحم قارى كشعري حُلـمكة
 فما إشرابي في سواك مرارة
 وبإدارى الأولى بدرب [حلاوة]^(٢)
 أما [آن] أن يحى حماك كمده
 أما أن أن يعشوا لنارك طارق
 يرجى نوالاً أو يؤمل دعوة
 أحن لها ما أطت النيب حولها
 فما فاتها منى نزاع على التوى
 كذلك جدتى في صحابي وأسرقتى
 ولولا جوار ابن الحكيم محمد
 حافى فلم تنتب محلى نوايب
 وأكفاه بيتي في كماله جاهه

إذا ما انتقضت أيام بوسك إطفاء
 إليك ووجه البشر أزهـر وضاء
 لصحبي بها الغر الكرام الأهاؤا
 كعادى^(٣) وبدوا لأنق أسلغ مسناء
 وقد نام عساس وهوم سباء
 وطرف لحد الليل مذ كان وطاء
 تلالاً فيه من سقى الصبح أضواء
 ولا لطعامى دون بابك إمراء
 وقد جدت حيث فى بلاها وأرداء
 وتجتاز أحماش^(٤) عليك وأحماء
 جنيب له رفع إليك ودأء
 فما زال قارى فى ذراك وقرأء
 وما عاقها عن مورد الماء إظاء
 ولا فاتنى منها على القرب إجشاء
 ومن لى به من^(٥) أهل وددى إن فاؤوا
 لما فات نفسى من بنى الدهر إماء
 بسوء ولم ترزأ فوادى أرزاء
 فصاروا عبيداً لى وهم لى أكفاء

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (فواجريال) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص آخر (بليل) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (أصحاب) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النص (نى) .

يؤثرون قصدي طاعةً وحجةً
دعاني إلى المجد الذي كنتُ آملاً
وبوأتني من هَضْبَةِ العِزِّ تَلَعَةً
إِشايَني فيها^(١) إِذَا سَرْتُ حَافِظاً
ولا مثلاً نومي في كفالة غيره
بغِيضَةٍ لِيثٍ أو بِمَرْقَبٍ خَالِبٍ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمُلْكِ كَمَا فُلُ
وَأَخْوَانُ صَدَقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ
سُرَاعٌ لَمَّا يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ
إِلَيْكَ أَيَا عَبْدِ الْآلَاءِ صَنَعْتُهَا
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَعِيبُ لَزُومَهَا
أُذِعْتُ بِهَا السِّرَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ^(٢) آمَلاً
وَمَنْ يَتَكَلَّفُ مُفَحِّمًا شُكْرَ مِنَّةٍ
إِذَا مُنِّسِدٌ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ وَمُنْشَى
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ .

أُطَارَ فُؤَادِي بِرَقِّ الْأَحَا قِيمٌ ضَمَّ بَعْدَ لَوْ كَرَّ جَنَاحَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (شَاهِدَا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (مِنْهَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (يَشِيْعِي مِنْهَا) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَبَزُّ) .

(٥) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (أَنْتِ) . وَالتَّصَوُّبُ مِنَ النَّفْحِ .

كأنَّ تألَّقَه في الدُّجَا
 أضواء وللعين إغفاءة
 كعَفَى خَفَى بدا بعضُه
 كأن النجوم وقد غرُبت
 لواءب^(١) باتت تُجِدُّ الشَّرى
 وقد لبس الليل أتمَّاله
 وأيقظ روض الرُّبَا زهره
 كأن النهار وقد غلها
 أتى يَسْتَفِيز دموعي امتِّياحا
 فلم يَلْقَ دجن انتعابى شجيا
 ولولا توقُّد نار الحنَى
 ومما يُشَرِّد عني السَّكرى
 ينوح على وأبكى له
 أعين أُرِيحِي أَطْلَت الأَسَى
 دعيني أُرْدُ ماء دمعى^(٢) فلم
 أحنُّ إليك إذا سفت ريحا
 وأفنى التياحا إليك وم
 ولولا سَخايم قوم أبوا
 أباحوا حِمَاي وم مرة

حُسام جبان يهاب الكفاحا
 تلذُّ إذا ما سنى الفجر لاحا
 وزيد يمانا فزاد اتِّياحا
 نواهلُ ماء صدَّرن قُمَاحا^(١)
 فأدركها الصبح رُوحى وإلاحا
 فمَحَّت^(١) عليه بلاً وانصياحا^(١)
 فحيا نَسِمْ صَبَاه الصَّبَا
 مبيت مال حواه اجتياحا
 ويُلَهَب نار ضلوعى اقتداحا
 ولم يَلَفَ زَنَدَ اشتياقى شَحا
 لا نَفَدْتُ ماء جفونى امتِّياحا
 هديل حَمام إذا نمتُ صاحا
 فأقطع لَيْلى بَكا أو نياحا
 عليك وما زدت إلاَّ انتزاحا
 أُرِد بعد مايك ماء قَراحا
 وأبكى عليك إذا ذُوت راحا
 أشحتُ بوجهى عنك اتِّشا
 إِيابى رَكتُ إليك الرِّياحا
 كَحِيتُ حَى عِرْضَهم أن يُباحا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتى : قمح البعير إذا رفع رأسه وامتنع من الشراب ربا -
 لواءب رُوحى ملاحا : كل ذلك بمعنى أعيا - مع الثوب إذا بلى ، وانصاح الثوب إذا انشق .
 (٢) وفى نص : عيني .

ودافعتُ عنهم بشعري انتصارا
 أباعوا ودادي بخسا فسلَّ
 وأغروا بنفسى طلابها
 وآلوا يميننا على أن ما
 فشاورتُ نفسى فى ذا فما
 فبتُ أناغى نجوم الدُّجى
 أجوب الدياجير وحدى ولا
 وإلا الثَّالب تحنَّس فى
 أجوز الأفاحيص فيحاً قفارا
 فأعني شوارد هذى عداء
 وجواب بدو إذا استنبحو
 يرون قتالى فى الحجر حلاً
 قصدتُ هنام^(١) فلم أخطهم
 فسلَّ كيف كان خلاصى من
 ولا مثلُ بيتِ تيممته فلم
 عيابا ملاء ونيباً سمانا
 وإلا أغارب شُم الأنوف
 وإلا يعافير سودُ العيون
 يرذذن فينا لحاظاً مرأضا
 فكان الجزاء جلای المتاحا
 أكان سماحهم فى رباحا
 سرَّاراً فجاءوا لقتلى صراحا
 توهمتُ لم يكُ إلا مزاحا
 رأيتُ لى بغير الفلاة فلاحا
 نجا فلم ألق^(٢) إلا نباحا
 مؤانس إلا القطا والسراحا^(٣)
 مبيتى فتملأ سمعى ضباحا^(٤)
 وأعرو الأذاحى غربا فساها
 وأعلو لوانى تلك صياحا
 أجابوا عواء وأثوا النباحا
 وإذهب نفسى فيه مباحا
 أعاجمُ شوس العيون قباحا
 أسارهم أسرى أم سراحا
 ألفَ إلا الغنا والسماحا
 وغيداً خدالاً^(٥) وعوداً أقاحا
 كرامُ الجدود فصاحاً صباها
 برين فساد الحُب صلاحا
 يمرضن من القلوب الصباحا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الف) .

(٢) فى الهامش : جمع سرحان وهو الذئب . (٣) الضباح هو صوت الثعلب .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (سناهم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (حسانا) .

وتحت ألوجاج طلاً رَّبَّرب
أراني محاسن منه فلم
حَيَّاً وسيماً وفرعاً أثيلاً
وأبدى لعيني بدايع لم
إذا لم يُرد غير سَفَك دمي
وما زلتُ مَمَحّاً بنفسي كذا
وبابن رُشيد تعوّذت من
وقد ضاق صدري عن كُتْمه
وبابن رُشيد تعوّذت من
ألح الزمان بأحداثه
أعاد شبّابي مَشِيّاً كما
وفرق بيني وبين الأهل
أخي وسميَّ أَصِيخَ مُسْعِداً^(١)
فقد جَبَّ ظهري على ضعفه
وطوّح بي عن تِلِمَسَان ما
وأعجل سيري عنه ولم
نأى بصديقك عن رَبِّيه
وكان عزيزاً على قومه
فها هو إن قال لم يُلتفت
عجبتُ لدهري هذا وما

لو أنّ القيان رفعن ألوجاحا
أطلق عن حِماه بقلبي براحا
وقدّاً قويمّاً وردفاً رداحا
يدع لي عقلاً بها حين واحة
فحلّ وبل له ما استباحا
متى ما رأيتُ الوجوه الملاحا
هواه فقد زدتُ فيه افتضاحا
وأودعته جَفْن عيني فباحا
خُطوب أجَلَن على القداحا
فألقيتُ طوعاً إليه السّلاحا
سمعت وصيّر نسكي طلاحاً^(١)
ولم يَر ذا عليه جُناحا
لشجو حَزِين إليك استراحا
كُداماً وأدهى شواتي نطاحا
ظننتُ فراقى لها أن يُتاحا
يدعني أودّع تلك البِطاحا
فكان له النّأى موتاً صراحا
إذا هاج خاضوا إليه الرّماحا
إليه امتهاناً له واطّراحا
ألاق مساءً به وصباحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (صلاح) . والأول أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مسمّا) .

لقد هدني مفي ركننا شديداً
وقيت الردي من آخر مخلص
وإني على فيح ما بيننا
أحن إليه حنين الفحول^(١)
وأسأل عنه هبوب النسيم
وإن شئت عرفان حالي وما
فقلب يذوب إليك اشتياقا
وغرس وداد أصاب فضاء
كراسخ مجد تأملته
وعلياء بوتهها لو بقى
مكارم جمعت أفذاذها
ودرس علوم تهيم بها
نشأت عن الخير واعتدته
وقت^(٢) لها أيما رحلة
بهرت رجال الحديث اقتداء
فما [إن جليس]^(٣) إذا قلت قال
ولو لم تحجج بها مكة
وأما أنا بعد نهى النهى

وذلل مني حياء لقاحا
لو استطعت طرت إليه ارتياحا
لأتبع ذاك الشدا حيث فاحا
ونوح الحمام إذا هو فاحا
وخفق الوميض إذا ما ألاحا
يعانيه جسمي ضنى أو صحاحا
وصدر يفاح إليك اشراحا
نديا وصادف أرضا براحا
فلم تخش بعد عليه امتصاحا
سواء إليها السماء طاحا
فكانت لعطف^(٤) علاك وشاحا
عمرت الغدو به والرواحا
فلم تدري إلا التقي والصلاحا
كسحت المعاوف فيها كنتساحا
وفت رجال الكمال اقتراحا
أو أن الخطيب إذا لحت لاحا
لحج الملايك عنك صراحا
فما زادني^(٥) الطبع إلا جماحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المجول) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المغيب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (رحلت) .

(٤) وردت محرفة في الإسكوريال (ابن حبيش) .

(٥) وردت في الإسكوريال (زاد) والتصويب لازم لاستقامة الوزن والسياق .

أدير كؤوسَ هواى اغتباقا وأشرب ماء دموعى اضطباحا
فبرد جواى برد جواب توبخ فيه مشى الوقاحا
وهن بنيات فكرى وقد أتيتك فاحفض لهن الجناحا

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره ، ويدكر غفارة وجهها له مع هديه :

كبت العدى لنعامك البغت فلى الهنا وللعدى الكبت
يامن الى جدوى أنامله يزجى^(١) للسفين وتزجر البمخت
لولاك لم يوصل بناحية وخذ ولم يقطع بها دشت^(٢)
لولاك لم يطلع بها نشر منه ولم يهبط بها خبت
خولتنى مالم تسعه يدى فأصابنى من كثره نعمت
شئ أياك كلما عظمت عندى تلكا خاطرى الهت
يعيى لسانى عن إذاعتها ويضيق عن شكرى لها الوقت
وطأتلى الدنيا فلا عوج فيما أرى منها ولا أمت
أمكنتنى منها فما ليدى رده ولا لىمى القالى عت
بانمت فى برى ولا نسب أدلى إليك به ولا حسب
لكن حسبى إن مت به يوماً إليك ودادى البمخت
بوركت من وجل برؤيته يوسى الضنا ويعالج الغت
لوسار فى بهماء مقفرة فى حيث لا ماء ولا نبت
لنفجر الماء النخير بها ولأعشب أرجاؤها^(٣) المرت

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (يرجى) .

(٢) الدشت هنا بمعنى الصحراء .

(٣) مكانها بياض بالخطوط . والإضافة من (المتخبط النفيس) .

لا تحسبن البخت نيل عني
 آلت جلالته وحق لها
 أظهرت دين الله في زمن
 شيدته وهددت ممتعضاً
 أمنت أرض المسلمين فلا
 وحفظتها من كل نائية
 ونهجت سبيل المكرمات فما
 لم تبق غفلاً من متاعها
 هادين طغاة الكفر ما هدأت
 دغها تودع في معاقها
 كم ذذتها عنا وقد هبرت
 بوقوف طرفك عند شدته
 ويشكر ما أظهرت من كرم
 لك من ممالكها وإن رغمت
 ولكل أصيد من بطارقها
 لولا لبك البيض ما أرقمت
 عنده لمن ينتابه مقة
 ولو أن يظنك لم تسئل لما
 يا ابن الحكيم أمنت صرف ردى
 وبئمنه أنست من أملى
 نيل الرضا منه هو البخت
 أن لا يحيط بكفها نعت
 ما زال يغلب حقه البهت
 لضياعه ما شيد الجبت
 ذئب يخاف بها ولا لصت
 نخشى فأنت حفيظها الشبت
 لمؤل عن غايه ألت
 إلا وفيه لحاير برت
 حتى يجيء نهارها ألحت
 ما لم تعد جفتها العقت
 لهراشنا أشداقها الهرت
 يئبى ويفخر ملكها الرت
 في ذاك تفصح عجمها المرت
 ما جال فيه جوادك الحت
 في كل أرى له دعت
 للقيامها أفراسنا السكت
 ولمن يئيب لغيره مقت^(١)
 ذلت أنوف طغاتها السلت
 أبداً له في أثلقى نحت
 ما لم يكن يوماً له عرت

(١) هذا البيت مدون بهامش المخطوط . وفي نص (المقت) .

مَشِّي الوزارة مـوئلي وله
وبأسه أَطْنِي شِراةَ من
عمّ الوري جوداً وفضلَ غني
وهمي على عالٍ ومُنخَفَضِ
ظل إذا نصْطافُ معنِـدلُ
يتضاءل الصبح المنير إذا
حتى كأن شمس الضحى قرّ
وغريّة في لطف صَنَعَتِها
يَنفَأى الندى بها إذا لَبِسَتْ
زنجيةً لكن لَحْتِـدها
مثل العروس على مَنَصَّتِها
لأكون أنحلّ ما أكون هُدى
وبمثل شَيْبى فوق حُلْكَتِها
تُظهِرُنِي بلباسِها وبه
لازلتَ تُؤزِنِي بها أيداً
وبقيتَ تُدرك ما تُريد وما

مادمت أملك قدرتي أقتُ
يَعْشُو وأقْدَحُ أنف من يَمَتُ
حتى تساوى العَدُو والغَلَتُ
لم يبق فـوقُ لا ولا تَحْتُ
عَطرِ الشَّذا وحياً إذا نَشَتُ
لاقى سَناء جبينك الصَّلَتُ
وكان ضوء شعاعها نُفُتُ
يَمْضِي الزمان وما لها أُخْتُ
وبيديه إن طُوِيَتْ بها التَحْتُ
في الرُّومِ يَعْنُو القس والشَّنْتُ^(١)
من شأنها التَّزِين والزَّتُ
فيها فيَعْبُلُ جَسَى الشَّخْتُ
يُبْدُو الوقارُ ويحفظُ السَّمْتُ
عندي لها الإيثار ما عِشْتُ
ولا تَفِ من يَشْقَى^(٢) بذا السَّلْتُ
تَهْوَى بقاء ماله فتُ

ومن شعره أيضاً في المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت في ديوان مجموع
من أمداحه منها قوله :

طَرَقَتْكِ وَهِنًا أُخْتُ آلِ عِلاجِ والرَّكْبُ بَيْنَ دَكادِكِ وَحِراجِ
في ليلةٍ لَيْلَاءٍ لم يَنْبِجْ بها كَلْبٌ ولم يَصْرَخْ أَذِينُ دِجاجِ

(١) يرمز بها هنا إلى القداسة - مثل شنت ياقب ، وشنت مريه ، وبالإسبانية Santo

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يشجى) .

أني اهتدت المضالين توهنوا
متسربلي برد الظلام كأنهم
وثقوا بمحمود الشرى وتسئلوا
ومنازل دُرسُ الرسوم بلاقع
تحت معالمهن غير منلم
وموائل مثل الحمام جوائم
ومشجج مازل منهل الحيا
حتى أعاد لعوده أوراقه
وكسا عراة عراضه من وشيه
لا مثل ليلات [مضين سريعة] (١)
أدركت منها في صباي مطالبي
كم ليلة مرت ولم يشعر بها
بتنا ندير إلى انبلاج صباحها
وتدير أعيننا حديث غوامنا
بمآرج (٢) النفحات من دارين أو
وخلوص ود في نقاء سريرة
أحضنته حظي من الزمن الذي
واخترت قرب جواره خلوصه
ما في زمانك غيره فاخلص له

منها لهتك دياجر ودياج
فيه قidah في رماية ساج
لخارم مجهولة وفجاج
أخوين (١) من هيج ومن هيجاج
كسوار تاج أو كدملج عاج
ورق وأسمج دائم التشجاج
يبكي صدها بدمعه الشجاج
خضر الظلال ذكية الأراج
خللا ثبور صنعة الدياج
بردت حرارة قلبي المهتاج
وقضيت منها في شبابي حاج
غيري وغير منادمي وسراج
كأس الهوى صيرفاً بغير مزاج
بمرازي من فضها (٣) وأحاج
بمدارج النسمات من دراج
كسلاف راح في صفاء زجاج
أعني مراسي أهله وعملج
وتركت كل ثمادق مراح
غيباً وداهن من أردت وداج

(١) وردت في الإسكوريال (أقوين) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنجب سويقة) . والتصويب من (المنتخب) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص (فضة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بمورج) .

لا تَحْمِلُنْ بغيره واستعفين
أترك بني الدنيا وأعرض عنهم
نزّهت نفسى عنهم بنوالة
أصبحت من آلايه وولايه
ولو أنى عجت الركب مئيمما
طلق إذا احتمك الزمان أنار فى
طود الرصانة والرزانة والحجا
وغمامه الهامى على آماله
وهزبر أجام القى الضارى إذا
ضمن الإله له على أعدايه
أبقى أبو عبد الإله محمداً
وبنى أبو إسحق قبل وصنوه
وجرى على آثار^(١) أسلاف لهم
ما منهم إلا أعز مبارك
بيت بنوه من سراوة رخير
كم كان فى الماضين من أسلافهم
أساس كل رياسة ورؤس
أعيت نجوم الليل من سهر وما

بوقاره عن كل غمر ماج
فمساك^(٢) تطعم لذة الإلاح
وحفظتها من جاهه بسياج
فى عزّة ضحيا وعز داج
أحداً سواه ما تحدث معاج
ظلماته كالسكوب الوهاج
بحر الندى المتلاطم الأمواج
من غير إرعاد ولا إزعاج
سقطت عواتمها^(٣) على الأزجاج
ما شاء من ظفر ومن إفلاج
ما شاد والده أبو الحجاج
رُكنا الضعيف ومعدنا^(٤) المحتاج
درجوا وكثّم على منهاج
مصبح ليل أو صباح عجاج
فى الذروة العلياء من صنهاج
من ربّ إكليل وصاحب تاج
كل سياسة وليوث كل هياج
أعيا أبو موسى من الإدلاج

(١) وردت فى الإسكوريال (ياسا) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (عواملها) . والتصويب من المشتبه .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى نص (ؤلا) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (أسال) .

حتى أصارته لرحمة ربه يوم العقاب وقيعة الأعلاج
وأقيم نجل أخيه بعد مقامه فيهم يطاعن مثله ويواج
فردا يلف كتابيا بكتائب ويكب أفواجا على أفواج
حتى تجل دجن كل عجاجة عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
من مثل يوسف في قراع^(١) كتياب ولقاء أعداء وخوض لجاج
أو من يشق من الأنام غباره في رد آراء ونقض حجاج
إن خاض يوما في بيان حقيقة [أنهى عن]^(٢) الثورى والحلاج^(٣)
وإذا تكلم في الغريب وضبطه لم يعبا بالعنى والزجاج
أنست قصايد جرول^(٤) أشعاره وأراجز المعلى^(٥) والعجاج
جمع الفصاحة والصباحة والتقا والجود في وجد وفي إحراج
تخشاه أسد الغاب في أجماتها والرؤم في الأسوار والأبراج
إننا بنى قحطان لم نخلق لنـير غياث ملهوف ومنعة لاج
نبرى طلا الأعراب في الميجافى اللاؤاء سوف نمارى الأعراج
بسيوفنا البيض اليمانية التى طبعت كحز غلاصم ووداج
تأبى لنا الإحجام عن أعدائنا يوم اللقاء طهارة الأمشاج
أنصار [خير العالمين]^(٥) وحزبه وحماته فى الجحفل الزجاج
وفداته بنفوسهم ونفيسهم من غدر مغتسال وسببة هاج
هم صفوة الخلق التى اختبرت له وسوامهم تهمج من الأماج

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (نزال) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى نص (أربى على) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (العجاج) . والأول أرجح .

(٤) ورد فى هامش المخطوط ما يأتى : جرول هو الخطيئة . والمعلى هو أبو النجم .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (دين الماشى) .

إِلَّا الْأَلَى سَبَتُوا بِيَاهِرِ فَضْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ
وَكُنِيَ بِحِكْمَتِنَا إِقَامَةُ حُجَّةٍ وَبِرُّ كُنْهِنَا مِنْ كَمِيَّةِ الْحِجَابِ
وَلَنَا مَفَاخِرُ فِي الْقَدِيمِ شَهِيرَةٌ كَالصُّبْحِ فِي وَضَحٍ وَفِي إِبْلَاجِ
مِنَّا التَّبَاعَةُ الَّذِينَ يَسَابِهِمْ كَانَتْ تُنْيِخُ جُبَابَهُ كُلِّ خِرَاجِ
وَلَا مَرَمَ كَانَتْ تُدِينُ مَمَالِكُ السُّدُنِيَا بِلَا قَهْرٍ وَلَا إِحْرَاجِ
مَنْ يَقْتَدِحُ زَنْدًا فَإِنْ زِنَادَهُمْ فِي الْجُودِ وَارِيَّةٌ بِلَا إِخْرَاجِ
أَبْوَابُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لَصُيُوفِهِمْ أَبَدًا بِلَا قُتْلٍ وَلَا مِزْلَاجِ
وَمَا اشْتَهَرَ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

أَرَّقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثَالٍ كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ لَيْلِي ذُبَالٌ
أَثَارُ شَوْقًا فِي ضَمِيرِ الْحَشَى^(١) وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنِ خَدْيِ أَسَالٍ
حَكِي فَوَادِي قَلْقًا وَاشْتَعَالَ وَجَفَنُ عَيْنِي أَرْقًا وَانْهَمَالَ
[جَوَانِحُ تَلْفَحُ نِيرَانَهَا وَأَدْمَعُ تَنْهَلُ مِثْلَ الْعَزَالِ]^(٢)
قُولُوا وَشَاءَ الْحُبُّ مَا شِئْتُمْ مَا لَذَّةُ الْحُبِّ سِوَى أَنْ يُقَالَ
عُذْرًا لِلْوَامِي وَلَا عُنْدِي فِزْلَةُ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالَ
قَمِ لَطَرْدِ الْهَمِّ بِمَشْمُولَةٍ تَقْصُرُ اللَّيْلُ إِذَا اللَّيْلُ طَالَ
وَعَاطِيهَا صَفْرَاءُ ذَمِيَّةٌ تَمْنَعُهَا الذَّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَالَ
كَالْمِسْكِ رِيحًا وَالْأَمَّا مَطْعَمًا وَالتَّبَرُّ لُونًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالِ
عَتَقَهَا فِي الدَّنِّ تَحَارُهَا وَالْبِكْرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
لَا تُثْقِبُ الْمَصْبَاحَ لَا وَاسْتَقْنِي عَلَى سَيِّ الْبَرْقِ وَضُوءِ الْهَلَالِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحشا) .

(٢) هذا البيت وارد في النسخ . وساقط في الإسكوريال .

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمِ مِسْطَارِهَا بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدُّوَالِ
 فِي رَوْضَةٍ بَاكِرٍ وَنُجْمِهَا^(١) أَخْلَجَ دَارِينَ وَأُنْسَى أَوَالِ
 كَأَنَّ فَارَ الْمِسْكِ مَغْبُوقَةً^(٢) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شَمَالِ
 مِنْ كُلِّ^(٣) سَاجِي الطَّرْفِ الْحَاظُهُ مُنَوَّقَاتٍ أَبَدًا لِلنُّضَالِ
 مَنْ عَازَى وَالْكَلَّ لِي عَاذِلُ^(٤) مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
 مِنْ خُلِّيِ الْوَعْدِ كَذَّابُهُ لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيْ أَمْرِي يَبْقَى عَلَى حَالٍ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَا تَرَانِي آخِذَاً نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(٥) مِنْ مَحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَابِئًا كَمَلَّ مَا عَابَتْهُ قَبْلِي رِجَالِ
 يَا بِي ثَرَاءَ الْمَالِ عَلِمَى وَهَلْ يَجْتَمِعُ الضَّدَّانَ عِلْمٌ وَمَالِ
 وَتَأَنَّفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْلَا بَنْدُوزِيَّانُ مَا لَذَى الْعَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَى اللَّيَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَّفُوا عَلَى بَنِي الدَّهْرِ^(٦) خُطَاهُ الثَّقَالِ
 وَرِثْتُ^(٧) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا غَمَّرَ رِءَاةَ الْحَمْدِ عَمَّرَ^(٨) النَّوَالِ
 وَكَبَيْتُ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةً يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ^(٩)

(١) وردت في الإسكوريال (وسميته) ، والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (مفتوحة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (كف) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (عاذر) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سوفني) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الدنيا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (لقيت) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جم) .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بال) .

خُذْهَا أَبَازِيَّانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَمَلِحِ النَّزْعَةِ عَذْبِ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَافَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظُمُ الْأَلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
بُجَارِيًّا مِهْيَارَ فِي قَوْلِهِ مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ^(١)

ومما قال أيضاً ، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره . وهذا الرجل مُعَرَّبُ
النزعة ، في شغف نظمه على نثره :

عَجَبًا لَهَا أَيْنُوقَ طَعْمٍ وَصَالِحًا مِنْ لَيْسَ يَطْمَعُ^(٢) أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّمِ سَاعَةِ مِنْهَا وَتَمْنَعِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ [ذَا وَعَنْ]^(٣) عَيْنِي السَّكْرَى مُتَأَنِّفٌ^(٤) يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفَى مَطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدُّجَا مُتَضَايِلًا كَتَضَاوُلِ الْحُسْنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيمَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا فَتَصِيبُنِي الْحَاطِئُهَا بِذُبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِهِ فَكَأَنَّمَا زُفْتُ عَلَى ذِكَاةٍ وَقْتِ زَوَالِهَا
أُسْرَى فِعْطَرُهَا^(٥) وَعُطْلُ شُهِبِهَا يَأْبَى شَذَا الْمِعْطَارِ مِنْ مِعْطَالِهَا
وَسَوَادُ طَرَّتِهِ كَجَنَحِ ظَلَامِهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هَالِهَا
دَعْنِي أَشْمُ بِالْوَمِ أَدْنَى لِحَةِ^(٦) مِنْ ثَغْرِهَا وَأَشْمُ مِسْكَةَ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرَفِي فِي حَدِيقَةِ خَدِّهَا إِلَّا لِفِتْنَتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا

(١) وقصيدة مِهْيَارَ مَطْلَعُهَا : مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ أَشْدَ لَيْلٍ بَيْنَ طُولِ اللَّيَالِ
(النفع ج ٣ ص ١٨٧) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (يَأْمَلُ) .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (كَمْ ذَاذَ عَنْ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (مُتَأَلِّقٌ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (فِعْطَلُهَا) .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (لَمْعَةً) .

أنسبُ شعري رَقٍّ مثل نسيمها فشمول راحك مثل ريح شتاهما
 وانقل أحاديث الهوى واشرح غـ ريب لغاتها وأذكر ثقات رجاهما
 وإذا مروت برامة فتوقَّ من أطلايها وتمشَّ في أطـلالها
 وانصب لمغزلهـا حبالهـا قانصـي ودع الكرى شرَّ كالأصيد غزالها
 وأسل جداولها بفيض دموعها وانضح جوانحها بفضل سيجالها
 أنا من بقيَّة معشرٍ عرَّكتهم هنى النوى عرَّك الرِّحى يشقالها
 أكرم بها فئة أريق نعيمها بغيا فراق العين حسنُ جمالها^(١)
 حلَّت مُدامة وصلها وحلَّت لهم فإن انتشوا فبُطَّوها وحلالها
 بلغت بهرْمسَ غاية مانالها أحدت وناء بها لبعدها منالها
 وعدت على سُقراط صورة^(٢) كأسها فهريق ما فى الدن من جريالها
 وسرت إلى فلأب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلها
 ليصوغ من ألحانه فى حانها ما سوغ القسيس من أرمالها
 وتعلقت^(٣) فى سُهرورد فاسمورت عينا يؤرقها طروق خيالها
 فخبأ شهاب الدِّين لما أشرقت وخبأ^(٤) فلم يثبت لنور جلالها
 ما جُنَّ مثل جُنونه أحد ولا سمحت يد بيضا بمثل نوالها
 وبدت على الشوذى منها نفحة^(٥) ملاح منها غير لمعة آلها
 بطلت حقيقته وحالت حاله فيما يُعبَّر عن حقيقته حالها
 هنى صبا بتم ترقَّ صبا به فيروق شاربها صفاء زلالها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (مالها) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (سورة) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (وتعلقت) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (وخوى) .

(٥) هكذا و الإسكوريال وفى النفع (نشوة) .

إعلم أبا الفضل بن يحيى أننى
فإذا رأيت مؤلفاً مثلى فخذ
لا تعجبين لما ترى من شأنها
فصلاحها بفسادها ونعيمها
ومن العجايب أن أقيم بيـلدة
شغلوا بدنيهم أما شغلتهم
حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
وإن انتسبت فإنى من دوحه
من حمير^(١) من ذى وعين من ذرى
وإذا رجعت لطينقى معنى فما
لله دوك أى نجل كريمه
ولأنت لاعدى منك والد فخرها
أغلظ على من عاث من أئدالها^(٢)
والبس بها^(٣) أوليتها من نعمة
خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
ماجال فى مضلها شعر ولا

من بعدها أجرى على آسائها
فى عذله إن كنت من عذائها
فى جلها إن كان أو ترحائها
بعذابها ورشادها بضلالها
يوماً وأسلم من أذى جهلها
عنى فكم ضيعت من أشغالها
شمس الهدى عشوا^(٤) بضوء ذبائها
تتقيل الأقيال برد^(٥) ظلالها
حجر من العطاء من أقيالها
سلسلم بأرق من صلصالها
ولدتها فاس^(٦) منك بعد جبالها^(٧)
وسماك شؤددها وبدركها
واخشع لمن تلقاه من أبدالها^(٨)
حلل الشتاء وجراً من أذيالها
جاءتك لم ينسج على منوالها
سمحت^(٩) قريحة شاعر بمثلها

- (١) هكذا فى الإسكوريال . وفى أذهار الرياض (عشوا) .
- (٢) فى الإسكوريال (أرد) . والتصويب من الزيتونة .
- (٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (فلس) .
- (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة .
- (٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أبدالها) .
- (٧) وردت فى الإسكوريال (أبداتها) . التصويب من الزيتونة .
- (٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لما) .
- (٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (سمحت) .

وانلُ أبا البركات من بركاتها وادفعِ محال شكوكه بمحالها
هذه أمتع الله ببقاياك، وأسعد ببقاياك: وأراها بما تؤمله من شريف اعتنايك،
وترجوه من جميل احتفايك، ما تعرفُ به من احتذايك، وتعترفُ له ببركة
اعتفايك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء، بنت الأذواء والأقيال،
ومقصودة الأسرّة والحجال؛ بل أسيره الأساوير والأحجال. على أنها حليفة
آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صباية أغراب من صيابة أعراب،
جاورت سيف بن ذي يزن في رأس عُمدان، وجاوزت مسلمة بن مخلد يوم
جابية الجولان، وذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت لركة حده جسم
بني عبد المدان، وقربته وماشيم من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان،
قربت بيني جفنة مزار جلق، وسعرت لبني تميم نار محاق، ومرّت على مُعتاد
غالب، فما أنست ناره، وطافت ببيت عبد الله بن دارم، فلم ترض جواره،
ولو حلت بفنائة، واستحلت ما أحل لها من مبدول حبيائه، لا غتفر لها ما جنته
بيطان أواره، وكلماتها حبوت بجاشع وزرارة، مزقت على مزيقها جملًا، وأذهبت
يوم حليلة مثلاً، وأوكبت عذراً شر يومها يمدع^(١) بجلاً، وناطت بأذن
مارية^(٢) قرطها، وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول فحوّل
فوقفت، وأنفها يوم دارة جلجل فأنفت منه وما ألقت، عقر ناقته وانتمس
عبيطها، ودخل خدر عنيزة وأمال غبيطها. أغرت أبا قابوس بزياد، واسرّجت
للزبيدي فرس أبي داود^(٣)، ونافرت بجاتم طي كعب إياد، وساورت للمساور

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (يحدج).

(٢) وردت في الإسكوريال (ريه) والتصويب من (المنتخب).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (أدود).

بمثل جوده السَّائِر . ولئن بليت الجعفري ليبيدا ، فلقد استعبدت الأسدى عبيداً ،
وقطعت به في أثر سُلَيْمَاهِ الأَسَدِيَّة^(١) ، أُرْتِه المنيّة على حربة هندها المَلْحُوب ،
وما حال [قريضه]^(٢) دون جريضه ، وأقفر من أهله مَلْحُوب ، وما زالت تخبِط
في شعاب الأنساب ، فترشِد ، وتُنشِد ضالتها اليمانية ، فتنشد :

إن كنت من سيف بن ذي يزن فانزل بسيف البحر من عدَن
وذِر الشَّام وما بناه به السُّرُومى من قصر ومن قدَن^(٣)

تعلف سَيْلُ العِرم ، وترد غسان ، وتمهد لها أهضام تباله ، فتقول مرعى ولا كالسَّمدان ،
تساجل عن سَمِيحَةٍ بَابِن حُرَام ، وتناضل بسير يوم خزام ، وتُنشِى قاتل ستة آلاف ،
وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف ، فلو ساجلت بنسبها أبا كَرْب ، وأرته ضراعة
خدها التُّرب ، لسا جَلَّتْ به أخضر الجلدة في بيت العرب ، ماجداً يمالا الدُّلو إلى عَقْدِ
السُّكُوب ، بل لو حطت بفناء بيتها الحجرى رَحْلَهَا^(٤) ، وساجلت بفناء جَدَّهَا ذِي
رُعَيْن ، لاسْتَوَيْتْ سَجْلَهَا . كم عاذت بسيفها التيزنى ، فأدركت ذحلها ، ولأذت
برُكْنَهَا اليمنى فَأَجْزَلَ مَحْلَهَا . ولو استسقت بأوديتها ، لأذهبت مَحْلَهَا . كاخفت عن
دينها الحنيفة ، فما كُفُّهُمْ حُسَامَهَا ، ونافحت عن نبيها الأُمى ، فأيدت بروح القدس
سَهَامَهَا . سَدَّتْ باب الدرب دون بنى الأصْفَر ، وشَدَّتْ لموته ثوب موتٍ أحمر ،
وما شغلها كَسْرُ تَاجٍ كِسْرَى عَنْ قِرْعِ هَامَةٍ قَيْصَر . ولقد حلت من سنام نسبها
اليعرى باسمك ذُرْوَةٌ ، وتعلقت من ذمام نبيها العربى بأوثق عُرْوَةٍ . تفرَّد صاحب
تِيَاهٍ بَأَبْلَقِهِ الْفَرْدِ فَعَزَّ ، وتمرد ربُّ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ لما كان من ماردٍ في حِرْزٍ ، فما

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الأمهرية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المنتخب .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى رواية (مدن) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رجلها) .

ظنك ، أعزك الله ، بمن حل من قُدسَى عقله ، بِمَعْقِلِ قُدس ، يُطار إليه فلا يُطار ،
وراد من فردوس أدبه ، في جَنَّة لا يُضام رايدها ولا يُضار . زَها بِمجاورة المَلِك
فازدهى رؤساء الممالك ، وشُعِف بِمجاورة الملك ، فاشتغل عن مطالعة المسالك ، أُشِقُّ
غُبارَه ، وعلى جبين المرزم مَشارَه ، أو يُنْتَهَك ذماره ، وقلبُ الأسد بينه ، ودار
أخيه أسامة زاره . ولما قَضَت من أنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف
منازِعها الأدبية أطوارها ، وعطَّرت بنوافح أنفاسها الذَّكية آثارها ، وأطلعت
في ظُلم أنفاسها الدَّجُوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عطفَت على مَعْقِلِها الشاذلية
فحلت عِقالها ، وأمر لها فراق الوطن . فلما استمر [لها] ^(١) حلالها ، استودعت بطنان
تبالة آله ، وتركت أهضامها المُخَصَّصة وحلالها . أطلت على دارات العرب لُحيت
أطلالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية ، أذواء حَير وأقياها . أطمَمتها بلعمية المعيتها
الأعجمية ، ومثلها يطمع ، وجاء بها من قُدَماء الحُكماء كلُّ أوحدى الأحوذية ،
فباتت تخبُّ إليه وتوضع ، باحثة عن مركز داورهم ^(٢) الفيشاغورية ، آخذة
في إصلاح هيتهم الإنكساغورية ^(٣) ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا
علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نوايسهم
السكندانية ، من ماثور تأثير لاهوتية قواهم السَّيَاقية ، راغبة فيما يُفاد على
على مادتها الجُسمانية ، ويطرأ على عاقلِيتِها الهُيولانية ، من علويات آثار مواهبها
الربانية ، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة ، موافقة لما وافق من شوارِد آراهم
المُؤَوِّقة أحسن موافقة . وتحت هذه الأستار مُحَذرات أسرار أضربها الإسرار ،
وطالما نكر معارفها الإنكار ، ونُقلت من صُدور أولئك الصُدور ، إلى بعلون

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي نص (دائرنهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي نص (الإنكساوية) .

هذه الأوراق ، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق . وفي تلك
 المغاني ، أبكار معاني ، سكن الجوانح والصدور ، بدل الآرايك والحدور ، ولكن
 في دياجى ظلم هذه الأحاجى ، كأقمار في أطمار ، بهرن وما ظهرن ، وسطعن
 وما لمعن ، فعمشن وما رمعن ، واستملحن وما لمحن . أدرن خور أجفانن على
 ماخوريات ألحانن ، فهيجت البلبل نغم هذه البلبل ، واستقرخته الأكياس ،
 مثرعات تلك الأكواس . ماسخو بابل ، كخمر بابل ، ولا [منتقى] ^(١) أغانيهن
 الأوایل ، كحمايكم الهوادل ، إن وصلت هديلبها بحفيف ، وصلن ثقيلبهن بخفيف .
 إليه أيها الشمرى المشمل ، دعنا من حديثك المضمحل ، سربنا أيها الفارس الندس ،
 من حظيرة النفس ، إلى حضرة القدس ، صرح بإطلاق الجمال ، وجل من
 عالميتك الملكوتية في أفسح مجال ، تمش بين مقاصر قصورها ، ومعاصر
 خورها ، وخی البال ، رخی السربال ، فما يفسج لك على منوال ، نادم عليها من
 شغف دن مقراط ، إن استحسنيت لها حسان ، فما يصلح لك ، صالح بن علاط .
 بت صريع نحياها ، قد أوصت بمعالجة عقىر معاقرة عقارها بقراط ، لا تخش
 صاحب شرطها ، فلا شرط له عليك ولا اشتراط ، مالك غير مبيدك الأول ،
 من قال امثل الأمر ، وما عليك من أمر وال . على ريمك ما هذا العجل ،
 لا خطأ تنوقه ولا خطل ، أمكره أنت في هذه الكريهة ، أم بطل . لو علم أنك
 ضباوية هذا الخميس ، وخبشة ^(٢) ذلك الخميس ، لما عانى اليم ريس ، شوقاً إليك
 محمد بن خيس ، على أن لا غالب اليوم لا في غالب ، ولا طالب يدرك شأ هذا
 الصالب ، فقه بلا تفهيق ، وحذق في تحذلق . أقسم أبا الفضل بمالك على أبي
 البركات [من الفضل] ، ذلك العراق الأرومة ، لا هذا الفارسى الجرثومة ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مثقلات) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنعشته) .

وإن يك ذلك ، إسرائيلى الأصل ، وهذا إسماعيلى الجنس ، عاوى الفضل . فلتلك الذات ، شرف تلك الأدوات . قدّم لى غالبنا المذكور ، من بأسه الضر لا رُفع ، وأسمى من مقعد ، وقوطيهم المشهور ، من إغرناطة الحبراء ، ومن متبواً أبى أميتهم المرحوم ، من جنات جزيرتهم الخضراء ، فيما لنت أبا الفضل من هذه العريجة^(١) ، وألوك^(٢) . أو أيت فى عمرك ، مثل هذا الصعلوك ، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بئى غبرا . فأى شيء هذا المترع إيش ، لا حال لنا معك ولا عيش ، من يضحك على هذا العايش . ما هذا الخبل ، أخار بك أم نمل ، إرجع إلى ما كنت يصدده ، وقيت الزلل ، خذ فى الجدد فما يليق بك الهزل . رق عن ذلك فحك لنا منه أرق غزل ، ماذا أقول ، وأى عقل يطاوعنى على هذا المعقول . أفحننى والله عن مكالتكم هذه المحن ، ومنعتنى من طلب مسالتكم ، مالمكم على فى دنياكم هذه من الإحن . إن تكلمت كلمت ، وإذا استعجبت عجمت . أما هذه العلة آسى ، أم على هذه الفيلة مواس ، ما حيلتى فى طبع بلدكم الجاسى . إمام يلين لضعفى [أما يرق] ^(٣) قلب زمانكم القاسى . ما هذه الدمن يابنى حضراوات الدمن ، اظهرتم المحن ، فقلب لكم ظهر الميحن . إن مر بكم الولي حمقتموه ، وإن زجركم العالم فجزئتم عليه فسقتموه ، وإذا نجّم فيكم الحكيم ، غصصتم به ، فكفرتهموه وزلذقتهموه ، كونوا فوضى ، فما لكم اليوم [مسراً سواه] ^(٤) واذهبوا من مراعيكم المستوبلة ، حيث شتم ، فقد أهملكم الرعاة . ضيعتم النص

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (المجرتة) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (والدك) .

(٣) وردت فى الإسكوريال ، (أما يلين) مرة أخرى . والتعديل من كتاب (المنتخب

النفيس) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (سراه) والتصويب من «الزيتونة» .

والشرائع ، وأظهرتم في يدعكم العجايب والبدايع . تَقْتُمُ التَّفَاق ، وأقتم سوق
الفسوق على ساق . استصغرتكم الكباير ، وأبجثتم الصغائر . أين غنيكم الشاكر ،
يتفقد فقيركم الصابر ، أين عالمكم الماهر ، يرشد متعلمكم الحابر . مات العلم
بوت العلماء ، وحكم الجبل بقطع دابر الحكماء . جرّد لنا شريعتك يا أفضل
الشواعين . أتمّ فيها موعظتك يا أفصح التابعين . لا والله [ما يوقظكم]^(١)
من هذا الوسن ، وعظ الحسن ، ولا يُفقدكم من رقتن هذا الزمن ، إلا سيف معلّمه
أبي الحسن والسلام .

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعمائة . وتوفي في يوم مقتل صاحبه الوزير
أبي عبد الله بن الحكيم ، فرّ من دهليز جالوه فيمن كان بها من الأعلام ، بعد أن
نهبت ثيابه ، حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول ، هكذا تقوم
الساعة بقتة . ولقيه بعض قرابة السلطان ، ممن كان الوزير قد وتره ، فشرع الرشح
إليه ، فتوسل إليه برسول الله ، فلم يقبل منه ، وطعنه ، فقتله يوم عيد الفطر عام
ثمانية وسبعمائة ، وآخر العهد به ، مطرّحاً بالعراء ، خارج باب الفخارين ، لا يعلم
قبره^(٢) ، لمكان الهرج في تلك الأيام . نسل الله جميل ستره . وساء بأثر قتله إياه
حال [ذلك الرجل]^(٣) وفسد فكره ، وشرّد نومه ، وأصابته علّة رديّة ، فكان
يكتئب المرة بعد الأخرى ، يقول ابن خيس يقتلني ، حتى مات لأيام من مقتل
المذكور^(٤) .

(١) هذه الزيادة من الزيتونة ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مكانه) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قاتله) .

(٤) نود أن نشير هنا إلى أننا قد انتفعنا بمراجعة شعر ابن خيس ونثره ، على ما ورد منهما في

كتاب (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خيس - تلمسان سنة ١٩٦٥) لصديقنا العلامة الأستاذ
عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكني
يكفى أبا عبد الله .

حاله

كان فاضلاً ، متخلقاً ، أديباً ، شاعراً ، صوفياً ، جميلَ العشرة ، حسنَ الخلق
كريمَ العهد ، طيبَ النفس . كتب عن الأمراء بإفريقية ، ونال حظوة ، ثم شَرَّقَ
وحجَّ ، ولقي جلَّةً ، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة ، فلقى بغرناطة حفايةً ،
وانسحبت بها عليه جراية ، ثم انصرف إلى وطنه ، وناله به اعتقال ، ثم تخلص
من النسكة ، وأقام به ، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» : كاتبُ الخلافة ، ومُشعشعُ الأدب
المنزوي بالسلافة ، كان يرحمه الله ، بدلَ مجال ، وربَّ رويةً وارتجال ، قدم على هذه
البلاد ، وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عَاقِبُهُ ، فتلوم بها تلوم النسيم
بين الحمايل ، وحلَّ بها محلَّ العُفِّ من الوشاح الجليل ، ولبت مدة إقامته تحت
جراية واسمة ، ومبرة يانعة . ثم آثر قطره ، فوَلَّى وجهه شطره ، واستقبله دهره
بالإنابة ، وقلده خُطَّةَ السكتابة ، واستقامت حاله ، وحطَّت رحاله ، وله شعر
أنيق ، وتصوُّفٌ وتحقيق ، ورحلته إلى الحجاز ، صَبَّها في الخبر وثيق ، ونسبها
في الصالحات ^(١) عريق .

شعره

نقلت من خطِّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزاتين ، مما قيَّد عنه ، وكان
خبيراً بحاله :

(١) وردت في الإسكوريال (الصاحم) . والتصويب من النسخ .

رضى نلت من كل ما يهوى فلا توقنى موقف الذل والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذى يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى وأحلى من السلى
قنى أتسكى لوعة البين ساعة^(١) ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى
قنى [ساعة فى] ^(٢) عرصة المدار وانظرى إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكم فما حن مسراها إلى ولا أوى
فياربح حتى أنت من يعاربنى ويأنجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
خلفت ولى قلب جليد على النوى ولا كن على فقد الأحبة لا يقوى

وحدث بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراده ؛ أنه لقي ليلة نيباب
الملعب فى أبوابها ظميمة من ظبيات الأوس ، [وفتنة من فتن] ^(٣) هذا الجنس ،
فخطب وصلها ، وأتقى بقواده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وأنعطقت أنعطاف
العصن المياد ، فأبقى على نفسه ، وأمسك ، وأنف من خلع العذار ،
بعد ما تنسك ، وقال :

لم أوس وفتنتنا نيباب الملعب بين الرجا واليأس من متجنّب
وعدت فكنت مراقباً لحديثها يا ذلّ وفتنة خايف مترقّب
وتذللت فذللت بعد تعزّز يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها ما شيت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنّباً فتسكاد تحسبها مهارة الربرب
ورنت بلحظ فآثر لك فاتن أنضى وأمضى من حسام المضرب

(١) وردت فى الإسكوريال (ياعاوا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ساعدي) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى النسخ (تينة من قينات) .

وأرتك^(١) بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها
بمنظم في عقد سحطى جوهـ
وتمايلت كالغصن أخضله الندى
تنبيه أرياح^(٢) الصبابة والصبأ
أبت الروادف أن تميل بميله
مُسْجُوجاً بهلال وجه لاح في
يامن رأى فيها محباً مُغمرماً
ما زال مذولاً يحاول حيلة
فأجبال ناراً الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الأرواح قبل جسومها
ومن مقطوعاته البديعة ، مما يجمع بينه بغرناطة ، حرسها الله ، أيام مقامه
بها قوله :

أرى لك يا قلبي قلبي محبةً
فقابله بالبشر وأقبل عشيةً
ولا تمننوا بالقطر أو بلل الندى
فأحسن ما يأتى النسيم بليلة
وتقلت من خط الفقيه القاضى أبى جعفر الرهينى ، مما أملأه على بمنزله بغرناطة .
قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعمائة ، يوم إحرام السكبة الغلبيّة ، وذلك

(١) وردت في الإسكوريال (وأناك) . والتصويب من النفح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (لمعان) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (أرواح)

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (السحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (مسلك)

في شهر ذى القعدة على اصطلاحهم في ذلك ، وصِفَتْهُ أن يتزين سِدانة البيت من شبيبة
 بأحسن زِي ، ويعمدوا إلى كرسى ، يصل فيه صاعده ، إلى ثلث السكوة ،
 ويقطعها من هنالك ، ويبقى الثلثان إلى الموسم ، وهو يوم مشهود عند سكان الحرم ،
 يحتفل له ، ويقوم المنشدون أدراج الكعبة ينشدون . فقلت في ذلك :

ألم ترها قد ثَمَرَتْ تطلب الجدا	وتخبر أن الأمر قد بلغ الحدّا
فجد كما جُدَتْ إليها وثمر عن الساعد الأقوى تنل عندها سعادا	
طَوَتْ بُرُدها على السَّجَل كناية	لأمر خفي سره طَوَتْ البرُدا
وَأَنَدَتْ مَحِيّاها فحيا جماله	وقيل على صون المقلة ذلك الخدّا
فكم سَتَرَتْ سودُ البرود جلالها	وغطته لا كن عن سنّها الرّمدا
وكم خال ذاك الخال عما مُقَصَّر	عن العلم بالأسباب لا يعرف الحدّا
لقد سَفَرَتْ عن وجهها الكعبة التي	لها المسفى في حُسْنها المبدأ
وقالت ألا أين مُسَكَّلِي ، قصدوا إلى جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبدا	
فلبّت لها العشاق من كل جانب	يوثونها يستقربون لها التبعدا
فمن نَدَفٍ أَشْفَى على تلفٍ ومن	مُحِبٍّ على قرب يهيم بها وجدا
ومن ساهر على النجوم ولم يذق	بعينه طعم النور أو يبلغ القصدّا
يسائل عن بدرٍ وبدرٍ تجاهه	كذلك اشتراك اللفظ قد ينغص الخدّا
ومن مُسْتَهَام لا يقرّ قراره	كأن به من حرّ أشواقه وقدّا
يقلب قلباً بين جنبه موريا	أوار الأسى فيه فتحسبه زندا
إذا ما حدى حادى الرُّكَب ركابه	كأن قلوب الراكبين له تمجدا
أحاد بها إن أنت جئت بها مِنِّي	ونلت المني والأمن فانزل وودُوردا
ولا خوف هذا الخيف والتربة التي	سرت قد عين المصطفى عدا
وفي عرفات فاعترف وانصرف إلى	مشاعر فيها يرحم المالك العبدا

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
لئن صدقت فيك الوعيد جرايم
وعُد مفضياً للبيت طُف واستلم وقم
ورُد في الثنا والحمد والشكر واجتهد
وعُجْ نحو فرض الحب وأقض حقوقه
وزوق قبر من أولئك من هُدَيْهِ رَشْدًا
فمن عرف الإحسان زادته حمدا
فغفواً للجمل الصفح يصدقك الوعدا
بها للمقام الرحب واسجد وكن عبدا
فحسن نبيل العقد من ربك العقد

قال ، وكنت في زمن الحداثة ، أفضل الأصيل على السحر ، وأقول فيه ورقة
المودع ورقة المعتذر . فلما كان أوان الأسفار ، واتصلت ليالى السير ، إلى أوقلت
الأسفار ، وأيت أفق الشرق أشرق ، ووجدت القاييل بفضل السحر أصدق ،
فابتدأت راكباً ، فلما جيت لذكر الجنب العلى النبوى ، أتممت ماشياً ، وأنا
في رملة بين مصر وعقبة إيله ، وقلت :

ما أحسن الأفق الشرقى إسفاراً
إذا بدا سارت الأظعان هاديةً
يجلو غياهب ليل طالما سدلت
ونم منه نسيم ثم ذا بعد على
سمرت سحيراً فبرّت سرّذى سحر
سرت بيانات أكناف اللوى
طابت بعليّة أرواح معطرة
كأنما فلّق الإصباح حين بدا
حتى بدت وتبدت حسن صورتها
كأنه دعوة المختار حين بدت
من نوره كل نور أُنْتُ تبصره
فكم هدا في دُجى الإدلاج أسفاراً
له وصارت به الظلماء أنواراً
على المحبين فى الظلماء أستاذاً
أحاديث كانت ثم أسراراً
أهدت له ريح من يهوام معطاراً
فغنت كأن دارين قد أصبحت داراً
بها فأصبح أفق الشوق عطاراً
خدو بهجة حسن الشمس قد وارا
فعمته الأرض أنجاداً وأغواراً
دانت لها الخلق إعلاناً وإصراراً
وتوره زاد الأبصار إبصاراً

هذا به الله أقواماً به سعاداء لولاه كانوا مع الكفر كفاراء
 هو الشفيع الذي قالت شفاعته للدُّوبقين ألا لا تدخلوا النارا
 هو العفو عن الجاني وإن عظمت من المسيء ذنوب كان غفاراً
 هو الكريم الذي مارد سائله يوما ولو كرر التسأل تكراراً
 هو الحبيب الذي ألقى محبته في كل قلب فقلبي نحوه طاراً
 أحبه كل مخلوق وهام به حتى الجمادات أحجاراً وأشجاراً
 واشق بدر الدجاء من نور غرته وانهلكت السحب من كفيه أنهاراً
 ومن مقطوعاته ، قال ، ومما نظمته في ليل الشرى ، وتخيّل طيف الكرى ،
 أ قصيد قصده أي معنى أردته ، أشغل عنه ما بي منه :

منع الهجر من سُلبي هجوعا فأنثني طبعها يزيد الرجوعا
 بعثته ليلا يعلل قلباً مُستهماً بها محباً ولوعا
 لم يجد غير طُرف جفنٍ قريح شاخصاً يحوها يذره الدموعا
 وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بجاية ، وهو معتقل بقصبتها ،
 وقد امتنحه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس :

شرحُ حالٍ لمن يريد سؤالي إنني في اعتقال مولى الموالي
 مُطلق الحمد والثناء عليه وهو للعطف والجميل موالي
 لا أرى للولاة في احتكاما ووليُّ مالٍ على كل وال
 أرتجى بالمصاب تكفير ذنبي حسبما جاء في الصّاح العوالي
 لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها وكذا الشرُّ ذا وذا للزوال
 فاغتنم ساعة الوصال وكم من محنة وهي منحة من نوال
 فإذا غبتُ عنك فاحضر تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهبى نورٌ للنهار والنور منها وهى الانس فى الليالى الطوال
 فاستدبرتها تدبُّم ولا تضيِّج منها وأدبرها على اليمين ووال
 فإنَّ الكأس مجراها على اليمين ، ومسراها لى الصبح المبين ، تغنى عن
 الإصباح والمصباح ، وتدنى لهم معنى النور المشرق فى الوجوه الصُّباح ، وتجري
 فى الأشباح ، فترى فى الأرواح . وهذه الرسالة طويلة ، فيها كل بديع من
 نظم ونثر .

فأجابه رحمه الله :

أدغم هذه القيود الثقال ربُّ ودُّ مصيره للتغال
 طال صبرى على الجديدين حتى كدت مما لقيت أن يشقال
 إن بعض الرضا لديه فسيح أى مدد به وأى ابتقال
 حاش لله أن أكون لشيء شاده الصانع القديم بقال
 إن عندي من الثناء عليه لأمانى لم يملن القال
 يا إمامى الذى بودى لو أمكن لى إليه أوار قال
 أرجُ دنياك وارج مولاك واعلم أن راجى سواه غير مُقال
 وابتغاء الثواب من ربك أعمل فهو يجزى الأعمال بالمثقال
 واغتم غيبة الرقيب قفيها لقلوب الرجال أى صقال
 وأجل فى الوجود فكر غنى عن ضرور الإنعام والأحقال
 وإذا الوقت ضاق وسعه بالصبر ولا تنس من شهير المقال
 ربما تسكره النفوس من الأمر له فرحة كحل العقال

لا غرؤ أن وقع توان ، أو تلوم دهر ذو ألوان ، فالأمر بين الكاف والتون ،
 ومن صبره لم ينوء بصمقة المغبون - وللسعداء تخصيص - ومع التقريب تمحيص ،

وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير ممتنوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادى أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامى العلية نظره، ناطقا بلسان التفويض، سارحا من الرضا في القضاء العريض، لا يذأ بالانقياد والنسليم، قائما على أسكفة باب الأدب، لمناوبة حكم الحكيم.

ومنها: والوقائع عافا كم الله وعاظ ونحن هُجود. وفي الحى إيقاظ، وما كل المعاني تؤذيها الألفاظ. وهذا الفنا الذى نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماء الدنيا، وما هى إلا فتون، وجنون فنون، وحديث كاه مجنون. وقد يجمع الله الشيتيين، ولن يقلب عسرئ يسرين ولا باس، وياخطب لا مساس، وأبعد الله اليأس، وإنما يوفى الأجر الصابرون، ولا ييأس من دوح الله إلا القوم الكافرون. وهى طويله بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها، وأرسم فى جملة الكتاب بها، وحدثت عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد الممدانى، وعن الإمام بهاء الدين الخيرى عن أبى الطاهر السلفى، وعن جماعة غيرهم. وكان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقى من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، وأحل بسبنة، فأكرم ويسها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، وأنزله بدار جليلة، كان بها علو مغل على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لا مراقتضى ذلك، فكتب إليه:

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله فى مغرب أو مشرق

منها :

وخفضت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرفٍ مُطرق
وتجول في البلاد ، ولقي من بها ، واتصل بالأمير أبي علي بسجدة . ومدحه
بقصيدة حفظ له منها :

فيا يوسف الحسن والصفح والرضا تصدق على الدنيا بسلطانك العدل
ثم اتصل بوطنه .

وفاته

نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور : وفي عام أربعين وسبعمائة ، توفي
بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف ، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي
المليكشي الشهير بابن عمر ، صدوق في الطلبة والكتاب ، شهير ذو تواضع
وإيثار ، وقبول حسن ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني

من أهل تونس يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل الفاضل ، صاحب زوارة وأبهة ، نظيف البرّة ، غارهُ المُرْكَب ،
صدوق عن الملة ، مقيم للرسم ، مطفئ في مكيال الإطراء ، جموح في إيجاب الحقوق ،
مترام إلى أقصى آماد التوغل ، سخيّ اللسان بالثناء نثراره ، فكه مطبوع ، حسن الخلق ،

عنب الفكاهة ، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأنزة ، وممن دونهم بالمدخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالآبيات ، ويتقدّم في باب التحسين والتّقييح ، ويقوم على تاريخ بلده ، وينابر على لقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولى الرواية . قدّم على الأندلس في إحدى جمادين ، عام خمسين وسبعماية ، مُقلّناً من الوقعة بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية ، بأيدي بنى زِيَّان وأحلافهم^(١) ، فمهد له سلطنتها ، رحمه الله ، كنف برّه ، وأواه إلى سعة رعيه ، وتأكّدت بيني وبينه صحبة .

شعره

كتبتُ إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أخذوا حنو أبيات ، ذكّر أن شيخنا
أبا محمد الحضرمي خاطبها :

أمن جانب الغربى نفحة باوخ	سرت منه أرواح الجوى في الجوانح ^(٢)
قدحت بها زند الغرام وإنما	تجافيت في دين السلو لقادح
وما هي إلا نسمة حاجرية	رعى الشوق منها كل قلب بقادح
وجحنا لها من غير شك ^(٣) كأنها	شمايل أخلاق الشريف ابن راجح

(١) الوقعة التي يشير إليها ابن الخطيب ، وقعت بين السلطان أبي الحسن المربني ملك المغرب وبنى زيان ، على أثر عوده من حملته إلى تونس بعد فقدها ، وبعد غرق أسطوله في مياهها ، مرتدّاً بفلول قواته عبر الجزائر في طريقه إلى المغرب الأقصى . وكان بنو زيان ملوك تلمسان السابقين ، قد استطاعوا استردادها ، وقت سير السلطان أبي الحسن إلى تونس . فحاول السلطان أبو الحسن عند عوده مهاجمتها لاستعادتها ، فتصدى له بنو زيان في قواتهم بقيادة أبي ثابت بن زيان ، أخى سلطان تلمسان عثمان ابن عبد الرحمن ، فهزم السلطان أبو الحسن ، ونهب معسكره ، وقتل ولده الناصر . وارتد في فلوله ميمماً صوب المغرب من طريق الجنوب ، وكان ذلك في أواخر سنة ٧٥٠ هـ . ويلوح لنا أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر السنة التي قدم فيها المترجم إلى الأندلس وأنها سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الجوارح) .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (مكر) والأولى أرجح .

فَتَى هَاشِمٌ سَبَقًا إِلَى كُلِّ عِلْيَةٍ
أَصِيلُ الْعَلَا جَمِ السِّيَادَةِ ذَكَرَهُ
وَفُرْقَانٌ مَجْدٍ يَصْدَعُ الشُّكَّ نُورُهُ
وَفَارِسُ مِيدَانِ الْبَيَانِ إِذَا انْتَضَى
رَقِيقٌ كَمَا رَاقَتْكَ نَفْثَةُ سَاجِعٍ
إِذَا مَا احْتَبَى مُسْتَحْفَرًا فِي بِلَاغِيَةٍ
وَقَدْ شَرَعْتَ فِي تَجْمَعِ الْحَفْلِ نَحْوَهُ
فَمَا ضَعُضْتَ مِنْهُ لَصُولَةُ صَادِحٍ
تَذَكَّرْتُ قَسًا قَائِمًا فِي عُكَاظِهِ
لِيَهْنِكَ شَمْسُ الدِّينِ مَا حَزَّتْ مِنْ
رَعَى اللَّهِ رَكْبًا أَطْلَعَ الصَّبِيحَ مُسْفَرًا
وَمِنْهَا :

أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حَظَّ كَوْرُهَا
ذَرُوهَا وَأَرْضُ اللَّهِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا
إِذَا مَا أَرَدْنَا الْقَوْلَ فِيهَا قَمْنٌ لَنَا
بَقِيَتْ مَنَى نَفْسٍ وَتُحْمَةُ رَايِدٍ
وَلَا زِلْتَ تَلْقَى الرَّحْبَ وَالْبَرْحِيمَا
فَأَجَابَنِي بِمَا نَصَهُ :

أَمِنْ مَطْلَعِ لَأَنْوَارِ الْحَمْدِ لَامِحِ
وَهَلْ بِالْمُنَى مِنْ مَوْرِدِ الْوَصْلِ يَرْتَوِي
[تَعَاوُ لِمَفْقُودٍ]^(١) هُنَ الْحَى نَازِحُ
غَلِيلُ عَلِيلٍ لِلتَّوَاصُلِ جَانِحُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مفار القتل) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ كالاتي (تعاد لمفقد) .

فَيَا فَيْضَ عَيْنِ الدَّمْعِ مَالِكُ وَالْحَمْدُ
مَرَّاعِ آوَامِي وَمُورِدُ نَاقِي
سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْحَيَّ وَذَقَا فَإِنَّهُ
وَأَبْدَى لَنَا حُورُ الْخِيَامِ تُزَفُّ فِي
تَرَى حَيَّ تِلْكَ الْحُورُ لِلْحُورِ مَنِيْع
وَيَا دَوْحَةَ الرُّؤْيُحَانِ هَلْ لِي عَوْدَةٌ
وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا طَلَّةٌ^(١) حَامِيَّةٌ
أَقَامَ بِهَا الْغُخْرُ ابْنَ الْخَطِيبِ مَنَابِرًا
وَشَفَعَ بِالْإِنْجِيلِ مُحَمَّدٌ مَدِيحُهُ
وَفَرَّقَ بِالْفُرْقَانِ كُلَّ فَرِيْقَةٍ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا لِلْبَرِيَّةِ مُرْشِدٌ
[فَبُشِّرَاكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٢) سَادِيكَ الْوَرَى وَأَوْزَى الْهُدَى لِلرُّشْدِ أَوْضَحَ
مَتَى قُلْتَ لَمْ تَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلِ
فَمَنْ حَامٍ بِالْحَيِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ^(٣)
يَحَقُّ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ الْحَمْدَ بَالِغُنَا
وَيَا فَوْزَ مَلِكٍ دُمْتَ صَدْرَ صَدُودِهِ
بِأَوَائِكَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْهُدَى
وَرُنْدَ الْحَيِّ وَالشَّيْخِ شَيْخِ الْمَشَايِخِ^(٤)
فَسَقِيَا لَهَا سُقِيًّا لِنَاقَةِ صَالِحِ
حَيَّ لَحَاتِ الْعَيْنِ عَنْ لَحِ سَاحِ^(٥)
حَلَّى الْجَسْنَ وَالْحُسْنَ وَحَلَّى الْمَلَايِخِ
يَدُلُّ وَهَلْ حَسَمٌ لِدَاءِ التَّبَارِحِ
لَعَقَرُ عُقَارِ الْأُنْسِ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ
تُعَصُّ نَوَادِيهَا بِغَادٍ وَرَائِجِ
لِنَرْتِيلِ آيَاتِ اللَّيْلِ وَالْمَنَاجِحِ
وَأَوْتَرَ بِالتَّوْرَةِ^(٦) شَفَعَ الْمَدَائِحِ
نَأَتْ عَنْ رِشَادٍ فِيهِ مَعْنَى النَّصَائِحِ
لِكُلِّ هَدَى هَادٍ لِأَرْجَحِ رَاجِحِ
[فَبُشِّرَاكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٧) سَادِيكَ الْوَرَى وَأَوْزَى الْهُدَى لِلرُّشْدِ أَوْضَحَ
فَإِنْ لَمْ تَقُلْ لَمْ يَغْنِ حَمْدُ^(٨) لِمَادِحِ
وَعَامَ بِيحْرِ مِنْ عَطَائِكَ طَائِفِ
وَيَفْدُو بِذَلِكَ الْبَحْرَ أَسْبَحَ سَابِحِ
وَبُشِّرَى لَهُ قَدْ وَاحَ أَوْجِ رَاجِحِ
وَتُبْدَى لِمَنْ خَفَعَتْ سَبِيلَ الْمَنَاجِحِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (الأشايخ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (لامح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حلة) .

(٤) وردت في الإسكوريال (التورية) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (فبشرى لسان الدين) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مدح) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (دح) .

مَلَكَتْ خِصَالِ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَمَلَكَتْ مَنْ مَلَكَتْ يَا ابْنَ الْجَحَاحِ
مُضَامِحُ آمَالٍ لَا أَشْرَفَ هِمَّةٍ أَقْلُ مَرَامِيهَا أَجَلُ الْمُطَامِحِ
فِدُونَكُمَا يَا مُهْدِي الْمَدْحِ مَدْحَةً أَجَبْتُ^(١) بِهَا عَنْ مَدْحِ أَشْرَفِ مَادِحِ
يُهْنِيكَ بِالْعَامِ الَّذِي عَمَّ تَحْمَدُ مَوَاهِبُ هَاتِيكَ الْبِحَارِ الطَّوَافِحِ
فَخَذَهَا مَيِّى الْفَخْرِ يَا خَيْرَ مُسْبِلِ عَلَى الْخَلْقِ أَغْضَا سَتُورَ التَّسَامِحِ
وَدَمِ خَاطِبِ الْعَلَمِيَّاتِ خَيْرَ خَاطِبِ وَأَتَوَقَّ تَوَاقٍ وَأَطْمَحُ طَامِحِ
وَتَلْقَانِي بِمَالَقَةٍ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فِي مُحْرَمِ سَنَةِ وَخَمْسِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَنَعْلَمُ لِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :

قُدُومُكَ ذَا أَبْدَى لَذَى الرَّايَةِ الْحَمْرَا	تَغُورُ الرُّضَا تَعْبُرُ عَنْ شَذْبِ الْبُشْرَا
وَأَيْنَعُ فِجْرِ الرُّشْدِ مِنْ فَلَقِ الْهُدَى	وَكُوْنُهُ نَهْـمٌ — رَا وَتَجْرُهُ نَجْرَا
سَرِينَا لَهُ كَيْ يُحْمَدُ السَّيْرُ وَالسَّرَى	وَنَرْقُبُ شَمْسَ الدِّينِ مِنْ فِرْعَوْنِ الْفَجْرَا
وَنَصْبِحُ فِي أَحْيَانِ الْمُنِّ نَسْتَلِمُ	مَوَاطِنَكُمْ شَفْعًا وَأَثَارَكُمْ وَتَرَا
وَنُخْطَبُ مَا يَأْتِي ابْنَ الْخَطِيبِ تَشَا	مِنْ كَرَامِهِ ذَاكَ الْحَى إِذْ نَهَزَ الشُّعْرَا
فَقَابَلْتُ بِالْإِقْبَالِ وَالْبِرِّ وَالرُّضَا	وَأَقْرَيْتُ مَنْ يَقْرَأُ وَأَقْرَدْتُ مَنْ قَرَا
فَأَبْنَا قُدُسَ الْحَمْدِ حَضْرَةَ قُدُسِنَا	وَأَقْدَامُنَا تَمَلَّا وَأَمْدَا حُكْمَ تَقْرَا
هَنِيئًا لَنَا نَلْنَا وَنَلْنَا وَلَمْ نَزَلْ	نَنَالُ وَلَا كُنْ هَذِهِ الْمُنَّةُ الْكُبْرَا
وَأَيْنَا وَزِيرُ الْمُلْكِ وَالْمَلِكِ وَاللَّوَى	وَحَزْبُ اللَّوَى كُلُّ يَشْدُ بِهِ أَزْرَا
مَسْجَدُنَا وَكَبَرْنَا وَقَلْنَا رَسُولُنَا	أَتَى بِالَّذِي يُرْضَى بِشَرَى لَنَا بُشْرَا
وَيَهْنِي الْوَدَى هَذَا الْإِيَابُ فَإِنَّ فِي	نَتَائِجِهِ لِلدَّهْرِ مَا يُشْهَرُ الدَّهْرَا
أَرَانَا سَنًا ذَا الْيَوْمِ أَجَلُ مَنْظَرِ	وَجَلَّى لَنَا مِنْ وَجْهِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرَا
أَمَّا وَالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ غَدَّتْ	تَعْلَمُنَا لِلنِّعَمِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَا

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ ، (أَجَبْتُ) . وَالتَّصْرِيحُ مِنَ النَّصْحِ .

لَأَنْتَ لِسَانُ الدِّينِ لِلدِّينِ حُجَّةٌ تُوْبِدُهُ سِرًّا وَتَعْصِدُهُ جَهْرًا
 بَقِيتَ لَنَا كَيْتِفًا مَنِيعًا مُشْرِفًا وَدُمْتَ لَهُ عَضُدًا وَدُمْتَ لَهُ نَصْرًا
 وَدُمْنَا بِكُمْ فِي كُلِّ أَمِينٍ وَمِنَّةٍ نُدِيرُ الْمُنَاخِرَ أَوْ نُصَلِّي الْعِدَا جَمْرًا
 وَمَنْ أَمْثَلَ مَا مَدَحَ بِهِ السُّلْطَانُ لِأَوَّلِ قُدُومِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ :
 أَمَّا الْعُيُونُ فَتُجَلِّ تَرْمَقُ عَنْ سِحْرِ وَوَرْدُ وِياضِ الْخُلْدِ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ
 وَرَبْحَانُهُ وَالرَّاحُ وَالطَّلُّ وَالطَّلَا وَنَرْجِسُهُ وَالزَّهْرُ وَالشُّوْرُ وَالنَّهْرُ
 وَنُورُ جَبِينِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَا وَهَالَةُ بَدْرِ التَّمِّ مُنْتَصِفِ الشَّهْرِ
 لَقَدْ قَلَّدْتَ آوَاهُ يُوسُفُ مُلْكُهُ قَلَايِدَ نَصْرِ بْنِ تَبَيْدٍ مَعَ الدَّهْرِ
 وَقَدْ أَيْدَى الْإِسْلَامَ مِنْهُ بِنَسَائِرِ نَصِيرٍ وَخَيْرُ النُّصَرِ نَصْرُ بَنِي نَصْرِ
 هُمُ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَحِزِّهِ زِيَّهِ وَعَصْبَةُ الْأَعْلَامِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
 وَحُسْبُكَ مِنْ قَوْمِ حِمَا سَيِّدِ الْوَرَى وَقَامُوا بِنَصْرِ الْحَقِّ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
 سَقَى شَرْعَةَ الْإِسْلَامِ وَذُقُّ سِيَوْفِهِمْ رَحِيقُ الْأُمَانِ طِيبُ الْعَرَفِ وَالنَّشْرِ
 فَأَصْبَحَ رَوْضُ الرُّشْدِ يَعْبُقُ طَيْبُهُ وَدَوَّحُ الْهَدْيِ بِالزَّهْرِ أَزْهَارُهُ تُزْرَى
 فَيَأْسَالِي عَنْهُ وَعَنْ سَطَوَاتِهِ إِذَا لَاحَ مُحْفُوفًا بِرَايَاتِهِ الْمُحْمَرِ
 وَجَزُوعُ الْأَقْدَامِ جَيْشًا عَرَمَرَا وَشَرَّدَ بِالتَّأْيِيدِ شِرْذِمَةَ الْكُفْرِ
 لَخَلِيلَةٍ تَنْبِيكِ عَمَّا وَرَاءَهَا وَلَا غَرَوْ فَاِلْإِفْصَاحَ يَعْرِفُ بِالْعَجْرِ
 فَيَافُوزُ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْفَنَمِ وَالْغِنَا وَيَا وَيْلَ مَنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْمَقْرِ
 يَمِينًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزَتْ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّنْهِي وَالْأَمْرِ
 لَقَدْ أَصْعَدَتْ مُجْدَى مَدَائِكِكَ الَّتِي وَجَّهْتُكَ وَالْعَلَمِيَا مَدَحَتْ بِهَا شَعْرَ
 حَقٍّ لِمَثَلِي يُشْفِعُ الْحَمْدَ بِالشُّنَا وَيَتَلَوُّ مَعَانِيَهُ مَعَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ
 فَاحْتِ نَحْمَدُ الْأَنْسَ مِنْ رَوْضَةِ الْمُنَا وَأَقْطِفُ زَهْرَ الْحَمْدِ مِنْ شَجَرِ الشُّكْرِ
 وَأَشْرَبُ مَاءَ الْفَوْزِ عَذْبًا خِيَامَهُ رَحِيقُ بَرَاكِ السَّمْحِ فِي أَكُوسِ الْبِشْرِ

ولا بَرَحْتَ أَمْدَ أَحْسَمٍ تَعْجِزُ النَّهْيَ وإِلَّا فَسَكُمُ تُنْجِي مِنَ الْعُسْرِ لِلسَّرِ
ولا زَالَتْ الْأَقْدَارُ تَخْدُمُ رَأْيَكُمْ ووَإِيَاتِكُمْ مَا دَامَ نَجْمٌ لِلسُّرَى يَسِيرُ
وَكُتِبَ إِلَيَّ فِي غَرَضٍ يَظْهَرُ مِنْهُ نَصُّ الْمَرَا جَعَةِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ :
أَمَّا وَالَّذِي لِي فِي خُلَاكٍ مِنَ الْحَمْدِ وَمَالِكٍ مَلَائِكِي عَلَىَّ مِنَ الرَّفْدِ
لَقَدْ أَشْعَرْتَنِي النَّفْسُ أَنَّكَ مُعْرَضٌ عَنِ الْمُسْرِفِ اللَّائِي لِفَطْرِكَ يَسْتَعِجِدُ
فَإِنْ زَلَّةٌ بَدَتْ لَكَ جَهْرَةً فَصَفْحَا فَمَا وَاللَّهِ إِذْ كُنْتُ عَنْ عَمْدٍ
فَرَا جَعْتَهُ يَقُولِي :

أَجَلْتُكَ عَنْ عَتَبٍ يَفْضُ مِنْ الْوَدِّ وَأَكْرَمَ وَجْهَ الْعُنْدَرِ مِنْكَ عَنِ الرَّفْدِ
وَلَا كُنْتُ أَهْدَى إِلَيْكَ نَصِيحَتِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَهْدَيْتُهُمْ لَمْ تُجِدْ
إِذَا مَقُولُ الْإِنْسَانِ جَاوَزَ حُدُودَهُ تَحَوَّلَتْ الْأَغْرَاضُ مِنْهُ إِلَى الضَّيِّقِ
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْجُدُّ هَزْلاً مُذَمَّماً وَأَصْبَحَ مِنْهُ الْهَزْلُ فِي مَعْرِضِ الْجِدِّ
فَمَا اسْتَطَعْتَ فَيْضاً لِلْعَيْنَانِ فَإِنَّهُ أَحَقُّ السَّجَايَا بِالْعُلَا وَالْمَجْدِ

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعماية، وقد ناهز السبعين سنة، وودفن بروضتنا بباب البيرة، وأعني شارب الشعر من نابي مقصه. وغير هذه الدعوى قراوها تجاوز القضية.

محمد بن علي بن عمر العبدري

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاق العافية، وتلى أبوه الحجابة بتونس عن

سلطانها برهة ، ثم عدا عليه الدهر ، واضطار ولده هذا إلى اللحاق بالشرق ،
فاتصل به سُكناه وحجّ ، وآب إلى هذه البلاد . خريف النّزعة ، حُلُو الضّريبة ،
كثير الانطباع ، يكتبُ ويُسمر ، ويكُلف بالأدب ، ثم انصرف إلى وطنه .
وخطبني إلى هذا العهد ، يُعرفني بتقلّده خُطة العلامة ، والحمد لله .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : غذى نعمة هامية ، وقريع
رتبة سامية ، مُرّفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق بإفريقية إلّا من يخافه ويرجوه ،
وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من التّرف . ثم قلب الدهر له ظهر الجحش ،
واشتد به ^(١) الحمار عند فراغ الدّن ، ولحق صاحبنا هذا بالشرق ، بعد خطوب
مسيرة ، وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينل في أوطانه ،
واكتسب الشّبايل المُذاب ، وكان كابن الجهم ، بُعث إلى الرّصافة ، ليرقّ فذاب ،
ثم حوّم على وطنه تحويم الطّائر ، وألمّ بهذه المدينة ^(٢) ، إلّام الخيال الزاير ، فاغتنمت
صفقة ودّه ، لحين وروده ، وخطبتُ موالاته على انقباضه وشروده ، فحصلتُ
منه على درّة تفتنى ، وحديقة طيّبة الجنى .

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببرّه :

لكل أناس مذهبٌ وسجّيةٌ	ومذهبٌ أولاد النظام المكارم
إذا كنت فيهم أوياً كنت سيّداً	وإن غبت عنهم لم تنل المظالم
أولئك صحبي لا عدّمت حياتهم	ولا عدوا السعد الذي هو دايم
أعنى بذكرهم وطيب حديثهم	كما غرّدت فوق الفُصون الحمام

(١) وردت في الإسكوريال (بهم) . والتصويب من النفع

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (البلاد)

ومن شعره يتشوق إلى تلك الديار ، ويتعلل بالتذكار ، قوله :

أَحْبَبْتَنِي _____ بمصر لو رأيتم
بكائي عند أطراف النهار
لكنتم تشفقون لفرط وجدي وما ألقاه من بُد المزاد^(١)

ومن شعره :

تَقَنَّى حمام الأيـك يوماً بذكرهم فاطرب حتى كدت من ذكرهم أفنا
فقلت حمام الأيـك لا تُبـك جيرة ناهوا وانقضت وصلهم عنا
فقال ولم يُرد جواباً لسائل ألا ليتنا كنا جميعاً بهذا الحفنا
ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته ، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن
في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة :

تقر ملوك الأرض أنك مولاها وأن الدنيا وقف عليك قضاياها
ومنها :

طلعت بأفق الأرض شمساً منيرة أنار على كل البلاد محياها
حكيت لنا للفاوق حتى كأننا بعين لا نسكذب رؤياها
وسرت على آثاره خير سيرة قطعنا بأن الله ربك يرضاها
إذا ذكرت سير الملوك بمحفل ونادى بها النادى وحسن دنياها
فجودك رؤاها وملسك زائها وعدلك زاهها وذكرك حلاها
وأنت لها كهف حصين ومقل تلوذ بها أولى الأمور وأخراها
ومنها بعد كثير :

ومنكم ذوو التيجان والهمم التي أناف على أعلى السماكين أدناها
إذا غاب منهم مالك قام مالك مجدّد للبيت المقدس عليها

(١) هكذا في الإيسكوريال . وفي النسخ (الديار)

بناها على التقوى وأسس بينها
وأورثها عثمن خير خليفة
وقام على بعده خير مالك
على بن عمر بن يعقوب ذو العلا
أدام الله وأعطى الخلافة وقتها
ونور أخلاك الخطوب وجلاها

ووصلنى كتاب منه مؤرخ فى التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام
أربعة وستين وسبعماية جدد عهدى من شعره بما نصه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
فيا أدمى مُهْلَةً إثر بَيْنِهِمْ
فيا معهداً قد بِنْتُ عَنْهُ مَكَلَفَا
سَقَتِكَ غَوَادَى الْمُزْنِ كَرَّ عَشِيَّةٍ
فإن تَسْكُنَ الأيام لم تقض بيننا
يعزُّ علينا أن نُفَارِقَ رَبَّكُمْ
ولو بَلَّغْتُنِي العِيرُ عَنْكُمْ رسالة
لَكُنَّا عَلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْهَوَى

ففاضت لروحات الفراق عُيُون
كَأَنَّ جَفُونِي بِالدموع عَيُون
بَدِيلِي مِنْهُ أَنَّهُ وَحْنِينَ
وَدَادُكَ مُحَلُولُ النِّطَاقِ هَتُون
بَوَصَلْ فَمَا يُقْضَى فَسُوفَ يَكُون
وَأَنَا عَلَى أَيْدِي الْخَطُوبِ نَهُون
وَسَاعِدُ دَهْرٍ بِاللِّقَاءِ ضَمْنِينَ
وَلَا كُنْ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ فُنُون

تم المجلد الثانى

من كتاب « الإحاطة »

ملحق

في التعليق على ترجمة

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ، أبو بكر

(الواردة في صفحة ٤٩٤ - ٥٠٥)

نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ، ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشى في قوله : « كان أديباً ، بارعاً ، محسنًا ، شاعراً ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل » . ثم علق على ذلك بقوله : « وهذه الطريقة بديعة ، يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً ، حمّره الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العكتم ، والمبتدى فيها والمتمم » .

وهذا كلام لا غبار عليه ، إذا ذكرنا أن اسم صاحب الترجمة ، هو بالفعل اسم ابن قزمان ، أمير الزجل الأندلسي المشهور ، وأن تاريخ وفاته الذي يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح . ولكن ابن الخطيب ، يورد لنا بعد ذلك في وصفه ، فقرة من كلام صاحب « القلائد » ، وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس ، وحظى لديه . وهنا يتغير الاتجاه ويبدأ الخطأ ، ويغدو ابن الخطيب ، فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره - وهو مالا يحتوى على أية مقطوعة من الزجل - وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بني قزمان ، هو عم إمام الزجل ، واسمه الحتمي هو أبو بكر ، محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القوطي .

وقد أورد لنا ابن بشكوال في « الصلة » ترجمة المذكور في أسطر قلائل ، ووصفه بأنه كان « من أهل العلم والدكاء والفهم ، وكانت عنده دراية ورواية ولغة ، وأدب وافر » . ثم قال إنه توفي في سنة ٤٨٨ هـ (كتاب الصلة - القاهرة - ج ١ ص ٥٤٠) .

وذكره الفتح في كتاب « القلائد » ، ووصفه بالوزير الكاتب ، وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس ، أمير بطليوس ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وحظى لديه .

وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمدين المتغلب على قرطبة، وخدمه، ثم لقي بعد ذلك على يده شر الهوان والأذى، لحدّة كانت في طبيعه . وهذه الفقرة الأخيرة ، لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمدين لم يحكم قرطبة الا في سنة ٥٣٩ هـ ، على أثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس . وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر ، وهو أمير الزجل (قلاند العقيان - القاهرة - ص ١٨٧) .

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر (العم) ، وابن أخيه ابن قزمان الأصغر (أمير الزجل) ابن سعيد الأندلسي ، في كتابه « المغرب في حلى المغرب » ، فيمن ذكره من بيت بني قزمان . فترجم لنا أولاً لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي ، وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في « الذخيرة » من خدمته للمتوكل صاحب بطليوس ، ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في « القلائد » من ذكر اتصاله بابن حمدين (المغرب في حلى المغرب - القاهرة - ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠) .

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر (ج ١ ص ١٠٠) . ثم عاد فترجمه مرة أخرى (ج ١ ص ١٦٧ - ١٧١) . ووصفه في الترجمتين بأنه « إمام الزجالين بالأندلس » . وأورد له في الترجمة الثانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة .

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد ، وقد كتب كتابه « المغرب » حول منتصف القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٣ هـ ، وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك وابن الخطيب ، هي أقرب إلى التحقيق والثقة .

وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته ، في الفصل الذي عقده عن « الموشحات والأزجال بالأندلس » إلى ابن قزمان ، ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق ، وذكر أنه كان لعهد الملّثمين ، أي المرابطين (المقدمة بولاق - ص ٥٢٤) . وهذا تأييد آخر لرواية ابن سعيد ، لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي ٤٨٤ و ٥٥٠ هـ ، وقد توفي ابن قزمان ، أمير الزجل حسبما تقدم في سنة ٥٥٥ هـ .

فهارس المجلد الثانى

من كتاب «الإحاطة»

صفحة

- ١ - فهرست التراجم ٥٨٤
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التى ورد ذكرها خلال الكتاب ٥٩٨
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

فهرست التراجم

صفحة

٣	مقدمة
	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن
١٣	نصر الخزر جي
١٨	الملوك على عهده
٢٣	الأحداث في أيامه
٢٦	الحادثة التي جرت عليه
٣١	ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور
٣٩	الملوك على عهده
٤٨	بعض مناقب الدولة لهذا العهد
٦٥	الأحداث
٧٨	الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة
٨٢	الغزاة إلى حصن أشر
٨٢	الغزاة المعملة إلى أطريرة
٨٣	الغزاة إلى فتح جيان
٨٤	الغزاة إلى مدينة أبدة
٨٨	الحركة إلى الجزيرة الخضراء
	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزر جي
٩٢	الأنصارى
٩٧	الملوك على عهده
٩٨	لمع من أخباره

صفحة.

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن عبد الملك
 ١٠١ المعافى ، المنصور بن أبي عامر
 محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أسلم
 ١٠٨ ابن عمرو بن عطف بن نعيم
 ١٢١ محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الحذامى
 ١٢٨ محمد بن يوسف بن هود الحذامى
 ١٣٣ محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد ... بن زيد بن منخل الغافقى
 ١٣٦ محمد بن أحمد بن محمد الأشعرى
 ١٣٨ محمد بن فتح بن علي الأنصارى
 ١٣٨ محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعى
 ١٣٩ محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج
 ١٤١ محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم الفيرى
 محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر
 ١٤٣ ابن سعد الخير بن عياش (ابن الحاج البليقى)
 ١٧٠ محمد بن عبد الله بن منظور القيسى
 ١٧٢ محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغسانى (ابن عسكر)
 ١٧٦ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ... بن سعد الأشعرى الماتقى
 محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ... بن ناصر بن جيون بن
 ١٨١ القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 ١٨٧ محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالى
 محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر
 ١٩١ ابن علي القرشى المقرئ
 ٢٢٦ محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
 ٢٢٩ محمد بن عياض بن موسى بن عياض ... بن موسى بن عياض اليحصبي
 ٢٣٠ محمد بن أحمد بن جبير ... بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكنائى ...

صفحة

٢٣٩	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ...
٢٥٠	محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٣	محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٣	محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي
٢٥٤	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٥	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
	محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن
٢٥٦	يوسف بن جزى الكابي
	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن
٢٦٦	الحكيم اللخمي (أبو القاسم)
٢٦٩	محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ... بن محمد اللوشى اليحصبي ...
	محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
٢٧٢	(أبو بكر)
٢٨١	محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصارى
٢٨٢	محمد بن مالك المري الطغرى
٢٨٤	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسى (العقب)
٢٨٦	محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيدى العرادى
٢٨٧	محمد بن علي بن العابد الأنصارى
٢٨٨	محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيرى الغرناطى
	محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغسانى
٢٩٣	البرجى الغرناطى
	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد
٣٠٠	الصرىحى (ابن زمرك)
	مخطوط الإسكوريال المفتتح بالسفر السابع
٣١٥	محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبائى

صفحة

٣١٥	محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
٣٣٠	محمد بن أحمد بن علي الهواري
٣٣٣	محمد بن أحمد بن الحيداد الوادي آشي
٣٣٧	محمد بن إبراهيم بن خيرة (ابن الموايعني)
٣٣٨	محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٣٤١	محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٣٤٣	محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (ابن مرج الكحل)
٣٤٨	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ابن الحنان)
٣٦٠	محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٣٦٤	محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي
٣٦٧	محمد بن محمد بن حزب الله
٣٧١	محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري
٣٧٩	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
٣٨١	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي
٣٨٢	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الباي
٣٨٦	محمد بن محمد بن الشديد
٣٨٨	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي
٤١٨	محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي
٤٢٦	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي
٤٣٣	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي
٤٤٢	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
٤٤٣	محمد بن عبد الله بن فطيس
					محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد
٤٤٤	ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين)
٤٧٦	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

صفحة

٤٧٧ محمد بن عبد الرحمن المتأهل
٤٧٨ محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي
٤٨٢	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني
٤٨٨ محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحمداني
٤٩١ محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري
٤٩٤ محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري
٥٠٥ محمد بن غالب الرصافي
٥١٥ محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي الملقب
٥١٦ محمد بن سليمان بن القصيرة
٥٢١ محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التيمي المازني
٥٢٣ محمد بن حسن العمراني الشراف
٥٢٥ محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ، ابن العشاب
٥٢٧ محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي
	محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري
٥٢٨ التلمساني
٥٦٣ محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
٥٧١ محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني
٥٧٧ محمد بن علي بن عمر العبدري

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٤٨ رسالة في مناقب الحام والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب ...
رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان
الغنى بالله ، بقلم ابن الخطيب ، وهي المعروفة « بحمل الجمهور على السنن
المشهور »
٥٤ رسالة أخرى عن السلطان الغنى بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث
الثورة التي أطاحت بملك الغنى بالله ، وتمكنه بعد ذلك من استرداد
ملكه
٦٦ رسالة أخرى بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد لمناسبة محاولة استرداد
ثغر الجزيرة الخضراء
٨٨ ما نقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير (محمد بن يوسف بن نصر)
نثراً ونظماً
١٠٠ رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة
١١٤ رسالة أبي البركات ابن الحاج إلى ابن الخطيب عن كتبه وأحواله
١٤٨ رسالته إلى ابن الخطيب عن تقلده رئاسة ديوان الإنشاء
١٦٨ رسالة من ابن الخطيب إلى قاضي الجماعة محمد الفشتالي
١٨٨ رسالة الفشتالي في الرد على ابن الخطيب
١٨٩ رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طلب الشفاعة في شأن قاضي
الجماعة أبي عبد الله المقرئ الكبير
١٩٧ قطعة في الحكم لابن جبير
٢٣٧ رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها
٢٤٦ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم
٢٧٥ رد ابن الحكيم على ابن الخطيب
٢٧٩

صفحة

- رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب ... ٣١٠
- رسالة أخرى منه إلى ابن الخطيب ٣١٣
- رسالة من محمد بن أحمد الإستنجي الحميري إلى أبي الوليد اسماعيل بن قنرى
- الإيادى يمنحه فيها إجازته العلمية ... ٣١٩
- رسالة ابن الجنان في الرد على أبي المطارف بن عميرة حين عتب عليه أن
- جعل الحاء المهملة قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالوائى بن هود ٣٥٣
- رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميرى تتخللها بعضة طوعات شعرية ... ٣٧٢
- رسالة طويلة لأبى عبد الله بن أبى الحصال موجهة إلى أبى بكر بن عبد العزيز
- والى بلنسية ... ٤٠٤
- نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالجزايات اللازمة لابن
- مهيب اللخمى ... ٤٢٠
- رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافى يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية
- النصرازية إلى صديقين من مرسية ... ٤٣٢
- رسالة لأبى عبد الله بن الحكيم اللخمى عن لسان السلطان محمد بن محمد
- ابن الأحمر (الفقيه) عن منازلة قيجاطة وفتحها سنة ٦٩٥ هـ ... ٤٦٦
- قطعة من رسالة أبى عبد الله بن عياش التجيبى البرشانى فى وصف نزول
- الخليفة الناصر الموحدى على ثغر المهديّة واسترجاعه من أيديّ الملمشين ٤٨٦
- مقامة لابن قزمان الزهرى الكبير فى استهلال رمضان ... ٤٩٨
- مقامة له فى استهلال شوال ... ٥٠٠
- نص كتاب البيعة بولاية العهد الذى أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
- لولده على بن يوسف من إنشاء كاتبه أبى بكر بن القصيرة ... ٥١٨
- مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجري ملهقة بقصيدته «عجباً أيدوق
- طعم وصالها» أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس
- يشف على نشره ... ٥٥٧

فهرست الشعر والشعراء^(١)

صفحة	صفحة
وشادن تيمنى حبه ٢٦٣	ابن ابى الحصال الغافقى (ابو عبد الله)
نهار وجه وليل شعر ٢٦٤	هبت النسيم هبوب ذى إشفاق ٣٩٠
زارت ليلا وأطلعت فجرها ٢٦٤	وليلة عنبرية الأفق ٣٩١
أبجى لى فى رياض المحاسن نظرة ٢٦٤	ياحبذا ليلة لنا سلفت ٣٩٢
وصديق شكى بما حلوه ٢٦٥	وافى وقد عظمت على ذنوبه ٣٩٢
تلك الذؤابة ذبت من شوق لها ٢٦٥	ألم تعلموا والقلب رهن لديكم ٣٩٢
ابن الجنان (محمد بن محمد الأنصارى)	الله أعطاك فتحاً غير مشترك ٣٩٣
مضى رمضان وكان بك قد مضى ٣٥٠	الدهر ليس على حر بمؤتمن ٣٩٤
تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا ٣٥١	بدت لهم بالغور والشمل جامع ٣٩٦
ابن الجباب (ابو الحسن على)	(قصيدة قرطبة الخجاسية الكبرى)
لا مرجباً بالناشز الفارك ١٨٣	عيشنا كله خداع ٤١٤
يا قادما عمت الدنيا بشائره ٤٥٣	أنى أهزك هز الصارم الخدم ٤٩٥
ابن الحاج البلغقى (ابو البركات)	ابن باقى الاموى (محمد بن ابراهيم)
تأسفت لآكن حين عز التأسف ١٥١	أحرز الخصل من بنى سلمة ٣٣٩
يأبى شئون جدبى الإفصاح ١٥٥	ابن جبير الكنانى (محمد بن أحمد)
خذها على رغم الفقيه سلافة ١٥٧	أقول وآنست بالليل نارا ٢٣٥
إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرى ١٥٨	هنيئاً لمن حج بيت الهدى ٢٣٧
يلومونى بعد العذار على الهوى ١٥٨	إذا بلغ المرء أرض الحجاز ٢٣٧
ومصفرة الخدين مطوية الحشا ١٥٨	لا يستوى شرق البلاد وغربها ٢٣٧
لا تبذلن نصيحة إلا لمن ١٥٨	عليك بكمآن المصائب واصطبر ٢٣٧
ما رأيت الموم تدخل إلا ١٥٩	وصانع المعروف فلتة عاقل ٢٣٧
حزنت عليك العين يا مفيى الهوى ١٥٩	ابن جزى الكلبي (محمد بن محمد بن أحمد)
أبحث فيما أنا حصلته ١٥٩	مضى يتلاقى شايق ومشوق ٢٥٨
تطالبنى نفسى بما ليس لى ١٥٩	ومورد الوجنات معسول اللى ٢٥٩
ما رأيت النساء يصلحن إلا ١٦٠	ذهبت حشاشة قلبى المصدوع ٢٦٠
قد هجرت النساء دهرأ فلم ١٦٠	وقالوا عدالك البخت والحزم عندما ٢٦٢
رعى الله إخوان الخيانة لهم ١٦٠	لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب ٢٦٣

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

قالوا أبو البركات جيم ماؤه ١٦١ ...
قد كنت ممدوراً بعلمي وما ١٦١ ...
زعم الذين عقولهم قدرها ١٦١ ...
من منصف من جارت جارت على ١٦٢ ...
رحلت وقطير كلبي رفيق ١٦٢ ...
لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها ١٦٤ ...
زعموا أن في الجبال قوما ١٦٥ ...
جزى الله بالخبر أعداءنا ١٦٥ ...
خلسنا ليلة من كف دهر ١٦٧ ...

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله)

رجاى في المولى العظيم عظيم ٤٤٣ ...
يا حاملا من علاه تاجا ٤٤٤ ...

ابن الحداد الواثى آشى

شقيقك غيب في لحد ٣٣٤ ...
حديثك ما أحلى فزیدی وحدی ٣٣٥ ...
ملك بالوادی المقدس شاطىء ٣٣٥ ...
محاملة السلوان مبيت حسنة ٣٣٦ ...
أقبلن في الخبرات يقصرون الخطا ٣٣٧ ...
يا وادى شرق البلاد وغربها ٣٣٧ ...

ابن حزب الله (محمد بن محمد)

سراى يا قلبي المشوق وناظرى ٣٦٩ ...
تألق برق العلا واستنارا ٣٧٠ ...
حللت لبرق لاح من سرحى نجد ٣٧٠ ...

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو القاسم)

وهبت فهزت عندما رأت به ٢٦٧ ...
شربنا وزنجى الدياجى موقد ٢٦٧ ...
لاح في الدر المقيق فحيا ٢٦٧ ...
ويوم أنس صقيل الجوى نظروا ٢٦٨ ...
بنفسى حبيب صال عامل قده ٢٦٨ ...
بابى وغير أبى غزال نافر ٢٦٨ ...
ليل الشباب انجاب أول وهلة ٢٦٩ ...

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو بكر)

أيا من له الحكم في خلقه ٢٨٠ ...
تصبر إذا ما أدركتك ملمة ٢٨٠ ...

صفحة

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن عبد الرحمن)
أبو عبد الله)

هل إلى رد عشيات الوصال ٤٥٨ ...
حى حى بالله يارايح نجد ٤٦٠ ...
ذكر اللوى شوقا إلى أقطاره ٤٦١ ...
ألا واصل واصله العقار ٤٦٢ ...
ولما رأينا من ربوع حبيبتنا ٤٦٣ ...
ما أحسن العقل وآثاره ٤٦٣ ...
إني لأعسر أحيانا فيلحقني ٤٦٣ ...
فقدت حباتي بالفراق ومن غدا ٤٦٤ ...
أنا عدة للدين في يد من غدا ٤٦٤ ...
إن أفرطت بأبن حسان غوائله ٤٦٥ ...

ابن خاتمة الانصارى (محمد بن علي)

كفوا الملام فلا أصفى إلى العذل ٤٩٢ ...
ومض البرق فثار القلق ٤٩٢ ...
أيا جيرة الحى الممتع جاره ٤٩٣ ...
الرفع نعتكم لا خابكم أمل ٤٩٣ ...

ابن الخطيب السلماي (لسان الدين)

خليقة الله ساعد القدر ١٩ ...
أنعام أرضك تفهر الأسادا ٢٠ ...
ظلمت إلى السقيا الأباطح والربا ١١٦ ...
من ذا يعد فضائل الفشتالى ١٨٨ ...
جوانحنا نحو اللقاء جوانح ٢٥٢ ...
الأم على أخذ القليل وإنما ٢٧٥ ...
بعثت بشيء كالحفاء وإنما ٢٧٨ ...
أمن جانب الغربى نفحة بارح ٥٧٢ ...
أجلك عن عتب يغفس من الود ٥٧٧ ...

ابن عيسى الحجرى التلمسانى (محمد بن محمد)

مشوق زار ربك يا إماما ٥٢٩ ...
تراجع من دنياك ما أنت تارك ٥٣١ ...
سحت بساحك يا محل الأدمع ٥٣٥ ...
سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء ٥٣٩ ...
أطار فؤادى برق الأحسا ٥٤١ ...
كبت العدى أنعامك البنت ٥٤٦ ...
طرقتك وهنا أخت آل علاج ٥٤٨ ...
أرق عيني بارق من أثال ٥٥٢ ...
عجبا لها أينوق طعم وصالها ٥٥٤ ...

صفحة

قد كان عيسى من قبل في غيب ... ٢٤٥
 قفا نفسا فالخطب فيها يهون ... ٢٤٥
 سقى الله أشلاء كرم على البلى ... ٤٧٤
 أرغم هذه القيود الثقالة ... ٥٦٩

ابن الشدييد (محمد بن محمد)

لنا في كل مكرمة مقال ... ٣٨٦

ابن شليطور الهاشمي

أثرك أم سمط من الدر ينظم ... ٣٦١
 نامت جفونك يا سؤى ولم أنم ... ٣٦٢
 قف في وناد بين تلك الطلول ... ٣٦٢
 تالله ما أوري زناد القلق ... ٣٦٢

ابن صفوان القيسي

بدر تجل على غصن من الآس ... ٣٨١
 يا عالما بالسر والجهر ... ٣٨١

ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك)

ولما انقضى الفتح الذي كان يرتجى ... ٤٧٩
 أملت وقد نام الرقيب وهوما ... ٤٨٠
 أتذكر إذ مسحت بفيك عيني ... ٤٨١
 سألت من المليحة براء داني ... ٤٨١

ابن عبد الصمد

ملك الملوك أسامع فأنادي ... ١٢٠

ابن عسسكر (محمد بن علي بن الحضر)

ولما انقضى إحيى وخسوف حجة ... ١٧٥
 وأحذب تحسب في ظهري ... ١٧٥
 أجبتك لأنى لما رمته أهل ... ١٧٥

ابن المشاب (محمد بن ابراهيم)

بيمن أبي عبد الله محمد يمن ... ٥٢٦
 لعل عفوك بعد السخط يفشاني ... ٥٢٦

ابن عياش التجيبي البرشاني (محمد بن

عبد العزيز)

بلنسية ببني عن العلياء سلوة ... ٤٨٥
 وليلة من ليالي الصفع قد جمعت ... ٤٨٥
 أشفارها أم صارم الحجاج ... ٤٨٥

الإحاطة - ٣٨

صفحة

ابن داود الحميري (محمد بن ابراهيم)

يا نازحين ولم أفارق منهم ... ٣٧٢
 كذلك تركته ملق بأرض ... ٣٧٣
 يوم يداوى زماناق من أزمانى ... ٣٧٣
 ذكر الديار فهاجه تذكاره ... ٣٧٤
 ألبرق يبدو تسطير الجوانح ... ٣٧٧

ابن راجح الحسنى (محمد بن علي)

أمن جانب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢
 أمن مطلع الأنوار لحة لامح ... ٥٧٣
 قدومك ذا أبدي لذى الراية الحمراء ... ٥٧٥
 أما والعيون النجل ترمق عن سحر ... ٥٧٦
 أما والذى لى فى حلاك من الحمد ... ٥٧٧

ابن ذمره (محمد بن يوسف الصريحي)

رضيت بما تقضى على وتحكم ... ٣٠٣
 مماذ الهوى أن أصحب القلب ساليا ... ٣٠٥
 لولا تألق بارق التفتكار ... ٣٠٦
 تأمل أطلال الهوى فتألم ... ٣٠٧
 حياك يا دار الهوى من دار ... ٣٠٧
 لقد زادنى وجدا وأغرى بي الهوى ... ٣٠٧
 أزور بقلبي معهد الأئس والهوى ... ٣٠٨
 قيادى وقد تملكه الغرام ... ٣٠٨
 ومشتعل بالحسن أحوى مهفهف ... ٣٠٩
 بالايى فى الجود والجود شيمتى ... ٣٠٩
 لقد علم الله أنى أمرؤ ... ٣٠٩
 ومسرى ركاب للصبا قد ونت ... ٣١٠
 مالى بحمل الهوى يدان ... ٣١٠

ابن شبرين ، أبو بكر

أخذت بكظم الروح ياساعة النوى ... ٢٤٣
 بانوا فن كان باكياء يبك ... ٢٤٣
 يا أيها المعرض اللامى ... ٢٤٣
 يا من أعاد صباحى فقد حلكا ... ٢٤٤
 أشكو إلى الله فرط بلبالى ... ٢٤٤
 لى همة كلما حاولت مسكها ... ٢٤٤

صفحة

- ونقلت من كل ملك ذخيرة ... ٤٨٦ ...
- ابن غالب الرصاصي (ابو عبد الله)
- خليلي ما ليد قد عبت نثرا ... ٥٠٧ ...
- أبى البلاغة فيم حفل النادى ... ٥٠٩ ...
- عاد الحديث إلى ما جر أطيبه ... ٥١١ ...
- دعك خليل والأصيل كأنه ... ٥١٢ ...
- قالوا وقد أكثروا في حبه عدل ... ٥١٣ ...
- ومنهف كالغصن إلا أنه ... ٥١٣ ...
- أدركها فالهامة قد أجالت ... ٥١٤ ...
- أدركها على أمر فأنم من بأس ... ٥١٤ ...
- ومطارح مما تحس بنانه ... ٥١٤ ...
- ومهدل الشطين تحسب أنه ... ٥١٤ ...
- قصير كالأنابيب لكنه ... ٥١٤ ...
- ابن فضيلة العافري (محمد بن ابراهيم)
- سرت ريح نجد من ربي أرض بابل ... ٣٤١ ...
- بهرت كشمس في غلالة عسجد ... ٣٤٢ ...
- ابن فطيس (محمد بن عبد الله)
- يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤ ...
- ابن قزمان الزهري (محمد بن عيسى)
- ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... ٤٩٤ ...
- أتى من الحيد أمر لا مرد له ... ٤٩٥ ...
- يارب يوم زادني فيه ... ٤٩٥ ...
- جئت لتوديعه وقد ذرفت ... ٤٩٦ ...
- يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ... ٤٩٦ ...
- صرفت اليك وجوهها الأفراح ... ٤٩٦ ...
- كثير المال تبذله فيبق ... ٤٩٧ ...
- وعهدى بالشباب وحسن قدى ... ٤٩٧ ...
- يسك الفارس رحما ... ٤٩٧ ...
- أحسن ما نيط في الدعاء لمن ... ٤٩٧ ...
- إيه أبى بكر ولا حول لي ... ٥٠٥ ...
- ابن القصيرة (محمد بن سليمان)
- فصل عنه أحشاء ابن ذى النون هل ... ٥١٧ ...

صفحة

- ابن قطبة الدوسي (محمد بن أحمد)
- دعنى ومطلولى الرياض فأنى ... ٢٥١ ...
- وليل أدناها سلافا كأنها ... ٢٥١ ...
- يومنا يوم سرور فلتقم ... ٢٥١ ...
- وفي منك ما لو كان للشرب ماها ... ٢٥٢ ...
- كم قلت للبدر المنير إذا بدا ... ٢٥٢ ...
- لممر ك ما يوى إذا كنت حاضرا ... ٢٥٢ ...
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)
- إذا شئت من نحو الحى في الدجا برقا ... ٢٥٤ ...
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)
- ابن أحمد ()
- حلفت بمن زاد عنى الكرى ... ٢٥٥ ...
- ابن كسرى المودى (ابو على)
- أعشر أهل الأرض بالطول والعرض ... ٣٢٨ ...
- ابن لمب الامى (محمد بن عبد الله)
- بعد المزار ولوعته أشواق ... ٤٣٤ ...
- أملك أم بدر الدجا الوضاح ... ٤٣٨ ...
- بوادى لقد حملت ما ليس لقواه ... ٤٤٠ ...
- ابن مالك الطغفري
- بينما نحن في المصل نساقي ... ٢٨٣ ...
- صب على قلبى هوى لاجع ... ٢٨٣ ...
- خليل عرج على قبرى تجدد ... ٢٨٤ ...
- ابن مروج الكحل
- عرج بمنعرج الكتيب الأعفر ... ٣٤٤ ...
- أرأت جفونك مثله من منظر ... ٣٤٥ ...
- وعشية كانت قنبصة فتية ... ٣٤٥ ...
- وعندى من مرأشها حديث ... ٣٤٦ ...
- عذيرى من الآمال خابت قصودها ... ٣٤٦ ...
- أبا عمرو متى تقضى الليالى ... ٣٤٦ ...
- طفل المساء وللسم تضرع ... ٣٤٦ ...
- ألا بشروا بالصبح متى باكيا ... ٣٤٧ ...
- مثل الرزق الذى تطلبه ... ٣٤٧ ...
- دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم ... ٣٤٧ ...

صفحة

- نهاية إقدام العقول عقال ... ٢٢٢
- محمد بن أحمد بن عبد الله الاستنجي
- حتى النسيم إذا ألم بأرضهم ... ٣١٦
- قصوا في ربي نجد في القلب مرساه ... ٣١٧
- سرت من ربي نجد معطرة الريا ... ٣١٨
- محيالك أم نور الصباح تبسم ... ٣١٩
- فا على الحبيب من اعتراض ... ٣٢٠
- فلو كان ربحا واحدا لائقته ... ٣٢٢
- كانت جواهرنا أوائل قبل ذان ... ٣٢٢
- معان لبسن ثياب الجمال ... ٣٢٤
- كتبت ولو أني أستطيع ... ٣٢٥
- محمد بن أحمد بن علي الهواري
- سلوا سر ذاك الحال في صفحة الخلد ... ٣٣٠
- عرج على بان العذيب وناد ... ٣٣١
- على لكل ذي كرم ذمام ... ٣٣١
- محمد بن أحمد الفشتالي
- وافت يجر الفضل فضلة يردها ... ١٨٩
- محمد بن أحمد بن منغل الغافقي
- يا أيها المرتجي لطف خالقه ... ١٣٦
- محمد بن حسن
- وكل عدو أنت تهزم عرشه ... ١٠٢
- محمد بن حسن العمراني الشريف
- منحت منحت النصر والعز والرضا ... ٥٢٣
- الشعر أسنى كلام خص بالعرب ... ٥٢٤
- مالي أرى تاج الملوك وحوله ... ٥٢٤
- محمد بن سعيد الأشعري المالقي
- هام الفؤاد في بنت النبع والنشم ... ١٧٨
- محمد بن عبد الله بن داود الغافقي
- أقنع بما أوتيته تمل الفنا ... ٤٢٨
- يا دعوة شاك ما قد ... ٤٢٨
- نعم المراد لمن غدى يرتاد ... ٤٢٩
- رب أنت الحكيم فاغفر ذنوبي ... ٤٣٠

صفحة

- يا قائلا إذا رأى مرجى وحرته ... ٣٤٨
- ابن مشتمل الأسلمي
- هفاي من بين المغاني عقيها ... ٣٦٥
- من عادى ومن فاصرى ومنصقى ... ٣٦٦
- ما للأحبة في أحكامهم جاروا ... ٣٦٦
- ابن مقاتل ، أبو بكر
- ومهفهم هافي المعاطف أحور ... ٣٨٠
- أيا لبني الرفاء تنضي طلباؤهم ... ٣٨٠
- ابن منظور القيسي
- ما للعطاس ولا للقال من أثر ... ١٧٢
- ابن مهيب اللخمي (أبو بكر)
- أليل النوى هل من سبيل إلى فجر ... ٤٢٢
- للسالحين إلى الصلاح طريق ... ٤٢٢
- جفوت وما زال الخفاء سجية ... ٤٢٤
- أمل من الدنيا المباحة كسرة ... ٤٢٥
- ترحل صبري والولوع مقيم ... ٤٢٥
- ابن هاني الأزدي الألبيري الغزنائي
- أحبيب بيتيك القباب قبا ... ٢٩٠
- أليلتنا إذ أرسلت واردا وجفا ... ٢٩٠
- أبو بكر بن عبادة المزي
- وقالوا كفه جرحت قلنا ... ١١١
- أبو العباس بن الغضاز
- لبس البرنس الفقيه فباهي ... ٢٢٣
- أبو عبد الله العقرب (محمد بن علي الأوسي)
- لله حي يا أميم حواك ... ٢٨٥
- السالمى الكاتب
- أدر كؤوس المدام والرز ... ١٢٣
- عبد المنعم بن محمد بن يوسف الحبيبي
- يا مطلبيا ليس لي في غيره أرب ... ٤٤٨
- عبد المهين الحفصمي (أبو محمد)
- ترأى سحيرا والنسيم عليل ... ٤٥٥
- فخر الدين (الإمام)

صفحة

- محمد بن محمد بن عبد الله الانصارى
 من لم يصن في أمل وجهه ... ٥٢٧
 وليت ولاية أحسنت فيها ... ٥٢٧
 وليت فقيلا أحسن خير وال ... ٥٢٧
 مولاي نصيرا فكم يضام ... ٥٢٨
- محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي
 راؤني وقد أغرقت في عراقي ... ٢٧١
 سيخطب قس العزم في منبر السرى ... ٢٧١
- محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى
 لا عذر لى عن خدمة الإعدار ... ٣٨٣
 تبسم ثغر الدهر في القضب الملد ... ٣٨٤
 علوفى ولو بوعد محال ... ٣٨٥
- محمد بن يحيى الفسانى البرجى
 أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... ٢٩٥
 صحا القلب عما تعلمين فأقلما ... ٢٩٩
 نهاء النهى بعد طول التجارب ... ٣٠٠
- محمد بن يوسف التهمى المازنى
 أيا قمر أطلع من وشاح ... ٥٢٢
 ومنعم الأعطاف معسول اللما ... ٥٢٢
 حكمت السلاف صفاته بحبابها ... ٥٢٢
- المعتهد بن عباد
 إن يسلم القوم العدا ... ١١٢
 قل لمن جمع العلم ... ١١٣
 كذبت مناكم صرحوا أو جمعوا ... ١١٣
 وكواكب لم أدر قبل وجوها ... ١١٥
 قبر الغريب سقاك الرايح الغادى ... ١١٩
- شمر مرفوع إليه
 أيها الملك الأغر الأعظم ... ١١٣
- المقرى أبو بكر (محمد بن محمد القرشى)
 رفضت السوى وهو الطهارة عندما ... ٢٠٤

صفحة

- محمد بن عبد الرحمن العقيل
 رحلوا الركائب موهنا ... ٤٧٧
 أيا ملكا يسمو بسعد مساعد ... ٤٧٧
- محمد بن عبد الرحمن المناهل
 خذها إليك طبرنشا ... ٤٧٨
 أنلنى يا خير البرية خطة ... ٤٧٨
- محمد بن على بن عمر العبدرى
 لكل أناس مذهب وسجية ... ٥٧٨
 أحببنا بمصر لو رأيتم ... ٥٧٩
 تغنى حمام الأيك يوما بذكرهم ... ٥٧٩
 تفر ملوك الأرض أنك مولاها ... ٤٧٩
 ومنكم ذوو التيجان والهمم التي ... ٤٧٩
 رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ... ٥٨٠
- محمد بن على بن محمد الهمداني
 بالهضب هضب زروود أو تلعاتها ... ٤٩٠
 يا بدر تم طالما في الحشى ... ٤٩١
 رثوا القباب بأدمع مفضوضة ... ٤٩١
- محمد بن عمر بن على المليكشى
 رضى نلت من كل ما يهوى ... ٥٦٤
 لم أنس وقفتنا بباب الملعب ... ٥٦٤
 أرى لك ياقلبي بقلبي حبة ... ٥٦٥
 ألم ترها قد شمرت تطلب الجدا ... ٥٦٦
 ما أحسن الأفق الشرقى إسفاراً ... ٥٦٧
 منع الهجر من سليبي هجوعاً ... ٥٦٨
 شرح حالى لمن يريد سؤالى ... ٥٦٨
 يا صاحب البلد الملبح المشرق ... ٥٧٠
 فيا يوسق الحسن والصفح والرضا ... ٥٧١
- محمد بن قاسم بن أبى بكر المالقى
 أبا على حسينا ... ٥١٦
 فضل التجارات باد في الصناعات ... ٥١٦
- محمد بن محمد بن جهور
 يا مرج الكحل ومن هذى المروج له ... ٣٤٨

المنصور بن ابي عامر

- ١٠٥ رميت بنفسى هول كل عزيمة
ما كتب على قبره
١٠٨ آثاره تنبيك عن أخباره
شعر في وصف المتوكل ابن هود
١٣٢ همام به زاد الزمان طلاقة...
ما نقش على قبر محمد بن الأحمر الكبير
١٠٤ هذا محل الدلى والمجد والكرم

- ٢٠٦ وكم موقف لى فى الهوى خضت دونه
٢٠٧ تبدت لعينى من جمالك لحة...
٢٠٩ أزور اعتبارا أرضها بتنسك
٢١٠ سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرق
٢١٢ إليك بسطت الكف أستنزل الفضلا
٢١٣ وجد تسمره الضلوع .
٢١٣ نحن إن تسأل بناس معشر
١٤ أنبت عودا بنعماء بدأت بها

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٤٢٤
تاريخ ألمرية ؛ ١٤٨
تاريخ غرناطة ؛ ٢٥٧
تبصرة الصمري ؛ ٣٢٦
تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ؛ ١٧٢
تخايس الذهب في اختيار عيون الكتب ؛ ٢٩٠
تحفة القادم لابن الأبار ؛ ٤٧٩
كتاب التيسيل لأبي عبد الله بن مالك ؛ ١٨٥
التصوير والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ؛ ٣٢٦
تفسير الزمخشري ؛ ٢٨٦
ثورة المريدين ؛ ١٢٢

ج - خ

حركة الدخولية في المسألة المالكية ؛ ١٤٨
كتاب الحقايق والرقائق ، للمقرئ الجدي ؛ ٢٠٣
حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ٦٥
حي بن يقظان ، رسالة ابن طفيل ؛ ٤٧٩
الخير المختصر في السلوى عن ذهاب البصر ؛ ١٧٤
خطر فطر ، ونظر فحظر ؛ ١٤٨
خطرات الواجد في رثاء الواحد ؛ ٤٨٩
خطرة المجلس في شعر استنصر به أهل الأندلس ؛ ١٤٨

د - ز

الدور المنظم في الإحصار المعظم ؛ ٤٨٩
درر الشحط في خبر السبط ؛ ١٨٥
الدرر المنظومة الموسومة في حروف الهجاء المرسومة ؛
٣٤٢

ديوان ابن جبير ؛ ٢٣٤
ديوان ابن الحداد الوادي أشي ؛ ٣٣٤
ديوان ابن شبرين ؛ ٢٤٠
الذخيرة لابن يسام ؛ ٥٨٢
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ؛ ١٧٢

أ - ب

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣٩ ، ٤ ، ٥ ، ٧٦٦
الاحتفال في استيفاء ما للخليل من الأحوال ؛ ١٤٢
كتاب الأحكام ، لعبد الحق الإشبيلي ؛ ٢٨٧
أخبار معاوية ؛ ٤٨٩
الأخبار المذهبة ؛ ٢٧٥
الآرجوزة الطليبة المجهولة ، لابن طفيل ؛ ٤٧٩
كتاب الاستيعاب للرازي ؛ ١٣٣
الإشارة الصوفية ، والكتب الأدبية ؛ ٢٧٥
إصلاح المنطق لابن عياش ؛ ٤٨٣
إصلاح النية في المسئلة الطاعونية ؛ ٣٦٥
الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصالح ؛ ١٤٨
إقامة المريد لأبي عبد الله المقرئ الجدي ؛ ٢٠٣
إقتراح المتعلمين في إصلاح المتكلمين ؛ ٣٢٦
الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛
٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ،
٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ،
٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٨
ألفية ابن الفارض ؛ ٢٠٣
كتاب الأمثال السائرة ؛ ٣٣٨
أنشدت على أهل الردة ؛ ٦٥
إيفصاح الفارسي ؛ ٢٣٨

ب - ث

البرهان والدليل في خواص سور التذليل ؛ ١٧١
بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب ؛ ٢٧٥
بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار ؛ ٤٨٩
البيان المغرب لابن عذاري ؛ ٩٨
التاج المحلى في القدرح الملحق ؛ ٢٤١٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧٠

٥٩٩

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ٢٨٢ ، ٣٥٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦

الصيب الهتان الواكف بغايات الإحسان... من
الأحاديث النبوية والقرآن ؛ ١٧٣
الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ؛ ٥٠٤
طرفة العصر في أخبار بنى نصر ؛ ١٤٦ ، ٢٦٩ - ٢٨١

ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ؛ ٣٢٥

ع - غ

عائد الصلة ؛ ١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٢٩ ، ٤٤٥ ، ٥٢٨

المذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج ؛ ١٤٨

عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر ؛ ١٤٨

الغلمييات لابن الحاج ؛ ١٤٩

الغيرة على أهل الحيرة ؛ ٦٥

ف - ك

الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنى من الشيوخ
والأتباع والأصحاب ؛ ١٤٩

الفعل المبرور والسعى المشكور... من نوازل
القاضى أبي عمر بن منظور ؛ ١٧٢

كتاب في الفقه والأصول لابن الحاجب ؛ ٢٠٣
الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة ؛ ٢٧٤

قدر جرم في نظم الجمل ؛ ١٤٨

قد يكيو الجواد في أربعين غلطة ؛ ١٤٨

قلائد المقيان ؛ ١٠٩ ، ٣٨٩ ، ٥٠٥ ، ٥٨١ ، ٥٨٢

كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ؛ ٣٢٦
الكامل والإتمام في صلة الأعلام... من أهل مالقة
الكرام ؛ ١٧٤

رجز في ألفاظ فصيح ثعلب ؛ ٣٦٥

رجز في علم الكلام ؛ ٣٦٥

رجوم الإنذار بهجوم العذار ؛ ٤٨٩

رحلة ابن جبير ؛ ٢٣١

رحلة المثبت للمقرى الجده ؛ ٢٠٣

رسالة في ادخار الصبر وافتخار القصر والفقر ؛ ١٧٤

رسالة في الأسطرلاب الخطي ؛ ١٤٣

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ؛ ١٨٥

رقم الجمل في نظم الجمل ؛ ٣٢٦

روضة الجنان ؛ ٣٤٢

روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ؛ ٤٨٩

الروض المظفور في أوصاف بنى منظور ؛ ١٧٠

رياضة الأبي في قصيدة الخرجى ؛ ١٨٥

ريحان الإداب وريحان الشباب ؛ ٣٣٨

زاد المسافر لصفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

زهرة البستان ونزهة الأذهان للطنزى ؛ ٢٨٢

الزهرة الفاخرة في الزهرة اللامعة ؛ ٣٢٦

س - ظ

السحب الواكفة والظلال الوارفة... من اعتقاد
الفلاسفة ؛ ١٧١

سلوة الخاطر فيما أشكل من نسبة النسب المرتب إلى
الذاكر ؛ ١٤٨

سمط الجمان ؛ ٣٨٩

كتاب سيبويه ؛ ٣٢٨

شجرة أنساب العرب ؛ ١٤٣

شرح غريب البخارى ؛ ٣١٥

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ؛ ٣١٠

شمس البيان في لمس البنان ؛ ٣٢٦

صحيح البخارى ؛ ٣١٦

صحيح مسلم ؛ ١٤٩ ، ١٧٩

كتاب الصلة لابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٥٨١

الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن ؛ ١٤٨ ، ٤٣٣
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٩٧

ل - م

الؤلؤ والمرجان من العذب والأجاج يستخرجان ؛
١٤٨

ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات ؛ ١٤٩
ما رأيت وما رعى لى من المقامات ؛ ١٤٩
ما كثر وروده فى مجلس القضاء ؛ ١٤٩
مختصر الإحاطة ؛ ٦

المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك ؛ ١٤٩
المرقصات والمطربات لابن سعيد ؛ ٤٨٦
مساجلة البيان ؛ ٢٩٤

مشبهات اصطلاح العلوم ؛ ١٤٩
المشرع الروى فى الزيادة على المروى ؛ ١٧٤
مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ... من الرؤساء
والأعلام والأخبار ؛ ١٧٤
المغرب فى حل المغرب ؛ ٥٨٢
مفتاح الإحسان فى إصلاح البيان ؛ ٣٢٦

مقالة الإخوان ؛ ٤٨٩

مقامات التيمى ؛ ٣٢٦ ، ٥٢١

المقامات الحيرية ؛ ٢٥٣

مقدمة ابن خلدون ؛ ٥٨٢

ملق السبل فى فضل رمضان ؛ ٤٨٩

ملء العيبة ؛ ٤٦٢

الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة ؛ ٢٧٤ ، ٤٦٤

ميزان العمل لابن رشيق ؛ ٢٧٥

ن - ي

نتيجة وجد الجوانح فى تأيين القرين الصالح ؛ ٢٣٤

نزهة الناظر فى مناقب عمار بن ياسر ؛ ١٧٤

نظم الجمان فى التشكى من إخوان الزمان ؛ ٢٣٤

نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ؛ ٢٩٥

نفع الكامات فى شرح المقامات ؛ ٣٢٦

نفحات المسوك وعيون التبر المسبوك فى أشعار

الخلفاء والوزراء والملوك ؛ ١٧١

الوشاح المفضل ؛ ٣٣٨

فهرست القبائل والطوائف والدول

دولة اللثام ٤١٨	الإسلام ١٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدولة اللتونية ٥١٦	٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠
الدولة النصرية ١٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥٣	بنو إسرائيل ٥٠٤
الروم ٢٢ ، ١٤٠ ، ٤٣٧	بنو بطرون ٦٥
الصحابية ٤٩٠	بنو تميم ٥٥٣
الصوفية ١٩٤ ، ٣٠١	بنو جفنة ٥٥٣
الطوائف ١١٦	بنو حجاج ٤٤٤
العرب ٤٣ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٤١٦ ، ٥٥٨	بنو حسون ٤٤٤
الفرننج ٤٦	بنو زيان ٥٧٢ ، ٥٣٩
اللتونيون ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦	بنو عباد ٤٤٤
المرابطون ١١٠ ، ١١١ ، ٥٨٣	بنو العباس ٣٢٤
المسلمون ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣	بنو عبد المؤمن ٤٨٢ ، ٤٨٦
٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠	بنو غانية ٤ أنظر الملتشون
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	بنو غرون ٦٥ ، ٧٤
٤٧٢	بنو مرين ٦٤
المصاندة ٤١٨	بنو نصر ١٨٢ ، ٢٤٥
الملتشون (بنو غانية) ٤٨٦	حير ، ٥٥٩
الموحدون ١٢٧ ، ١٢٨	الخزرج ٩٢
النصارى ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤١٦	اللدجن - المدجنون ٣٢ ، ١٤٠
٤٧١ ، ٤٧٠	الدولة الحكية ٢٤٩
النصرانية ٣٣ ، ١٠٥	الدولة العامرية ١٠٣ ، ١٠٥

فهرست البلدان والأماكن

ألمرية ٤٨٤ ١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٤٤ -
 ١٤٧ ١٦١ ١٦٢ ١٨٤ ٣٣٠
 ٣٨٢ ٣٨١ ٣٦٤ ٣٦٠ ٣٣١
 ٤١٩ ٤٢١ ٤٢٦ ٤٣٣ ٤٣٤
 ٤٩١
 أنتقيرة ٢٨
 الأنتكيرة ٤٦ ٤٣
 أندرش ١٩٥
 الأندلس ٧ ١٣ ٢١ ٢٩ - ٣١
 ٤٠ ٥٠ ٦٨ ٨٨ ٩٠ ٩٢
 ١٠٦ ١٠٨ ١٠٩ ١١٦ ١٢٦
 ١٢٧ ١٣١ ١٣٣ ١٤٣ - ١٤٥
 ١٧٤ ١٧٦ ١٨٦ ١٩٦ ٢٣٠ -
 ٢٣٢ ٢٤١ ٢٧٤ ٣٠١ ٣٠٣ ٣٣٩
 ٤١٧ ٤٩٤ ٥٢٥ ٥٣٥ ٥٦٣ ٥٧٢
 أوريولة ٣٤٩
 أويولاتن ١٩٢
 ب - ت
 باب إلبيرة ٢٤٩ ٢٦٩
 باب البنود ٦٥ ٧٥
 باب الربض ٧٦
 باب عبد الجبار ١٦٤
 باب الفخارين ٥٦١
 باب الفرج ١١١
 باب القنطرة ١٢٥
 باجة ١١٩ ٢٣٩
 باغة ٧٩
 بجانة ١٦٢
 بجاية ٣٣ ١٣٥ ١٤٤ ١٤٥ ٢٠٢
 ٢٠٣ ٢١٨ ٢٢٣ ٢٢٥ ٢٢٦

— ١ —
 أباد ٤٨٤ ٨٥ ١٢٦
 أبلية ٩٠
 أجدونية ٤٤
 أرجونة ٥٢
 أرجونة ٩٣ ٩٤ ٩٩ ٢٧١
 الأرض الكبيرة ٤٤
 الأرك ٩٩
 إستبة ٥٢٨
 إستجة ١٢٦ ٣١٥
 الإسكندرية ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٩
 الإسكوريال ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٩
 أنظر مكتبة الإسكوريال
 أشبونة ٨٦ ٨٧
 إشبيلية ٤٣ ٤٧ ٨٣ ٨٦ ٩٤
 ٩٨ ١٠٨ - ١١٠ ١١٦ ١١٧
 ١١٩ ١٢٦ ١٣٠ ١٣٣ ١٣٨
 ١٤٠ ١٧٠ ٢٢٨ ٢٣٨ ٢٣٩
 ٤٢١ ٤٣١
 أشتبونة ٢٤ ١٤٥ ٥٢٨
 أشونة ٩٠
 إصبهان ٢٣٨ ٢٣٣
 إطرابلس ١٠٣
 أطرية ٨١
 أغمات وريكة ١١٥ ١١٨ ١١٩
 إفراغة ١٢١
 إفرنسية ٨٥ ٨٦
 إفريقية ١٧٩ ٢٨٩ ٣٤٩ ٤٥١ ٥٦٣
 أكاديمية التاريخ بمديرد ٣
 ألبينول ١٤٥
 إلبيرة ١٠٥ ١٣٠ ٢٩٣ ٣٤٤

٦٠٣

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٠ ،
٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٧

ج-خ

جامع الزيتون ٣-٦ ، ١٣ ، ٢٢٣
جبال المرية ١٦٥
جبال غمارة ٢١
جبل الفتح ٢٣-٢٥ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٨٨
الجزيرة الخضراء ٨٨ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،
١٣١ ، ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٥٩١
جزيرة شقر ٣٤٣
جنة العريف ٢٧
جيان (وكورة) ٣٨ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،
٢٧١ ، ٣٨٨
جيرة ٧٩
الحجاز ٤٤٦ ، ٥٦٣
الحجر الأسود ٣٣
حران ٢٣٣
حصن أشر ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٢
حصن إقليج ١٢٦
حصن برج الحكيم ٨٥
حصن برشانة ٤٨٢
حصن برقة ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١
حصن بلبش ٩٩
حصن جلال ١٢١
حصن الخويز ٨٧
حصن زمرة ٨٧
حصن السهلة ٧٨
حصن شرانية ١٢٦
حصن شلب ٢٣٩
حصن القشور ٨٥
حصن اللقوة ٤٦٩
حصن مسقوط ١٢٥

٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٨
برجلونة (برشلونة) ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٥ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٣
برجة ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٣٤٤
برشانة ١٤٢ ، ٤٨٧
برغش ٤٨
برقة ٢٨٩ ، ٢٩٣
برطفال (البرتفال) ٤٣ ، ٨٧
بسطة ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٨
بطلبيوس ٥٨١
بغداد ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ ،
٤٤٨
بلاد الريف ١٥١
بلاد القبلة ١٠٥
بلاد الهند ١٦٥
البلد الجديد ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠
بلد المناب ١٣٥
البلد القديم ٤٠
بلش ١٣٨
بلنسية ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ،
٤٨٥ ، ٥٠٧
بنبلونة ٤٤
البيت الحرام ٥٥٨
بياسة ١٢٦
بيت المقدس ٢٣٢ ، ٤٥٠
بيرة ١٤٦
بيونة ٤٣
تاكرونا ٩٢
تدمير ١٠٦
تكرنت ١٣٥
التكروور ١٩٢
تلمسان ٢١ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٢٩
توانس ٣ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ١٣٥ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
 ٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،
 السبيكة ؛ ١٠٠
 سجاسة ؛ ٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧١
 سقر سطونة ؛ ٩٢
 سكون ؛ ٢٨٨
 سلا ؛ ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٧١
 شاطبة ؛ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 الشام ؛ ١٠٨
 شذونة ، كورة ؛ ٢٣٠
 شرق الأندلس ؛ ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٠٠
 شقورة ؛ ٣٨٨
 شلب ؛ ٤١٨
 الصخور ؛ ١٢٨ ، ١٢٩
 طبرنش ؛ ٤٧٨
 طليعة ؛ ٤٢٥
 طرطوشة ؛ ١٢٦
 طريانة ؛ ٤٣٢
 طريف ؛ ١٨٠
 طشانة ؛ ١٠٨
 طليطة ؛ ٤٧ ، ١٣٣ ، ٤١٦
 طنجة ؛ ٣١ ، ١١٢ ، ١١٧
 طيبة (المدينة) ؛ ٣١٩ ، ٢٣٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢

ع - غ

العدوة ؛ ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩١ ، ٢٩٤
 ٣٧١ ، ٤٢٦
 البريش ؛ ١٠٨
 عقبة إيلة ؛ ٥٦٧
 غرناطة ؛ ٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ،
 ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ،

حصن مطرنش ؛ ١٢٦
 حصن منتيل ؛ ٨٥ ، ٨٧
 حصن وحبر ؛ ٨١
 الحمراء (قصر وقلمة) ؛ ٢٦ ، ٥٢ ، ٨٠ ،
 ١٤٦ ، ١٩٨
 حص ؛ أنظر إشبيلية
 الحمة ؛ ١٦٢
 حمة مرشانة ؛ ٣٦٤
 حومة الدرب ؛ ٤١٦
 خراسان ؛ ١٦٠
 الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٣

د - ز

دار الحديث الكاملية ؛ ٤٥١
 دائية ؛ ١٢٦
 درب الفرعوني ؛ ٤١٦
 دلالة ؛ ١٤٥
 دمشق ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
 دومة الجندل ؛ ٥٥٨
 ذكوان ؛ ٢٨
 رابطة العقاب ؛ ١٥٥
 رباط آسني ؛ ١٢٩
 ربض البيازين ؛ ١٢٧ ، ٣٠٠
 الربض الشرق ؛ ٤١٦
 رحية أبان ؛ ٤١٦
 رغون ؛ ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٨
 رندة ؛ ٣٠ - ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٧ ،
 ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ ،
 ٣٦٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ،
 روطلة ؛ ٨٧
 ريه ، كورة ؛ ٢٧٥
 الزاوية ؛ ٥٠٤

س - ط

سبتة ؛ ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٦ ،

القنبر ؛ ٤٣١

قيجاطة ؛ ٤٦٧

كدية مردنيش ؛ ١٢٧

الكعبة ؛ ٥٦٦ ، ٥٦٥

ل - م

لوشة ؛ ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٢٤٣

ماردة ؛ ١٣٠

المارستان الأعظم ؛ ٥١٥ ، ٥٠٠

مارستان مصر ؛ ٥٠

مالقة ؛ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٧

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٢

١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٩

٤٤٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٦

٥٢٨ ، ٥٦٤ ، ٥٧٥

المدينة ؛ أنظر طيبة

مدينة سالم ؛ ١٠٧

مراكش ؛ ٤١ ، ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٤

٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٧

مريلة ؛ ٢٨ ، ١٤٥

مرج الرقاد ؛ ١٢٧

مرسى تلهي ؛ ١٦١

مرسية ؛ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ - ١٣١

٣٤٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١

مرشاة ؛ ٩٠ ، ٤١٩

المشرق ؛ ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢

٢٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٥

مشهد الحسين ؛ ٤٤٨

مصر ؛ ١٠٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

المغرب ؛ ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣

٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٤

١٠٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٤

٢٨٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٥

٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣

٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ - ٥٠٦

٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٥

٥٧٠

غليسية ؛ ٤٣

غمدان ؛ ٥٥٧

ف . ق . ك

فاس ؛ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠

١٤١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٥١٥

٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

فحص الفنت ؛ ٢٨

فرغليط ؛ ٣٨٨

الفسطاط ؛ ٢٢٩

فنيانة ؛ ١٤٥

القاهرة ؛ ٤٣٤ ، ٤٥١

قرطبة ؛ ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢

١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٣٢٧

٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٤

٥٠٥ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢

قرطمة ، معقل ؛ ٢٧٥

قرونة ؛ ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٢٦٠

قرية الخرج ؛ ٩٣

قشتالة ؛ ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٤٦ ، ٧٢٧ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٣٠٠

قصبه ألمرية ؛ ٦٥ ، ٤١٩

قصبه قيجاطة ؛ ٤٧١ ، ٤٧٢

قفصة ؛ ٤٧٩

قنالش ، غزوة ؛ ١٠٧ ، ١٤٥

٦٠٦

مقبرة ابن عباس ٤١٦

المقرمدة ١٤١

مكتبة الإسكوريال ٦ - ٣

المكتبة الزيدانية ٥

مكة ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦

المنكب ١٣٥ ، ٣١٠ ، ٣٦٤

منورقة ٢٤٩

المهدية ٤٨٦

موقعة بكركى ٢٩٣

موقعة الزلاقة ١١٤

موقعة طريف ٣٦٨

موقعة العقاب ٣٢٩

ن - ى

نبارة ٤٤٤

نجد ٣١٧ ، ٣١٨

النهر الأعظم (الوادى الكبير) ١٠٨

نهر الفنداق ٣٤٣

هين ١٦١

وانى آش ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩

١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١

١٨٧ ، ٣٦٧

وادی الحجارة ١٠٧

وادی الغيران ٣٦٠

وادی لو ١٥١

ادى هدارة ٢٦

وادی يانة ٤٦٩

يومين ١٠٨

فهرست الأعلام

— ١ —

أبن بشكوال ٢٣٠٤، ٣٩٠، ٤١٦، ٤٨٩، ٥٨١

أبن بطرون ٧٤

أبن بق (أبو الحسن بن محمد) ٣٣٨، ٤٨٩

أبن تافراقين ، أبو محمد ٢٢

أبن تيمية ٢٠٣

أبن جابر (محمد بن أحمد الهواري) ٣٣٠

أبن جبير ، عبد السلام ٢٣٠

أبن جبير ، محمد بن أحمد ٧، ٢٣٠

أبن جزى الكلبي ، أبو عبد الله (محمد بن محمد)

أبن أحمد ٢٥٦، ٢٥٧

أبن جزى الكلبي (محمد بن عبد الله بن يحيى) ٤٥٢

أبن جهور ، أبو الوليد ٥١٧

أبن الجنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري) ٣٤٨، ٦

أبن الجياب ، أبو الحسن علي ١٨٣، ٢٢٧، ٤٥٣، ٢٨٢

أبن الحاج البليقي ، أبو البركات ١٨، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٩٧، ٢٧٢، ٣٠٣، ٣٤٢، ٣٦٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٣٣، ٤٣٤

أبن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله) ٤٤٢

أبن الحاج (محمد بن علي) ١٣٩

أبن الحاجب ٢٠٣، ٢٢٣

أبن حبيش ، أبو القاسم ٣٩٠، ٤٨٣، ٤٨٨

أبن الحداد الوادي آشي ٦، ٣٣٣

أبن حزب الله (محمد بن محمد) ٣٦٧

أبن حزم ، أبو محمد ١٧٦

أبن حسون ، أبو مروان ٤٤٤

إبراهيم بن أبي بكر الحفصي ، السلطان ٢٢

إبراهيم بن أبي الفتح ٢٦

إبراهيم بن أبي الوليد ٣٢٥

إبراهيم بن أبي يحيى الحفصي ، السلطان ٤٢

إبراهيم بن إسحاق الفسافي ٢٣٢

إبراهيم بن الحكيم ، أبو إسحاق ٤٦١

إبراهيم بن حكيم الكنتاني ٢٠١

إبراهيم بن المل ٤٨٨

أبن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله ١٤٤، ٤٧٩

أبن أبي البقاء ٣٤٣

أبن أبي خالد ٩٨

أبن أبي الخصال (محمد بن مسعود بن خالصة) ٤٩٥، ٤١٦، ٣٨٨، ٣٣٨، ٣٢٧، ٧٦، ٦

أبن أبي خيشمة الجباني ٣١٥

أبن أبي زيد ٢١٧

أبن أبي السداد الباهلي ، أبو محمد ١٣٩، ١٧٩، ١٧٠

أبن أبي العيش ، أبو الحسن محمد ٢٢٣

أبن أبي القاسم السهيلي ٤٨٣

أبن أرقم النخري ١٤١

أبن الأزرق ١٢٢

أبن أضحى (أبو الحسن علي بن عمر) ٥٠٤

أبن الأفضس ، عمر المتوكل ١١٨، ١١٩، ٥٨٢، ٥٨١، ٤٩٤

أبن الباذش ، أبو الحسن ٣١٥، ٥٢١

أبن باق الأموي ٣٣٨

أبن برطلة ، أبو محمد عبد الرحمن ٣٤٣

أبن بسم ٥٨٢، ٣٢٣، ٥٨٣

ابن حكيم ، أبو عثمان ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ٤٦٢ ، ٤٤٤ ، ٢٤١ ، ١٣٦ ، ٧ ، ٦
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ٢٦٦
 ابن حمامة (محمد بن أيوب بن غالب) ١٢٢
 ابن حديد ، أبو جعفر ٥٥٥ ، ٥٨٢
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خنيس الجعري ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ٤٨٧
 ابن خيرة المواعيني ٣٣٧
 ابن دراج القسطل ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ٥١٧
 ابن رزمير ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٦٢ ، ٤٥٣
 ابن الزبير ، أبو جعفر ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحي) ٤ ،
 ٣٠٠ ، ٧
 ابن الزيات الكلاعي ١٣٨
 ابن زيدون ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى) ٦ ، ٥٨٢
 ابن سيد الناس اليعمرى (محمد بن محمد) ١٨٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٤
 ابن الشديد (محمد بن محمد) ٣٨٦ ، ٥١٦
 ابن شرف ٢٩٠
 ابن شلبطور الهاشمي ٣٦٥ ، ٣٦٤
 ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) ١٠٧
 ابن صاحب الصلاة ١٠٧ ، ١٤٤
 ابن صفوان القيسي ٣٨١
 ابن الصيرفي ١١٨ ، ١٢٠ ، ٥١٧
 ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك) ٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٢
 ابن طلحة ١٤٤
 ابن عبد الصمد ١٢٠
 ابن عبد الملك المراكشي ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
 ٥١٧ ، ٥٨١
 ابن عبد الواحد البلوي (محمد بن محمد) ٣٨٢
 ابن عذارى المراكشي ٩٨
 ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسين) ٢٣٣
 ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضرمي) ١٧٢ ،
 ٣٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٤
 ابن عماد الحارثي ٤٤٩
 ابن عمار ١٠٩
 ابن عمر القدوي ٢١٤
 ابن عميرة ، أبو المطرف ١٤٧ ، ٣٥٣
 ابن عياش التجيبي البرشاني ٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ابن عياض (والى بلنسية) ١٢١
 ابن غالب الرصافي ٧ ، ٥٠٥ - ٥٠٧
 ابن غانية المسوفي ، يحيى ١٢١ ، ٤١٨
 ابن الفزاز البلنسي ، أبو العباس ٢٢٣ ، ٤٥٢
 ابن فرتون ١٤٤
 ابن الفرس ، أبو القاسم ٤٩١

٢٤٩ ، ٢٢١ - ٢١٩
 ٤٦١ ، ٢٧٢ ، أبو بكر
 ٤٦٢ ، ٤٤٤ ، ٢٤١ ، ١٣٦ ، ٧ ، ٦
 ٢٦٦ ، أبو القاسم
 ١٢٢ ، (محمد بن أيوب بن غالب)
 ٥٨٢ ، ٥٥٥ ، أبو جعفر
 ٣٢٧ ، ٢٣٤ ، أبو سليمان
 ٣٢٧ ، أبو محمد
 ١٧ ، ٤ - ٧ ، لسان الدين
 ١٩ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ٣٩٠ ، أبو إسحاق
 ٥٨٢ ، ٢٩٩ ، أبو زيد ولي الدين
 ٥٢٨ ، ١٧٤ ، ٦ ، ٧
 ٤٨٧ ، ابن خير
 ٣٣٧ ، ابن خيرة المواعيني
 ١٠٧ ، ابن دراج القسطل
 ٥١٧ ، يحيى ، ابن ذي النون
 ١٢١ ، ابن رزمير
 ١٣٩ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٦٢ ، ٤٥٣
 ٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ٣٤٩ ، أبو الحسن محمد ، ابن رزيق
 ٤ ، ٣٠٠ ، ٧ ، (محمد بن يوسف الصريحي) ، ابن زرك
 ١٣٨ ، ابن الزيات الكلاعي
 ١١٣ ، ١٠٩ ، ابن زيدون
 ٦ ، ٥٨٢ ، ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى)

ابن هشام . إبراهيم ١٢٦ ، ١٢٧
 ابن هود ، الشوكل (محمد بن يوسف) ٧ .
 ٩٤ - ٩٥ - ١٢٨ - ١٣٣ - ٣٥٩ ، ٣٥٢ ،
 ابن هيش ٩٣
 أبو إسحق بن أبي العاصي ٥٣
 أبو إسحق الإلبيري ١٥٥
 أبو إسحق البليقي ٤٢١
 أبو إسحق الزوالي ١٧٣
 أبو إسحق بن الحاج ٤١٩ ، ٤٢٠
 أبو إسحق بن حبيب ٢٣٣
 أبو إسحق بن حكم السلوي ٢١٨ ، ٢١٥
 أبو إسحق شرف الدولة ١٣١
 أبو إسحق الطيار ٢٠١
 أبو إسحق بن عبد الرقيق ٢٤٢
 أبو إسحق الغافق ١٨٤ ، ٢٤٢ ، ٢٨٢
 أبو إسحق الموحد ، السيد ٣٢٨
 أبو البدر بن عبد الله بن الزبير ٤٤٩
 أبو بكر ، الخليفة ٣٢١
 أبو بكر بن إبراهيم بن يربوع السقي ٥٢
 أبو بكر بن خيس ، أنظر ابن خيس
 أبو بكر بن خيرة ٣٣٨
 أبو بكر الداني ١١٥
 أبو بكر بن زرقون ٤٨٨
 أبو بكر بن سابق ٣١٥
 أبو بكر بن السعيد ، السلطان ٢٢ ، ٢١
 أبو بكر بن صبيب ١٤٤
 أبو بكر بن عباد الموي ١١١
 أبو بكر بن عبد العزيز ٣٢٨ ، ٤٠٤
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيل ٢٤٢
 أبو بكر بن العربي ٢١٣ ، ٣٨
 ٤٨٧
 أبو بكر الكاتب ٩٨
 أبو بكر بن محمد اليحصي ٩٦

ابن هليس (محمد بن عبد الله) ٤٣٢
 ابن القاسم ٢١٤ ، ٢١٥
 ابن القائل الكاتب ٤٨٤
 ابن قزمان ازهرى (محمد بن عيسى) ٦ ، ٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
 ابن القصيرة ، أبو بكر ٦ ، ٧ ، ٥١٦
 ابن قطبة الدوسي (محمد بن أحمد) ٢٥٠
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن أحمد) ٢٥٣
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد) ٢٥٥
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) ٢٥٤
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) ٢٥٥
 ابن قطزال ٣٤٩
 ابن قيد ٤٨٨
 ابن الكباد ، أبو عبد الله ١٧١ ، ١٧٩
 ابن لب الأمي (محمد بن عبد الله) ٤٣٣
 ابن مجاهد الرندي ١٧١
 ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس) ٦ ، ٧ ، ٣٤٧
 ابن مرزوق ، الخطيب ، أبو عبد الله ٣٠٣ ، ٣١٠
 ابن مشتمل (محمد بن محمد بن جعفر) ٣٦٤
 ابن مضاه ، أبو العباس ٣٩٠ ، ٥٢١
 ابن مقاتل (محمد بن محمد) ٣٧٩
 ابن منخل الغافق (محمد بن أحمد) ١٣٣
 ابن منذر الإشبيل (أبو العباس أحمد) ٤٢١
 ابن منظور القيسي ١٧٠
 ابن مهيب اللخمي ، أبو بكر ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٥
 ابن النعمة ٤٨٨
 ابن هاني الأزدي الإلبيري ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٥٠٤
 ابن هبة الله الحرافي ٤٤٨

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦
أبو جعفر الإليري ؛ ٣٣٠
أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
أبو جعفر بن أحمد بن جزي ؛ ٣٧
أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
أبو جعفر بن عثمان ؛ ٣٤٣ ، ٤٨٣
أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
أبو جعفر بن يحيى الكنتاني ؛ ٥٢١
أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
أبو الحجاج بن يسمون ؛ ٢٣٢
أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
أبو الحسن بن الأنخضر ؛ ٥٢١
أبو الحسن بن يري ؛ ٢٢٥
أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
أبو الحسن الرعيني ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥
أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥ ، ٣٤٩
أبو الحسن بن شريح ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٧
أبو الحسن بن شعيب ؛ ٤٤٠
أبو حسن الشقوري ؛ ١٧٣
أبو الحسن بن عبده ؛ ٢٤٦
أبو الحسن عضد الدولة ؛ ١٣١
أبو الحسن بن عقيل الرندي ؛ ١٧١
أبو الحسن بن علي الشادي ؛ ٢٣٤
أبو الحسن بن فرحون ؛ ٢١٩ ، ٢٢٠
أبو الحسن بن فضيلة ؛ ١٧٩
أبو الحسن القيحايطي ؛ ٢٧٤ ، ٤٣٤
أبو الحسن المريئي ، السلطان ؛ ٤١
أبو الحسن بن مستقور ؛ ٢٤٢
أبو الحسن بن ملحان ؛ ٤٧٩
أبو الحسن بن موسى ؛ ٢٢٦
أبو حفص بن عبد المؤمن الموحدى ؛ ٣٣٨
أبو حمو (موسى بن يوسف) ؛ ٢٢ ، ٤١ ،
١٩٣
أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٣
أبو الربيع بن سالم ؛ ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
٤٢٦
أبو زكريا بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
أبو زكريا الإصبهاني ؛ ١٧٣
أبو زيان (محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن) ؛
٤٠
أبو زيد بن الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
٢١٨
أبو زيد السهيلي ؛ ٣٢٨
أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) السلطان ؛ ٢١
٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
٣٠٦
أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧ ، ٣٣٨
أبو سعيد بن لب ؛ ٣٠٣
أبو طالب بن القرشي الزهري ؛ ٥٠٣

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦
أبو جعفر الإليري ؛ ٣٣٠
أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
أبو جعفر بن أحمد بن جزي ؛ ٣٧
أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
أبو جعفر بن عثمان ؛ ٣٤٣ ، ٤٨٣
أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
أبو جعفر بن يحيى الكنتاني ؛ ٥٢١
أبو الحجاج الأعلم ؛ ٥١٧
أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
أبو الحجاج بن يسمون ؛ ٢٣٢
أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
أبو الحسن بن الأنخضر ؛ ٥٢١
أبو الحسن بن يري ؛ ٢٢٥
أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
أبو الحسن الرعيني ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥

أبو عبد الله بن أنسجار ؛ ٢٢٣
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن هارون ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٨٣ ، ١٥٠
 أبو عبد الله بن هشام الشواش ؛ ٤٢١
 أبو عبد الله الأبل ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٢٨
 أبو عبد الله الترجاني ؛ ٢٢٥
 أبو عبد الله الديباغ المالح ؛ ٢٢٤
 أبو عبد الله السلال ؛ ١٧١
 أبو عبد الله الشطلي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله الطرسوني ؛ ١٣٤
 أبو عبد الله الطنجاني ؛ ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ،
 ٢٧٤ ، ٣٤٠
 أبو عبد الله المقرب (محمد بن علي الأوسي) ؛
 ٢٨٤ ، ٢٨٥
 أبو عبد الله العلوي التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله الغاري ؛ ١٨٤
 أبو عبد الله القاسي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله اللوشي اليحمصي ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٣
 أبو عبد الله المبرقي ؛ ٤٣٤ ، ٤٨٩
 أبو عبد الله المحيد المالح ؛ ١٤٤
 أبو عبيد بن يوسف بن سعادة ؛ ٤٨٨
 أبو عبيد الله بن أبي القاسم الأنصاري ؛ ١٧٩
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٣٤٠
 أبو علي بن أبي الشرف ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن حمدون ؛ ٢٨٩
 أبو علي بن خلاص ؛ ٣٤٩
 أبو علي بن طاهر بن ربيع ؛ ١٧٩
 أبو علي بن علوان ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن كسري الموري ؛ ٣٢٨
 أبو علي الحداد ؛ ٢٢٨
 أبو علي الراندحي ؛ ٣٦٤
 أبو علي الشلوبين ؛ ٢٤٩
 أبو علي الصدقي ؛ ٥٢١

أبو الطاهر السلفي ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرندي ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البناي ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغبري ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النباي ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعي ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحى ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلييري ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حيد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميي ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ،
 ١٣٢ ، ٤١٩
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمي ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفجار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكر سوني ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩

أبو محمد الرشاشي ٤٧٩
 أبو محمد بن سهل الضرير ٤٨٨
 أبو محمد بن السيد ٥٢١
 أبو محمد بن الصايغ ١٤٦
 أبو محمد بن عتاب ٥٢١
 أبو محمد بن عطية ١٧
 أبو محمد بن المؤذن ٢٤٢
 أبو محمد البسطي ٩٩
 أبو محمد الدلاصي ٢٢٢
 أبو محمد القرطبي ٣٢٨
 أبو مدين ، شعيب بن الحسين ١٩١ - ١٩٣
 أبو مروان البياضي ٤٨٩
 أبو مروان بن مسرة ٣٢٧
 أبو النجاة سالم ، عماد الدولة ١٣٠ ، ١٣١
 أبو الوليد بن حجاج ٤٨٩
 أبو الوليد بن شيكة ٢٣٢
 أبو الوليد بن يحيى بن سعد ٣٢٥
 أبو يحيى بن عبد الحق ٩٧
 أبو يحيى بن الكاتب ٩٦
 أبو يعقوب الموحدي ، السيد ١٢٧
 أبو يوسف بن طلحة ٤٨٧
 أبي بن كعب ٣٢٠
 أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني ٤٤٩
 أحمد بن أبي الوليد (أبو القاسم) ٣٢٥
 أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي ٤٥٠
 أحمد بن إسحاق ، أبو المعالي ١٨٠
 أحمد بن زيد بن الحسن ١٣٣
 أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ٤٤٨
 أحمد بن أبي غالب الرصافي ١٠٧
 أحمد بن قاسم الأصولي ٢٨٨
 أحمد بن محمد الأشعري ١٨٠
 أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري ٣٢٦
 إدريس المأمون ، الخليفة الموحدي ٩٧ ، ١٣٠

أبو علي النساني ٣١٥
 أبو عمر الطنجي ١٧١
 أبو عمر الأوثي ٢٧٠
 أبو عمران بن أبي تلبد ٥٢١
 أبو عمرو بن أحمد النفزي ٢٢٩
 أبو عمرو بن سالم ٥٠٦
 أبو عمرو بن عباد ٤٨٩
 أبو عمرو بن العلاء ٢١٧
 أبو عنان فارس ، السلطان ١٧ ، ١٨ ،
 ٢٠ ، ٢١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٤
 أبو عيسى بن أبي السداد ٣٤٩
 أبو الفتح بن زيان بن مسعدة ٢٢٦
 أبو الفرج بن الجوزي ٢٣٣
 أبو القاسم البلوي ٤٨٣
 أبو القاسم بن بق بن نافعة ٢٢٨
 أبو القاسم بن حزب الله ١٥٠
 أبو القاسم بن حسان ٤٦٥
 أبو القاسم بن الشاط ١٨٤
 أبو القاسم بن صوابة ٥٢١
 أبو القاسم بن الطيلسان ٤٩٧
 أبو القاسم بن عباد ١٠٨
 أبو القاسم بن عمران ١٧٤
 أبو القاسم بن نبيل ٣٤٩
 أبو القاسم بن يسر ٤٤٨
 أبو القاسم الحسيني ١٥٠ ، ١٩٧
 أبو القاسم السهلي ٣٢٨
 أبو القاسم الملاحي (محمد بن عبد الواحد النافق) ؛
 ١٣٣ ، ٣٨٩
 أبو القاسم المواجهي ٤٨٧ ، ٤٩١
 أبو القمر هلال ١٢٧
 أبو المنجد بن الأحوص ١٧١
 أبو محمد بن أبي الأحوص ١٧٤
 أبو محمد بن أبي الدباس ٥٠٩
 أبو محمد بن حسن اللواق ٢٣٤

جوهري الصقل ٢٨٩
الحاج البباس ٤٩
الحارث بن أسد ٣٢٢
حارثة بن العباس بن مرداس ٤٣
حازم القرطاجي ، أبو الحسن ١٨٥
حسان بن مالك بن هاني ١٠٧
الحسن بن أيوب بن زيد ١٧٣
الحسن بن قاسم الحلالي ٢٧٥
حسين بن حسين ٢١٨
الحسين بن هبة الله الربيعي ٢٣٣
حسين بن يوسف الحمصي ٢٢٦
الحصري القيرواني ١١٢
الحكم المستنصر ١٠٣
حمزة بن يوسف السهمي ٢٢٦
حيات بن عبد العزيز ٢٣٣
خليل بن أبي بكر المرادي ٤٤٨
الخليل النحوي ٣٢٢
الخونجي ٢١٧

د - ز

الدارقطني ١٤٨ ، ٣٥١
داود بن الملك المظفر عيسى ٤٥٠
الدليل البركي ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣
الدليل الموروري ٢٦
الدك (الدوق) ٤٤
دنطية ٤٥
ديرنبور ، هارتفج ٣
الرازي ، أحمد بن محمد بن موسى ١٣٣
الرشيد بن عباد ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٧
رشيد الدين المطار ٢٣٤
الرشيد ، الخليفة الموحد ٩٧
رضوان النصرى ، أبو النعمان ٢٦ ، ١٥
رضي الدين القسطنطيني ٤٤٨
رميك بن حجاج ١١٠

إدريس الواثق ، أبو ديبوس ، الخليفة الموحد ٩٧

إدغونش بن فردلان ١١٠ ، ١١٤
إسحاق بن أبي العاص ٢٧٤
إسماعيل بن تبر الأيادي ٣١٩
إسماعيل بن قريش بن عباد ١٠٨
إسماعيل بن موسى ٢٢٩
إعماد الرميكية ١١٠ ، ١١٩
إمروء القيس ٢٢٠
أندريق (الكونت) ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦
أنس بن مالك ٢٢٩
أيوب بن عبد الله الفهري ٢٢٨

ب - ث

باديس بن حبوس ١١٨
برقسين ٤٣
بركات الخشوعي ، أبو الطاهر ٢٢٩ ، ٢٣٣
البرنس ٤٤ - ٤٦
بطره بن أدغونش بن هرائند ٨١
بطره بن الهش بن هرائند ٢٢ ، ٤٢
بلج بن بشر القشيري ١٠٨ ، ٢٣٠
بلج بن يحيى بن أبي بردة ١٧٦
بوريل ، الكونت ١٠٦
تاج الدين الآمدي ٢٢٢
الترمذي ، أبو إسماعيل ٢٢٦ ، ٢٢٩
تاشفين بن علي بن يوسف ٣٤٣
ثابت بن علي بن عبد العزيز ٤٥١

ج - خ

جار الله بن عساكر ، أبو اليمن ٤٤٨
جايمش بن بطره (خايي الفاتح) ٩٨
جاينجوس ، المستشرق ٣ ، ٤
جرور ، القائد ١١٦
جعفر بن علي بن فلاح ٢٨٩ ، ٢٩٠
جهودي بن عبد الرحمن ١٤١

زيان بن مردنيش ، أبو جليل ٩٨
زينب بنت عبد اللطيف البغدادي ٤٤٨

من — ظ

السالمى الكاتب ١٢٣

سعد بن عبادة ٩٣

سعد بن الفقى بالله ٣٦

سعد بن إبراهيم الخياط ٢٠١

سميد بن عبد الله الشنتربى ١٠٧

سلطان بن على بن عبد الله التلمسانى ٤٥٠

سماحة الوزير ٢٨٢ ، ٢٨٣

سهل بن مالك ، أبو الحسن ٣٢٩ ، ٣٥٩

سيبويه ٢١٥

الشافعى ، الإمام ٢١٧ ، ٢٢٦

شاذر بن الفخار المالى ٥٠٦

شرف الدين بن التلمسانى ٢١٥

شرف الدين الدميالى ٢٢٢

شمس الدين بن قيم الجوزية ٢٠٣

شيخ الغزاة ١٦

صاعد بن الحسن القوى ١٠٦

صدر الدين القارى ٢٠٣

صفوان بن إدريس ٤٨٥

ضمرة بن كنانة بن بكر ٢٣٠

طارق بن زياد ١٠٢

طاهر بن محمد (المهند) ١٠٧

ع — غ

عائكة ، أم المجد ٢٣٢ ، ٢٣٤

العادل ، الملك ٢٢٢

عباس بن عطية ، أبو عمرو ٤٢٠

عبد الحق بن ربيع ٢٢٣

عبد الرحمن بن أبي جمو ، أبو تاشفين ٢١٤

عبد الرحمن الصنهاجى ٢٢٤

عبد الرحمن بن على بن عمر ، الأمير ٣٩

عبد الرحمن بن قاسم ٢٢٨

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ٢٠١

عبد الرحيم بن عبد المنعم التدميرى ٤٤٩

عبد العزيز بن سلطان الدانى ٤٤٥

عبد العزيز الجزيرى ٢٤٢

عبد العزيز المربى ، السلطان ٤١

عبد الكبير الإشبيل ، أبو محمد ٤٢١

عبد الكريم بن عطاء الله ، أبو محمد ٢٣٤

عبد الكريم بن على بن جعفر القرشى ٤٥١

عبد اللطيف الحجري ، أبو محمد ٢٣٣

عبد الله بن أحمد بن الملقوم ٢٢١

عبد الله بن بلقين ١١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

عبد الله بن عباد ، أبو بكر ١١٠

عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ٤١٨

عبد الله بن قيس ١٧٦

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبرى ٤٥١

عبد الله بن محمد التجيبى الدكل ٥٢١

عبد الملك بن إدريس الجزيرى ١٠٧

عبد الملك بن سهل ١٠٧

عبد الملك بن صناديد ، أبو مروان ٩٦

عبد الملك المعافى ١٠٥

عبد الملك بن مفضل الواسطى ٤٥١

عبد المنعم بن سمالك ، أبو محمد ٣١٦ ، ٣٢٩

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمى ٤٤٨

عبد المنعم بن يحيى القرشى الزهرى ٤٥٠

عبد المهيمن بن محمد الحضرى ٤٥٣

عبد المؤمن بن خلف الدميالى ١٨٠ ، ٤٤٨

عبيد الله بن أحمد بن أبي ربيع القرشى ٤٥٢

عتبة بن يحيى الجزولى ١٢٩

عثمان بن أبي العلاء ١٣٧ ، ١٤١

عثمان بن أبي محمد بن جندرة ٤٥١

عثمان بن عبد القوى البلوى ١٨٠

عثمان بن عبد المؤمن ، السيد أبو سعيد ٢٣١ ،

الغزيرى ، ميخائيل ٣٤

النشئ ، المقدم ١٢٨ ، ١٢٩

ف - ل

فاطمة بنت إبراهيم البعلبكي ٤٥٠

فاطمة بنت الرسول ٥٩

الفتح بن خاقان ، أبو نصر ١٠٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥

فخر الدين الرازى ٢٠٢ ، ٢٢٢

فرج بن محمد بن فصر ، أبو سعيد ٩٦

فضل بن فضيلة المعافى ١٣٩ ، ٢٧٤

قاسم بن أحمد بن السكوت ١٧٩

القاسم بن محمد الصنهاجى ٢٢٥

قص بن ساعدة ٣٢٤

ل - م

المازرى الإمام ٣٢٧

مالك بن أنس ، الإمام ٢١٤ ، ٢١٥

مالك بن عباد ١١٧

المأمون بن عباد ١٠٩ ، ١١٦

المتنبى ، أبو الطيب ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

محمد بن إبراهيم الحنكى ٩٧

محمد بن إبراهيم بن داود الحميرى ٣٧١

محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل الأنصارى ٩٦

محمد بن إبراهيم بن فضيلة ٣٤١

محمد بن إبراهيم المرادى (ابن العشاب) ٥٢٥

محمد بن أبي بكر ١٧٧

محمد بن أحمد الأقرشى الفاسى ١٧١

محمد بن أحمد البندادى ٢٢٩

محمد بن أحمد الحسنى ٣٠٣

محمد بن أحمد الرازى (ابن الخطاب) ٢٢٩

محمد بن أحمد السالمى ٤٨٩

محمد بن أحمد الصندلانى ٢٢٨

محمد بن أحمد بن عبد الله الإستنجى ٥٤ ، ٣١٥

٣٢٩

عثمان بن على ٩٧

عثمان بن يحيى بن عمر بن رحو ٣٨ ، ٧٦

عزيز بن خطاب ، أبو بكر ٣٤٩

عطاف بن نعيم ١٠٨

علم الدين الشينوفى ٤٥١

على بن إبراهيم الشيبانى ٩٦

على بن أحمد الميمونى القسطلانى ٤٥١

على بن بكر الدين بن موسى بن رحو ٣٨

على التللى الجرايحي ٢٠١

على بن عبد الرحمن المقدسى ٤٥٠

على بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشق ٤٤٩

على بن عبد الله بن الحسن ٣٧

على بن محمد بن أبي القاسم ٤٥٠

على بن محمد بن سعيد اليحصبى ٩٦

على بن نصر ٧٤

على بن يوسف ، أمير المسلمين ٤٧٧ ، ٥١٩

على بن يوسف العبدرى السفاح ٤٤٧

على بن يوسف بن كشاة ٣١

عمر بن أبي رييمة ٢٧٦

عمر بن أبي سعيد ، الأمير ١٤١

عمر بن الخطاب ٣٢١

عمر بن شاكرا ٢٢٩

عمر بن عبد الله بن على ٢٩ ، ٣٩ ، ٤١

عمر بن عبد المجيد الأزدي ٣٢٧

عمر بن عبد المجيد الميانجى ٢٣٣

عمر اللوشى ٤٥٧

عمر بن المنجم البندادى ١٠٦

عمران بن موسى المشدالى ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٥

عياض بن موسى اليحصبى ٢٢٣

عيسى بن الحسن بن أبي منديل ٢٣

عيسى بن محمد بن عبد الله ٢٠١

غازى بن أبي الفضل بن الجلاوى ٤٥٠

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ٤٥١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ١٨٧
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ١٣٥
 محمد بن أحمد بن محمد الحسيبي ١٨
 محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ١٨١
 محمد بن إسماعيل الزبيدي ١٠٧
 محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأنماطي ٤٤٥
 محمد بن إسماعيل بن فرج ٢٦
 محمد بن حسان ١٧٢
 محمد بن الحسن البروني ٢٠١
 محمد بن حسن العمراني الشريف ٥٢٣
 محمد بن الحسن القرشي ١٠٧
 محمد بن سعد بن مردنيس ١٢٤ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ٤٨٩ ، ٥٠٥
 محمد بن صالح بن رحمة الكنافي ٤٥١
 محمد بن عباس الأشعري ٤٤٩
 محمد بن عبد الرحمن العقيلي ٤٧٦
 محمد بن عبد الرحمن المتأهل ٤٧٧
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ٤٢٦
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ٢٠١
 محمد بن عبد الملك بن جهور ١٠٧
 محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ٤٩١
 محمد بن علي بن العابد الأنصاري ٢٨٧
 محمد بن علي بن عبد الله القيسي ٢٨٦
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ٥
 محمد بن علي بن محمد الحمداني ٤٨٨
 محمد بن عياش الخزرجي ١٧٩
 محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ٩٧ ، ٢٢٦
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 محمد بن غالب الطريقي ٤٦٤
 محمد بن فتح الإشبيل (الأشبرون) ٩٧ ، ١٣٨
 محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ٥١٥
 محمد بن قايد الكلاعي ٢٤١

محمد بن مالك الطنبري ٢٨٢
 محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني ٢٣٣
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزري ٢١٣
 محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي ٩٣
 محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ٥٢٧
 محمد بن محمد القرشي ٤٢٧
 محمد بن محمد بن نصر ٩٥
 محمد بن محمد بن يوسف ... بن نصر الخزرجي ، السلطان ٥
 محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، السلطان ٤٤٥ ، ٤٤٧
 محمد بن مطرف بن شخيص ١٠٧
 محمد بن هارون ١٧٩
 محمد بن يحيى الأشعري المالك ١٧٦
 محمد بن يحيى الباهلي (ابن المسفر) ٢٠٢ ، ٢٠٣
 محمد بن يحيى السكري ٤٨٩
 محمد بن يحيى الفسافي البرجي ٢٩٥ ، ٢٩٣
 محمد بن يحيى بن هبيرة الشيباني ٤٤٩
 محمد بن يوسف بن إسماعيل (السلطان الغني بالله) ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ١٣٤
 محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي ٥٢١
 محمد بن يوسف ... بن نصر (محمد بن الأحمر الكبير) ٧ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥
 المرتضى بالله ، الخليفة الموحد ٩٧
 المستنصر بالله الحفصي ٩٧ ، ٤٢٧
 المستنصر بالله العباسي ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١
 المعتمد بن عباد ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٣٠

وليد بن موفق ؛ ٤٨٨
 يحيى بن جاد البعلبكي ؛ ٤٤٩
 يحيى الحكيم ؛ ٤٤٤
 يحيى بن عبد الرحمن الأشعري ؛ ٩٦
 يحيى بن عبد الله القرشي ؛ ٤٤٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ؛ ٩٧
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ١٦ ، ٣٨
 يحيى بن محمد بن أبي الفصن ؛ ٢٣٤
 يحيى بن الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 يزيد بن حاتم بن قبيصة ؛ ٢٨٩
 يزيد الراضى (ابن عياد) ؛ ١١٠ ، ١١٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ، السلطان ؛
 ٩٧
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٥
 يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ؛ ٤٥٠
 يغمراش بن زيان ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ؛ ٤٨٨
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ١٤ ، ٩٦
 يوسف بن أبي ناصر السفاوى ؛ ٤٥٠
 يوسف بن قاشفين ؛ ١١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٩
 يوسف بن عبد الحق ، أبو يعقوب ، السلطان ؛
 ١٩٧
 يوسف بن هارون الزيدى ؛ ١٠٦
 يونس بن مغيث ؛ ٤٨٩

المعز لدين الله الفاطمى ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
 مفرج بن سلمة ؛ ٤٨٩
 المقرئ ، عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ١٩١
 المقرئ ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ؛
 ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٠٢
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥
 منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدلى ؛ ٤٥٢
 منصور الزواوى ، أبو علي ؛ ٣٠٢ ، ٣٩١
 منصور بن سليمان ؛ ٢١
 المنصور بن عبد الحق ، أبو يوسف ؛ ١٤٠
 موسى بن نصير ؛ ١٠٢

ن — ي

ناصر الدين المشدلى ، أبو علي ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ٢٤٢
 الناصر بن المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٦
 نزهون القليعية ؛ ٥٠٤
 النبي العربي ؛ ٥٩ ، ٨٩
 نصر ، أبو الجيوش ، السلطان ؛ ١٤٠ ،
 ٤٤٥
 هراذه بن الهنشه بن شانجه (فرناندو الثالث) ؛
 ٩٨
 هشام المؤيد ، الخليفة ؛ ١٠٣
 هشام بن يوسف بن الملبوم ؛ ٥١٧

كامل طبع المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٤ هـ الموافق لليوم
الرابع من شهر يولييه سنة ١٩٧٤ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. II

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press
Cairo - 1974

